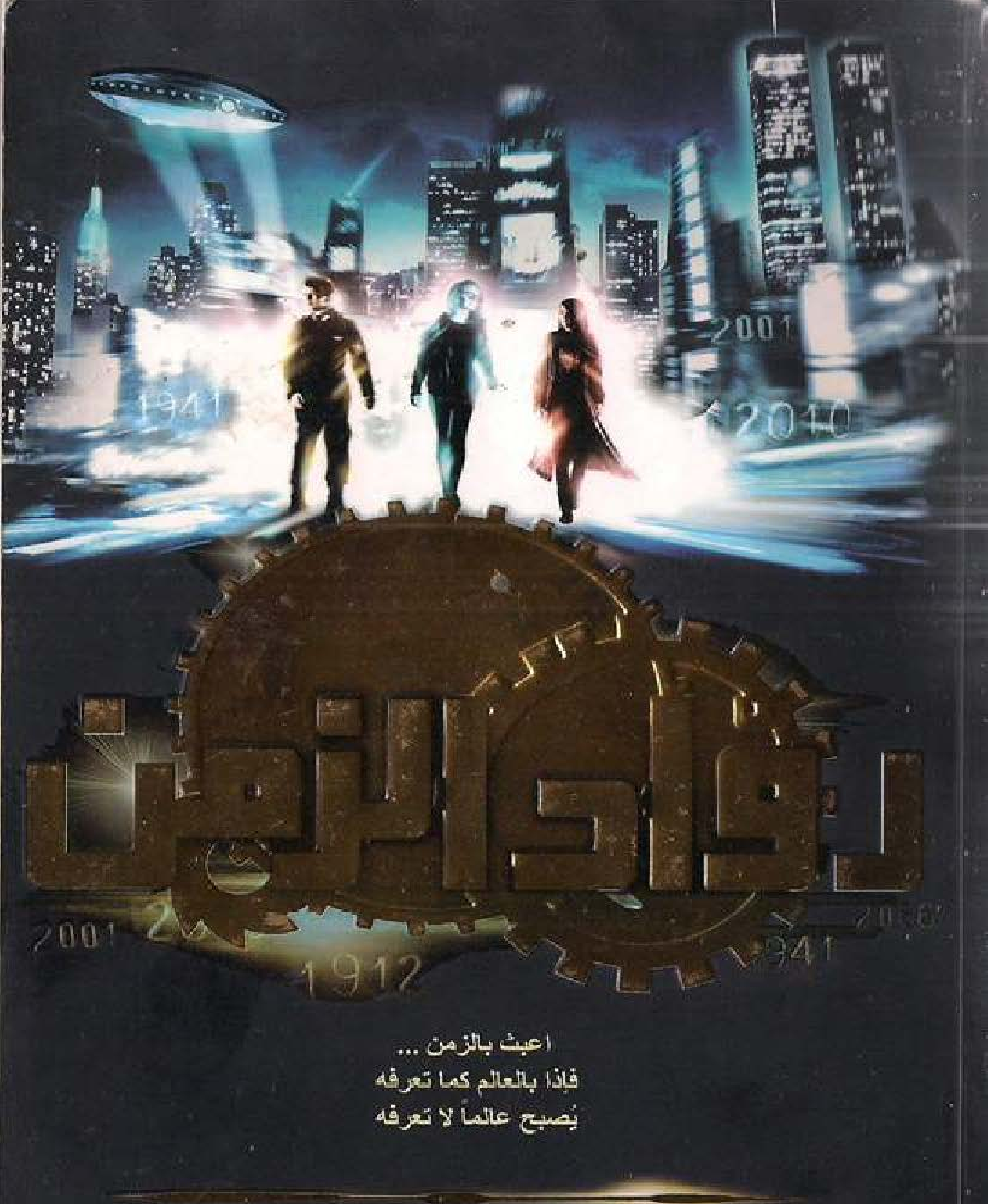
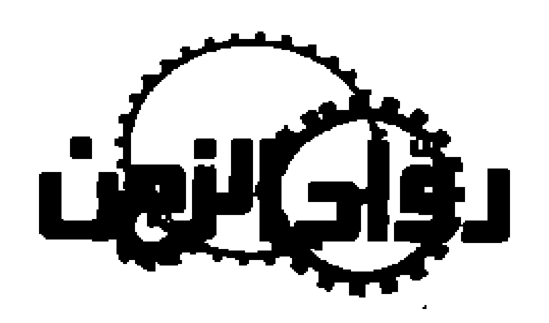


رواد الزمن
2001
1941
2010
1912
اعبث بالزمن ...
فإذا بالعالم كما تعرفه
يُصبح عالماً لا تعرفه

أَلِكس سكارّو



حاز جائزة Red House Award
وعلى القائمة القصيرة لجائزة Galaxy Book Award
ولجائزة Carnegie Medal

"تشدّك بشكلٍ جنوني". *Independent on Sunday*

"تُدمن على قراءتها كإدمانك على لعبة إلكترونية". Guardian

"قراءة رائعة تجذب الفتيان والفتيات على حدٍّ سواء... ستُدمن على قراءتها". Redhouse.co.uk

"رواية ضاربة". *Irish News*

"مغامرة مثيرة تُسابق عبر الزمان والمكان بسرعة قياسية."
Lovereading4kids.co.uk

"غنية بالأحداث وسريعة الوتيرة... إنها رواية مشوّقة بالفعل."
WriteAway.org.uk

ألكس سكارو ولد عام 1966. كان في الأصل فنّاناً غرافيتياً، ثم قرّر أنْ يُصبح مُصمّم ألعاب كومبيوتر، وأخيراً أصبح مؤلّفاً. ألّفَ عدداً من قصص المغامرات المثيرة الناجحة وعدداً من سيناريوات الأفلام، لكنَّ أدب الشباب هو الذي سمح له بالمرح بالأفكار والمفاهيم التي كان يعبث بها عندما كان يُصمّم الألعاب.

يعيش في نوريتش في بريطانيا مع زوجته وابنه.

ألكس سكارّو



ترجمة

أسامة منزلجي



Time Riders, by Alex Scarrow
First published in Great Britain in the English language in 2010
by Puffin books
Penguin Books Ltd, 80 Strand, London WC2R 0RL, England

الطبعة العربية

ISBN 978-1-85516-897-8

الساقي

بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 2033-6114
هاتف: 442 866-1-961+، فاكس: 443 866-1-961+

email: info@daralsaqi.com

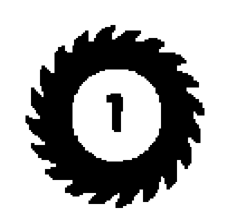
يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على

@DarAlSaqi
دار الساقي
Dar Al Saqi

إلى جايكوب، الذي صحّح تجارب الكتاب المطبعية

وفي ذكرى بولسي... الجرذ الرائع



1912، المحيط الأطلسي

صرخ ليام أوكنر "هل بقي أحد على السطح E؟" تردّد صدى صوته على طول الممر الضيّق، مُتنقلاً بين الجدران المعدنية، "هل من أحد هناك؟"

كان الصمت يخيّم على المكان، ما خلا صرخات مكبوتة ووقع خُطى مُسرعة صادرة عن السطح فوقه، والصرير الحزين لهيكل السفينة يضغط ويتمدّد، بينما الطرف المنحني للسفينة يغوص ببطء تحت سطح المحيط.

استند إلى زاوية الباب التي كانت تُصبح بالتدريج أكثر انحداراً، متمسّكاً بإطار باب القَمْرة القريبة منه. كانت تعليمات كبير المُضيفين واضحة - التأكّد من خلوّ كلّ قَمْرة في هذا الطرف من السطح قبل الصعود والانضمام إليه.

لم يكن متأكّداً من أنه يريد ذلك؛ لقد كان صراخ الأطفال والنساء وعويلهم الصادر من أعلى مطلع الدَرَج نحو الأسفل في أُذنه حاداً ومرعباً. على الأقلّ هنا على السطح E، وسط قمرات الدرجة الثانية، ساد جوٌّ مريب من السكينة. إلاّ أنه مع ذلك لم يكن صمتاً. وعن بُعد، تناهى إلى سمعه هدير دمدمة عميقة، وأدرك أنه هدير مياه المحيط الشديدة البرودة تندفع بقوة إلى السفينة المحكومة بالموت، تزأر من خلال الحواجز المفتوحة، وتجرّها تدريجاً إلى أسفل.

صرخ من جديد: "النداء الأخير!"

قبل ذلك ببضع دقائق كان قد أنهضَ أمّاً شابة مع ابنتها ترتعدان في إحدى القمرات مرتديتين سترتي نجاة.

كانت المرأة مشلولة من فرط الخوف، ترتعش على سريرها وهي تضمّ ابنتها بين ذراعيها. تقدّمهما ليام إلى الخارج وقادهما نحو الدَرَج المؤدي إلى السطح D. وكانت الفتاة الصغيرة قد قبّلته بسرعة على وجنته، وتمنّت له الحظّ السعيد لدى افتراقهم عند مطلع الدَرج، وكأنها – خِلاف أمّها المضطربة – فهمت أنَّ الموت هو مصيرهم جميعاً.

شعر بالأرض تميل من تحت قدميه المزعزعتين. ومن قمّة الممرّ سمع تحطُّم آنية فخّارية بعد سقوطها عن الرفوف في غرفة المضيف.

سوف تغرق قريباً.

أخذ ليام يلهج بتلاوة صلاة على عجل، ومدّ عنقه إلى داخل آخر قَمْرة. إنها خالية.

تناهت إليه أصداء أنين عالي النبرة من خلال الباب، مهتزّة كأغنية حوت عملاق – شعر بها أكثر من سماعه لها. جذب عينيه ومضٌ لدى مروره من أمام كوّة القَمرة الصغيرة. لم يرَ غير الظلام، ثم مرّت مسرعة فقاعاتٌ زئبقيّة عابرة.

أصبح السطح E تحت مستوى سطح الماء.

تمتم: "اللعنة! لم يعُد لدي عمل هنا".

خرج عائداً إلى الممر، فرأى في آخره أمواجاً من الماء بعمق بوصة أو اثنتين، تتقدم متدافعة برفق على طول الأرضية المكسوّة بالسجّاد نحوه.

"أوه كلاّ".

كان الطرف الأدنى من الممرّ هو سبيله الوحيد إلى الخروج.

لقد أطلتَ المكوث أكثر مما ينبغي، أيها الأحمق ليام. أطلتَ المكوث أكثر مما ينبغي.

لقد أدرك الآن أنَّ الفتاة وأمّها كانتا بمثابة إنذار مشؤوم له بوجوب خروجه. كان ينبغي أنْ يُغادر معهما.

لامست المياه المُثلجة قدميه، وتسرّبت إلى داخل حذائه، وامتدّت متجاوزة إيّاه بلا عناء. خطا بضع خطوات إلى الأمام، خائضاً في الماء، شاعراً بحصاره الشديد البرودة حول كاحليه، ثم قصبتي ساقيه، ثم رُكبتيه. وأمامه، عند منعطف نهاية الممرّ، رأى مطلع الدَرَج الذي كان ينبغي أنْ يرتقيه قبل خمس دقائق. حثّ خُطاه قُدُماً، يئنّ من الألم، بينما المياه المُثلجة ترتفع وتحيط بخصره وتبلّل رداء المضيف الأبيض. اخذت أنفاسه تخرج لهاثاً من بين أسنانه المصطكة على شكل سُحب من البخار وهو يكافح للسير قُدُماً.

قال مُستهجناً: "يا ربي... لا أريد أنْ اغرق!" لم يعُد صوته صوت فتىً في السادسة عشرة، اصبح أجشّ حديثاً، بل غدا أنيناً مخنوقاً لطفل مرعوب.

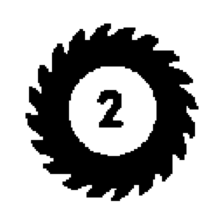
اصبحت المياه الآن أعمق من قدرته على الخوض فيها. وأمامه، حيث ينعطف الممرّ إلى اليمين نحو مطلع الدَرَج، كانت المياه قد بلغت مستوى أضواء الجدار، وجعلتها تُطلق شرراً وومضاً.

لعلّ مطلع الدَرج أصبح مغموراً بالمياه.

أدرك أنّ المياه بعد المنعطف قد لامست السقف، وأنّ الدَرَج، حتى المصطبة الأولى على الأقلّ، سيكون مغموراً الآن كليّاً بالماء، وسيكون السبيل الوحيد لخروجه انّ يحبس أنفاسه ويأمل أنْ يتمكّن من المقاومة فترة كافية ليتلمّس طريقه إلى أعلى نحو المصطبة الأولى.

ارتعشت شفتاه الزرقاوان لدى تفكيره في تلمُّس طريقه متعثّراً وسط الظلام، تحت سطح الماء - يضل طريقه، شاعراً باليأس يزداد وأخيراً يبتلع مياه البحر المضطربة حتى تصل رئتيه.

عندئذٍ سمع ذلك الصوت - إنها حركة آتية من خلفه.



1912، المحيط الأطلسي

التفتَ لينظر على طول الممر، فرأى رجلاً واقفاً والمياه تغمر كاحليه، متمسّكاً بدرابزين الجدار ليمنع نفسه من السقوط على الممر باتجاهه.

"ليام أوكنر!"

أجاب ليام: "نحن عالقان! لا سبيل... لا سبيل للخروج!" بدا صوته حاد النبرة.

كرّر الرجل القول، بصوت هادئ، "ليام أوكنر".

"ماذا؟!"

"أنا أعرف مَنْ أنت، يا فتى".

"مَنْ؟... نحن في حاجة إلى..."

ابتسم الرجل. "اسمع، يا ليام"، ونظر في ساعة يده، "لم يبقَ أمامك من الحياة إلا أقلّ من دقيقتين". تلفّتَ الرجل حوله إلى الحواجز المعدنيّة على السطح E. "سوف ينكسر جسم هذه السفينة في غضون تسعين ثانية. سوف ينكسر ثلثاها لاحقاً. الطرف المنحني، القسم الأكبر، والجزء الذي نقف عليه أنت وأنا، سوف تغرق أولاً - سوف يبقى مؤخر السفينة طافياً دقيقة أخرى ثم سيتبعنا إلى أسفل، مسافة ميل ونصف حتى قاع المحيط".

"آه، أرجوك كلا. كلا، كلا، كلا"، قال ليام وهو يئن، مُدركاً أنه كان يبكي.

"في أثناء غرقنا، سوف يزداد ضغط المياه بسرعة. وسوف ينبعج جسم السفينة تحت تأثيره. وسوف يخرق ضغط الهواء طبلتي أذنيك".

قال: "البراغي المُثبّتة على هذه الجدران"، وهو يُمرر يده عليها، "سوف تندفع خارجة من الحواجز المعدنية كطلقات الرصاص. وهذا الممر سوف يمتلئ على الفور بالمياه، وسوف تُسحَق قبل أنْ تغرق. على الأقل سيكون هذا أرحم قليلاً".

"أوه يا إلهي، كلا... ساعدنا".

"سوف تموت، يا ليام"، وابتسم الرجل من جديد، "وهذا يجعل منكَ شخصاً مثالياً".

"مـ... مثالياً؟"

خطا الرجل بضع خطوات إلى الأمام، خائضاً حتى خصره في الماء باتجاه ليام.

"أخبرني، هل ترغب في العيش؟"

"ماذا؟... هل هناك سبيل آخر للخروج؟"

ومضت الأضواء في الممرّ وانطفأتْ بتناغم. وبعد لحظة عادت من جديد.

" لم يبقَ أمامها إلاّ ستون ثانية لتنبعج، يا ليام. لم يبقَ الكثير".

"هل هـ... هناك سـ... سبيل آخر للخروج من... ؟"

قال، مادّاً يده، "إذا رافقتني، يا ليام، فهناك سبيل آخر. سوف تعيش حياة خفيّة. سوف توجد كشبح، ولكن ليس في عالمنا هذا. لن تتمكن من عقد صداقات جديدة، ولن تتمكن من العثور على الحب". خفّفَ الرجل من وطأة كلامه بابتسامة متعاطفة. "سوف تتعرّف إلى أمور... يعني... يمكنها حتماً أنْ تقودك إلى الجنون إذا تركتها تعبث بعقلك. بعض الناس يفضّلون الموت".

"أنا أ... أريد أنْ أعيش!"

"يجب أنْ أحذّرك... أنا لا أمنحك حياتك أنت، يا ليام. أنا أمنحك سبيلاً للنجاة، هذا كل شيء".

تشبّثَ ليام بثريّا تُصدر ضوءاً خفّاقاً مُثبّتة إلى الجدار، وجرّ نفسه نحو

الخلف على الممرّ المائل وقد لامست قدماه الأرضية من جديد. تردّد حولهما هدير متموّج يثير الرعدة في الجسم، ويصمّ الآذان.

"إنها تحتضر، يا ليام. إنّ ظهر التايتانيك سوف ينكسر بعد بضع ثوان. إذا كنتَ تؤمن بالله، فقد ترغب في الانضمام إليه الآن. وإذا بقيت هنا، اطمئنك إلى أنّ كل شيء سينتهي بسرعة بالنسبة إليك".

الغرق؛ لطالما كان ذلك أسوأ كوابيس ليام، طوال حياته. إنه لم يتعلّم السباحة بسبب خوفه الرهيب من الماء.

رفع ليام بصره إلى الرجل، ونظر إلى وجهه للمرّة الأولى: رأى عينين عميقتين تحيط بهما تجاعيد التقدّم في السنّ، ثم خطرت له فكرة.

"هل أنت... هل أ... أنت ملاك؟"

ابتسم. "كلاّ، أنا مجرد رجل عجوز". بقيَتْ يده ثابتة، ممدودة نحو ليام. "سوف أتفهّم وضعك إذا فضّلتَ أنْ تبقى وتموت. ليس الجميع يقرّرون مرافقتي".

ارتعد ليام. اهتزّت الأرض تحت قدميه وامتلأ الهواء من حوله بصرير حادّ لتَمَزُّقِ صفائح المعدن، وفرقعة تفكّك مواضع التثبيت، بينما أخذت الأسطح فوقه تنهار واحداً بعد آخر.

"ها هي تنهار، يا ليام. وصلنا إلى لحظة اتخاذ القرار".

شدّ ليام نفسه نحو الأمام، مرتفعاً عن سطح الماء، محاولاً بشدّة أنْ يمسك بيد العجوز الممدودة. لو أنّ لديه وقتاً كافياً، لو أنّ عقله لم يكن في حالة من الانهيار التام بسبب الرعب، لتساءل مَنْ يكون هذا الرجل، وكيف ينوي بالضبط أنْ يُنقذهما معاً. بدل ذلك، لم يكن أمامه، في تلك اللحظة، إلا أنْ يفكّر في شيء واحد.

لا أريد أنْ أموت. لا أريد أنْ أموت.

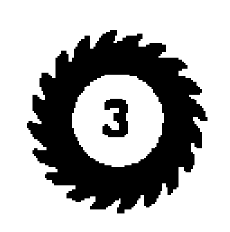
فجأة انطفأتْ الأضواء، تاركة إياهما في ظلام دامس.

ضلّتْ ذراع ليام طريقها في الظلام. "أين يدك. أرجوك! لا أريد أنْ أغرق!"

لامست أصابعه أصابع الرجل العجوز. أمسك بها العجوز وتشبّث بها.

"ودّع حياتك، يا ليام". هتفَ بصوت يعلو على الهدير الرهيب لتمزُّق السفينة إلى نصفين.

آخر إحساس أدركه ليام، كان أرضيّة الممرّ المعدنية المهتزّة تحت قدميه وهي تتهاوى وتغوص... تغوص داخل الظلمة.



2001، نيويورك

وتغوص، تغوص... تغوص.

انتفضَ ليام مستيقظاً، وساقاه ترفسان. كانت عيناه لا تزالان مُغمضتين، فتحسّسَ بيديه، ثمة مادّة جافة ودافئة تكسوه. هناك سكون، يكاد يكون صمتاً، لولا صوت خافت لتنفُّس بجواره، ودمدمة مكبوتة بعيدة آتية من موقع ما فوقَه. أدرك أنّه موجود بصورة غامضة في مكان آخر. هذا كلّ ما كان جليّاً.

كان على سرير عادي أو سرير جدار. فتح عينيه ليرى فوقه سقفاً مقوّساً من حجارة القرميد المتفتّت، طُليَ قبل زمن بعيد بدهان أخذ الآن يتقشّر كقشرة الرأس. ومن ذروة السقف المقوَّس تدلّى مصباح واحد، ذو ضوء خفّاق من سلك متين ومُغبرّ.

رفعَ نفسه مُتّكئاً على مرفقيه.

كان موجوداً داخل فجوة من القرميد، ربما في موقع ما تحت الأرض. خلف بقعة الضوء المنبعثة من مصباح فوقه، امتدّت أرضية من الأسمنت المسلّح ابتداءً من الفجوة وداخل الظلام.

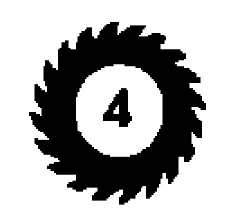
أين أنا؟

اعتدلَ في جلسته، شاعراً بدوار وبخفّة في رأسه، ووجد نفسه ينظر على مسافة ثلاث أقدام إلى سرير ضيّق. على السرير السفليّ تبيّنَ أن فتاة أكبر منه

بضع سنوات تتقلّب في نوم مضطرب. خمّنَ أنها ربما في الثامنة عشرة، أو التاسعة عشرة. امرأة شابة أكثر منها فتاة صغيرة.

تحرّكت عيناه من تحت الجفنين. كانت تتذمّر بطريقة تدعو إلى الرثاء، وساقاها تنتفضان وترفسان، جاعلة السرير يصرّ ويطقطق كلما تقلّبت.

من جديد تساءل، أين أنا بحقّ الله؟



2010، في موقع ما فوق أميركا

انتهت مادي كارتر على عجل وضغطت زر دفق الماء. أصدر المرحاض هسيساً مع ضجيج ابتلاع فظيع، وتساءلت برهةً ما إذا كان يمكن شخصاً ما، عاثر الحظ إلى درجة أنْ يضغط الزر مُصادفةً وهو لا يزال جالساً على المقعد، أنْ يندفع مع دفق الماء، مسافة أربعين ألف قدم من السقوط الحر وسط وابل من قطع البراز.

فكرة ظريفة.

نظّفتْ مادي نفسها بأفضل طريقة ممكنة داخل حدود المرحاض الضيِّق. حدّقت تحتها إلى آخر آثار القيء وهي تدوِّم داخل حوض المرحاض ثم تغيب فيه، شاعرة بأنها أفضل حالاً الآن بعد أنْ تخلّصت من وجبة الطائرة بدل أنْ تبقى تضطرب في أحشائها.

جفَّفتْ فمها بظاهر يدها ونظرت إلى نفسها في المرآة تقصِّياً لأيِّ بقايا من القيء عالقة في شعرها. بادلتها التحديق فتاة ممشوقة القامة، خرقاء، شاحبة الوجه، ثمة نمش بغيض تكرهه كلّ الكراهية ينتشر على امتداد وجنتيها تحت إطار نظّارتها. كان شعرها الأشقر مع خصل بلون الفريز ينهمر بلا حياة على كتفيها النحيلتَين، اللتين يغطيهما قميص رياضيّ بلون رماديٍّ فاتح مطبوع على امتداد صدره شعار شركة مايكروسوفت.

نعم، أنتِ مملّة منة في المئة. هذا ما أنت عليه، يا مادي.

مملّة... بل غريبة الأطوار؛ أنثى تهوى العبث بألواح الدارات الكهربائية، وتمارس الخدع على حاسوبها، وتخترق أيفونها iPhone لكي تحصل على خدمة إنترنت مجانية... فتاة مملّة. الفتاة المملّة هي التي تأخذ معها كتاب رعب يبعث على الصراخ كلّما استقلت طائرة.

أدارت قفل الباب، ثم فتحت الباب وخرجت. مدّت نظرها على طول الممرّ بين المقاعد في الطائرة مستعرضة بحراً من مساند الرؤوس والأشكال البارزة لعدّة مئات من الرؤوس.

شعرت بيد ترتاح على كتفها، فاستدارت حول نفسها لترى رجلاً عجوزاً واقفاً بجوار صفّ المراحيض الضيّقة.

قالت، وهي تنزع سمّاعات رأس صغيرة تُصدر هسيساً عن أذنيها، "آه؟ ماذا؟"

"أنت مادلين كارتر من بوسطن. مقعدك رقمه 29 د".

حدّقتْ إليه، مذهولة. "ماذا؟ أتريد أنْ تلقي نظرة على بطاقتي أم...؟"

"أخشى أنه لم يبق أمامك غير بضع دقائق من الحياة".

شعرت باضطراب في بطنها، وأضحت مستعدّة لتقيّؤ دفق جديد من الطعام شبه المهضوم. فعبارة مثل "لم يبقَ غير بضع دقائق من الحياة"، كانت آخر شيء تحتاج إليه مسافرة بالطائرة متوتّرة الأعصاب مثلها في تلك اللحظة. إنها تعادل كلمات مثل "إرهابيين" و"قنابل"، لا ينبغي أنْ يأتي المرء على ذِكرها في أثناء رحلة طائرة مزدحمة بالمسافرين.

كان يبدو على الرجل العجوز إرهاق شخص ركضَ لأنه تأخر عن اللحاق بالقطار.

"في غضون بضع دقائق سيموت كلّ شخص على متن هذه الطائرة".

لقد تخيّلت أنّ هناك فقط نوعين من الأشخاص يمكن أنْ يقولوا مثل هذا: المجانين تماماً الذين يحتاجون إلى علاج أو...

همست: "أوه يا إلهي. لا أحب أنكَ... انكَ إرهابيّ؟"

"كلا. أنا هنا لكي أنقذك، يا مادلين". تكلّم بهدوء، ثم ألقى نظرة إلى

بحر الرؤوس على كلا جانبي الممر، "ولكن أخشى أني سأنقذك أنت فقط".

هزّتْ رأسها نفياً. "ماذا؟... مَنْ؟ أنا...آه..." كان فمها يتحرّك بلا معنى.

نظر في ساعة يده، "لم يبقَ الكثير من الوقت. بعد حوالى تسعين ثانية سوف تنفجر عبوة صغيرة ناسفة عند منتصف المسافة للجانب الأيمن من الطائرة. وسوف يُحدث الانفجار فجوة في جسم الطائرة، وفي الحال سوف تخلو من الضغط وتنحدر في سقوط حرّ. وبعد عشرين ثانية أخرى سوف يتمزّق جناح الميمنة، وسيمتلئ داخل الطائرة بوقودها، الذي سيشتعل بدوره". تنهّد، "وسوف يؤدّي الارتطام بالغابة في الأسفل بعد ذلك بسبع وثلاثين ثانية إلى قتل أولئك الذين لم يتحوّلوا بعد إلى رماد".

شعرتْ مادي كأنّ وجهها خلا من الدماء.

أردفَ قائلاً: "أنا آسف، ولكن أخشى أنّه لا أحد سينجو من الحادث".

"آه... إنّ هذا... إنّ هذا نوع سمج من النّكات المُقززة، أليس كذلك؟"

تابع قائلاً: "لا مزاح. أنتِ وحدكِ وقع عليها الاختيار. يمكنكِ أنْ تختاري البقاء على قيد الحياة".

إنه جادّ. لقد كان يُحيط به شيء أنبأها بأنه لا يتلقّى علاجاً. وجدت نفسها تلهث، وتمدّ يدها غريزياً لتناول جهاز الاستنشاق. "تس... تسعون ثانية؟ ستنفجر قنبلة؟"

"الآن أصبحت أقلّ من ذلك".

إذاً فهو ليس بمجنون...

"أوه يا إلهي، أنتَ مَنْ وضع القنبلة. ماذا تريد منّا؟"

"كلاّ، لستُ أنا مَنْ وضعها، ولست إرهابياً. لقد تصادفَ أني علمتُ أنّ هذه الطائرة ستُدَمّر بفعل عبوة، وسوف تُعلنُ مجموعة إرهابية مسؤوليتها عنها في صباح يوم غد".

سألتْ، وقد ارتفعت نبرة صوتها من فرط الرعب، "هل هناك متّسع من الوقت؟ ألا نستطيع أنْ نعثر على القنبلة ونرميها بعيداً؟" نطقتْ حرف القاف بنبرة أعلى قليلاً وأحرزت تقدّماً. التفتَ عددٌ من الرؤوس بسرعة

على طول الممرّ لينظروا إليها.

هزّ رأسه. "حتى إن كان هناك متّسع من الوقت، لا أستطيع أنْ أُغيّر مجرى الأحداث، لا أستطيع أنْ أغيّر التاريخ. هذه الطائرة يجب أنْ تسقط".

همست: "آه يا ربي".

"الأمر الوحيد الذي أستطيع أنْ أفعله هو أنْ آخذك معي قبل أنْ تسقط".

رفعت نظرها إلى الطائرة. التفت المزيد من الرؤوس. استطاعت أنْ تسمع تصاعد موجة الأصوات وكلمة "قنبلة" مع ارتفاع الموجة من صفّ من الكراسي إلى آخر.

"إذا أمسكتِ بيدي"، قال وهو يمدّها إليها، "فسوف تعيشين. وفي المقابل سوف أطلب مساعدتك، أو يمكنك أنْ تبقي هنا. عليك أنْ تختاري، يا مادلين".

شعرت مادلين بدموع الرعب تنحدر على وجنتيها. إنّ الرجل يبدو سليم العقل. يبدو هادئاً. يبدو جادّاً تماماً. "ولكن... كيف يمكن إخراج أيّ شخص من هذه الطائرة في أثناء تحليقها؟"

قال: "أنا أعلم أنك تخافين الأماكن العالية، وأنكِ لستِ أفضل حالاً وأنت على متن الطائرة. أعلم أنّ مشروبك المفضّل هو دكتور بيبر، وأعلم أنه تنتابك باستمرار كوابيس عن السقوط من منزل شجرة مدهون باللون الأصفر... إنني أعلم أشياء كثيرة أخرى عنك".

تجهّمتْ. "كيف... كيف توصّلت إلى معرفة هذا كلّه؟"

نظر في ساعة يده. "لم يبقَ أمامكِ إلا ثلاثون ثانية".

كانت هناك مُضيفة تتقدّم على طول الممرّ نحوهما، وقد اتّسعت عيناها من فرط القلق.

"أنا أعلم أنكِ قارئة نهمة لأدب الخيال العلمي، يا مادلين، لذلك ربما من الأسهل عليكِ أنْ تفهمي إذا أخبرتك أني قادم من المستقبل".

فتحت فمها وأغلقته. "ولكن... ولكن هذا مستحيل!"

"سوف يكون السفر عبر الزمن أمراً ممكناً بعد حوالى أربعين عاماً من

الآن". امتدّتْ يده نحوها. نظرتْ إليها بتردُّد.

"بقي عشرون ثانية، يا مادلين. أمسكي يدي".

رفعت بصرها إلى وجهه المُتغضِّن. "لماذا؟ لماذا...؟"

"تقصدين لماذا أنتِ؟"

أومأت برأسها إيجاباً.

"إنكِ تتطابقين تماماً مع متطلّبات المهارة".

ابتلعت لعابها بعصبيّة، وشعرت بأنفاسها تُصبح أشدّ صعوبة وثقلاً. كانت مضطربة، يسكنها الرعب، وعاجزة عن صياغة سؤال آخر مفيد.

قال، وهو ينظر في ساعة يده، "نحن في حاجة إليك. بقيَت خمس عشرة ثانية. حان وقت اتّخاذ القرار".

"مـ... من أنت؟"

"أنا... أم هل أقول نحن... أناس نُصحِّح الأمور. والآن، أمسكي بيدي، يا مادلين. أمسكي بها الآن!"

وبحركة غريزيّة، مدّت يدها نحوه.

توقّفت إحدى المضيفات على بُعد مسافة قصيرة منهما، وقاطعتهما: "عفواً، لقد جاءنا تقرير يقول إنّكما تستخدمان الكلمة التي تبدأ بحرف القاف... قنبلة". همست بالكلمة بهدوء. "أنا آسفة ولكن ممنوع استخدام مثل هذه الكلمات على متن طائرة ركاب".

رفع العجوز نظره إليها وابتسم بحزن. "كلاّ... أنا الذي يجب أنْ أُبدي أسفي، يا سيدتي. أنا حقاً آسف".

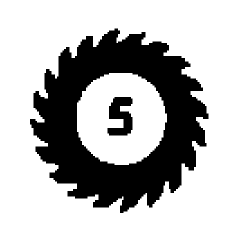
نظرت مادي إليه. "أهذا حقيقيّ؟"

أومأ برأسه إيجاباً. "ويجب أنْ نغادر في الحال".

قالت: "أوكيه"، وهي تقبض بحزم على يده الممدودة إليها.

أمالت المضيفة رأسها إلى أحد الجانبين باستغراب، وتغضّن جبينها، وزمّت شفتيها. كادت تسألهما كيف بالضبط ينويان أنْ يغادرا الطائرة.

ثم عمَّ العالم فجأة بياضٌ مُبهر وأغمضتْ مادي عينيها.



2001، نيويورك

كانت تصرخ، أو على الأقلّ تخيّلتْ أنه صراخ. لعلّه يصدر عنها، أو لعلّه صوت تمزُّق الجناح عن الطائرة.

أو لعلّه صراخ المضيفة؛ لم تكن متيقّنة.

ثمّة إحساس مرعب بالسقوط، السقوط عميقاً في الظلام.

وجدت نفسها تصرخ بصوت أشبه بصرير موت حادّ لخنزير يُذبَح "كلاّ!!!!!!!!!".

ومالت فجأة وبعنف.

فتحت مادي عينيها واسعاً فثبتا على مرأى ضوء مصباح خفّاق يتدلّى من سقف من القرميد، ثم على نابض صدِئ لسرير ضيّق قذر يقع فوقها مباشرة. وأخيراً، إلى يمينها، انتقلتْ عيناها إلى وجه رقيق لشاب جالس على سرير وضيع ذي إطار معدني على الطرف المقابل من مكانها، يرتدي ما بدا أنه زيّ نادل.

غمغم: "لقد أفزعتني. في لحظة كنتِ نائمة بهدوء تام، وفي اللحظة التالية إذا بك تصرخين كالهنود الحمر".

شعرت مادي بأنفاسها تجلجل كعُثّة مجفلة وقعت في فخ من الأسلاك. نظرت إلى أسفل، وأنفاسها تئزّ، فرأتْ أنها ما زالت تتشبّث بجهاز الاستنشاق، تماماً كما كانت تفعل قبل لحظة على متن الطائرة. أخذت منه نشقاً طويلاً ومن ثم نجحت في إيصال مقدار كافٍ من الهواء إلى رئتيها

بحيث تقوى على الاعتدال ببطء في جلستها.

"أنا ميتة. لا بد أني ميتة".

نجح الشاب في رسم ابتسامة واهنة ومرتبكة على وجهه. "أنا أيضاً... أعتقد".

تبادلا النظرات برهة. ثم قال "أتساءل، هل تعتقدين...؟"

أكملتْ هي السؤال، "أنَّ هذه هي الجنّة؟ طبعاً لا. لو أنّها موجودة... فإنها تبدو لي شيئاً تافهاً". صرَّ السرير الضيِّق الذي تستلقي عليه بسبب حركة من السرير العلوي. رفعت مادي بصرها إلى النابض والفراش.

"هل هناك أحد فوق؟"

أومأ ليام برأسه إيجاباً. "نعم، فتاة شابة سمراء البشرة. إنها نائمة".

صدر صوت من قلب الظلام: "واسمها سالينا".

انتفضا معاً وهما يلتفتان حولهما بحثاً في العتمة خلف الضوء الصادر عن المصباح العاري.

سمعا وقع خُطى على الأرضية الأسمنتية القاسية، ومن ثم، شاهدا، بصورة باهتة في أوّل الأمر، رجلاً يظهر من قلب الظلمة، حاملاً صينيّة.

سأل الرجل العجوز: "أتريدان قهوة؟"

شهقت مادي: "أوه يا إلهي!"، وقد تعرّفت إلى وجهه.

ارتخى فكّ ليام. "أنت الرجل الذي ظهر على سطح السفينة E".

أجاب الرجل بهدوء: "هذا صحيح. واسمي فوستر".

انضمَّ إليهما، واضعاً الصينيّة، التي تضمّ أباريق مكسورة من طرفها وعلبة من الكرتون تحتوي على كعك الدونات، على الأرض بين السريرين، وجلس على السرير بجوار ليام.

أومأ برأسه باتجاه السرير العُلوي، "أنت مادلين كارتر، وأنتَ ليام أوكنر. والفتاة التي فوق هي سال فيكرام. إنها فتاة صغيرة، في الثالثة عشرة. المسكينة سوف تُصاب بالرعب عندما تستعيد وعيها. تفضّلا"، وناول كلاً من ليام ومادي إبريقاً من القهوة. "لعلكما في حاجة إلى قليل من المُنشّط".

سأل ليام: "مستر فوستر، أليس كذلك؟"
ابتسم. "قُلْ فوستر... أو مستر فوستر، أنا لا أهتم بالتفاصيل الصغيرة".
"أين نحن، مستر فوستر؟"
أومأتْ مادي برأسها موافقة. "كان ينبغي أنْ أموت. من المستحيل أنْ تكون قد أخرجتني من تلك الطائرة. مستحيل".
التفت إليها. "إنه السفر عبر الزمن، أتذكرين؟"
ضيّقتْ عينيها. "ولكن هذا مستحيل".
هزَّ رأسه نفياً. "كلاّ، إنه ليس كذلك، لسوء الحظ".
سأل: "ما هو السفر عبر الزمن؟"
مدّت مادي رأسها باتجاهه. "أنت تمزح، صح؟"
قال فوستر: "مهلك على الفتى. إنه قادم من عام 1912. حينئذٍ لم يكن لديهم الكثير من عروض الخيال العلمي ومجلاّت الرسوم الهزلية".
التفتت نحو ليام، ونظرت بإمعان أشدّ إلى ملابسه: إنه ليس نادلاً، بل مضيف في سفينة. لمحتْ عبارة "خطوط النجم الأبيض" مَخيطةً على جيب الصدر.
"عام 1912؟ أأنت جادّ؟"
أضاف فوستر: "كلّ الجديّة. إنَّ ليام هذا كان على متن التايتانيك".
فغرت فاها بارتخاء.
بدا الارتباك على ليام. سألها: "ماذا؟ لماذا تحدّقين إليَّ هكذا؟"
قال فوستر: "لأنكَ يا ليام من أيرلندا قبل مئة عام مضى". ضحك العجوز. "وهي من نيويورك، من عام 2010".
ارتفع حاجبا ليام القاتمان بحركة متناغمة.
"وسالينا فيكرام، التي على السرير العلوي، من مُمباي، في الهند، من عام 2026 ..." رسم فوستر ابتسامة عريضة جعلتْ وجهه العجوز يتغضّن كورقة مضادة للشحم. "أنا أنا، في الواقع"، ابتسم، "فلنقُل إني قادم من أرض خيالية".

مالتْ مادي إلى الأمام. "أوه يا إلهي، هيا، قُل من أي زمن؟ من القرن الثاني والعشرين؟ أم أكثر؟"

لم تُنبِئها ابتسامته بأيّ شيء.

"هل لديكم سفن فضاء في زمانكم؟ هل استعمر البشر النظام الشمسي؟ هل اخترعتم جهاز الدفع الملتوي[1]؟"

رفع يده لكي يُمسكها. "ربما في زمن تالٍ. أما الآن فهناك أمور أكثر اهمية تتطلّب المعالجة".

قبل أنْ يتمكّن أيٌّ منهما من الإجابة، سمعوا حركة تململ من السرير العُلويّ.

قال فوستر: "إنّها تستعيد وعيها. سوف تكون أكثر تشوّشاً، وخوفاً، منكما".

شَرَقَتْ مادي ملء فم من القهوة الحارة من الابريق الذي تحمله بيديها. "لا شك لديّ في هذا".

تحوّلت غمغمة الفتاة إلى صوت تذمُّر خائف سرعان ما اشتدّ. نهضَ فوستر واقفاً ومال عبر حافة السرير العلويّ.

أخذ يُهدهدها ليُطمئنها. "ششش... لا بأس، سالينا. لقد انتهى كلّ شيء. انت في أمان الآن".

تحوّل أنين الفتاة الطفولي فجأة إلى صراخ حادّ عندما فتحت عينيها واعتدلت باستقامة شديدة في جلستها على السّرير.

أمسك فوستر بكتفيها الضيّقتين بحزم. تكلّم بسرعة وبرقّة، "سالينا، أنت في أمان؛ لا أحد يستطيع أنْ يؤذيك هنا. لقد انتهى الأمر".

خرجت أنفاس الفتاة على هيئة لهاث قصير ومتقطع. اتّسعت عيناها المُحدّدتان بتظليل قاتم من خلف حافة قماش مُهدّبة سوداء اللّون مُسدلة، وتغطي بشكل مائل وجهها الصغير. كانتا تتنقلان بحركة سريعة من شيء

---

1 warp drive: جهاز وهمي حتى الآن، يُذكر عادة في أدب الخيال العلمي، والمفترض بهذا الجهاز أنْ يخترق الزمن بسرعة تفوق سرعة الضوء. (المترجم)

إلى آخر، في تلك اللحظة بدا أنها لا تفهم أيّ شيء.

كرّر فوستر القول: "انتهى الأمر، يا سالينا. أنت في أمان الآن".

استقرّ تحديقها على الرجل العجوز. رفعت الطرف الأهدب عن وجهها الذي كاد يكون شاحباً؛ كانت بشرتها ذات لون القهوة ناضبة من الدماء، وبلون الميت الرمادي.

نهضَ ليام واقفاً وراح يُدقّق النظر عبر حافة السرير، رافعاً حاجبيه من الذهول وهو ينظر إلى منظرها الغريب: غطاء رأس ذو قلنسوة قاتمة اللون، تنتشر عليه كلمات مشوّشة مكتوبة بلون برتقاليّ مُبهر، وبنطلون جينز رقيق زَرِيّ ممزّق ومُبقّع، بقع فوق بقع، وحذاء طويل الرقبة بدا أنه أكبر من مقاس رجلها بمقدار الضعف، ويُربَط حتى أعلى الكاحلين... وثمة زرّ للزينة يخترق شفتها العليا.

"آه..." تأخّر ردّ فعله قبل أنْ يمدّ يده مُرحّباً. "اسمي ليام أوكنر. يسرني أن..."

قال فوستر: "امنحيها لحظة، يا ليام. فقط لحظة... لقد كان اقتلاعها مؤلماً جداً".

"أهو أنت؟" كان صوتها خافتاً، مرتعشاً، ومتردّداً. "الرجل... الرجل الذي ظهر من اللهب".

"هذا صحيح". ابتسم لها بودّ. "إنه أنا، يا سالينا".

أجابت الفتاة: "اسمي سال، سال... أمي وأبي فقط يُناديانني سالينا".

قال، وهو يساعدها على النهوض، "فليكن سال، إذاً". راحت تؤرجح ساقيها من حافة السرير وهي تدرس بصمت الاثنين الآخرين: فتى يرتدي زيّ حمّال في فندق، ومراهقة بشعر خفيف تضع نظّارة.

قالت مادي: "هيه، مرحباً بك في مدينة الغرائب".

"فقط امنحيها بعض الوقت. دعيها تلتقط أنفاسها".

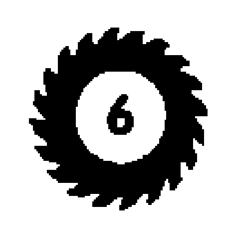
قال ليام لسال بفضول: "إنّ لكنتك غريبة".

قالت مادي مستهجنة: "هذا قول صارخ يصدر عنك".

" إنها من مدينة تُدعى مَمباي، في الهند، يا ليام. ربما تعرفها باسم موموباي".

"لكنها تتكلَّم الإنكليزية".

قالت مادي، وهي تُدير عينيها في محجريهما، "حسن، كلّهم يتكلّمونها. إنها أمة متعدّدة اللغات".



2001، نيويورك

شربوا القهوة كلّها، و لم يبقَ غير قطعة دونات واحدة أخيرة لا يرغب فيها أحد تقبع في العلبة.

كرّرت مادي القول: "لقد... هل قلتَ جُنّدنا؟"

"نعم، هذا صحيح. أنتِ تعملين لمصلحة الوكالة الآن".

مال ليام إلى الأمام. "آه... سيدي، مستر فوستر، ما هي بالضبط هذه الوكالة؟"

"دعوني أخُضْ أولاً في ما احتاج إلى أنْ أقول، وبعد ذلك تستطيعون أنْ تطرحوا عليّ قدر ما تشاؤون من أسئلة. سيكون من الأسرع كثيراً أنْ أفعل ذلك على طريقتي".

أومأوا برؤوسهم موافقين.

أشار فوستر إلى الظلام المنتشر خارج المُختلى. "لقد تركتُ الأضواء الأخرى مطفأة هنا لكي لا تروا كلّ شيء – هذا المكان، هذه التجهيزات – وترتبكوا بـه. أما الآن فلنتظاهر بأنه لا يوجد إلاّ هذه القنطرة من القرميد، وهذا المصباح، ونحن الأربعة وهذه الأسرّة... ومن هنا سابدأ".

وأخذ نَفَساً عميقاً.

"أيها الشبان والشابات، إنّ السفر عبر الزمن أمر واقع".

ترك هذا التصريح مُعلّقاً في الجوّ بضع لحظات قبل أنْ يواصل.

"في عام 2029 بيّنتْ أطروحة في الفيزياء النظرية إمكان ذلك. وفي عام 2044 صُمّمت أول آلة ناجحة لتحقيق ذلك". تنهّد. "والآن وقد كشفنا عن هذا الأمر لم يعد في استطاعتنا أنْ نخفيه".

تفحّصهم بعينين عميقتين صارمتين، تختفيان خلف حاجبين مُثلّمين ووجنتين شاحبتين تغزوهما تجاعيد متقاطعة.

"لا ينبغي على البشرية أنْ تعبث بالزمن. أبداً! ولكن بما أننا بتنا نعلم الآن كيف نفعل ذلك، فإننا في حاجة إلى أنْ نتيقّن أنّه لن يفعل احد ذلك فعلاً. ثم، إذا نجح أحمقٌ في العودة إلى الزمن الماضي، فعلى شخص آخر أنْ يعمل على إصلاح الخلل الذي سبّبه في أسرع وقت ممكن".

شابَت صوته العجوز الخشن رعشة واهنة.

قال بتجهّم: "إنّ السفر عبر الزمن سلاح رهيب، وأقوى بكثير من أيّ شيء جرى تخيّله من قبل. كلّ ما في الأمر أنّ البشرية غير مهيّأة بعد لذلك النوع من المعرفة. إننا أشبه بأطفال نلعب بلامبالاة لعبة طرّة ونقش بقنبلة ذرّية".

مدّ ليام رأسه مُستفهماً. "ما هي القنبلة الذرّية؟"

أجاب فوستر: "سأشرح هذا لاحقاً. وهذا يقودني إليكم أنتم الثلاثة، وإلى هذا المكان"، قال هذا وهو يومئ إلى الظلام الممتدّ خلف بقعة الضوء. "الحقيقة هي أنّ عددنا نحن ركّاب الزمن قليل جداً. ثمة مجموعات أمثالنا منتشرة في أرجاء العالم، وفي أرجاء الزمن، تراقب وتنتظر بصبر".

سألت مادي: "تراقب ماذا؟"

"حدوث تغيُّر مفاجئ".

" تغيُّر مفاجئ؟"

أومأ برأسه إيجاباً. "يبدأ الأمر بشيء دقيق جداً، لا تكاد تلاحظه العين، ثم تلاحظه عندما يُصبح مجرّد تموُّج. ويجب أنْ تلاحظه، لأنه سرعان ما يتحوّل إلى موجة ممتدة، عاتية، جامحة. ثم يُقضى علينا جميعاً".

كانت عينا سال قد تاهتا في الظلام، ولا تزالان شاردتين، لكنّها التفتت

نحو فوستر. "ما المقصود بتغيُّر مفاجئ؟"

"التغيّر المفاجئ يحدث نتيجة اضطرابٍ في الزمن".

زمّ فوستر شفتيه مفكراً برهة. "حسن، فكروا في الأمر على النحو الآتي: الزمن أشبه ببركة راكدة، أو مغطس. هل حاولتم أنْ تطأوا مغطساً من دون أنْ تُحدثوا تموّجاً في الماء؟ مستحيل، أليس كذلك؟"

أومأ الثلاثة برؤوسهم موافقين، بينما ضوء المصباح يخفق ويُصدر أزيزاً خافتاً.

"بالطريقة نفسها، من المستحيل أنْ نطأ الماضي من دون إحداث تموُّج. لكنّ المشكلة هي أنّ التموُّج ينتشر وينمو من نقطة الوطء. ونحصل جرّاء ذلك على موجة ممتدّة يتزايد حجمها، وتدمِّر كلَّ ما تجده في طريقها وتستبدله بعالم جديد... بكونٍ يمكن أنْ يوجد".

هزّ ليام رأسه نفياً. "لستُ متأكّداً من أنني أفهم".

قالت سال: "أنا فهمت. إذا غيّرت الماضي قليلاً، فسوف تغيِّر الحاضر كثيراً".

أومأ فوستر برأسه موافقاً. "هذا صحيح تماماً، يا سال".

انطفأ الضوء برهة، ثم أخذ يخفق. رفع فوستر بصره إليه، منزعجاً. "اللمبة تخفق من جديد".

نهضَ واقفاً، وبعد أنْ غطّى يديه بكُمّي سترته، ثبّت اللمبة بحركة لوليّة. ولم تعد تخفق.

"نحن في حاجة إلى إعادة تجهيز هذا المكان... ولكن يبدو أنه ليس هناك وقت كافٍ".

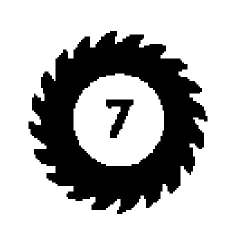
تلفّتتْ مادي حولها. "أين نحن؟ يبدو كأننا تحت قبّة محطّة قطار قديمة قذرة".

ابتسم فوستر. "هذا الوصف دقيق جداً له. إنه في الحقيقة... ".

انطفأ الضوء وأخذ يخفق من جديد وفجأة اتّسعت عيناه.

"أوه كلاّ".

رفع الآخرون ابصارهم نحو وجهه، وقد اصبح فجأة أكثر شحوباً.
سألتْ مادي: "ماذا حدث؟"
همس: "لقد وصل..."
سال ليام: "التغيير؟"
هزّ راسه نفياً. "كلاّ، بل ما هو أسوأ".



2001، نيويورك

بقيتْ عينا فوستر مُثبّتة على مصباح النور الذي يئزّ ويخفق. قال بصوت كالهسيس: "إنه يستنزف الطاقة، حسبتُ أنّ السبب هو تماس مصباح النور اللعين مع المادّة المنصهرة. ما أشد حمقي".

سألتْ مادي: "ما الذي يستنزف الطاقة؟"

أثارتْ نبرة صوت فوستر المنخفض المشدودة، الاضطراب في الآخرين.

"ظننتُ أنّ ذاك الشيء قد ذهب".

سأل ليام: "عن أي شيء تتكلّم؟"

التفت فوستر إليه، رافعاً إصبعاً إلى شفتيه ليُسكتهم.

"إنه الباحث. كان ينبغي أنْ يكون قد تلاشى الآن... لا بدّ أنه كان يستنزف الطاقة بطريقة ما، ما يكفي منها ليبقى حيّاً".

مدّ العجوز يده إلى أعلى فعثر على مفتاح النور على جدار القرميد. ضغط عليه، وإذا بالمصباح ينطفئ على الفور، وغرقوا في ظلام دامس.

كسر صوت سال الناعم الصمت برقّة. "الـ... الدنيا ظلام".

همس فوستر: "هسسس، لا بأس. سوف نجلس ونلزم الهدوء بعض الوقت. وما دمنا هادئين، سنكون على ما يُرام".

مرّت فترة طويلة من الصمت، لم يُعكّرها إلا تردّد أنفاسهم المرهقة. ثم

شاهد ليام شيئاً باهتاً يتحرّك في الظّلام، وهجاً واهناً، بالكاد يُحدّد معا لم... شيء ما.

قال فوستر بهدوء: "إنه باحث. لقد أضحى ضعيفاً جداً الآن. إنه في الرمق الأخير".

انتفضت مادي: "يبدو كشبح".

أجاب فوستر: "نحن لا نعلم ما هم بالضبط، ولكن بين حين وآخر عندما يفتح أحدكم باب الزمن... فمن الممكن أنْ يجذبه، وقد يتصادف أنْ يوقِع أحدهم في الفخ ويُعيده معه".

أخذ الشكل غير المُحدّد ينبض ويخفق كمجموعة متفرّقة من اليراع، كجمر يتراقص فوق نار المخيّم.

"هذا ما حدث هنا. الفريق الأخير..." وتلاشى همس فوستر حتى السكوت.

سألتْ مادي: "ماذا حدث للفريق الأخير؟"

أجاب: "كان يجب أنْ أُعيد أحدهم معي... في آخر مهمّة لي في الماضي. خرجت لأحضر بعض الطعام، وعدت بعد ذلك ببضع ساعات..." سكتَ برهة، مفكّراً كيف يتابع. "ما بقي منهم لم يكن متعة للنظر".

سمع ليام أنفاس مادي تتقطّع.

"إنهم طاقة صرف. ولكن في استطاعتهم أنْ يتلبّسوا أشكالاً مادّية إذا ما شُحنوا بالقدر الكافي. وعندما يحدث ذلك فالنتيجة ليست جيدة".

عبرت الغمامة الزرقاء الشاحبة الظلام أمامهم، أشبه بشبح روح تائهة في المقبرة، أو كتلة من ضباب الصباح في غابة مظلمة عميقة.

"لكنّ هذا ناله الوهن. حسبتُ أنّه رحل، تلاشي في العدم". هزّ رأسه دلالة على عدم التصديق. "كنتُ أزيل الفوضى، وأطلع على ملفاتكم على الحاسوب، استعداداً لولوج الماضي والعثور عليكم وإعادتكم. وطوال تلك الفترة كان ذلك الشيء يكمن هنا في هذا المكان... يُراقبني بهدوء".

توقف الشكل عن الحركة. أخذ يحوم على بعد بضع ياردات، كوهج

حافت يخفق بدا خلال لحظات عابرة أنه يتخذ شكلاً ذكّر ليام بمخلوقات أسطورية - قنطور، أو وحيد قرن، أو تنين - قبل أنْ يتحوّل إلى سحابة باهتة من جديد".

"أنا أقول إنّه من شدّة الوهن بحيث يعجز عن تلبُّس شكل ماديّ. إنه يحتضر. ولكن يُستحسن أنْ نبقى بعيدين في الوقت الحاضر".

سألتْ مادي: "هل يعلم ذلك الشيء أننا موجودون هنا؟"

"ربما".

لعقَ ليام شفته الجافة بقلق. "من أين أتى؟"

أجاب فوستر: "من بُعد آخر، بُعد آخر يقع ربما فوق بُعدنا، ينجذب نحو طاقة بوابة الزمن كانجذابِ العُثّة إلى الضوء. هذه الأشياء تشكل سبباً آخر ينبغي أوّلاً ألا نخلط بينه وبين الزمن".

تحرّك الكيان من جديد، وهذه المرّة أخذ ينجرف بحركة ثقيلة نحونا.

همستْ سال: "إنه... إنه يقترب منّا".

"نعم، أعتقد أنه يفعل".

سأل ليام: "لكننا آمنون، أليس كذلك، مستر فوستر؟ ألم تقل إنه من فرط الوهن بحيث يعجز عن إيذائنا؟"

لم يكن صمت فوستر وسط الظلام الدامس مُطمئناً.

أخيراً أجاب: "يجب أنْ نغادر. أمامنا أكثر من ثلاثين ساعة لنعود، قبل أنْ تزول فقاعة زمن القبّة. لا أعتقد أنْ هذا الشيء سيبقى على قيد الحياة طويلاً".

"تقول فقاعة زمن؟"

"سأشرح هذا في الخارج. فليُمسك كلّ منكم بيد الآخر. الفوضى تعمّ هذا المكانٍ ولا ينبغي أنْ تعلق فيها. يجب أنْ أقودكم إلى الخارج".

مدّ كلٌ من ليام، ومادي، وسال يده وأخذت تتلمّس طريقها في الظلام، وتبحث بيأس عن الأيدي الأخرى اليائسة وتتمسّك بها بحزم.

سأل فوستر: "يدُ مَنْ هذه؟"، وشدّ عليها في أثناء السؤال.

قال ليام: "آه... إنها يدي".
"وأنت تمسك بيد شخص آخر؟"
همست مادي: "أعتقد أنها يدي. وأنا أمسك بيد سال".
"عظيم... فلتقدم، ببطء وهدوء".
نهضَ فوستر واقفاً على قدميه وشعر ليام بمَن يشدّه برفق. تبعه، وعيناه مُثبتان على الضبابة الباهتة على بُعد بضع ياردات. كانت متردّدة عندئذ، ولا تزال تحاول أنْ تتّخذ شكلاً غريباً موقّتاً وسرعان ما تتخلّى عنه.
شعر ليام بقدمه ترتطم بشيء يزحف على الأرض، فداس عليه بقوّة خشية أنْ يتعثّر ويُحدث ضجيجاً. وخلفه سمع وقع خطى مادي وسال الخفيف.
قاد فوستر الطريق خلال الظلام الدامس خلسةً، إلى أنْ شعر ليام أخيراً بانهم وصلوا إلى جدار.
همس فوستر: "الباب موجود هنا في موقع ما".
سمع العجوز يربّت جدار القرميد المتفتّت بكفّيه، ومن ثمّ خشخشة مفاصل على شيء معدني.
"وجدته".
التفتَ ليام لينظر خلفه. كان الباحث قد أضحى مجرّد بقعة باهتة في الظلام.
سبَّ فوستر بصوت خافت. "بسبب انقطاع الكهرباء سوف أحتاج إلى شدّ مصراع الباب لأفتحه بيديّ".
سألت سال بهدوء: "هل سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً؟"
"ليس طويلاً جداً".
"عظيم، لأنني أعتقد انه يتّجه نحونا"، ونظرتْ إلى الآخرين، "أوه يا إلهي، ألا تسمعونه؟ إنه يهمس!"
مدّ ليام رأسه في أثناء تفحّص البقعة الباهتة المائلة إلى الزرقة. لم يسمع غير يد فوستر وهي تعالج علة الباب. "كلاّ... لكنكِ على صواب في ما يخصّ اقترابه منّا".

كانت العتلة اليدويّة تُصدر صريراً كأنها في حاجة ماسّة إلى تزييت، بينما طقطق المصراع المعدنيّ بضجيج عالٍ داخل إطاره، في أثناء ارتفاعه إلى أعلى.

شعر بتيّار هواء بارد يهبّ من الخارج على ساقيه، ورأى مقدار صدع من الضوء في أسفل مصراع الباب.

قالت مادي على عجل: "إنها على صواب، إنه حتماً يقترب منا يا فوستر. ألا تستطيع أنْ تُسرع أكثر؟"

طقطق مصراع الباب وأصدر ضجيجاً عالياً، والضوء الفضيّ الآتي من الخارج أخذ يتّسع ببطء شديد.

قال، وهو يستردّ أنفاسه من الجهد، "حسن... يكفي هذا المقدار للنفاذ منه".

قال ليام: "السيدات أولاً". والتفت إلى الخلف لينظر، وفي الحال ندم على شهامته. فالباحث كان يتقدّم بسرعة نحوهم... وكاد ينقضّ عليهم، و لم يعد يبعد أكثر من أقدام قليلة. بدا أنَّ السحابة العديمة الشّكل من الذرّات المتلألئة قد بدأتْ تتراجع عندما اقتربت من الأرض، مُشكّلة خطوطاً موقّتة لما يُشبه الوجه. وجه طفولي، ملائكي، لفتاة صغيرة... ثم تحلّل الوجه إلى ما يُشبه مخلوقاً شنيعاً ذا محجرَين خاليين من العينين وفكّ متطاول.

تساءل ليام ما إذا كان ذلك الشيء قد امْتُزِفَ كما ادّعى فوستر، أم ما زال قادراً على الإيذاء.

قال فوستر: "ادخل، ليام"، وهو يربّت كتفه، "بسرعة".

خرّ ليام إلى أسفل وولج بصعوبة من مصراع الباب، منضمّاً إلى الفتاتين في الخارج. وظهر فوستر بعد برهة، مُستخدماً العتلة اليدوية الخارجية بصعوبة أقلّ، وأغلق المصراع من جديد. أصدر ضجيجاً لدى ارتطامه بالأرض في اللحظة التي بدا فيها خيط رفيع لولبيّ من الضوء الأزرق يتلمّس طريقه من خلال الفجوة.

قال وهو يتبسم: "لقد ضعفَ إلى درجة عجزه عن التسلل إلى الداخل".

أخذ نَفَساً عميقاً، ورسم ابتسامة عريضة على سبيل الاعتذار، "آسف

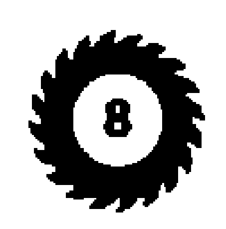
على هذا". وتابع قائلاً، ملتفتاً ليومئ إلى العالم من حولهم بكلتا يديه، "والآن. أهلاً بكم إلى وطنكم الجديد".

استدار ليام بعيداً عن المعدن المتآكل للمصراع، المُلطَّخ بدهان عشوائيّ - اكتشف لاحقاً أنه رسوم وخربشات - ليشاهد جسراً عملاقاً معلّقاً من الحديد فوقه مباشرة، ممتداً عبر المياه المتلألئة لنهر عريض المجرى، يتدفق نحو مدينة عظمى متوهجة تنهض في وجه سماء مسائيّة حمراء بلون الدم. ذُهِلَ بملايين الأضواء تسطع وتئزّ، وتخفق وتتغيّر ألوانها، وتنعكس بجمال على صفحة الماء الممتدّة أمامهم.

"آه يا ربي... هذا... هذا". تلعثم صوته أمام مرأى المشهد المستقبلي.

نطقت سال: "أوه يا إلهي! أنا أعرف هذا، إنّها نيويورك... أو على الأقلّ، كما كانت في السابق".

قال فوستر: "هذا صحيح. هيا بنا نحصل على بعض الطعام. أنا أعرف محلاً عظيماً لبيع الشطائر فوق الجسر مباشرة".



2001، نيويورك

بعد ذلك بنصف ساعة كان الأربعة جالسين في مقصورة تطلّ على نافذة، على كراسٍ عالية بلا ظهر حول طاولة، ويأكلون شطائر جبن بحجم مُضاعف وبطاطا مقليّة.

كان ردّ فعل ليام الأوليّ أمام مرأى طبق الطعام الذهولَ. فالبطاطا المقلية بدت مختلفة عن أيّ نوع من البطاطا عرفه من قبل، والغريب أنّ شكل الشطيرة - اللامعة وذات اللون البنّي - ذكّره بالخشب المصقول. لكنّ الرائحة الزكيّة التي كانت تفوح سرعان ما تغلّبت عليه، وبعد أنْ كان يراقب الآخرين بحذر وهم ينقضّون على الطعام بنهم، حذا حذوهم.

بينما هو يمضغ شطيرة الجبن الكبيرة بطريقة خرقاء، كانت عيناه تستعرضان المشهد الخارجي المتقاطع: أضواء لوحة الإعلانات النابضة، وحشد المشاة الحيوي، والسيارات التي بدت ملساء كقطرات الندى، وأضواء النيون تتوهج من أعمدة النور ومن السماء، التي لا تكاد تُرى من فوق أبراج الأبنية، وتمتلئ بأضواء الطائرات الوامضة الحمراء والخضراء في أثناء عبورها صفحة سماء الليل جيئة وذهاباً.

قالت سال: "إنها تبدو مختلفة كثيراً الآن، تماماً كمباي. لقد أحضرني والدي إلى هنا ذات مرة في رحلة عمل كانت مُحبطة. كانت الطرقات خالية، وهناك العديد من الأبنية، متشابهة، مُظلمة وخالية".

أوما فوستر برأسه إيجاباً. "في العام الذي أتيت منه، يا سال – عام 2026 – كانت نيويورك قد أضحت مدينة ميتة. رحل عنها الناس، وتُرِكَتْ أحياءٌ بأكملها مهجورة وبدأتْ تتهدَّم".

أنهت مادي مضغ ملء فم من الشطيرة. "لكنها لا تبدو مختلفة كثيراً بالنسبة إليّ".

أجاب فوستر: "ذلك لأننا الآن في عام 2001، قبيل زمنك ببضع سنوات، أي عام 2010، وانهيار الاقتصاد العالمي في بدايته".

التفت ليام عن النافذة باتجاه فوستر، جاحظ العينين. "لا أصدّق أنه مرّت مئة عام من مستقبلي!"

"بالنسبة إليك، يا ليام، نعم. أما بالنسبة إلى مادي، فقد مرّت فقط تسعة أعوام، وبالنسبة إلى سال... فكان أحد عشر عاماً قبل أنْ تولد. هنا ستقيمون كفريق. والقنطرة التي تحت الجسر هي قاعدة عمليّاتكم: المكتب الميداني الخاص بكم".

نظرت مادي إليه. "أهناك مكاتب ميدانية أخرى؟"

مسح فمه وأوما برأسه إيجاباً. "لكنكم لن تلتقوا أبداً بأصحابها أو تتواصلوا معهم".

"و لمَ لا؟"

أخذ يأكل من طبق البطاطا المقلية. "هذا هو النظام".

هزّتْ سال كتفيها استخفافاً، "لا أزال لا أفهم سبب وجودنا هنا. ماذا تريد منا بالضبط؟"

أجاب فوستر: "أنتم جهاز الشرطة.. أو ما شابه. هنا ستحرسون الزمن. ستمنعون المتعدّين من المستقبل من تغيير أشياء في الماضي. الوكالة سرّيّة للغاية. وليس من المفترَض أنْ توجَد، لذلك ليس لعملنا اسم. ولكن في داخل الوكالة، نسمّي أنفسنا روّاد الزمن".

"روّاد الزمن؟"

مال فوستر إلى الأمام وداعب ذقنه مُفكِّراً.

"اسمعوا... تخيّلوا الزمن كالنهر. نهر يتدفّق دائماً إلى أسفل التلّ. حسن، في استطاعتنا أنْ نركبه ونتّجه إلى أعلاه أو إلى أسفله. إنَّ ركوب الزمن أشبه بركوب قارب نهريّ مزوّد بمجدافين، ونستطيع أنْ نتّجه عكس التيار. وسيكون عملكم هو البحث عن أناسٍ آخرين على متن النهر يتّجهون عكس التيار لأنَّ ذلك ممنوع عليهم. سوفَ تبحثون عنهم، وتجدونهم، وتقضون عليهم وتُصلحون ما ارتكبوا من أضرار".

سألت مادي: "وكيف سنفعل ذلك؟"

"حسن، سادرّبكم على ذلك، طبعاً". ورسم ابتسامة مُتعَبة، "بأسرع ما يمكنني فعله. نحن في حاجة إلى هذا المكتب الميداني لكي نقوم بعمليّاتنا من جديد بأسرع وقت ممكن".

رفعت سال نظرها عن طعامها. "كيف كان أفراد الفريق الذي قبلنا؟"

تلاشت ابتسامة فوستر: "أعتقد أنهم كانوا يشبهونكم ذات يوم". أشاح العجوز ببصره بعيداً بسبب إحساسه بالذنب، وحدّق إلى خارج النافذة. أخذ يمضغ شفته برهة. "كانوا صغار السنّ، بلا خبرة وخائفين في أوّل الأمر... وحتماً عاثري الحظ جداً".

"وذلك الشيء هو الذي قضى عليهم؟"

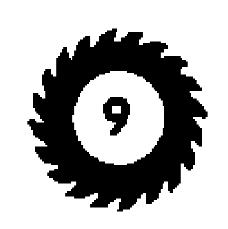
أومأ برأسه إيجاباً. "إنَّ الباحثين نادرون. وفي المعتاد نقوم بعمليّة مسح مُكثّف قبل أنْ نسحب أحدهم من المهمّة. وفي تلك المرّة الأخيرة لم نفعل ذلك و..."، تلاشتْ كلمات فوستر لتغدو صمتاً مزعجاً.

قاطعه ليام: "إذاً، متى سنبدأ ذلك التدرُّب الذي ذكرت؟"

التفتَ فوستر إليهم.

"الآن".

أخذ نَفَساً عميقاً. "أعتقد أننا يجب أنْ نبدأ بدرسٍ موجز في التاريخ، تاريخ السفر عبر الزمن".



2066، نيويورك

مدّ الدكتور بول كريمر بصره على امتداد الشوارع المظلمة للمدينة، والأبنية الموصدة، ووسائل النقل المنبوذة والمُهملة لتصدأ في الشوارع الخلفية. كثيراً ما كانت عربتهم تمرّ بأحد المشاة، أو بدكّان صغير حقير عند المنعطف، أو بضوء يسطع من نافذة كئيبة.

نيويورك بقايا متهدّمة للمدينة المزدهرة التي كانت عليها ذات يوم. هناك أبنية كاملة أضحت الآن مجرّد أصداف مهجورة، تسكنها جماعات من الكلاب الضارية وطيور الحمام.

العربة تسير في شارع سنترال بارك ويست، قبالة برودواي. كان كريمر قد شاهد أفلاماً سينمائية صُنعت قبل ستّين عاماً تبيّن هذه الشوارع تمتلئ بالحياة وبالألوان وبالأمل. أما الآن فهي مكان كئيب وموحش، مدينة تموت شيئاً فشيئاً، ومبنى بعد آخر.

أبطأت العربة لدى مرورها بمبنى شرطة تلك المنطقة، وكانت النوافذ محميّة بقضبان معدنية.

قال كريمر "لا داعي لأنْ تقود بحذر، يا كارل. سوف تُثير ريبة الشرطة".

زاد كارل هاس، السائق، السرعة قليلاً.

أدار كريمر كرسيّه ونظر إلى الخلف على طول العربة. كان حفنة من رجاله يجلسون بهدوء في مقاعدهم، غارقين في التفكير، يتأمّلون. كلّهم مؤهّلون

للقتال، ويرتدون ملابس القتال، وعلى أهبة الاستعداد لأداء مهمّتهم. كان الممرّ بين صفي المقاعد مسدود بعدّتهم: صناديق وحقائب محمولة من قماش القنّب ممتلئة بالأسلحة.

ابتسم باعتزاز. رجال صالحون، أليس كذلك، يا بول؟

قال لكارل "أوشكنا أنْ نصل".

أوما كارل برأسه موافقاً ومن ثم صاح في الرجال خلفه: "استعدّوا!"

في الحال أخذوا يتململون وسمع قعقعة الأسلحة النارية وهي تُرفَع وتُجهَّز للاستعمال. كانوا جميعاً متمرّسين، والعديد منهم كانوا في السابق ملتحقين بالجيش... وكلّهم ملتزمون بصرامة بخطّة كريمر. ولا أحد منهم متزوّج أو يترك أطفالاً خلفه.

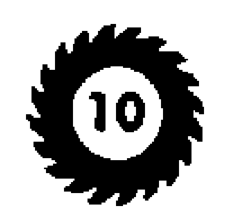
إنها رحلة في اتجاه واحد بعيداً عن هذا العالم المُحتضر المزدحم بتسعة مليارات نسمة، معظمهم يُعانون الجوع. وما كان كارل يُقدّمه لأولئك الرجال الشبان هو الأمل، فرصةً لتغيير الأمور إلى الأفضل.

كان في جيب بنطلون قتال كريمر الجانبي شيء صغير سوف يجعل ذلك ممكناً: إنّه دفتر صغير.

انحدر كارل عند منعطف الشارع التاسع والسبعين. كان تقاطُع الطرق نشطاً أكثر من المعتاد بوجود بضعة مُشاة منحني الظهور وبؤساء يجرّون أقدامهم جراً في طريقهم إلى منازلهم. وأمامهم نهضَ البناء العظيم نفسه - المتحف الأميركي للتاريخ الطبيعي. وكالعديد من الأبنية الأخرى، كان موصداً، ومغطى ببراز الحمام ويعمُّ الظلام معظمه، ينتظر عبثاً مجيء أيام أفضل.

شعر كريمر بقلبه يغوص بين أضلعه أمام مشهد ما كان ذات يوم مدخلاً يدعو إلى الفخر وأضحى الآن مظلماً بكآبة المدينة وشوّه بالخربشات والرسوم. إنّ هذه الأمة التي كانت عظيمة ذات يوم تستحق الأفضل. هذه المدينة تستحق الأفضل. كان المتحف يُذكّر، بصورة تدعو إلى الرثاء، بأيام مجيدة عندما كان حي مانهاتن حقاً مركز العالم.

كان في استطاعته أنْ يبكي، بصدق... كان يستطيع ذلك حقاً.



2001، نيويورك

قال فوستر "بدأ الأمر بنظرية: أطروحة أعدّها في عام 2029 متخرّج صيني موهوب في قسم الرياضيات اسمه إدوارد تشان. وحسب رأيه، كما ورد في الأطروحة على الأقلّ، من الممكن أنْ نحني الفضاء والزمن بحيث نُحدثُ حفرة. ولكنْ استغرق بناء نموذج أوّلي لذلك خمسة عشر عاماً أخرى، وعلى يد شخص آخر. كان اسم الرجل روالد فالدشتاين، وهو عالم فيزياء هاوٍ لامع بكل معنى الكلمة.

كانت هناك أنواع شتى من الشركات الضخمة وفرق الأبحاث العسكرية تعمل ليل نهار لتحظى بشرف اختراع أول آلة للزمن. لكنّ فالدشتاين الذي كان يعمل في مكان لا يعدو كونه مرآباً صغيراً، هو الذي نجح في التغلّب على المصاعب العملية لتحويل النظرية إلى آلة عاملة. كان فالدشتاين، وحده وبلا عون، هو الذي تغلّبَ على الشركات والحكومات ونال الجائزة".

ضحكتْ مادي. ألا ترون أنّه يبدو أنْ أصحاب المليارات في المستقبل دائماً يبدؤون من المرائب؟"

هزّ فوستر رأسه نفياً، وهو توّاق إلى مواصلة الكلام. "وتقول الحكاية إنه وضع آلته موضع الاختبار وعاد بالزمن إلى موقع ما في الماضي. لكنه عندما عاد كان قد أصبح رجلاً مختلفاً تماماً".

"لِمَ؟"

"لقد ادّعى أنه شاهد شيئاً في أثناء رحلته أصابه بالرعب".

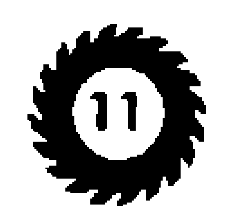
"ما هو؟"

"إنّ فالدشتاين لم يُخبر أحداً أبداً عمّا شاهده. ولكن كائناً ما كان، فإنه اقنعه بأنّ عمله في تطوير آلة زمن فاعلة أمر خطير، وأصبح ممسوساً بمنع القيام بأي عمل آخر في مجال آلة الزمن. ومع مرور الزمن أصبح فالدشتاين ثرياً من اختراعات أخرى، وصاحب صوت نافذ، وقام بحملة دعائية واسعة لكي يضمن موت هذه التقنية".

قالت مادي "ومن الواضح أنها لم تمت".

"هذا واضح".

سأل ليام "إذن ماذا حدث؟"



2066، نيويورك

أوقف كارل العربة خارج الجهة الخلفية من المتحف حيث مرفأ التحميل ومنافذ التبادل التجاري. ترجّلَ الرجال من دون إحداث ضجيج، وبحرفيّة: والأسلحة تتدلى من أكتافهم، والصناديق وحقائب المعدات تُحمل بينهم.

ساعد كريمر أحد رجاله في حمل كيس من قماش القنّب مملوء بأمشاط الذخيرة. كانت ثقيلة إلى درجة أنّ ذراعيه تألّمتا قبل وضعها بعناية على الطريق المنحدرة المؤدية إلى مرفأ التحميل المُغلق التابع للمتحف.

ألقى نظرة سريعة حوله.

كان جنح الظلام والقليل من الضوء المنبعث من مصباح قوسيّ يُحدث فرقعة، يكادان يعيان بلا أدنى شك أن لا أحد شاهدهم بعد.

ليس بعد.

ولكن، قريباً سينقضّ عليهم رجال الشرطة المسلّحون.

اقترب منه كارل، ذو العضلات اللينة وجندي البحرية السابق وفي منتصف ثلاثينيات عمره. وذات يوم كان الرقيب التقني كارل هاس، وذلك قبل أنْ يُطرَد من الجيش، لكونه فائضاً عن الحاجة. كان كارل التالي في الرتبة بعد كريمر، بينما الدكتور بول كريمر كان ربما يمثّل الدماغ - صاحب الرؤية - كان الناس يلجأون إلى كارل حالما يبدأ القتال.

"سيدي، دكتور كريمر؟"

"نعم، يا كارل".

"أنتَ متأكّد من أنّ هذا هو المكان؟"

لم يستطع أنْ يلوم الرجل لأنه سأل. فحالما يقتحمون المتحف، ويُغلقون على أنفسهم وهم في الداخل، لن يكون هناك أي مجال للتراجُع.

ربّتَ كريمر كتفه. "هذا هو المكان، يا صديقي، صدّقني".

عالجوا باب مرفأ التحميل بمطرقة حتى فُتح، وحطموا القفل واقتحموا أبواب الألومنيوم الثقيلة. وفي الحال تقريباً بدأ جرس يرنّ في مكان ما داخل المبنى المظلم العميق.

قال كريمر "لا بأس، لا يوجد إلا عدد قليل من حراس الأمن في الداخل".

رفع بصره إلى السماء المظلمة وإلى الوهج البعيد لحوامة شرطة تقوم بدوريتها ببطء في سماء مانهاتن الميتة. "إنّ الشرطة، من ناحية أخرى، ستنضم إلينا قريباً، أنا متأكّد. يجب أنْ نُدخل كل شيء بأسرع ما يمكن".

أومأ كارل برأسه إيجاباً. قال "حاضر، سيدي"، ثم أشاح ببصره بعيداً بحركة أنيقة.

قام بالمساعدة في جرّ الصناديق وحقائب المعدات. وحالما أصبح كل شيء في الداخل، أغلقوا أبواب مرفأ التحميل. دبّتْ الحركة في المنطقة، المُكدّسة بصناديق المعدات الخشبية، وسط الضوء المُبهر والمتقطّع لمشعل اللحام وهو يلحم باب الخدمة.

أصدر كريمر أمره "تيقّنوا من أنه آمن تماماً". التفتَ إلى كارل. "كارل، خذ معك حفنة من الرجال واجمعوا أفراد هيئة الأمن. أحضروهم إليّ".

أومأ الرجل برأسه طاعة وتوجه إلى الأبواب المؤدية إلى صالات العرض في المتحف، وأخذ يجمع بسرعة بعض الرجال لكي يرافقوه.

تحسّس كريمر الشيء في جيبه: دفتره الصغير. وصلّى بصمت ألا يكون يرتكب خطأً رهيباً.

أنتَ تعلم أنه مُخبّأ هنا، يا بول.

هناك أسباب كثيرة جداً لارتكابه خطأً. لعله ليس موجوداً في قبو المتحف،

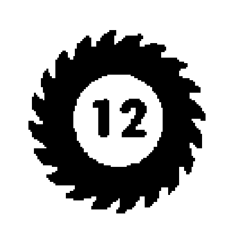
ولكن في مبنى آخر... ربما الشيفرة منسوخة بطريقة غير صحيحة... لعلّه فعلاً دمّره...

ثق بغرائزك، يا بول.

ولكن إذا أخطأ الفهم، فهم ليسوا أكثر من حفنة من المثاليين الغاضبين حوصروا داخل مبنى قديم مُغبرّ ممتلئ بمعروضات متحف لا تُقدّر بثمن، مُخزّنة ريثما تأتي أيام أفضل.

قدّر أنّ الشرطة المسلّحة قد تكون حذرة في استعمال أسلحة ثقيلة مُدمّرة خشية أنْ تفسد إرث الأمة الثمين الذي لا يُعوّض. لكنهم سيلجون المكان، بطريقة أو بأخرى، وسوف يجري تبادل إطلاق النار.

سيطلقون النار أولاً ومن ثم سيقلقون على الفخاريات المكسورة لاحقاً.



2001، نيويورك

"لقد دمّر فالدشتاين آلته. هشّمها، وأحرقَ أيضاً كل ملاحظاته وملفاته. خمسة عشر عاماً من العمل المضني... دمّرها لأنه رأى أنّ السفر عبر الزمن سوف يؤذي هذا العالم من دون أدنى شك".

شهقت مادي قائلة "واو، هذا تصرّف مُغالٍ، أليس كذلك؟ إنه أشبه بحذف شيفرة لعبة من أجل قتل بقّة واحدة".

رفعت سال نظرها عن طعامها الذي لم تكد تمسّه. قالت "إذن، لماذا رغبَ في صنع آلة الزمن أصلاً؟"

"لقد توفيت زوجته وابنه في عام 2028، ولم يُخفِ السبب الذي دفعه إلى العودة بالزمن إلى الماضي".

"لإنقاذهما؟"

"كلا، بل لمشاهدتهما للمرة الأخيرة، ليودّعهما. لقد أدركَ فالدشتاين أنه لا يستطيع أنْ يُنقذهما – لا يستطيع أنْ يُغيِّر التاريخ – لكنه يستطيع على الأقلّ أنْ يُعبِّر لهما عن حبه لهما قبل أنْ تنتهي حياتهما بلحظات".

هزَّ ليام رأسه بحركة بطيئة. "شيء مؤثّر، حقاً، أنْ تُتاح الفرصة للمرء كي يُنقذ مَنْ يُحب، لكنه لا يفعل لأنَّ ذلك أفضل".

أومأ فوستر برأسه موافقاً. "نعم. لقد كان فالدشتاين رجلاً ذا مبادئ".

سألتْ سال "هل توصل إلى مشاهدتهما عندما عاد في الزمن؟"

"لا أحد يعلم إنْ كان قد نجح في ذلك. فهو لم يتكلّم قط عن الأمر. لقد عاد، كما ذكرتُ، رجلاً مختلفاً تماماً، وبعد ذلك مباشرةً دمَّر أعماله كلها. وباشر حملة تطالب بإيقاف كل الأبحاث في مجال تقنية ركوب الزمن. وبدأتْ تحذيراته اليائسة من إمكان تدمير العالم بسبب ركوب الزمن تجد آذاناً صاغية. وفي أوائل عام 2051 صدر قانون عالمي يُمنع بموجبه منعاً باتاً تطوير تلك التقنية. بعد ذلك انعزل فالدشتاين عن العالم، و لم يعد يظهر إلا نادراً، لكنه كان راضياً لأنْ حملته وضعت حداً لمشروع ركوب الزمن".

تنهّد فوستر، "ولكنه، طبعاً، لم يتوقف".

ثم أضاف: "كان جلياً أنَّ كل شركة ضخمة، وكل بلد، وكل دكتاتور تافه، و كل من توافر لديه المال والموارد والطاقة البشرية، يعمل سراً على مشروعه الخاص لاختراع آلة زمن. لقد برهنَ فالدشتاين على إمكان إنجازها، وكان ذلك كافياً.

وهكذا، في خطوة تخرقُ مباشرة القانون الدولي، أُنشئت هذه الوكالة، وأخذت تعمل بهدوء، وبسرّية تامة، على إنجاز آلاتها الخاصة".

قاطعته مادي "دعني أتكهن: لكي يعودوا في الزمن ويقتلوا فالدشتاين".

هزّ فوستر رأسه نفياً. "كلا. فكما أنَّ فالدشتاين عجز عن إنقاذ عائلته، كذلك فشلت الوكالة في العودة في الزمن ومنعه من صنع آلته، إذ لا يمكن انتهاك التاريخ، لا يمكن تغييره. هذه هي الموجة العاتية التي أتيتُ على ذكرها قبل قليل، أتذكرون؟"

أوماوا برؤوسهم إيجاباً.

"في الواقع، إنَّ الزمن لا يحتمل إلا أقلّ تغيير. يمكن التاريخ أنْ يمر أمن أقل التغييرات، لأنَّ للأحداث زخماً، وللتاريخ زخماً. كأنَّ التاريخ يريد أنْ يسير في طريق معيّنة. ولكن..."، قال فوستر هذا وهو يُلقي عليهم نظرة تحذيرية، "ولكنْ، حدوث تغيير أكثر أهمية، على سبيل المثال العودة في الزمن وثني فالدشتاين عن صنع آلته، أو حتى قتله... حسن، شيء من هذا القبيل، سوف يحدث تغيراً كافياً لإحداث موجة عاتية".

أطلّ من النافذة إلى الشارع المحتلئ بالحركة والمتوهّج بأنوار النيون المنبعثة من لوحة الإعلانات التي تعلن عن الملابس الرياضية ماركة نايكي.

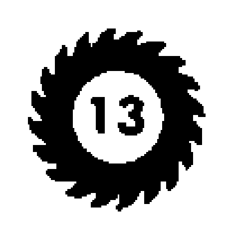
"لقد أنشئت الوكالة استعداداً لما كانوا يعلمون أنه قادم: مسافرو الزمن في المستقبل، أولئك الذين يريدون أنْ يُغيّروا الماضي ويُعيدوا كتابة الحاضر - الإرهابيون، والمتعصبون دينياً، والمُصابون بهوس العَظَمة، والمجرمون المجانين. على أي حال"، ودفع بكرسيه العالي نحو الخلف ونهضَ واقفاً، "يكفي دروساً في التاريخ الآن. أعتقد أنه حان الوقت لإخراجكم أنتم الثلاثة إلى العالم لتشاهدوا طرفاً منه، إلى الزمان والمكان اللذين ستقيمون فيهما، خاصة أنتَ يا ليام"، وابتسم، "سوف تُضطر إلى أنْ تلحق بالزمن إذا أردتَ أنْ تتآلف مع عالم 2001".

هزّت مادي كتفيها استخفافاً. "لا يبدو لي مختلفاً كثيراً. ما زال النشاط نفسه يعمّه، والضجيج، والروائح الكريهة، كما كان في عام 2010".

قال فوستر: "أوه، ولكن هذه حتماً مدينة نيويورك مختلفة جداً".

أطلّتْ مادي من النافذة. "ليس كثيراً... إنني أرى هناك الأشياء القديمة نفسها: إعلانات برغر كينغ وماكدونالد، ونايكي وأديداس، وسيارات الأجرة الصفراء، والشبان الذين يُحاولون أنْ يبيعوا البطاريات الرخيصة التي لا تعمل".

"أعتقد أنه يُستحسن أنْ أعرض عليكِ شيئاً يا مادي. أعتقد أنه سيعني لك أكثر ممّا يعني لسال أو ليام".



2066، نيويورك

تفحّصَ كريمر حرّاس أمن المتحف الستة الذين جلبهم كارل هاس مع رجاله من دون إطلاق نار. راحوا يُبادلونه التحديق في خوف، وعيونهم تتنقل بسرعة وقلق لتنظر إلى السلاح المتدلي من كتفه. بعضهم كان ذا شعر أشعث وعيون مرهقة، كأنهم استيقظوا من النوم تواً.

هزَّ كريمر رأسه تعبيراً عن الرثاء.

يا لهم من حراس أمن عظام.

"اسمي الدكتور بول كريمر. الأمر بسيط جداً، أيها السادة. نريد من شبكات وسائل الإعلام الكبرى أنْ تجتمع في الخارج، وأريد أنْ أُجري مقابلة معها، وسوف تُبثُّ عبر شبكات الإعلام على امتداد الوطن، بثّاً حياً. ونريد أيضاً حوامة تحطّ على سطح المتحف لكي نُغادر على متنها، بسلام، بعد أنْ ينتهي عملنا هنا. وإذا لم نحصل على ما نريد، فسوف ندمّر المتحف بكل ما يحتوي من كنوز لا تُعوَّض ولا تُقدَّر بثمن".

ابتسم كريمر. "كما قلت، إنه أمر غاية في البساطة".

حدَّقَ حراس الأمن إليه، وقد أصابهم الخرس.

وتابع قائلاً: "والآن، سوف نسمح لأحدكم بالذهاب ليحمل مطالبنا إلى رجال الشرطة الذين أعتقد جازماً أنهم في طريقهم الآن إلى هنا. أما الباقون، فأخشى أنه يجب أنْ يمكثوا معنا كرهائن".

تنحنح أحد حراس الأمن. "إنّ الحكومة لن تفاوض مع إرهابيين. يجب أنْ تعلم هذا".

"سوف نرى. إنّ هناك الكثير جداً من الإرث الوطني القيّم في هذا المبنى. حتى ونحن في هذا الزمن اللعين – حيث الناس جياع، ويعيشون في مدن مزرية على امتداد أرض الوطن – لا نزال نعتزّ بإرثنا، بماضينا المجيد. سوف يصدر الشعب حكمه بإعدام السلطات من دون محاكمة إذا ما انتهى الأمر بهذا المكان إلى الحرق عن بكرة أبيه". هزّ كريمر كتفيه كأنه يعتذر. "أنا واثق تماماً من أنهم سيتفاوضون".

جمدتْ قسمات وجه الحارس. "أحقّاً تنوون أنْ تحرقوا هذا المكان؟"

ابتسم كريمر بحزن وقال "أوه نعم. أكاد أكون متيقّناً من ذلك". تقدّم خطوة باتجاه حارس الأمن. "ما اسمك؟"

"مالون. برادلي مالون".

أخذ كريمر يُقيِّم الحارس المهيب في صمت. كان في استطاعتهم أنْ يسمعوا عن بُعد ضجيج مراوح حوامة الشرطة التي كانت تتقدّم وصفارات إنذار وحدات الاستجابة الأرضية وهي تتجمُع.

"حسن، برادلي، يُعجبني منك أنكَ جهرت برأيك حقاً. يبدو أنكَ تتمتع بالشجاعة أكثر من الآخرين. فلمَ لا نكلُ إليك أنتَ مهمة الذهاب لتسليم مطالبنا إلى الشرطة؟ احرص على أنْ تُخبرهم بأننا على استعداد للانتظار ساعتين لإحضار الأشياء. ولا دقيقة زيادة. فإذا تأخروا... هذا المكان برمّته سوف يشتعل كشمعة رومانية".

أومأ مالون برادلي برأسه إيجاباً.

"وإذا حاولوا أنْ يقوموا بأي تصرف أرعن، كأنْ – اووه، لا أدري – يشنّوا هجوماً مُفاجئاً، فسوف يندمون ندماً شديداً. أنا واثق من أنكَ لاحظتَ أنّ رجالي وأنا مُسلّحون حتى أسناننا، وفيما أنا رجل مكتبيّ، فإنّ كارل هنا، وزملاءه، لديهم خبرة هائلة في القتال".

مرة أخرى أوما مالون برأسه إيجاباً. "سوف أحرص على إبلاغهم هذا".

"عظيم. حسن، لقد أسعدني الحديث معك، يا برادلي". أومأ كريمر برأسه إلى أحد رجاله. "أرسله من المدخل الرئيس".

راقبهما يتعدان، ثم التفت نحو هاس.

"كارل، أرسل الرجال الآخرين إلى القبو. سوف نحتجزهم هناك. ولنضع معداتنا هناك أيضاً. ليس لدينا وقت نضيّعه. الوقت يمرّ".

"حاضر، سيدي".

تحرّك الرجال بسرعة ومهارة، وهم يدفعون الرهائن خلال أبواب مزدوجة مكتوب عليها بخط باهت: **إلى قبو التخزين: ممنوع لغير أفراد الهيئة**. وباشر الباقون حمل صناديقهم وأكياس القنب المملوءة بالمعدات وتبعوهم، وهم يرتطمون بطريقة خرقاء بالأبواب الدوّارة وينخرون من فرط الجهد في أثناء هبوطهم بها درجاً أسمنتياً إلى القبو.

علا ضجيج المروحيات وصفارات الإنذار، وشاهد من خلال القضبان المعدنية التي تغطي نوافذ المبنى الضخمة الومض الأزرق لأنوار سيارات الشرطة. وما عدا عدداً قليلاً من رجاله المتمركزين في جوار النوافذ، يراقبون الشرطة المجتمعين في الخارج، ومستعدين بأسلحتهم لإطلاق النار، وقف كريمر وحيداً عند مدخل الرواق الرئيس لمتحف التاريخ الطبيعي المعتِم.

غمغم بهدوء "إنّ هذا سيجعل الجميع مشغولين، في الوقت الحاضر".



2001، نيويورك

أشار فوستر عالياً إلى أفق سماء نيويورك. "هل ترون شيئاً لا ينبغي أنْ يكون موجوداً؟"

شهقت مادي "أوه يا إلهي... إنهما البرجان التوأم!"

قال فوستر "هذا صحيح. مركز التجارة العالمي".

نظرتْ إليه. "هل هذا يعني أنَّ التاريخ قد تغيَّر؟ وأنهما لن يُدمَّرا على أيدي الإرهابيين؟"

هزَّ العجوز رأسه في حزن. "آسف، كلا. إنَّ التاريخ يبقى على حاله... يبقى في هذه الحالة – لسوء الحظ – كما ينبغي أنْ يكون".

ترقرقت عيناها بالدمع. "أوه، لقد نسيتُ كم كانا جميلَين، ومُضاءين بأكملهما ليلاً هكذا".

تابع فوستر قائلاً "لقد اختارت الوكالة هذا الزمان وهذا المكان لسبب وجيه جداً. إنَّ تاريخ اليوم هو العاشر من شهر أيلول. وغداً هو الحادي عشر".

رفعتْ سال نظرها إليه. اتسعت عيناها، وقد بدأتْ فجأة تسجّل شيئاً.

قالت "11/9! أتذكر هذا، لقد درسناه في المدرسة. وهذا سيحدث غداً؟"

أومأ فوستر برأسه إيجاباً.

أخذ ليام ينقل بصره من شخص إلى آخر، مرتبكاً. "11/9؟ ما هذا؟ ما الذي سيحدث؟"

"إنَّ تاريخ ١١/ ٩ هو ما يُشير به الناس إلى حدث رهيب سيقع في صباح يوم غد، يا ليام".

أومأ فوستر بيده إلى ناطحتي السحاب المتوهجتين اللتين تعلوان المشهد العام لحي مانهاتن كحارسين. "غداً عند تمام الساعة التاسعة إلا ربع صباحاً، سوف ترتطم طائرة ممتلئة بالركاب عن عمد على أيدي إرهابيين على جانب البرج الشمالي، وبعد ذلك بثماني عشرة دقيقة سوف تهشم أخرى مرتطمة بجانب البرج الجنوبي. وبحلول الساعة العاشرة والنصف صباحاً سيكون البرجان قد انهارا وسيُقتَل ثلاثة آلاف شخص".

نظر ليام إلى مادي فلاحظ آثاراً لامعة لدموع تجري على وجنتيها.

أخذ فوستر نَفَساً عميقاً. "إنَّ العديد من سكان نيويورك فقدوا شخصاً عزيزاً عليهم، أو يعرفونه. لقد أُصيبت الأمة بجرح. غداً، يا ليام، هذه المدينة ستبدو مختلفة تماماً". ووضع يداً مواسية على ذراع مادي. "أنا آسف. أنا أعلم من خلال سجلات حاسوبنا أنك فقدت أحد أفراد عائلتك هناك".

هزّت رأسها إيجاباً. "قريب لي، اسمه جوليان. كان طيباً". كان في وسعها أن تُخبر الآخرين كيف كانت مولعة به في طفولتها. كيف كان يجعلها تضحك حتى تذرف الدمع كلما جاء لزيارتهم. كان مسؤولاً عن شبكة الحاسوب التابعة لأحد المصارف. لقد مات جوليان مع ثلاثة آلاف شخص آخرين. مات، ولم يبقَ منه أي شيء يمكن دفنه.

تابع فوستر "أعلم أنّ هذا مؤلم بالنسبة إليك، ولكن لأسباب عملية هذا هو الموقع المثالي لإقامة مكتب ميداني للوكالة".

سألت، وهي تمسك الدموع عن وجنتيها، "لماذا؟ لماذا يجب أنْ يُقام هنا؟... ولِمَ الآن؟"

سكتَ فوستر برهة، مفكّراً في الطريقة المُثلى لشرح الأمر.

"إنَّ القنطرة التي استيقظتم ووجدتم أنفسكم فيها، أو المكتب الميداني، توجد داخل فقاعة زمنية مدتها ثمان وأربعين ساعة. أو يومان. في يومي الاثنين العاشر والثلاثاء الحادي عشر من شهر أيلول عام 2001، ومع حلول

منتصف ليل الثلاثاء، تعود بنا تلقائياً إلى بداية يوم الاثنين. وأنتم، كفريق، سوف تقيمون داخل فقاعة الزمن تلك. سوف تعيشون ذينك اليومين مراراً وتكراراً، في حين أنّ هذين اليومين بالنسبة إلى باقي العالم سوف يأتيان... وينتهيان".

سألتْ مادي "ولكن لماذا هذان اليومان بالذات؟ أنا أذكر ذلك اليوم. كنتُ في التاسعة. لقد بكى أمي وأبي طوال النهار، في يوم الثلاثاء ذاك. فلماذا حينئذ؟"

"لأنّ انتباه الجميع سوف يكون مُنصبّاً على الحدث. لن يُلاحظ أحد قط ما يحدث من تلك القنطرة تحت الجسر. لا أحد سيتذكّر". نظر فوستر إلى ليام "إنّ هذا الشاب الذي يرتدي زي مُضيف، وكان يتجول في المكان في الليلة الفائتة. إنّ وجودك هنا لن يؤثّر في الزمن، لن يُلوّث الزمن... لن يتذكّرك أحد. إنّ كل ما سيتذكره أي شخص من هذا اليوم والغد هو صور مريعة لطائرات تضرب البرجين، والبرجان وهما ينهاران، والغبار يخنق الشوارع، والناجون المبتلون بالحزن وهم يخرجون من بين سحب الدخان".

هزّ كتفيه. "أنا آسف، ولكن هذا ما نفعل لكي لا يلاحظ وجودنا أحد يا مادلين. هكذا نُبقي على سريّة الوكالة. وهكذا ننأى بأنفسنا عن تلويث الزمن".

أومأتْ برأسها في صمت، وأخذت الدموع تملأ عينيها من جديد.

وضع يده على ذراعها. "أنا آسف حقاً. أتذكرين يوم أمس؟"

هزّت رأسها نفياً.

ابتسم. "يوم أمس، يوم الاثنين، كان نهاراً جميلاً حقاً. يوم دافئ ومُشمس، كانت سنترال بارك ممتلئة بالسياح وأهالي نيويورك يستمتعون بالدفء لا يحملون أي هم. خذي عزاءك منهم يا مادلين، في نهاية كل يوم ثلاثاء، لأنّ العالم بالنسبة إليك يعود إلى سابق عهده ويوم الاثنين ذاك ينتظر أنْ يحدث مرة أخرى".

تساءلت مادي إنْ كان ذلك يعني أنها قد تشاهد جوليان ذات يوم يسير

بخطواته الواسعة متوجهاً إلى مركز عمله بملابس المكتب الأنيقة، وتتمكن من التحدث إليه من جديد، وتحذّره من الصعود إلى مركز عمله؟

كلا... كلا، أعتقد أني لا أستطيع ذلك. نفضتْ الفكرة الغاوية من رأسها، وهي تعلم أنها ستعود من جديد لتسخر منها.

ألقى فوستر نظرة سريعة إلى ساعة يده. "لقد مرّت بضع ساعات حتى الآن. ينبغي أنْ يكون الباحث قد تلاشى الآن".

ابتلع ليام لعابه بقلق. "هل أنت واثق من هذا، مستر فوستر؟"

"نعم. عندما غادرنا كان قد بدأ يحتضر. لقد تركتُ كل شيء، مستنزف، حتى مفتاح النور ذاك. سيكون قد خبا الآن. يجب أنْ نعود أدراجنا. لدينا الكثير لتعلمه نحن الثلاثة، وبسرعة".

أبعدتْ مادي عينيها عن البرجَين وتفحّصتْ فوستر بتمعّن. "لِمَ العجلة؟" سألت سال "ولِمَ نحن؟"

"ولِمَ لا؟ الأمر بَسيط. أنتم الثلاثة تتمتعون بمهارات خاصة نحتاج إليها. ولكن بَعد أنْ حصلنا عليكم، أحتاج إلى تدريبكم للقيام بالعمل المطلوب".

سكت فوستر برهة ليفكر في ما سيقول بعد ذلك. "ولن أكذب عليكم... ستكون المهمة خطرة"، ونظر إليهم بجديّة. "لقد خسرتُ أعضاء فريقي الأخير بسبب خطأ سخيف، خطأ بسيط، أحمق. كان ينبغي أنْ يقوموا بالمسح قبل أنْ يُعيدوني. فلم يفعلوا. لذلك في هذه المرة سيكون التدريب شاملاً أكثر. سوف تحتاجون أنتم الثلاثة إلى أنْ تجتهدوا في العمل. يجب أنْ تفهموا كيف يعمل الزمن، أنْ تعرفوا ماذا تفعلون، وإلا..."، ثم سكت، وأشاح ببصره بعيداً.

سألتْ سال "وإلا ماذا؟"

" وإلا انتهى بكم الأمر كما انتهى بالفريق الأخير".

وقفوا يخيّم عليهم الصمت، يراقبون الشارع المفعم بالحركة، ويُصغون إلى ضجيج سيارات الأجرة، والهدير الجهير لمضخمات صوت عابرة، ولزعيق صفارات إنذار سيارات شرطة بعيدة يتردد صداها بين جدران

ناطحات السحاب المؤلّفة من الفولاذ والزجاج.

قال ليام بعد قليل "مستر فوستر، ماذا لو أننا لا نرغب في القيام بذلك؟"

نفحهم العجوز ابتسامة حزينة، مُشفقة، "حينئذ لن يبقَى أمامكم إلا مكان واحد تلجأون إليه... العودة إلى حيث وجدتكم. أنت، يا ليام، ستعود إلى السطح E، في اللحظة التي بدأت فيه تلك السفينة المُحطمة المسكينة تغوص إلى أعماق المحيط الأطلسي".

سرتْ الرعدة تلقائياً في أوصال ليام لدى تفكيره في ذلك.

"أنا آسف. لا أظنه خياراً جيداً، أليس كذلك؟"

تمتم ليام "لا أظن ذلك".

فتح يديه. "أخشى أنّ هذا هو واقع الأمر".

هزّت مادي رأسها. "في الواقع، من المستحيل أنْ أعود إلى متن تلك الطائرة التي توشك أنْ تتحطم وتحترق".

قال فوستر مُحذراً "إذا قرّرتم أنْ تمكثوا، فلا مجال للعودة. إذا قررتم أنْ تمكثوا، فسيكون ذلك إلى الأبد".

"إلى أنْ نموت ونحن في خدمة هذه الوكالة؟"

أومأ برأسه إيجاباً بجديّة. أخذ الثلاثة يرمقون الرجل العجوز وسط صمت مُطبِق.

قال "حسن، ربما بات علينا أنْ نعود أدراجنا. ما زال هناك عضو أخير في الفريق أريد أنْ أقدّمه إليكم".

اشرأبَّ ليام إليه. "شخص مثلنا؟"

"ليس بالضبط... كلا".



2066، نيويورك

إنه هنا في مكان ما في الظلام، يا بول. ألا تشعر بالقَدَر يشدّك من كُمّك؟

لم يشعر بذلك. ما شعر به كان عيون كارل ورجاله مُسلّطة عليه، بقلق، ونزق، تراقبه وهو يُقلّب صفحات دفتره الأسود الصغير.

استطاع من خلال الباب المفتوح المؤدي إلى الدَرَج الواصل إلى الرواق الرئيس، سماع الصدى المكبوت لمكبّر صوت آت من الخارج. من الجليّ أنهم أرسلوا مُفاوضاً إلى الخارج في محاولة لإجراء تواصل. ولو لم يكن مشغولاً جداً هنا، لكان ممتعاً الصعود إلى الطابق العلوي ومنه إلى رواق المتحف الرئيس ليراقب مبنى السيرك المتنامي في الخارج.

حثّه كارل بصوت خافت "سيدي، لم يبقَ إلا نصف ساعة على انتهاء المدة المُحددة. سوف يقتحمون المكان حتماً إذا وجدوا أنّ التفاوض لا يُجدي نفعاً".

أجاب، وهو ينظر إلى أسفل، إلى صفحات مكتوبة بخط يده، "أعلم. أمهلني لحظة واحدة".

تلفّتَ كارل حوله في القبو. كان ممتلئاً حتى السقف بعدد كبير من صناديق الخشب بأحجام وأشكال مختلفة، وكلها مختومة برقم فهرس نادر. كانت هناك مئات، كلا، بل آلاف منها مكوّمة هناك في صفوف طويلة من الحوامل المعدنية والرفوف الخشبية.

رفع كريمر بصره فلاحظ القلق المرتسم على وجه كارل.

"كارل، هذه الصناديق كلها مُصنّفة. قد يبدو الأمر عشوائياً، لكنهم كانوا شديدي الحرص عندما أقفلوا المتحف لكي يُخزّنوا المعروضات حسب الشعبة، والشعبة الفرعية، والجنس، والنوع".

لوّح كريمر بالدفتر الأسود في وجه كارل. "لقد أراد أنْ يتمكّن من تحديد المكان بسهولة وسرعة، من دون أنْ يُضطر إلى أنْ يخوض في آلاف الصناديق الخشبية". تلفّت كريمر حوله. أضاف "سوف نعرف بالضبط مكانه. والجواب موجود في هذا الدفتر الصغير. صدّقني".

تصفّح كريمر بعض الصفحات، وأخيراً، مرّر إصبعه على صفحة مملوءة بكتابة باهتة بخط اليد.

"وها هو. CRM 309-1567-2051".

التفتَ كارل ليتفحّصَ الصناديق الأقرب إليه، لكنْ كريمر قبض على ذراعه.

"ليس لدينا الوقت الكافي لتفحُّص كل صندوق. يمكننا أنْ نعرف المكان الذي يجب أنْ نبدأ فيه البحث من الرقم".

"كيف؟"

"إنّ أحرف CRM هي البادئة الرمز للوصول إلى المعروضات العلمية. الرقم 309 خاص بشعبة الباليتولوجي[1]. استدار كريمر واقترب من حراس الأمن المجتمعين.

"أخبروني، أيها السادة، أين تُخزّن معروضات الديناصور؟"

هزّوا رؤوسهم بعصبية. أومأ أحدهم، وهو عجوز هشّ البنية أبيض الشعر بدا أنه تجاوز سن التقاعد بعشرة أعوام، برأسه باتجاه جدار قريب.

"هناك لاتحة هناك".

ابتسم كريمر. "آه نعم... فهمت، شكراً لك".

---

1 الباليتولوجي: علم الإحاثة، ويبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات الحيوانية والنباتية. (المترجم)

تقدّم ونزعها عن الجدار وتفحصّها بسرعة. "حسن. أعتقد أنّها هناك".
وأشار إلى ممر بين المقاعد يُغيب داخل الظلام. اخرجَ مشعل بطارية من حقيبة ظهره وأناره، ومشى بخطى مُهرولة على طول الممر الضيق المُحاط من الجانبين برفوف مُثقلة بصناديق من الخشب والورق المقوّى بأحجام وأشكال شتى.
بعد دقيقة، توقف وتفحّص ختم الرمز على الصندوق الأقرب إليه.
وهمس بينه وبين نفسه "207، إننا نقترب"، وانطلق من جديد يهرول.
سمع وقع خُطى خلفه.
التفت فرأى كارل، وحزمة ضوء المشعل يتأرجح ممتداً أمامه. "سيدي؟ هل تحتاج إلى مساعدة؟"
توقف كريمر. "نعم. ابعث بالرجال ليجلبوا مولّداً محمولاً إلى هنا. وحالما نُحدد موقع هذا الشيء، سوف نحتاج إلى تشغيل ذلك المولّد استعداداً للعمل".
"حاضر، سيدي".
تابع كريمر سيره داخل الظلام مسافة أخرى، ومرة أخرى اقترب وتفحّص ختم التصنيف على صندوق قريب.
قال مُحدثاً صوتاً كالأزيز "306"، ويلهث من فرط الإجهاد.
جيولوجيا... اقتربنا كثيراً الآن.
مشى بسرعة، وهو يوجه مشعله عبر الصناديق التي كانت أحجامها تزداد، من صناديق الأحذية الصغيرة إلى صناديق الخشب التي تتسع لأريكة، بل إلى أكبر منها يمكن أن يضع المرء فيها سيارة صغيرة... أو حتى ديناصوراً.
كشّر. هذا هو، الباليتولوجي.
يجب أن يكون في مكان ما هنا.
تفقّد كريمر الوقت في ساعة يده. بقي لهم حوالى عشرين دقيقة وينتهي الموعد النهائي الذي حدّده. طبعاً لم يكن هناك ما يضمن أنّ الشرطة ستلزم مكانها حتى ذلك الحين. لكنه قدّر أنها قد تفعل، ثم توقف بعد ذلك فترة

اطول، مُستعرضاً بدقّة خططهم للانقضاض على المتحف والقبض على الارهابيين في الداخل، وإحداث أقلّ قدر من الأضرار لكنوز الأمة.

نقّل مشعله من احد الصناديق إلى التالي، مُستعرضاً بسرعة أرقام القائمة.

اقتربنا.

ارتقى بجهد إلى أدنى صندوق خشبي وسلّط ضوء مشعله عبر تلك المكدسة على الرف العلوي.

وجد نفسه يهمس "هيا، هيا، أين هو؟"

تنقّلت عيناه بسرعةٍ من رقمٍ إلى الذي يليه. "يجب أنْ يكون هنا في مكان ما".

إنه كذلك، ثبّت إيمانك.

وبما يُشبه الاستجابة لصلاة، مرّ ضوء المشعل على الرقم CRM– 309.

وبسرعة عاد بالمشعل إلى الذي قبله وقرأ الأرقام الأربعة الآتية:

"واحد... خمسة... ستة... سبعة..."

نظر في دفتره.

CRM – 309 – 1567 – 2051.

عاد ينظر إلى صندوق الخشب من جديد وتغضّن وجهه النحيل بفعل الارتياح، لأنّ العجوز، فالدشتاين، كان ذكياً إلى درجة أنه لم يحطّم آلته كما أشيع أنه ادّعى... ولكن بدل ذلك عمد سراً إلى إخفائها هنا بين محفوظات المتحف.

ها قد وصلت، ألم أقل لك ثبّت إيمانك؟

أوما كريمر برأسه إيجاباً. إنّ غرائزه دائماً تبدو على صواب.



2001، نيويورك

نظر ليام بانزعاج إلى المصراع المعدني الممتلئ بالخربشات والرسوم. "هل أنت متأكد من أنّ العودة إلى هناك آمنة، مستر فوستر؟"

أومأ العجوز برأسه مُطمئناً. "نحن لم نترك شيئاً في القنطرة يمكن الباحث أنْ يتطفل عليه. إنه بلا طاقة منذ ست ساعات. وسوف يكون قد تلاشى الآن تماماً".

قبض على أسفل المصراع المعدني. "ليام، هلاّ شددتَ ذراع الرافعة إلى الجانب هناك، من فضلك؟"

أخذوا يرفعونه، ببطء، وبضجيج صارّ، إلى أعلى، فوجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع ظلام القنطرة الدامس المشؤوم.

من أعلى القنطرة صدرت دمدمة جعلت الفتاتين وليام يجفلون.

ضحك فوستر ضحكاً مكبوتاً "إنه قطار من مانهاتن إلى بروكلن يجري على جسر ويليامسبرغ فوقنا. هيا، لم يعد هناك أيّ أشباح الآن".

خطا العجوز إلى الداخل، من الشارع الخلفي المغطى بنثار الأوراق، واختفى داخل الظلام الحالك.

أومأت مادي لليام. "أنتَ أولاً".

نجح في رسم ابتسامة مرتعشة. "كدتُ أقول السيدات أولاً".

سمعوا صوت إدارة مفتاح للنور في الداخل، وفي الحال أخذت عدة

مصابيح فلوريّة تخفق، تتدلى من قضيب لدن مُغبرّ من السقف المُقنطر، ودبّت فيها الحياة، وغطّتْ الأرضية الباردة والرطبة في الداخل بوهج شاحب، عدائيّ.

تجهّمت مادي.

أهذا هو "مكبنا الميداني"؟

كانت الأرضية غير مستوية من الأسمنت البارد، مبقّعة بالزيت، عليها آثار ضرب بالازميل، وندب وحُفر من مخلفات طويلة الأمد لمقيمين سابقين. وعبر الأرضية شاهدتْ لفائف من الكبلات تمتد من جانب إلى آخر من الممر المُقنطر. وفي الداخل قدّرت أنّ المساحة كافية لوقوف حافلتين من طابق واحد جنباً إلى جنب.

على طول الجدار الأيسر صف من شاشات الحواسيب موضوعة عشوائياً على مقعد عمل طويل بال. وعلى بُعد بضع بارِدات في الركن رأتْ أسطوانة كبيرة من البلاستيك المقوّى مملوءة بسائل، أشبه بأنبوب اختبار عملاق.

كان الجدار الخلفي مغطى بكابلات منضفرة ومتدلية رُفعَت عن الأرض وعُلّقت على خطافات وتمتد باتجاه ثقب في الجدار تختفي داخله. وإلى جوار الثقب هناك باب منزلق من الحديد المموَّج، افترضت أنه يؤدي إلى غرفة أخرى.

إلى اليسار لاحظتْ وجود كهف صغير من القرميد حُفِرَ قبل عدة ساعات مضت، وإلى جوار الكهف هناك طاولة مطبخ، وعدد مبعثر من الكراسي المتنافرة. وكانت هناك أريكتان موضوعتان على بساط صغير بال. وثمة كهف آخر يحتوي مدفأة تعمل بالكهرباء، وإبريق، ومايكروويف ومغسلة تبدو قذرة. وبعد ذلك، هناك باب مفتوح يؤدي إلى مرحاض مُنفر.

ذكّر هذا مادي بشقة أخيها الأكبر المزرية التي كان يتقاسمها مع شخص آخر في بوسطن؛ كل ما كان ينقصه أكوام من الغسيل القذر على الأرض وعلب بيتزا مبعثرة.

قالت مادي "يا لها من فوضى".

٤

تجاوز فوستر شبكة من الكابلات مُثبّتة بشريط قوي إلى الأرض.

قال "هذا منزلكم، ادخلوا".

خطوا بحذر شديد إلى الداخل. أبعدتْ سال الشراشب عن عينيها وراحت تتعرض ما حولها من دون أنْ تُخفي تعبير الامتعاض عن وجهها.

سألتْ "ألا نستطيع أنْ نزيّنه؟"

ضحك فوستر. "من دون أدنى شك. استخدام بعض الوسائد والملُصقات وقطع السجاد الصغيرة لن يُضير. "سال - قال مُشيراً - هلا أدرتِ مفتاح الكهرباء هناك؟"

استدارت ونظرتْ إلى الجدار المجاور لها. "هذا؟"

"بالضبط".

أدارته وإذا بالمصراع المعدني يهبط خلفهم مُصدراً هدير الهبوط، وضجيجاً عالياً لدى ارتطامه بالأرض.

بينما وقف الثلاثة لا يبدون حراكاً، محاولين أنْ يجدوا شيئاً يُثير إعجابهم في بيتهم الجديدة، قطع فوستر أرض المكان، وهو يطأ بعناية على حبال الكابلات، نحو الباب المعدني المنزلق على الجدار الخلفي.

سأل ليام، مُشيراً إلى شاشات الحواسيب على المنضدة الطويلة وإلى وعاء الماء الأسطواني الكبير، "ما هذا، مستر فوستر؟"

"سأشرح لكم في الوقت المناسب، يا ليام. أولاً، سوف أُعرّفكم إلى العضو الرابع في فريقكم"، ومدّ يده إلى المقبض وزلق إلى الخلف رتاج القفل ودفع الباب جانباً مع ضجيج.

اقتربت سال ومادي وليام بحذر من فوستر، وهم ينظرون من خلال الفتحة إلى الظلام الممتد خلفه.

قال، وهو يلوّح لهم لكي يتقدموا، "هيا، لا شيء سيعضّكم. عضو الفريق الرابع موجود هنا".

سألتْ مادي بارتياب، "إذن، لِـ... لِمَ يختبئ عضو فريقنا وحده في خزانة

مظلمة؟ هل هو أبهق[1] شاذ وغريب الأطوار؟"

تردد فوستر قائلاً "إنه... حسن، ربما يُستحسن أنْ أكتفي بتقديمه إليكم. اتبعوني".

خطا خطوة داخل الظلام. ابتلعت سال لعابها بتوتر عندما سمعت وقع خُطى حذائه تطقطق عبر الأرضية القاسية في الداخل.

"عادة نُبقي الإضاءة مُعتمة جداً هنا. إنّ المرشّحين قيد الاختبار شديدو الحساسية تجاه الأضواء المبهرة، خاصة الصغار منهم. انتظروا لحظة..."

سمعوا فوستر يتحرك في المكان، ويعبث بشيء ما في الظلام. ثم بدا عدد من أضواء الجدار يتوهج، برفق شديد، بلون أحمر رقيق. وبهذا، استطاعوا أنْ يُميّزوا أمامهم عدداً من الأشكال الأسطوانية الطويلة، كل منها بطول حوالى ثماني أقدام. ومع تزايد الوهج القرمزي الخافت المنبعث من الأضواء العالية، قررت مادي أنْ تقود الطريق إلى الداخل.

رأت أسطوانات طويلة من البلاستيك المقوّى الصافي، وداخل كل منها ميّزت بغموض كتلة صلبة وقاتمة.

"حسن... ماذا يوجد في هذه الأنابيب؟"

قال فوستر بصوت كئيب، "سوف أزيد قليلاً من الإضاءة". وسمعوه يُدير مفتاح نور ومن ثم، في قاع كل أسطوانة، أضيئت بقعة ضوء برتقالي، كاشفة عن المحتويات.

انكمشت هاتفة "أوه يا إلهي! هذا... شيء بشع جداً!"

كانت كل أسطوانة تحتوي ما بدا أشبه بحساء البندورة المُخفّف تطفو فيه رواسب لزجة وخيوط من نسيج ناعم يتدلّى ويتمايل كمخاط في حوض المرحاض. وفي وسط ذلك الخليط الضبابي داخل أقرب أنبوب، طفا شيء صغير وشاحب وملتفّ حول نفسه، موصولة به خيوط من نسيج سُرّي حتى بدا أشبه بيرقة شاحبة عالقة داخل شبكة برّاقة من الأحشاء.

---

1 الأبهق: شخص لبنيّ البشرة أبيض الشعر قرنفليّ العينين. (المترجم)

قالت مادي، وهي تخطو نحوه وتُنعِم النظر فيه من خلال الزجاج، "أهذا... أهذا جنين إنسانيّ؟" انضمَّت إليها سال مع ليام.

"إنه في مرحلة ما قبل الولادة. وهذا يمر في حالة ركود ما قبل النمو. وسوف يبقى هكذا إلى أنْ نحتاج إليه".

قال، وهو يقف بجوار الأنبوب التالي، "هنا، لدينا جنين في موقع ثلث دورة النمو الكامل".

نظروا إلى الماء العَكِر داخل الأنبوب التالي، فشاهدوا ما بدا أنه فتى في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر، بلا شَعر، وعار، وفي وضعية الالتفاف الجنيني نفسها حول نفسه. وكالجنين، كان الحبل السُرّي موصول به وملتف من قاع الأسطوانة حتى أعلاها.

انكمشَ ليام بحركة غريزية أمام ذلك المشهد. وقد انتابه الرعب، والاشمئزاز والفضول في وقتٍ واحد.

"لا أظن أنَّ ما نراه هو فتىً حقيقي... أليس كذلك؟"

قال فوستر "كلا، إنه اصطناعي. نما من بيانات جينية إنسانية مُصنَّعة".

سرتْ الرعشة في أوصال ليام. لم تعنِ كلمة "جيني" أي شيء له، لكنْ جواب فوستر بأنه لا ينظر إلى طفل حقيقي يطفو كبيضة مُخلّلة في وعاء زجاجي الخل طمأنه. مال أكثر ليُلقي نظرة عن قُرب إلى شكل الفتى الساكن. ومن ثم فجأةً إذا بعينيه تنفتحان.



2001، نيويورك

نطقَ ليام فجأة "آه يا ربي!"، وهو يرتد مع الفتاتين نحو الخلف من فرط الرعب.

قال فوستر "لا بأس. لا بأس. لن يقفز خارجاً وينقضّ عليكم".

التقط الثلاثة أنفاسهم، وأخذت سال تقهقه بعصبية، وهزّت مادي رأسها. "آه يا ربي، كأنه أحد المخلوقات الفضائية".

راحوا يُراقبون بافتتان صامت عيني الفتى وهما تتحركان ببطء داخل محجريهما لكي تنظرا إليهم من خلال السائل العكر.

قالت مادي "أعتقد أنه يرانا".

أجاب فوستر "نعم، إنه يراكم، ولكنه خالٍ من الذكاء. إنَّ استجابات الجسد الحركيّة في هذه المرحلة يُديرها عقل عضوي صغير، له مقدرة عقل فأر. أما العملية المعرفيّة الحقيقية، أو بعبارة أخرى... التفكير، فتظهر لاحقاً مع اقتراب اكتمال الدورة".

فُتِحَ فم الفتى وأُغلِقَ بصمت.

همست سال "إنه يُحاول أنْ يتكلّم".

"كلا. هذه فقط حركة لاإراديّة".

راقبَ ليام السائل العكر ينساب داخلاً وخارجاً من فم الفتى المفتوح.

"كيف يستطيع أنْ يتنفّس؟"

"بمحلول سائل مُزوّد بالأوكسيجن. إنه يتنفّس السائل إلى داخل رئتيه، تماماً كما نتنفّس نحن الهواء".

ارتعشَ ليام لهذه الفكرة. "ولكنّ هذا أشبه بالغرق".

أومأ فوستر موافقاً. "أعتقد أن الأمر سيكون كذلك لو انك لم تَعتَدْه. أما هذا الكيان فلا يعرف الغرق".

اشرأبّ فتى الأنبوب إليهم.

شهقت سال "يا إلهي!" وقفزت مرتدّة، "أرايتم ذلك؟"

اقتربت مادي أكثر من الأنبوب الزجاجي. "هل انت متأكد من أنه... يعني... لا يفكِّر؟"

أومأ فوستر برأسه إيجاباً. "صدِّقيني. لا يوجد مقدار كاف من العقل فيه إلى درجة التفكير. نعم، هو يقظ وينظر إلينا، لكنه لا يتساءل عمَّن نكون".

هزّت رأسها غير موافقة. "إنه يبدو تماماً كأنه فتى طبيعي صغير. إنَّ هذا الكلام لا يبدو لي صحيحاً".

قال فوستر "هيا، نحن هنا لكي نجتمع بزميلكم".

نجح بصعوبة في جرّهم بعيداً عن فتى الأنبوب، واجتازوا عدداً من الأنابيب المغطّاة بقماش مُشمَّع.

سأل ليام "ماذا يوجد في داخلها؟"

هزّ فوستر رأسه "تكوينات مشوّهة. سوف أتخلص منها قريباً".

"تكوينات مشوّهة؟"

"تلك التي لم تنمُ بطريقة صحيحة. يحدث هذا بين وقت وآخر".

باشرت سال رفع قماش القنب لتتلصّص من تحته قبل أنْ يتقدّم فوستر ويُعيد القماش المُشمّع إلى مكانه. "ربما يُستحسن يا سال الا تنظري. إنَّ في داخل تلك الأنابيب ما يشبه الكوابيس".

تمتمت سال "أوه".

قال فوستر "هنا يوجد زميلكم"، وأشار إلى الأنبوب الأخير. وكالأخرى، كان ممتلئاً بالسائل العضوي العكر، ولكن هذه المرة، من خلال سحب من

البقايا العائمة، رأوا رجلاً كامل النموّ.
قالت مادي "يا إلهي! إنه... بشكلٍ مُخيف".
"تقصدين متين البنية؟"
أومأت برأسها إيجاباً. تفحّص ليام المخلوق في الداخل. كان طوله ستّ أقدام، أو ربما سبع أقدام، بكل ارتياح، عريض المنكبين، ضخم العضلات، وكل جزء من بنيته الممتلئة والقصيرة ملفوف بعضلات منفوخة، جميلة. ذكّرَ ليام بكتاب من تأليف سيدة تُدعى ميري شيللي. وتحكي القصة عن وحش قام من بين الأموات على يد رجل عجوز مجنون يُدعى فرانكنشتاين.
همست سال بخوف "إنه أشبه ببطلٍ خارق".
قال ليام بحذر "آه... يبدو شاباً يافعاً"، مُخمّناً مقدار الضرر الذي يمكن لتينك اليدين أنْ تسبباه. "هل أنت واثق من أنه حسن السلوك، مستر فوستر؟"
ضحك العجوز. "أوه، لا تقلق، يا ليام، لا يمكنك أنْ تحصل على زميل موثوق أكثر منه".
"وهل هذا أيضاً يمتلك دماغ فار؟"
"نعم. ولكن لديه أيضاً شبكة عصبية من السليكون ووحدة مُعالجة ووحدة تخزين بيانات من رقائق شبه زجاجية مُقحمة داخل جمجمته".
نظر ليام إلى فوستر، مذهولاً بكلامه الغامض. "ماذا قلت؟ إنه مصنوع من السليكون...؟"
قاطعته سال "حاسوب في رأسه".
التفت ليام إلى سال، وما زال لا يفهم، "ماذا قلت؟"
تنهّدتْ ورفعت حاجبين أسودين. "أنتَ حقاً من عام 1912؟"
قال فوستر "إنه جهاز يسمح بتخزين المعلومات، يا ليام. معلومات كثيرة جداً. في تلك الجمجمة هناك مجموعة صغيرة من الدارات الكهربائية نستطيع أنْ نُحمّلها من الحقائق أكثر مما تحتويه مئات المكتبات من كتب".
ارتخى فكّ ليام. "وكيف يمكن فعل ذلك؟"

لوّح فوستر بيده مُنهياً الموضوع. "سوف نتحدث في هذا لاحقاً. إنَّ تاريخ الحاسوب موضوع آخر تماماً، وليس لدينا ما يكفي من الوقت لهذا".

وخطا مُقترباً من لوحة موضوعة على جانب الأنبوب. "إنَّ هذه الوحدة أكملت دورتها منذ مدة، وتنتظر دورها". لذلك، دعونا لا نتركها تنتظر أكثر من ذلك، هه؟ ابتعدوا... إنَّ هذا الشيء يفوح بروائح كريهة".

ضغط على زر. انفتح قاع الأنبوب شبه الزجاجي، فتدفق السائل السميك بغزارة إلى الأرض. وانتشر وامتد، مكوّناً بركة واسعة لزجة متبخرة من القذارة الكريهة الرائحة، كرائحة لحم متفسّخ. انزلقَ المخلوق الذي كان في الداخل إلى الخارج من الأسفل على الأرض، رخواً وخالياً من الحياة ككتلة كبيرة ملتوية من المعكرونة.

قالت سال "إنه ميت".

أجاب فوستر "كلا، إنه يستجمع قواه. امنحيه برهة".

راحوا يراقبون بصمت السائل الدافئ ذا الرائحة الكريهة يتبخّر على الأرض. لاحظ ليام مع بعض الارتياح أنه يسيل من بين القضبان في وسط الأرضية.

ثم انتفضَ الشكل العاري.

شهقت كلٌ من مادي وسال.

همس فوستر "أنت ولد طيب. هيا الآن".

تمددت العضلات وتماوجت على ظهره بينما الحياة تدبّ ببطء في أوصاله. وبعد بضع ثوانٍ من الترنّح استجمع قواه وأخذ ينهضُ متّكئاً على ذراعين منتفختين بالعضل، وفخذين ضخمتين كأي رجل عادي، إلى أنْ أصبح يستند إلى يديه ورُكبتيه.

تحول تحديق المخلوق من الأرض واستقرّ عليهم.

رأى ليام في عيني المخلوق الرماديتين شيئاً يبرق أشبه ببداية ذكاء. فتح المُستنسَخ فمه وتقيّأ فيضاً قذراً كثيفاً ورديّ اللون انتشر على الأرض.

رسمت مادي تعبير امتعاض على وجهها. "تفووووه"،

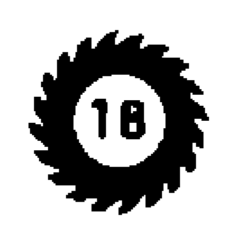
لوت سال شفتيها اشمئزازاً. "أوه، هذا شيء كريه جداً".

سال ليام "أكان فقط مريضاً؟"

"كلا، إنه يُفرِغ السائل من رئتيه".

أخذ يُصدر غرغرة برهة، ضجيجاً كالذي يُصدره طفل وليد سعيد بعد أنْ تناول طعامه، وكافح فمه ببطء ليُشكِّل ما بدا أنه نسخة خرقاء ومرتبكة من ابتسامة ودية.

تمتم "با... ا... غاغاه... بب... غلا...؟"



2066، نيويورك

انتهى كريمر من بناء القفص من الأسلاك، شاداً آخر برغي ومُثبّتاً إياه قبل أنْ يبتعد إلى الخلف ليُلقي نظرة عليه.

سأل هاس "هل انتهى؟ أهذه حقاً أول آلة للزمن؟"

أومأ كريمر برأسه إيجاباً، وهو يتأملها بإعجاب صامت.

كانت أكبر قليلاً من صندوق بقضبان معدنية، وبحجم حجيرة للاستحمام بالدش. وإلى جوارها على الأرض شيء بدا أشبه بإبريق من النحاس، وإلى جواره حاسوب صغير محمول متواضع. وعلى بُعد بضعة أقدام كان مولّدهم المحمول يهدر بضجيج عالٍ، ليزوّد آلة فالدشتاين بمقدار كافٍ من الطاقة.

قال كريمر "إنّ مجال طاقة الإزاحة يُنقل إلى داخل القفص السلكي. وحجمه يكفينا بحيث يستقله واحد منا في كل مرة. سوف يحملنا إلى مسافة أطول مما اعتقدت لنصل إلى حيث سنذهب".

نظر كارل هاس في ساعة يده. "لقد انتهى الموعد المُحدد منذ نصف ساعة، يا سيدي. ورجال الشرطة لن ينتظروا حتماً أكثر من ذلك".

أوما كريمر برأسه. "أعلم. يجب أنْ نبدأ". وركع بجوار الحاسوب الصغير وباشر بالنقر على شاشة اللمس بقلم مستدق الطرف.

"سيكون الجو بارداً حيث سنذهب، يا كارل. وسوف يحتاج الرجال

إلى ارتداء ملابس شتوية".

"سوف أحذّرهم. هل أستدعي..."

قاطع السؤال صوت سقوط مكبوت.

رماه كريمر بنظرة حادّة. "ما هذا؟"

استقام كارل في وقفته "إنهم قادمون! سوف أجعل الرجال يتراجعون من الرواق الرئيس. نستطيع أنْ نوقفهم عند الدَرَج المؤدي إلى القبو. إنها نقطة مُحكمة جيدة".

"افعل ما تراه الأفضل. فقط وفّر لي أكبر قدر ممكن من الوقت".

أومأ كارل برأسه واستدار على محور عقب قدمه، وهرع على طول الممر المظلم بين المقاعد، وفي الحال أصبح أمام جهاز اللاسلكي يُخاطب رجاله في الطابق العلوي.

عاد كريمر ينظر إلى الشاشة ويدوّن الوقت: زمن محدّد، ومكان مُحدد. ثم استدار ليجد رجلين واقفين بجواره.

"ماكس، ستيفان، يجب أنْ نبدأ بإرسال المعدات أولاً، هل سمعتما؟"

أومأ الرجلان برأسيهما وباشرا جرّ صناديقهم وأكياس القنب إلى داخل القفص.

وصل هاس إلى أعلى درج القبو وراح يحدّق من خلال الفتحة الواسعة إلى الرواق الرئيس المظلم.

أمسك بجهاز الإرسال. "رودي، بيتر، ما الوضع عندكما؟"

وصل الجواب عبر سماعة الأذن. "لقد أصبحوا داخل المبنى. ويرمون بقنابل مُسيلة للدموع ومفرقعات وامضة في الجناح الأيسر ويتقدمون باتجاهنا".

"تراجعوا إلى الرواق الرئيس. وأبقوهم هناك أطول مدة ممكنة. إننا نُعدّ موقعاً دفاعياً على درج القبو".

"عُلِمَ".

حدّقَ كارل بإمعان إلى ظلام الرواق الرئيس وأدرك، على الرغم من تسلل الأضواء الزرقاء الوامضة من خلال النوافذ المسدودة بألواح الخشب، أنَّ الدنيا لا تزال ظلاماً دامساً.

تكلّم بسرعة في مذياع اللاسلكي، "بدأ العمل. فلينتقل الجميع إلى الرؤية الليلية".

مدّ يده عالياً إلى الوحدة الملفوفة حول رأسه الحليق قصيراً جداً وانتقل إلى وضعية الرؤية الليلية على عينه اليسرى.

بعد لحظات سمع أول فرقعة صادرة عن مسدس يتردد صداها في أرجاء الأروقة الخالية.

التفتَ إلى الرجل الراكع على الدَرَج إلى جواره. "هل أنت مستعد للقتال، يا شاؤول؟"

أوما الجندي برأسه إيجاباً، بل ونجح في رسم ابتسامة واسعة متوترة. "مستعد، سيدي".

رفع الرجال آخر كيس من المعدات وأُغلقوا الباب المؤدي إلى القفص السلكي.

قال كريمر "استعدوا".

نظر مرة أخيرة إلى شاشة الحاسوب الصغيرة المتوهجة. قال "حسن إذن"، وهو يُصالب إصبعيه من خلف ظهره. ثم التفت إلى ماكس وستيفان. "الآن سوف نرى إنْ كانت هذه الآلة القديمة تعمل حقاً".

نقرَ على أيقونة موجودة على الشاشة عنوانها: نظِّف.

في الحال تناثر الشرر من القفص السلكي، منهمراً على المعدات داخله.

انتاب القلق كريمر برهة من أنْ ينبعث الدخان من أكياس القنب وتشتعل، وتسبب انفجار الذخيرة داخلها.

لكنَّ مشهد الفرقعات لم يدُم طويلاً. ومع خمود آخر جذوة متوهجة، أدرك أنَّ القفص أصبح خالياً. نظر إلى رجليه، جاحظ العينين ويتسم ابتسامة عريضة كالبلهاء. ثم ضحك.

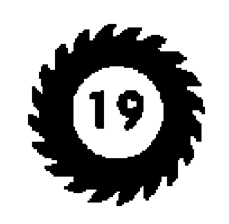
"وها هي تعمل".

امرهما، من دون أنْ يُبدّد أي وقت في تذوّق لحظة الانتصار، بملء القفص من جديد وهو يُعدُّ برنامج الإرسال من جديد على الحاسوب.

في خلفية دماغ كريمر - على الرغم من أنه أدرك أنّ ذلك ليس الوقت المناسب للجهر بالأمر - كانت تدور التساؤلات الآتية: بأيّ حالة تصل تلك الأغراض إلى وجهتها؟ أهي سليمة؟ أم مُهشّمة؟ كان في وسعه أنْ يتخيّل نفسه بسهولة شديدة وقد وصل إلى الماضي ويعيش حياة طويلة بحيث يرى جسمه وقد انكمشَ إلى ركام متبخّر من الأعضاء الحيوية المقلوبة إلى الخارج.

لعقَ شفتيه بقلق.

لا أظنك ستجبُن الآن، يا بول، أليس كذلك؟



2066، نيويورك

أصغى كارل إلى الأخبار المتبادلة بين رجاله عبر المذياع. ومن الاندفاع السريع للحديث المتبادل المشوّه، بدا كأنهم ينجحون في إسكات الرد بالأسلحة من فرق الشرطة. كان الفريقان على الجانبَين قد استردا على الأقلّ عدداً من القتلى في ما بينهما. كان رجال الشرطة في الخارج قلقين من عمليات التبادل السريعة التي كان يُسمع عنها عبر سماعة الأذن.

لكنّ اثنين من رجاله ماتا حتى ذلك الحين.

لقد مات رودي باكراً. أُصيب بعدد من الطلقات في صدره. وأُصيب أدن بطلقة في رأسه: مات قبل أنْ يسقط أرضاً.

كان رجاله ينجحون في كسب الوقت، لكنهم لم يكونوا يحتملون فقدان عدد كبير منهم، بل لم يكونوا يتحملون فقدان أي شخص، إذا أردنا قول الحقيقة. إنّ عددهم محدود. اربعة وعشرون رجلاً... لا يمكن اعتبارهم جيشاً حقاً، وغير كافين لغزو التاريخ.

نقر على المايكروفون. "فلتتراجع الوحدات كلها إلى درج القبو. فوراً. أبقوا رؤوسكم منحنية. لا أريد مزيداً من الضحايا".

هتف أحدهم مُجيباً "إننا نبذل أقصى جهدنا اللعين، يا كارل". تعرّف إلى بيتر من صوته. ضحك أحد الرجال الآخرين عبر البث اللاسلكي.

ازدادت كثافة تبادل إطلاق النار فترة قصيرة عندما تخلى الفريقان عن

وقف إطلاق النار قبل أنْ يقوموا على عجل بالتخلي عن مواقعهم والتراجع إلى الرواق الرئيس.

التفتَ كارل إلى شاؤول. "مستعد؟ سوف يحتاجون جميعاً إلى غطاء من إطلاق النار".

راقبَ كريمر الفوج الرابع من المعدات في القفص يتلاشى وسط رذاذ من الشرر. وصلّى لله كي ينتهي الأمر بمعداته التي لا تُقدَّر بثمن وبرجاله إلى الوصول إلى البقعة نفسها، لا مُبعثرين في أرجاء التاريخ.

تلفّتَ حوله. لقد عبر معظم العتاد إلى الجانب الآخر.

قال "والآن، سوف نبدأ بإرسال البشر".

أخرجَ ماكس سترة التمويه الخاصة بالمنطقة القطبية من حقيبة ظهره. "أنا سأذهب أولاً، يا سيدي".

"أنت رجل مقدام، يا ماكس".

ثبّتَ السترة بالسحّاب، وخلع بندقية النبض. وقدّمَ لكريمر تحيّة نشطة، سريعة، قبل أنْ يخطو بثقة إلى داخل القفص.

"أنت مستعد؟"

"نعم، يا سيدي. أنا مستعد لتغيير مجرى التاريخ، يا سيدي".

أومأ كريمر براسه. "لتغييره إلى ما كان ينبغي أنْ يكون عليه".

"هذا صحيح، يا سيدي".

حيّا كريمر الرجل. شعر بالحرج وهو يفعل ذلك، لأنه لم يكن يوماً من النمط العسكري، ولكنْ بدا أنّ ذلك هو التصرّف الصائب. "أراك على الجانب الآخر مع الآخرين، يا ماكس".

"وأنا أيضاً، يا سيدي".

ضغط كريمر على أيقونة "نظِّف".

هرعت آخر دفعة من رجال جناح كارل باتجاه مكان وقوفه مع شاؤول

عند ممر الباب المؤدي إلى الدَرج.

بعد ذلك بقليل تدحرج عدد من أنابيب الغاز محدثاً جلبة على أرضية الرواق الرخامية المغبرة، وفي الحال بدأت تنفث سُحُباً من الدخان اللاذع.

مرَّ رجال كارل من أمامه بصعوبة، يلهثون من العدو السريع.

قال أحدهم "إنهم كُثُر. المكان يعجّ بهم!"

صرخ كارل "اهبطو الدرج! وأعدّوا موقع الدفاع تحت عند مدخل القبوا أسرعوا! أسرعوا!"

أخذ الرجال يهرولون هابطين إلى الطابق السفلي، وأحذيتهم الثقيلة وأكياس معداتهم تحدث جلبة قوية.

سدَّد كارل ماسورة بندقيته الآلية نحو الأسفل، ونظارته للرؤية الليلية لا تفيده وسط الدخان المتصاعد. أطلق عدداً كبيراً من الطلقات خلاله، آملاً أنْ يُجبرهم على حماية رؤوسهم أكثر من إصابة هدف.

كانت منطقة إصابة الهدف واسعة جداً هنا بحيث يعجز شخصان عن الصمود فيها. والأفضل لهما أنْ ينسحبا مع الآخرين ويصمدوا عند أسفل الدرج. وسوف يُضطر رجال الشرطة إلى التجمُّع في أعلاه. إنها منطقة أفضل لإحراز إصابة.

"أسرع، شاؤول، أسرع!"

"سيدي؟"

"إلى القبو. أسرع!"

لحق شاؤول بالرجال الآخرين إلى أسفل، وتركه وحده عند ممر الباب.

نزع كارل ثلاث قنابل يدوية ذاتية الانفجار ضد الأفراد من حزامه ووقّت زمن الانفجار بينهما بدقيقة واحدة. رمى الأولى إلى الرواق، وأسقطَ الثانية عند أعلى الدرج ثم استدار ليندفع هابطاً أول مطلعَين من الدرج، وهناك وضع القنبلة الثالثة.

هرع يهبط المطلع الثالث من الدرج إلى الأسفل.

هتف في الضوء الخافت في أثناء هبوطه، "أوقفوا إطلاق النار! إنه أنا!

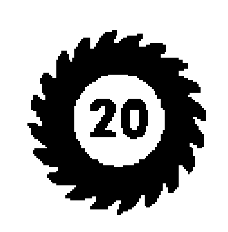
كارل!... أوقفوا إطلاق النار!" تردد صدى صوته على الجدران الكتومة.
كان رجاله ينتظرون. ثمانية عشر رجلاً محشورون خلف ركام العلب والصناديق الخشبية التي وُضِعَتْ على عجل عبر ممر الباب المفتوح المؤدي إلى قبو التخزين الشاسع للمتحف.
قال، وهو يصفع كتف أقرب رجل ويرتقي الدرج لينضم إليهم، "إنجاز رائع. هناك قنابل يدوية ستنفجر على مدى الدقائق الثلاث الآتية، وهذا سيؤخرهم".
نظر حوله إلى رجاله. "كم رجلاً فقدتم؟"
قال شاؤول "اثنين آخرين. ديكستر وشوارتز".
توتّر وجهه.
خبر سيّئ.
سأل احد رجاله، وهو يومئ إلى رجال أمن المتحف المجتمعين معاً على بُعد بضع ياردات بجوار كمية أخرى من صناديق الخشب والعلب.
سأل "هل نقتلهم؟"
عضّ كارل على شفته مفكّراً برهة. إنهم لم يُمثّلوا تهديداً. إنهم عجائز، خائفون. سيجعلهم يصعدون إلى الطابق العلوي، ولكن سيُقتلون حالما يخرجون من الرواق الرئيس.
"حسن، جوزيف، أخبرهم بأنَّ عليهم أنْ يجدوا زاوية أكثر هدوءاً يختبئوا فيها. انتظر حتى يتوقف إطلاق النار".
"حسن".
"أوه، وأخبرهم أنْ يحرصوا على أنْ يُخاطبوا الشرطة أولاً قبل أن يُظهروا أنفسهم. سوف يكونون متوترين وأيديهم على الزناد".
ابتسم جوزيف وأومأ برأسه إيجاباً. كان جلياً أنه يتقاسم الرأي نفسه بشأن البُلهاء في الطابق العلوي.
هواة. أحذية كبيرة، ومسدسات كبيرة وبلا عقول.
القنبلة الأولى انفجرت بصوت مكتوم.

وضع كارل يده على سماعة أذنه وأوما برأسه. ثم التفت إلى رجاله، وقال "روس، بيتر، ستيفان، جوزيف، اخفضوا رؤوسكم"، مشيراً باتجاه الممر الضيق بين صفين عاليين من رفوف التخزين إلى يسارهم. "كريمر في الأسفل. وآلة الزمن تعمل الآن وتُعيدنا إلى الماضي واحداً إثر آخر. الدفعة الأولى هي أنتم الأربعة".

أوما الرجال برؤوسهم راضخين وتوجهوا إلى الممر.

القنبلة الثانية انفجرت في أعلى الدرج، بضجيج أعلى. وتناثر الحطام والبقايا على طول الدرج.

قال في نفسه، تمّ الأمر يا كارل. آخر المواقع الصامدة.



2066، نيويورك

أرسل كريمر الرجل عبر الزمن ثم أعاد ترتيب الاحداثيات من أجل التالي، بينما ضجيج إطلاق النار يتردد صداه في الممر يتناهى من الدرج البعيد. كان قد نسي أنْ يُحصي عدد الذين ارسلهم، لعلهم اثنا عشر، أو أربعة عشر.

كان كارل قد اتصل عبر الراديو قبل ذلك ببضع دقائق: لم يبقَ منهم غير خمسة رجال يُحافظون على الموقع في أدنى الدرج. سقط رجل آخر، شاؤول. أصيبَ بجراح بالغة.

يبدو أنْ الأمور تزداد صعوبة.

نقر على المايكروفون. "كارل، يجب أنْ تأتي في الحال!"

ردَّ صوت هاس الأجش عبر الراديو. "يجب أنْ يبقى أحد هنا ليوقف تقدّمهم، يا سيدي. إذا استدرنا جميعاً وفررنا، فسوف ينقضّون علينا في ثوان".

راح كريمر يسبّ. كارل على حق. يجب أنْ يتخلّفَ أحد ليوفر ما يكفي من الوقت لآخر اثنين أو ثلاثة لإرسالهم عبر الزمن ولكريمر كي يُدمِّر الآلة لكي لا يُلاحقوا. لقد فقدوا حتى ذلك الحين خمسة رجال أشدّاء، ولا يريد أنْ يُضطر إلى ترك واحد أو اثنين خلفه لكي يصدّوهم.

همس "اللعنة".

لو أنه استطاع أنْ يعثر على الآلة في وقت أسبق، ويُجمّع أجزاءها بوتيرة

أسرع... أو لو أنّه أخّر الشرطة وقتاً أطول لينظموا صفوفهم قبل أنْ يهجموا على المتحف لتمكنوا جميعاً من العبور إلى الماضي من دون سفك دماء، ومن دون وقوع أيّ ضحايا.

قال شاؤول بصوت متحشرج "سوف أصدّهم".

نظر كارل إليه. كان الجزء الأمامي من سترة التمويه البيضاء الخاصة بالمنطقة القطبية قد أضحى بأكمله تقريباً أسود اللون من دمه. لقد أصابته عدة طلقات أطلقت عشوائياً من أعلى الدرج، استقرّت في صدره وطرحته أرضاً. كان الفتى ينزف كتلاً سميكة من الدم مع كل نفَس يأخذه بجهد. كانت إحدى الرئتين أو الاثنتين معاً قد أصيبتا.

لم يكن كارل في حاجة إلى طبيب لكي يُخبره بأنّ ما بقي من حياة هذا الشاب يُحسَب بالدقائق، بل ربما حتى بالثواني.

"شاؤول، أنا..."

"يجب أنْ تذهب، يا سيدي"، وأجبر نفسه على رسم ابتسامة مرهقة، "يجب أنْ تذهب... غيِّر هذا العالم إلى الأفضل. كما يراه كريمر".

أومأ كارل برأسه موافقاً. "سنفعل، يا شاؤول".

"يستحسن أنْ تفعلوا"، وشهق، وانبثق دفق متعرج سميك من الدم المتخثّر من جانب فمه. همس "اذهب... الآن. سأوفر لك الوقت... قدر... استطاعتي".

أومأ كارل برأسه. كان شاؤول يحتضر بسرعة.

نظر إلى مَنْ بقي من رجال، وأومأ إليهم بيد متمرسة بإشارة لكي يكفوا عن إطلاق النار ويتراجعوا للانضمام إلى كريمر. وبينما هم يفعلون ذلك، أفرغ كارل "مشطاً" كاملاً من الذخيرة على الدرج. تطاير الشرر وتناثرت قطع من الأسمنت متراقصة وسط سحب الغبار. تراجع رجال الشرطة المسلحون، في أثناء استعدادهم لاقتحام آخر مطلع للدرج، وخفضوا رؤوسهم احتماءً من إطلاق النار الكثيف.

بعد أنْ فرغ "المشط"، ألقى نظرة سريعة إلى شاوول وشدَّ على كتفه.
"مَنْ يدري، قد تتقابل في زمن آخر".
رسم شاوول ابتسامة عريضة، وباشر إطلاق النار على مطلع الدرج على دفعات قصيرة مُقتصِدة، تتيح له المحافظة على ذخيرته، أملاً في أنْ يوفر لزملائه الوقت الثمين الذي يحتاجون إليه.
استدار كارل ولحق برجاله، سامعاً وقع خطاهم الثقيلة أمامه.

أعدَّ كريمر إحداثيات الآلة من جديد. كان آخر رجاله قد عبر، والآن أخذ ينتظر هاس وكائناً مَنْ كان معه.
سمع وقع خُطى يقترب، وعلى البُعد، سمع إطلاق نار متقطِّع.
نادى "أسرعوا!"
برز رجلان من قلب الظلام. رونان وسيجي.
قال "بسرعة!"، وهو يقود أوّلهما إلى داخل القفص السلكي. "أين كارل؟"
"إنه خلفنا مباشرة، يا سيدي".
"حسن... عظيم".
شغَّل الآلة، وتطاير الشرر وخفق الظلام بالحياة بضوء متقطِّع واختفى رونان. خطا سيجي إلى الداخل وهو يسمع وقع خُطى كارل الثقيلة تقترب.
أسرع كريمر بإعداد الآلة وتشغيلها.
فجأةً توقف إطلاق النار في الممر.
اللعنة... لقد دخلوا!
ظهر كارل، وهتف "إنهم قادمون!"
قال، وهو يحافظ على باب القفص السلكي مفتوحاً، "أعلم، أعلم. أسرع وادخل".
اقترب كارل ونظر إليه. "مَنْ سيرسلك أنت؟"
"لا عليك، سأتدبر أمري، يا كارل".

تردّد. "لا أحد يجب أنْ يتخلّف. إنها كلماتك، أتذكُر؟"

ابتسم له كريمر. "لا أحد سيتخلّف، أعِدك. سأكون خلفك مباشرة، يا صديقي".

أغلق كريمر الباب عليه. "أراك هناك، يا كارل".

أجاب مع تقديم التحية. "حاضر، سيدي. ساضع الرجال في حالة استعداد للتقدم".

أوما كريمر برأسه. "عظيم.. أراك بعد دقيقة"، وشغّل الآلة.

ومن جديد أضيئت منطقة قبو التخزين المُظلمة، وبرزت التضاريس الخشبية للصناديق المُكدَّسة.

وخلال برهة عابرة من الزمن، بينما تناثر الشرر على الأرض، تبيّنَ له أنَّ محتوى بعض الصناديق الخشبية والعلب هنا في القبو المُغبر سوف يتغيُّر. فالتاريخ، التاريخ القريب... آخر مئة عام على وجه التحديد، سوف تُعاد كتابتها جذرياً.

لا بأس بهذا على الإطلاق. إنَّ التاريخ كما هو قاد البشرية هنا إلى هذا العالم المظلم، والمسموم، والمزدحم، والمرهَق.

لا بأس بهذا على الإطلاق.

سمع من خلف ضجيج المولّد المحمول وقع خُطى أحذية الحرب المكبوت على الأرض الأسمنتية القاسية يتردد صداه على طول الممر بسرعة وأصوات تهتف. كان رجال الشرطة يلجون المكان، وبسرعة. واستطاع أنْ يرى أشعة مشاعلهم المترنحة تتراقص من جانب إلى آخر عن بُعد.

ركع بجوار الحاسوب المحمول وأدخل الإحداثيات مرة أخيرة. أخذَ نَفَساً عميقاً، ووقّت مقدار خمس ثوان تأخيراً على قائمة الأوامر، ثم ضغط زر التنظيف.

وبسرعة ولج القفص، وأخرج قنبلة يدوية من حقيبته، وسحب المسمار ووضعها على الأرض خارج القفص. أغلق الباب وأغمضَ عينيه... آملاً أنْ تُنهي الآلة عملية إرساله إلى الماضي قبل انفجار القنبلة.

هيا!

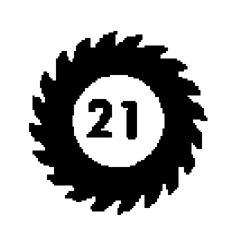
فتح عينيه قليلاً وأجفل أمام رذاذ من الشرر المُبهِر المُفاجئ المنهمر حوله. ومن خلال أسلاك القفص ظنَّ انه رأى اقتراب أشكال لعدد من رجال الشرطة المُسلّحين وهم يركعون ويرفعون بنادقهم لكي يُطلقوا النار عليه.

هيا!... هيا!... هيا!...

سوف يكون أقسى تغيير في مجرى القدَر إذا ما أصابته إحدى طلقاتهم قبل أنْ يُغادر هذا العالم إلى الأبد بمقدار جزء من الثانية.

أحكمَ كريمر إغماض عينيه، متوقعاً في أيّ لحظة أنْ يفرّ من تأثير عدة طلقات رصاص قاتلة عالية السرعة وكبيرة الحجم أو أنْ تنسفه القنبلة اليدوية التي وضعها على الأرض خارج القفص مباشرة إلى قطع صغيرة.

ثم شعر به... إحساس أشبه بالهبوط، وكأنَّ أرض القفص تحت قدميه انهارت فجأة كالباب الخفيّ في سقالة المشنقة.



2001، نيويورك

قالت سال، وهي تُدقق النظر في الشكل الذي سقط من الأنبوب بصورة تثير الشفقة، "أومممم... ذلك الشيء الهجين".

تأملت مادي المخلوق بشيء يقترب من عطف الأم. "هل أنت متأكد من أنّ المقصود هو أنْ يكون كذلك؟"

قال فوستر "لا عليك، إنّ الحاسوب محمَّل أصلاً ببرنامج أساسي عن الذكاء الاصطناعي: شيفرة تعلّمه التكيُّف. سوف يتعلَّم أشياء بسرعة كافية، سوف ترون. أهمّ شيء الآن هو أنه يبرمجكم في عقله. خاصة أنتَ، يا ليام".

تجهّم. "ماذا تعني بالبرمجة؟"

"فكر في الأمر قليلاً كأنه صوص يفقسُ من بيضة ويقرِّر عندما يرى أول شيء أنه أمّه. ولكي نضمن أنَّ شيفرة التعلُّم تعمل بكفاءة أكبر، فلنربطها بك أنت يا ليام. هيا... قُل مرحباً".

نظر ليام إلى فوستر بارتياب.

"هيا، الأمر آمن تماماً".

التفتَ لينظر إلى الشكل الضخم الملفوف بالعضلات مُلقى على الأرض، وتخيَّل أنّ في استطاعة ذلك الشيء أنْ يخلع ذراعيه بسهولة تامة عن مفصليهما وأنْ يضربه بهما على رأسه إذا قرّر أنّ ذلك عمل ممتع.

خطا ليام بحذر عدة خطوات إلى الأمام، مُكشّراً من الألم عندما انزلق

حذاؤه على القذارة ذات الرائحة الكريهة وهي تجفّ على الأرض. ركعَ بجوار العملاق وراح يُدقّقُ فيه النظر عن قُرب.

أخذ الشيء يُغرغر بصوت عميق كأنه يُدمدم نابعاً من صدره "غلاف... بغ... در؟!" كان المخلوق مجرّداً تماماً من الشَعر، جسده الملفوف بالعضلات كان خالياً حتى من شعرة واحدة، وبشرته شاحبة، تكاد تكون بيضاء بلون الحليب. نفع ليام المخلوق المثير للشفقة ابتسامة ودودة.

"مرحباً".

حاكاه المخلوق "مر... با".

قال، يُشير إلى نفسه، "أنا... ليام".

ردّد وهو ينهض ليقف على قدميه "ليييي... امم"، ومدَّ كلتا يديه الكبيرتين بفضول نحو وجه ليام. ابتلع لعابه بعصبية بينما بدا الشيء الكبيرتان تتشكلان لتضما وجهه.

سوف يُحطّم هذا الشيء رأسي كأنه بطيخة ناضجة.

أخذ يلمس وجنتي ليام بفضول بيديه اللتين ما زالتا رطبتين من السائل اللزج. "ليـ... امم".

صحّح له "ليام".

"ليـ... امم".

"وما اسمك أنت..." التفت ليام نحو فوستر. "هل له اسم؟"

هزّ فوستر كتفيه نفياً. "تستطيع أنْ تتخذ قرارك بشأن الاسم الذي ترغب في إعطائه إياه. ولكن حاول ألا تفكر في اسم ينمّ عن غباء شديد. فالاسم شيء دائم".

التفتت مادي إلى الرجل العجوز. "فوستر، أليس، ربما، أول ما ينبغي أنْ نفعل هو أنْ نعطيه شيئاً يرتديه؟ أعني... إنْ سال لم تتجاوز الثالثة عشرة، وأنا... يعني، أنا فقط لا أرغب في النظر إلى ذلك الآن".

قالت مادي "كلا، أنا آسفة... إنْ باتريك اسم بليد تماماً". رشفت من قهوتها

وهي تمعن النظر إلى الشكل المُدجّج بالعضلات، بينما كان فوستر يضع اللمسات الأخيرة على الملابس التي ألبسه إياها. "كان هناك صبي أحمق في الرسوم المتحركة يُدعى سبونجبوب سكويربانتس وكان يملك نجم بحر أبله اسمه باتريك".

هزّ ليام كتفيه استخفافاً. "كان لي قريب ملاكم ضخم الجثة اسمه باتريك. إنّ الاسم يناسبه تماماً".

ابتسمت مادي. "أنا لديّ الاسم المُطابق تماماً له".

نظروا إليها مترقّبين واتّسعت ابتسامتها. "ارنولد! ما رأيكم؟ تيمناً باسم ممثل أفلام " ترمينيتر"؟

بدا التشوُّش على ليام.

أردفت تهتف "آرني... أرنولد شوارتزنيغر!"

بدت الدهشة على سال. "أتقصدين شوارزنيغر؟ الرئيس رقم 45 للولايات المتحدة؟"

فغرت مادي فمها في وجهها. "أنت تمزحين. رئيس جمهورية؟"

تابعت سال قائلة "طبعاً! أنا أتذكر الآن. لقد درسناه في التاريخ الأميركي؛ لقد عدّلوا في دستورهم لكي يسمحوا له بالترشّح لرئاسة الجمهورية. هو مولود في مكان ما في أوروبا، أليس كذلك؟"

أومأتْ مادي برأسها إيجاباً.

"لقد بدأ حياته الفنية بالقيام بدور إنسان آليّ ذات مرة في فيلم من الخيال العلمي، أليس كذلك؟ ماذا كان اسم الفيلم؟"

راحت مادي تدير عينيها في محجريهما متذكرة "أظن... ترمينيتر؟"

قالت سال "أوه... نعم، هذا هو":

"أنا أحب سلسلة أفلام ترمينيتر. كانت ممتعة"، اخذت مادي تتأمل جسمه العملاق وتهز رأسها مُستحسنة اقتراحها. كان "آرني" هو الاسم المثالي.

همّ ليام بأنْ يسألهما عمّا تتحدثان – عن ترمينيتر؟ صور متحركة؟ خيال

علمي، سبونج-بوبس؟ وكأنَّ الفتاتين كانتا تتحدثان بالمنغولية.

تابعت مادي "كان هناك ذلك المشهد في فيلم ترمينيتر- الجزء الثاني، عندما يقدّم البطل، وهو ولد صغير اسمه جون كونر، الإنسان الآلي ترمينيتر إلى شخص آخر بوصفه ابن عمه بوب".

قاطعها ليام "العم بوب؟ بوب. هذا اسم جيد. لطيف وبسيط".

هزت رأسها مفكرة. "نعم... إنَّ شكله يليق به اسم بوب".

حدَّقت مادي إليهما "ألا تريدان أنْ تسمياه أرني؟"

هزّا رأسيهما نفياً.

قال ليام "يبدو اسماً سخيفاً".

تراخت كتفا مادي. "حسن، إذن، فليكن بوب. لطيف وبسيط. على الأقلِّ سوف يكون سهلاً على البلهاء، الذين هناك، أنْ ينطقوا به.

نظر ليام إلى فوستر وإلى المُستنسَخ الضخم. كان المُستنسَخ الآن يرتدي بزّة عمل زرقاء، ومُجعدة، وقاده فوستر من يده، كطفل، لكي ينضم إلى الآخرين الجالسين حول الطاولة.

أجلسه فوستر إلى جوار ليام. اخذت نوابض الأريكة المُرهقة تصرّ تحت وزر ثقله الهائل. "كان ينبغي أنْ يكون برنامج الكلام الأساسي قد رُكِّب تركيباً كاملاً الآن. حاول أن تتحدّث إليه".

نظر ليام إلى المُستنسَخ الهائل، الضخم، الجالس إلى جواره.

"ا... مرحباً من جديد".

أومأ الشيء برأسه وأجاب ببطء بصوت عميق هدرَ في أرجاء الرواق المقنطر بضجيج يُشبه ضجيج القطارات التي تدمدم عادة فوقهم عبر الجسر.

"مر... حباً، ليام".

مال فوستر إلى الأمام وتكلّمَ ببطء. "اسمه الكامل ليام أوكنر. دعني أُعرّفك إلى الاثنين الآخرَين. هذه مادلين كارتر، وهذه ساليتا فيكرام. لكنها تفضّل اسم سال".

"مر... حباً مادلين، مر... حباً سال".

قال ليام، مُشيراً بإصبعه إليه، "وأنت، سنسمّيك بوب".
فكّر وجهه الخالي من الانفعال برهة في صمت. وأخيراً، وبإيماء صادق من رأسه، أعلنَ لهم بجديّة، "أنا... بوب".
ابتسم فوستر مُشجّعاً. "ممتاز! إنّ الاسم مُسجّل في ذاكرته. هذا كل ما تفعله المقدمات".
"إذن، ماذا سيحدث بعد ذلك، مستر فوستر؟"
"سوف تمضون ليلة راحة هانئة. لقد كان يوماً طويلاً عليكم جميعاً. وغداً سيكون لدينا عمل كثير".
سألت سال "وماذا سنفعل؟"
"سنتدرّب، طبعاً".

22

2001، نيويورك

الاثنين 2 (أعتقد)

عثرت على دفتر التمارين هذا في القنطرة. الصفحات الأمامية كلها منزوعة، لذلك أعتقد أنَّ أحدهم من الفريق السابق كان يستخدمه قبلي. سوف أستخدمه كمفكرة. لعلهم هكذا كانوا يستخدمونه أيضاً، مَنْ يدري؟

إذن، فالأمر غريب. كالحلم. كفيلم سينمائي غريب. لا وجود لمدارس، ولا لشوارع تعجّ بعربات انتقال يجرها شخص واحد وضبخَنْ[1] ضباي. ولا حاجة إلى وضع أقنعة مُضادة للاختناق عندما تخرج من بيتك.

لا وجود لماما ولا لبابا.

يا إلهي. الأمر شديد الغرابة.

بدا أنَّ الاثنين الآخرين يتآلفان مع هذا الجو الغريب أفضل مني. مادي وليام. أعتقد أني أحبهما. مادي في الثامنة عشرة. إنها شديدة الذكاء فيما يتّصل بالأشياء التقنية. لقد أخبرتني أنها كانت تعمل مُبرمجة حواسيب. أما هوايتها، كما قالت، فهي "اختراق" المواقع. لكنها هواية غريبة. إنها بصورة ما

1 الضبخن: مزيج من الدخان والضباب. (المترجم)

تنتمي إلى عصر والديّ... بل إنها تحب نوعية الموسيقى القديمة نفسها التي تعجبهما. ومع ذلك فهي لا تكبرني إلا بسنوات قليلة.

إنَّ هذا لأمر غريب.

وليام؟ ما أشدّ غرابة أطواره. هو في السادسة عشرة... أو عمره 105 أعوام عندما تعلم أنه وُلِدَ في عام 1896. إنَّ هذا يجعل منه رجلاً عجوزاً جداً، جداً! لكنه لا يزال ظريفاً. يُعجبني أنه ينتمي إلى زمن عتيق الطراز، عندما كان الناس يرتدون ملابسهم بأناقة شديدة فيها أزرار كثيرة، ويقولون "كيف حالك؟"

ينتابني شعور غريب جداً. إنني أشتاق إلى والديّ. أشتاق إلى شقّتنا العالية. أشتاق إلى قمم ناطحات السحاب التي تنهض فوق ضجيج الشوارع. بل أشتاق إلى مشاهدة عرض إليكترا-بوليوود مع الماما(على الرغم من أنَّ الغناء والرقص التقليديين مُحرجين جداً).

لكني فرحة نوعاً ما أيضاً. فأنا هنا في نيويورك! في العصر السابق لخراب كل شيء. قبل حدوث الاحتباس الحراري، واختناق المدن بالسكان، وتخصيص الطعام، وقنابل الرعب في الشمال، وشحّ الوقود، وكل هذه الأشياء البشعة.

ومن الغريب جداً أنْ أدرك أنَّ والدي في الهند الآن هو في مثل سني، صبي في الرابعة عشرة يعيش في ممباي، وأنَّ أمي في الثانية عشرة وتعيش في دلهي... وأنهما لن يتقابلا في الواقع إلا بعد مرور عشر سنوات أخرى!

لكني أشتاق إليهما. وأحياناً، عندما لا يكون الآخرون معي، أبكي. لكني لا أسمح لهم برؤية ذلك. وحتى الآن، حافظت على هدوئي.

في صباح هذا اليوم سوف يأخذني فوستر معه إلى خارج
المكتب الميداني لكي أباشر تدريبي بوصفي "مراقبة" الفريق.
إنني لا أفهم حقاً بعد ما هي مهمة "المراقب"، ولكني متيقنة
من أني سأحرز تقدّماً في القريب العاجل.

قال فوستر "حسن، يا سال، نحن في صباح يوم الاثنين، الاثنين العاشر من شهر أيلول، اليوم السابق لوقوع الكارثة". تلفّتَ حوله في ساحة تايمز، مركز نيويورك، وقلبها النابض. الساعة تجاوزت العاشرة صباحاً بقليل، والجادة الخامسة تضجّ بالحياة.

"فكّري في هذا اليوم كيوم "عاديّ" في نيويورك. هكذا ينبغي أنْ تبدو. أتفهمين؟"

أومأت سال برأسها إيجاباً.

أنت مراقبة الفريق، يا سال. ومراقبة الفريق هي أشبه بأنف الكلب. عليها أنْ تتقصّى أول بوادر اي تغير حقيقي في الجدول الزمني".

"لأنَّ أحدهم ذهب وغيّرَ شيئاً في الماضي؟"

"هذا صحيح".

أشارت بيدها إلى ما حولها في ساحة تايمز التي تضجّ بالحركة والناس مع حركة مرور الصباح الباكر. "ولكن كيف سأعرف إذا حدث أي اختلاف هنا؟"

أوما برأسه موافقاً، ثم راح يداعب ذقنه مفكراً. "ربما يجب أنْ أشرح لك لماذا جنّدناك أنت بالذات. ما يميّزك. لعل ذلك يساعد في شرح الأمور".

هزّت كتفيها استخفافاً. ربما. لم يكن هناك شيء معيّن يمكن أنْ تعتبره تميّزاً فيها. فهي تفضّل الملابس ذات اللون الأسود على الحرير الاصطناعي ذي لون النيون البراق الذي تفضّله فتيات الموضة الأخريات. وتفضّل موسيقى الروك السوداوية على إيقاع هوب الشوارع الصاخبة. وتفضّل أصحابها الخاصين ولغز الكتب الإلكترونية على التسكع في زوايا كئيبة مع رهط من الحمقى الذين يختنقون تحت أقنعتهم بسُمّ الشوارع.

"إنّ سجلاتنا المؤرشفة لعام 2026 تشير إلى أنكِ المرشحة المثالية للتجنيد لسبين، يا سال. أولاً، أننا كنا نعلم عِلم اليقين متى ستموتين وكيف، ما مكّننا من تحديد مكانك وجلبك".

أومأت سال برأسها موافقة. لقد فهمت الأمر الآن.

"ولكن ثانياً كنتِ بطلة البيكودو لمنطقة مِماي تحت سن 12 عام".

وبيكودو هي لعبة ألغاز أساسها الصورة. وتتضمن تحديد أشكال مُكررة داخل شبكة مُصمّمة ببراعة من الصور العشوائية.

أومأت سال برأسها إيجاباً. لقد كانت بطلة، بصورة ما... إلى أنْ نالها الضجر. كانت بدعة، جنوناً مستورداً من اليابان. وعلى مدى خمسة أعوام بدا كأنَّ كل شخص ينهمك في لعب التدرُّب على البيكودو عبر الإنترنت، على متن القطار، في الحمّام... وفي المرحاض.

"وهذا يعني، يا سال، أننا علِمنا أنكِ المراقبة المثالية. إنّ مقدرتك على رصد التفاصيل الدقيقة بسرعة - على ملاحظة الأشياء التي يعجز الآخرون بسهولة عن رؤيتها، على تمييز الأشكال داخل العماء - هذا ما يجعل منك المرشّحة المثالية".

تحركت يده مشيرة إلى الساحة التي تعجّ بالنشاط.

"سوف تشهدين هذا المشهد الصباحي مراراً وتكراراً. سوف يبقى على حاله وسوف تألفين معه. سوف تعلمين أنّه..." - وألقى فوستر نظرة سريعة إلى ساعة يده، ثم أشار عبر الساحة إلى أمّ شابة توقفت عن جرّ عربة طفلها لكي تلتقط دمية رقيقة كان وليدها قد رماها- "عند تمام الساعة العاشرة وأربع عشرة دقيقة صباحاً سوف تُضطر تلك المرأة الشابة التي ترتدي الجينز هناك إلى التوقف على معبر المشاة لتستعيد دمية دب لوليدها".

تلفّت فوستر حوله.

"وأنَّ ذينك الرجلين العجوزين اللذين يرتديان بزّات أنيقة سوف يتوقفان خارج محل ماكدونالد ويُشعل كل منهما سيجارة".

تجهّمت سال. "شيء مُقرف. أهذا سلوك قانونيّ؟"

"تعنين التدخين؟"

أومأت برأسها إيجاباً، وهي تحدق بعينين واسعتين من فرط الذهول إلى الرجلين وهما يستنشقان الدخان ثم ينفثانه على هيئة سحب من الدخان الأزرق.

ضحك فوستر برفق. "نعم، يا سال. ما زال كذلك"، وأشار إلى لوحة إعلانات عملاقة تعلو واجهة إحدى البنايات. "سوف تعلمين في هذا اليوم المحدد أنهم يعرضون فيلم "شريك""، ثم أشار إلى لوحة إعلانات أخرى. "وأنَّ فيلم "كوكب القرود" سوف يُفتَتح قريباً". ثم آخر. "وأنَّ قمصان تومي هيلفيغر هي الأكثر رواجاً".

لَوَتْ شفتيها اشمئزازاً وأدركتْ أنَّ أناس عام 2001 يُحبون حقاً ملابسهم البسيطة.

استدار لينظر إليها. قال بهدوء، وهو مُغمض العينين عن عمد في وجهها، "سوف تُسجِّل عيناك هذه التفاصيل الدقيقة كلها، وسوف يتذكَّرها عقلك. ومن ثم، ذات يوم قريب، سوف تعرفين على الفور متى يحدث شيء مختلف".

"تقصد تغيُّراً مُفاجئاً؟"

تغضَّن وجهه بابتسامة استحسان. "بالضبط، يا سال، تغيُّراً مفاجئاً. أول بادرة تدل على تغيُّر شيء في الماضي".

تلفَّتت حولها وأدركتْ أنَّ الأمر يُشبه قليلاً، بصورة ما، لعبة سيكودو على نطاق واسع جداً.

"سوف تلاحظين ذلك قبل أي فرد من الآخرين، لأنَّه، في الواقع.... هذه هي موهبتك الخاصة، يا سال".

"لأنني وصلت ذات يوم إلى نهائيات منافسة قديمة جداً في لعبة الألغاز؟"

ضحك فوستر وقال "نعم، لأنكِ وصلتِ ذات يوم إلى نهائيات منافسة قديمة جداً في لعبة الألغاز. ولأنكِ في كل يوم اثنين سوف تغادرين القنطرة وتجتازين جسر وليامسبيرغ من بروكلين إلى مانهاتن تحت أشعة هذه الشمس

الرائعة، وسوف تتعرّفين إلى هذا اليوم كما لا يمكن أيّ إنسان في هذا العالم أنْ يتعرّف إليه".

"هل كان للفريق الذي سبقنا مراقب؟"

تردّد فوستر برهة في الإجابة. "نعم، كان لديه واحد. كل فريق له مراقب".

"أخبرني عنه... أم هل كان امرأة؟"

تلاشت الابتسامة ببطء عن وجهه. "هي... هي لم يتوافر لديها الكثير من الوقت لتتقن وظيفتها قبل..." - تنهّد - "قبل أنْ نقبض بطريق المُصادفة على ذلك الباحث".

ألقت إليه نظرة جادّة. "هل سيكون هناك باحثون آخرون؟"

هزّ رأسه نفياً. "كلا... لأننا سنكون دائماً حذرين في المستقبل... إنه خطأ لا انوي ان ارتكبه مرة أخرى".

"ومن أين أتى؟"

تردّد برهة قبل أنْ يُجيب. "من بُعد آخر"، ثم التفتَ إليها. "من بُعد تخترقينه إذا ركبتِ الزمن".

"يبدو هذا... في الواقع، لا يبدو آمناً".

"إنه فضاء من الفوضى. إننا فقط نمرّ خلاله... لحظياً. ولن ترغبي حقاً في التوقّف هناك". شعرتُ أنَّ لديه المزيد يمكنه أنْ يُخبرها به عن الأمر، ولكن بدا حينئذٍ حريصاً على تغيير الموضوع.

ثم أشرقَ وجهه. "هيا بنا نتفرّج على مواقع أخرى من المدينة. هل قمت بزيارة متنزه سنترال بارك عندما كان والدك يصطحبكِ إلى نيويورك؟"

فكّرتُ في ذلك قليلاً. تذكرتُ منطقة شاسعة مكشوفة في وسط مانهاتن تُكدَّس فيها وسائل نقل صدئة بعضها فوق بعض: فناء ضخم لرمي السيارات القديمة.

"أهو المكان الذي تُرمى فيه كل السيارات القديمة عندما ينفد منها الوقود؟"

أومأ فوستر برأسه بحزن إيجاباً. "نعم. ولكن في عام 2001 - أعني الآن - لا يزال متنزهاً جميلاً، ينمو فيه العشب والأشجار وفيه بحيرة جميلة. هل ترغبين في مشاهدته؟"

ابتسمت وأومأت موافقة. "أرغب".



2001، نيويورك

"أنتَ تمزح، صح؟ عملي هو مُ... مُ... مُحلّلة؟"

اوما فوستر برأسه مؤكداً.

نظرتْ إليه، وحاجباها مقوّسَان من عدم التصديق. "أتريد أنْ تقول لي إنني انتُزِعتُ من طائرة تسقط وعُدتَ بي في الزمن لكي أنضمّ إلى فريق من... من شرطة الزمن، وإنّه انتهى بي الأمر إلى أنْ اقوم بالعمل الذي كنتُ أقوم به في السابق؟"

هزّ فوستر كتفيه استخفافاً. "إنه ليس بالضبط نفسه".

نظرتْ إلى صف شاشات الحواسيب على الطاولة الطويلة أمامها.

"عظيم".

"إنّ هذا الحاسوب كبير وسريع؛ نُقِلَ بعناية من المستقبل وأُعيد تركيبه بعد مشقّة على أيدي فريقنا الأول. وهذا يعني، يا مادي، ونحن الآن في نيويورك عام 2001، أنكِ تنظرين إلى أقوى نظام حاسوب في العالم أجمع. وخمّني ماذا أيضاً؟"، رسم ابتسامة عريضة، "إنه لكِ وحدكِ لتلعبي به".

مدّتْ مادي إحدى يديها وداعبت الهيكل النحيل للحاسوب على الطاولة. تقول "لي؟"

"لكِ".

"حسن... إذن ليس لديّ اعتراض".

تابع فوستر "نحن نعلم من ملفاتنا أنك عملت لمصلحة شركة متخصصة في ألعاب الحاسوب. عملتِ مُبرمجة للعبة تُمارس على الإنترنت واسعة الانتشار عبر قيام اللاعب بدور، اسمها العالم الثاني".

قالت مادي بتواضع "أعتقد أنها كانت شائعة جداً".

"كنت مُسجّلة ضمن لائحة الأسماء بوصفك تخلصين البيانات من الجراثيم".

أجابت بارتباك "إضافة إلى أشياء أخرى. فقد كنتُ أدون شيفرة مجموعة من ألعاب القتال الممتازة وأيضاً لبعض أفضل أجزاء تعامل المُستخدم مع البرامج، ولكن هل حصلت على التكريم؟ بففت. حقاً حصلت".

أومأ فوستر برأسه. "لكنّ حفظ المعلومات، والتخلّص من الجراثيم، هما اللذان يجعلانك ذات قيمة هائلة".

"لماذا؟"

"لأنه، يا مادي، يتطلّب مُخبراً، أليس كذلك؟ والعثور على تلك الشيفرة الصغيرة للحاسوب التي تُسبّب انهيار لعبة الحاسوب أو تصرّفها بطريقة عشوائية؟"

"أظن ذلك".

أومأ فوستر برأسه باتجاه سال. "سوف تعملين بتعاون وثيق مع سال".

التفتت مادي لتراها جالسة على الجانب النائي من القنطرة على طاولة خشبية مع ليام وبوب. بدا كأنّ الاثنين يُعلّمان ذلك الأبله الضخم كيف يُمسك السكين والشوكة.

"بوصفي المراقبة، سوف تكون على خط الدفاع الأول".

كان فوستر قد شرح دور سال بأنها مراقبة. لقد بدا أنه فوق طاقتها أنْ تكون عينا فتاة صغيرة أفضل من الحاسوب في التعرّف إلى أي تغيُّر مفاجئ.

"عندما تلاحظ أنّ شيئاً ما قد تغيّر، فإنّ ذلك يُعادل تفكيرك الجانبي، وعقلك المُبرمِج، مُضافاً إليه قوة هذا النظام، موصولاً بالشبكة وبعدد لا يُحصى من المعلومات التاريخية من العالم أجمع، لتحديد مكان تغيُّر التاريخ وزمانه".

هزّت مادي رأسها نفياً. "كيف سأبرع يوماً في التعرّف إلى شيء كهذا؟ لقد كنتُ بليدة في مادة التاريخ في المدرسة. ولست متأكدة من أني الشخص المناسب لـ..." - قاطعها - "سوف تكونين بارعة. لستِ في حاجة إلى أنْ تعرفي الكثير في التاريخ. أنت في حاجة فقط إلى عقل منطقي مع قليل من الحس السليم. أنا مؤمن بك، يا مادي. سوف تصبحين قائدة الفريق، واضعة استراتيجيته".

"قائدة؟ أنتَ القائد، ألست كذلك؟"

انخفضَ صوت فوستر بمقدار مرهف، وكأنه يتقاسم معها سراً لا يريد للآخرين أنْ يطّلعوا عليه. "أنا لن أبقى هنا إلى الأبد. في نهاية المطاف، سوف تقومون ثلاثتكم، إضافة إلى بوب، بالعمل كله".

"ماذا؟! وأين ستذهب أنت؟"

"أنا... هذا ليس بالأمر المهم. المهم هو أنني موجود هنا لكي أعدّكم كفريق. لكي تتمكنوا من العمل وحدكم". نظر إليها. "وفريقكِ سيتوجه إليك لتقوديه". ألقت نظرة على الآخرين، وضحكوا جميعاً عندما أخذت يدا بوب الضخمتان تعبثان بارتباك بالشوكة والسكين.

أنا، قائدة؟

كانت حتى تلك اللحظة تعتبر نفسها أقرب إلى الشخص المتوحد، يسعدها أنْ تعمل في عزلة لا يؤانس وحدتها إلا عدد من خطوط الشيفرة. يكفيها سوءاً أنْ يعتمد عليها هذان الاثنان، وذلك القرد الضخم، أما أنْ يوضع تاريخ الإنسانية برمّته بين يديها أيضاً...

هزّت رأسها نفياً. أجابت "لقد انتقيتَ الشخص الخطأ، يا فوستر. لا أستطيع أنْ أتولى هذا الأمر".

مدّ الرجل العجوز يده إلى لوحة المفاتيح والفأرة على الطاولة، متجاهلاً إياها. "دعيني أُريكِ مدى قوة نظام هذا الحاسوب. هل تعلمين أنه موصول بكل مصادر المعلومات في العالم أجمع؟ فمن لوحة المفاتيح هذه تستطيعين، إذا شئت، أنْ تخترقي أي حاسوب موصول به، من خلال

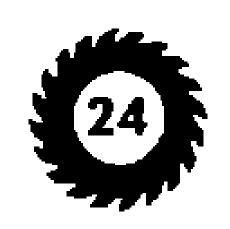
أي حاجب أو نظام أمان محميّ".

"آه... نعم، حسن".

"هل ترغبين في معرفة ماذا في رسائل رئيس أميركا في صندوق إيميلاته الآن؟"

ارتخى فك مادي. "أتستطيع...؟"

قهقه فوستر. "هلاّ ذهبنا وألقينا نظرة على كلام جورج بوش الحكيم الذي كان يكتبه في صباح هذا اليوم؟ هممم؟"



1941، غابات بافاريا، ألمانيا

سقوط... سقوط... سقوط...

فتح الدكتور بول كريمر عينيه وعلى الفور أجفل من الضوء المُبهِر. اغمضَ عينيه بإحكام.

قال له صوت ناعم "لا بأس".

حاول كريمر من جديد، وفتحهما بحذر. أول ما رأى كان الثلج، امتداداً عميقاً منه، ناعماً في معظمه، مع أثر او اثنين لأقدام، واخاديد تدل على أنَّ أشياء ثقيلة جُرَّت هنا.

كان وجه مألوف يجلس بجواره.

"كارل..."

"فقط استرخِ لحظة، يا سيدي. هناك دقيقة من التشوُّش، والدوار. سوف يمر".

أخذَ كريمر نَفَساً عميقاً ونفثَ سحابة كثيفة أمامه. كان لديه العديد من الأسئلة يحتاج إلى الإجابة عنها ولا يستطيع الانتظار. "قُلْ لي إننا وصلنا إلى الزمن الصحيح؟"

"يبدو الأمر كذلك. الثلوج في شهر نيسان تبدو صحيحة".

"والموقع الصحيح؟"

أومأ كارل برأسه إيجاباً. "الغابات التي تقع خارج أوبرسالزبرغ".

"والمعدات؟"

"موجودة هنا. كانت مبعثرة، لكنَّ الرجال عثروا على كل ما عبر واختفى داخل الغابات".

"وهل عبر الرجال كلهم؟"

كان تردّد كارل جواباً كافياً. رفع كريمر بصره إليه، مُظللاً عينيه في وجه آخر توهج خافت لسماء الغروب. "كارل؟"

" توماس وإيثن... لم ينجوا".

كافح كريمر للنهوض والوقوف على ساقيه وأخذ يتلفَّت حوله إلى الرجال. كانوا جميعاً يرتدون سترات التمويه الخاصة بالمناطق القطبية، ويحملون حقائب الظهر وكل شيء مُثبَّت. وكل منهم يحمل بندقية النبض M29 في حالة الاستعداد التامّ، ويعتمرون خوذ كيفلار كاملة مع منظار للرؤية الليلية واستشعار الحرارة قابل للطيّ. كان مشهداً مؤثراً أثار فيه إحساساً دافئاً بالفخر.

لكنّ عددهم قليل.

عددهم لم يتجاوز السبعة عشر.

"ماذا حدث لتوماس وإيثن؟"

تردّد كارل في الإجابة.

"كارل! أرجوك..."

اوما نائبه برأسه موافقاً على مضض. "سأُريك".

مشى بين رجاله خائضاً في الثلوج حتى رُكبتيه، وكانت تنسحق تحت كل خطوة. تبعه كريمر، وهو يُخرِج سترة تمويه المنطقة القطبية، ويلبسها ويُثبِّتها بالسحاب.

قاده كارل نحو دغل كثيف من أشجار الصنوبر، أغصانها تتدلى، مُثقلة بالثلج.

قال كارل وهما يرتطمان ببعض الأغصان فتنفض عنها حملها من مسحوق الثلج، "يبدو أنَّ عطلاً طرا في أثناء رحلتهما"، ثم أردف، وهو

يأخذ أحد الجانبين لكي يُبيِّن جثتيهما، "الحمد لله على أن لا أحد منهما عاش طويلاً"، وأضاف برصانة، "لم يستغرق الأمر أكثر من دقيقتين".

حدَّق كريمر إلى الأطراف والأعضاء المتشابكة والملتوية. لم تكن توحي بأي مخلوق إنسانيّ... أو، بالأحرى، إلى مخلوقَين إنسانيين. بل بدت أشبه بمخلوق عجيب ركَّبه إله مجنون من أجزاء متبقية من الخليقة الأولى. شيء مُشوَّه بصورة تدعو إلى الرثاء، له أذرع وسيقان متعددة وأعضاء داخلية تخرج إلى العراء من خلال جلد مُشوَّه ومتفخ كبلاستيك ذائب. تعرَّف كريمر إلى أحد الرأسين، البارز من نهاية ما بدا أشبه بذراع طويلة بصورة مستحيلة، بأنه يخصّ إيثن. ولمح وجه توماس يظهر من كتلة من اللحم لا يمكن وصفها إلا بأنها حوض ذلك الشيء.

كل ما استطاع أنْ يهمس به "يا إلهي. أكانا لا يزالان حيَّين عندما عثرت عليهما؟"

أومأ كارل برأسه، متجهّم الوجه.

شعر كريمر باضطراب في معدته، لكنه رفضَ أنْ يتقيأ أمام كارل. إنَّ الرجل في حاجة إلى أنْ يرى قائداً قوياً واثقاً من نفسه، وليس شخصاً ينهار أمام أول مشهد كريه.

قال كريمر "كنا نعلم أنَّ مثل هذا الحادث يمكن أنْ يقع. لعلَّ نسخة فالدشتاين الأولى مُعرَّضة للخطأ".

قال آمراً نفسه، اظهر بمظهر الشجاع، يا بول كريمر.

"إننا محظوظون لأننا لم نفقد غير رجلين، يا كارل. فقط اثنين".

"نعم، يا سيدي".

"حسن، لم يبق لدينا وقت للسفر في الزمن الآن. انتهى عملنا عند هذا الحد. لقد وصلنا إلى حيث أردنا".

أومأ كارل برأسه موافقاً، ونجح في رسم ابتسامة واهنة.

"إننا في ألمانيا، الخامس عشر من شهر نيسان... عام 1941"، وأومأ كارل برأسه إلى أعلى تل قريب، كان عندئذٍ يغتسل بوهج فضي، بارد،

من ضوء القمر. "القَدَر ينتظرنا هناك فوق، يا كارل".

كشَّر كارل بشوق "سوف ننجح، أليس كذلك؟"

أومأ كريم برأسه. "نعم... سوف ننجح".



2001، نيويورك

نظرتْ مادي إلى كريمر غير مُصدِّقة. "سوف نفعل ماذا؟"

"أقول، في صباح هذا اليوم سوف نقوم بتغيير مجرى التاريخ عن عمد".

حدَّقَ ليام ومادي وسال إليه في صمت من فوق أطباق طعامهم المؤلف من الأرز. وأخذ بوب يراقبهم وفوستر، من مكان جلوسه بين سال وليام، وهو يفكر.

قال فوستر "ليام، ستقوم اليوم بأول رحلة لك إلى الماضي. سوف تذهب أنت وبوب معاً".

نجح بوب بشفتيه الغليظتين في رسم ابتسامة بلهاء خرقاء، بدا فيها أشبه بجمل يجترّ. دمدم صوته العميق "هذا جيد".

سأل ليام "وأنت؟"

"نعم، أنا قادم أيضاً".

"إلى أين سنذهب؟"

رفع العجوز إصبعاً. "آ... هاه... أما هذا فسرّ. إنّ الغرض من هذا التمرين سيكون اختبار مقدرة مادي وسال على معرفة إلى أين ذهبنا بالضبط، وماذا غيّرنا".

قال ليام، يبدو عليه التشوّش، "ولكن... ولكن حسبتُ أنه ممنوع علينا أنْ نغيِّر التاريخ... على الإطلاق".

اوما بوب برأسه ببطء. "تغيير التاريخ سيئ".

اجاب فوستر "إنه ما نسميه موقع الاختبار السريري. إننا نستخدم هذا المقدار القليل من التاريخ لاختبار الفرق الجديدة طوال الوقت. لا عليك. سوف نُجري تغيراً فقط لفترة وجيزة من الزمن، ثم نُعيد الأشياء إلى ما كانت عليه بالضبط".

سألت سان "كم ستغيبان؟ هل ستكون الرحلة خطرة؟"

ابتسم فوستر "لا أبداً. لن نمكث في الماضي إلا فترة وجيزة. لقد أعددتُ الحاسوب بحيث تُفتح نافذة العودة تلقائياً، لذلك كل ما عليكما أنتما الاثنين أنْ تفعلاه هو أنْ تراقبا التاريخ وتحدّدا مكان ذهابنا".

نظر ليام عبر القنطرة إلى أسطوانة البلاستيك المقوّى الكبيرة الممتلئة بالماء.

"وسوف نستقل ذلك الشيء؟"

"أوه نعم، أخشى ذلك".

مال فوستر نحو الأمام ووضع يداً على كتف ليام. "لا تقلق، سوف نُدفئه قليلاً. أنا أيضاً لستُ متحمّساً للقفز داخل أنبوب اختبار من الماء البارد".

خلع ليام ملابسه، تاركاً فقط ملابسه الداخلية المزرية التي أدرك أنه يرتديها منذ وقت طويل جداً.

"يستحسن ألا تتلصّص!"

سمع مادي تضحك من الجانب المقابل من القنطرة حيث كانت جالسة إلى مائدة الإفطار. "ما الذي يستحق المشاهدة؟"

قال فوستر بحدّة "كفاك حُمقاً، يا ليام، وادخل!"

ارتقى ليام بسرعة سلّماً نقّالاً، ثم مدّ ساقه من حافة الأسطوانة بحركة متوترة.

سأل بوب بجديّة "لماذا هذا ممتع، يا ليام أوكنر؟"

هزّ ليام كتفيه استخفافاً. "لأنني لا أرتقي وعاء سمك ضخم كل يوم بـ..."

قاطعه فوستر "اصمتْ واصغِ. لقد أعددتُ الحاسوب لكي يُعيدنا في الزمن تلقائياً. لن نحتاج إلى ماديَ كي تُرسل إلينا إحداثيات هذه المرة، ولكن في المعتاد سوف تكون مسؤولة عن إدخال إحداثيات لهذه العملية برمّتها".

أومأ ليام برأسه، مُلقياً نظرة سريعة على شكلها الضبابي الباهت من خلال مادة الأسطوانة البلاستيكية البالية المائلة إلى البياض. لم يكن متيقناً كم سيشعر بالثقة في نفسه وهو يخترق التاريخ في أول مرة وضعت أصابعها على الأزرار.

"وفي هذا التمرين لن تعرف أيّ من الفتاتين إلى أين أُرسلنا. لن نمكث هناك أكثر من ساعة واحدة، ومن ثم سيُعيدنا الحاسوب تلقائياً. لقد أنزلتُ البيانات التاريخية اللازمة إلى القرص الصلب لوحدة الدعم".

"داخل مخ بوب؟"

"نعم... داخل مخ بوب".

نظر ليام إلى العملاق المفتول العضلات يخوض الماء إلى جواره. "كيف أدخلتَ المعلومات إليه؟"

"باللاسلكي. لقد بُثّتْ". التفت فوستر لينظر إلى العملاق المفتول العضلات. "إلى أي تاريخ سنعود، يا بوب؟"

"إلى الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني عام 1963".

"والمكان؟"

"دلاس، ولاية تكساس، في أميركا".

"عظيم. وكم بقي لدينا من وقت قبل أنْ يعمل حقل الإزاحة، يا بوب؟"

"بقيتْ ثمان وخمسون ثانية للانطلاق".

قال فوستر "حسن، إذن، هل من أسئلة؟"

"مستر فوستر، لماذا نحن بملابسنا الداخلية ونعوم في بركة من الماء؟"

"إنه بروتوكول التلوُّث. سوف نأخذ معنا إلى الماضي أقلّ قدر ممكن منه. هذا هو السبب. إنّ الماء هو محلول حيادي تطفو فيه الأجسام بحيث إنه عندما تبدأ البوابة بالعمل، لا نلامس أي شيء على الإطلاق. إننا نطفو.

الماء، ونحن، وحدنا، سوف نعود في الزمن. لا شيء آخر".

"فهمت".

قال بوب "بقيت عشرون ثانية للانطلاق".

قال فوستر "عندما نبدأ العدّ العكسي من خمسة، يا ليام، أريد منك أنْ تأخذ نَفَساً عميقاً وتغوص في الماء بالكامل".

ابتلع ليام لعابه بعصبية. جعلت فكرة إفلاته حافة الأنبوب، وترك نفسه يغرق تحت السطح، قلبه يخفق بقوة.

"آه ه ه، مستر فوستر، أعتقد أنَّ الآن ليس الوقت المناسب لأخبرك أني لم أتعلّم السباحة أبداً. أنا... آه... لم..."

تنهد فوستر "أعلم. استرخ. سوف تعتاد ذلك".

نظر ليام بانزعاج إلى الماء. "ولكني... سأغرق إذا استرخيت. سأغرق كحجر لعين. أنا..."

"لا تقلق. لستَ في حاجة إلا إلى أنْ تحبس أنفاسك مدة عشر إلى عشرين ثانية، وسوف ينتهي كل شيء".

"ورأسي أيضاً؟ رأسي حقاً... حقاً تحت سطح الماء؟"

"نعم، رأسك تحت سطح الماء".

"ماذا لو... ماذا لو أني لم أصبح تحت السطح بصورة كاملة؟ هل هذا ممكن، مستر فوستر؟ إذا أبقيتُ فقط وجهي..."

"كلا، يجب أنْ تُصبح تماماً داخل الماء. كل قطعة منك. إنَّ ماسح المجال سوف يُسجّل إنْ برز أي جزء منك خارج الماء وسوف تفشل عملية الإطلاق لأسباب تتعلق بالسلامة".

"ثم؟"

"ثم سأنزعج كثيراً وسوف نُضطر إلى إعادة المحاولة".

"أوه".

أعلن بوب "معلومة: بقيت عشر ثوانٍ على موعد الانطلاق".

شعر ليام بأنفاسه تخرج منه على هيئة شهقات عصبية قصيرة. "أنا...

أنا... أنا لستُ متأكداً من استطاعتي أنْ أخوض هذه التجربة. إنني حقاً..."
"فقط احبس أنفاسك وأفلت الحافة، يا ليام. لا أكثر".
"معلومة: بقيت خمس ثوان على الإطلاق".
"كلا، أنا جادّ، مستر فوستر... أنا... أنا حقاً..."
قال فوستر "بوب، اسحب ليام إلى الأسفل".
مدَّ المُستنسَخ يداً كبيرة، وبعد لحظة وجد ليام نفسه تحت السطح وفمه مملوء بالماء، يتخبَّط ويضرب بيديه في رعب أعمى.

اهتزَّ هاتف سال الخلوي.
أخرجته من جيبها وتجهمت عندما رأتْ شكله عتيق الطراز، قطعة قبيحة من البلاستيك الأسود اللامع عليه حروف، ن - و - ك - ي - ا مطبوعة في أعلاه. أين منه نموذج Earbud V3 الجميل الذي كانت تمتلكه في عام 2026. شعرتْ بالحرج وهي تُخرج هذه القطعة الأثرية من جيبها وتضعها بخجل على أذنها، ثم تبيَّنَ لها أنَّ الهواتف الخلوية التي يحملها الجميع في عام 2001 كلها متشابهة بنحو لا تقلّ إحراجاً.
ضغطت على زر.
"ألو؟"
"أنا مادي. لقد ذهبوا إلى الماضي قبل نحو دقيقة. أين أنت الآن؟"
تلفّتت سال حولها. كانت في شارع برودواي، متجهة شمالاً، وتعبر تواً تقاطعه مع الشارع الحادي والأربعين الغربي. "أعتقد أني أقترب من ساحة تايمز... نعم، أراها أمامي".
"إذن أنت... آه... ألم تلاحظي أي شيء غريب بعد؟"
هزّت كتفيها نفياً. "لا شيء، حقاً. إنَّ المشهد هو نفسه كما شاهدته آخر مرة وأنا أعبر هذا المكان. اليوم المشمس نفسه، الناس أنفسهم، حركة المرور نفسها".
أجابت مادي "هممم، إنني لا أعرف بالضبط ماذا أفعل هنا. إنني أتصفّح

الإنترنت، الأخبار وما شابه. ولكن لا أدري عمّا أبحث".

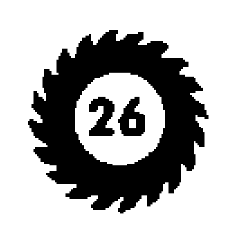
ضحكت سال بعصبية. "ولا أنا. أعتقد أنني فقط أستمتع بالتمشي تحت أشعة الشمس".

"وأنا فقط جالسة هنا كالبلهاء، أنظر إلى صفّ من شاشات الحواسيب؟ هل أنت على ما يرام، سال؟"

كان صباح يوم اثنين ممتلئ بالعمل. فمع انقضاء فترة الصباح بسرعة والموظفون مدفونون في مكاتبهم الشاهقة، لم تبقَ إلا تجمعات من السياح والعائلات ومجموعات من الأصدقاء يتفرجون على مشاهد التفاحة الكبيرة.

تنهّدتْ سال. لو أنَّ في صحبتها أحداً لاستمتعت أكثر. في آخر مرة تمشّت في هذا الطريق قبل يومين من أيام الفقاعات، كان بوب قد رافقها ليتزوّد مزيداً من الخبرة من التصرف كمخلوق إنساني. لقد شعرت، وهي بجوار ذلك الضخم ذي الأقدام السبع ، وكل بوصة فيه تنتفخ بالعضل الضخم، بثقة أكبر، مع حارسها الشخصي الخارق.

"أعتقد أني على ما يرام".



1963، دالاس، تكساس

استقرّ ليام بعنف وسط سيل هادر من الماء، يترشّش بصوت عالٍ، كأنّ حوض استحمام أُفرِغَ من أعلى سلّم قصير.

رفع بصره فرأى فوستر على أحد جانبيه وبوب على الجانب الآخر، وكلاهما يرتكزان على أيديهما ورُكبهما وسط بركة كبيرة سرعان ما اتّسعت. تلفّت حوله، فرأى وسائل نقل متوقفة في منطقة مفروشة بالأسفلت. بدت أقلّ حداثة، وخشنة الجوانب أكثر من السيارات التي تعوّدَ مشاهدتها في كل يوم في نيويورك.

كان بوب أول مَنْ وقف على قدميه. مدّ يداً إلى كلٍّ من ليام وفوستر. دمدم قائلاً "أنا أساعدكما".

قبضَ ليام على اليد ورفع نفسه عالياً.

قال فوستر "نحتاج إلى الحصول على ملابس بسرعة، قبل أنْ نُلفت الانتباه إلينا".

بين شاحنة صغيرة وسيارة تبدو مُغبرّة، كان هناك باب كبير عليه لافتة تقول: مستودع للكتب - مدخل للشراء فقط.

قال فوستر "في الداخل يوجد غرفة لتغيير الملابس. سوف نجد بعض الملابس المعلّقة على المشجب".

"أمتأكد أنت؟"

كشَّر فوستر. "لقد قمت بمثل رحلة التدريب هذه بضع مرات حتى الآن".
سألَ ليام، ويداه تستران بحياء ملابسه الداخلية المبللة، "ماذا لو كان هناك أناس في الداخل؟"
"لا يوجد. إنهم جميعاً في الجزء الأمامي من المبنى يُحاولون أنْ يُلقوا نظرة على سيارة الرئيس الليموزين. سوف تصل في غضون دقائق قليلة".
قاد فوستر الطريق عبر موقف السيارات واجتاز الباب الكبير. وفي الداخل، وبسبب ضوء الشمس المبهر في الفترة الصباحية، كانت الإضاءة مُعتمة والرائحة عفنة بسبب أكداس الكتب المدرسية المتناثرة على الأرض في أكوام فوضوية.
قال فوستر "إلى يمينك".
دخلوا إلى غرفة تصطفّ فيها خزانات للمستخدمين على طول الجدار، ومشاجب على الجدار المقابل. وفي الزاوية النائية هناك صندوق الأغراض الضائعة مملوء بأشياء متنوعة تُرِكَتْ عبر السنين. عثروا بينها على ما يكفي من قطع الملابس تكفيهم جميعاً، على الرغم من أنّ القطع الوحيدة التي كانت على مقاس بوب هي صندل، برزت من طرفه أصابع قدميه، وثوب عمل أزرق بحريّ بالٍ.
قال ليام "نشبه ثلاثة مشردين".
قال فوستر "عظيم، لا أحد سيولينا انتباهاً".
قال ليام بهدوء "مستر فوستر، ما الذي سيحدث؟"
التفت فوستر إلى وحدة الدعم. "أخبر ليام".
تناول بوب ذهنياً الملف ذا الصلة من المعلومات المُركّبة حديثاً. "معلومة: في غضون خمس دقائق بالضبط واثنين وثلاثين ثانية، سوف يُصاب رئيس الولايات المتحدة الأميركية الخامس والثلاثين، جون ف. كينيدي، برصاصة عيار 041 في النحر، وأخرى في أعلى القحف، قاذفة تقريباً بـ25% من نسيج مخه".
"أقتِل الرجل؟"

نظر فوستر إليه. "خمّنْ".

"وماذا؟ هل سنمنع هذا الحدث؟"

هزّ فوستر كتفيه بلا مبالاة. "الأفضل أنْ نقول... نؤجّله".

2001، نيويورك

نظرتْ سال حول أرجاء ساحة تايمز. ربما هذه هي المرة الحادية عشرة أو الثانية عشرة التي تتمشى فيها من بروكلين عبر جسر ويليامسبرغ، على طول شارع برودواي إلى مركز المدينة الذي يمتلئ بحياة لا تهدأ. هناك الكثير من الأشياء يمكن مراقبتها في هذا المكان، والكثير من الحركة. وهي بكل صدق لم تفهم كيف يُفترَض بها أنْ تتذكّر كل تفصيل دقيق هنا، وأنّ تعرف بالضبط ما ينبغي أنْ يحدث في هذا الطريق العام من لحظة إلى أخرى في هذا الوقت من النهار.

استعرضت عيناها ألواح الإعلانات الرئيسة. هناك رسْمٌ عملاق لغول أخضر اللون وظريف وفوق رأسه كلمة: شريك، ولوحة أخرى تُظهِرُ وحشاً أزرق اللون وكثيف الشعر إلى جواره مخلوق صغير يُشبه الكرة أخضر اللون مع عنوان اتّحاد الوحوش. وبعد ذلك بمسافة شاهدتْ مُلصقاً يُعلن عن عرض مسرحي بعنوان *Momma Mia*.

ثم، لمحت سال الأم الشابة ذات الجينز الأحمر تدفع بعربة وليدها أمامها وتجتاز بها ممر عبور المُشاة، مع شعور مُطمئن بأنها سبق أنْ شاهدت ذلك.

أوه، هذا صحيح... سوف تتوقف وتلتقط الدمية الرقيقة.

بعد ذلك بلحظة فعلت، مالت إلى أسفل بغضب لتلتقطها في وسط ممر الاجتياز وأعادتها إلى يدين بدينتين ممدودتين بيأس من مقعد عربة الطفل.

كان ذلك إحساساً غريباً.

ابتسمتْ.

تمتمت، راضية عن نفسها، "واو، لقد تنبّأت بالمستقبل تواً".

1963، دالاس، تكساس

قال فوستر "في أعلى هذا الدَرَج، بعد مطلع درج واحد آخر".

نظر ليام نحو أعلى الدرج، من خلال باب مكتب مفتوح. شاهد طاولات مكتب ورفوف للكتب وخزانات للملفات خالية، وقد تجمهرت حول كل نافذة أمامية مجموعة من موظفات المكتب بأثواب مطبوعة بالأزهار، وتصفيفات شعر على شكل قفير النحل، يمعنّ النظر بلهفة إلى الخارج.

"لِمَ نرتقي هذا الدرج؟"

كأن فوستر شديد اللهفة للإجابة. "هل لك يا بوب أنْ...؟"

أومأ وحدة الدعم برأسه صاغراً، "معلومة: في الطابق السادس من هذا المبنى رجل اسمه لي هارفي أوزوالد. سوف يُطلق الرصاص على رئيس الولايات المتحدة الأميركية الخامس والثلاثين بعد دقيقة واحدة وسبع وعشرين ثانية بالضبط. والآن، بقيت دقيقة واحدة وست وعشرون ثانية..."

قال ليام "آه... شكراً لك، بوب".

نجح الشيء في رسم ما يشبه الابتسامة القبيحة. "لا شكر على واجب، ليام أوكنر".

مع بلوغهم أعلى الدرج، أبطأ فوستر خطاه ووضع إصبعاً على شفتيه. وأشار من خلال باب مفتوح إلى داخل ما بدا أنه مخزن.

همس "هذه هي. من هنا، إلى اليسار، يوجد صف من النوافذ تطل على ساحة ديلي بلازا. إنَّ أوزوالد الآن يضع بندقيته على عتبة النافذة الثانية من هنا. وفي غضون ثلاثين ثانية..."

قاطعه بوب "بعد تسع وعشرين ثانية بالضبط".

"اصمتْ يا بوب".

أومأ بوب برأسه بخنوع.

"في غضون حوالى ثلاثين ثانية سوف تنساب سيارة الرئيس منعطفة عند الزاوية وتظهر للجمهور. سوف تقترب السيارة من هذا المبنى، وعندما

تصبح تحته فعلياً سوف يُطلق أوزوالد أول رصاصة في أثناء مرورها"، ثم أردف فوستر بهدوء، "لكنّنا سوف نمنع إطلاق الطلقة الأولى. اتبعاني".

اجتاز فوستر الباب إلى المخزن، ولحق به ليام وبوب بحذر. مروا بين أكداس الكتب المدرسية، المكوّمة بلا ترتيب بعضها فوق بعض، وتعلوها طبقة خفيفة من الغبار.

لمح ليام بين الأكداس المتمايلة طبقة شعر في قمة رأس على خلفية إطار نافذة طويلة. التفتَ إلى فوستر فأومأ فوستر برأسه.

هذا هو!

اجتازوا أرض الغرفة بهدوء إلى أنْ أصبحوا واقفين فوقه.

قال فوستر "عفواً".

استدار لِي هارفي أوزوالد حول نفسه، وجحظت عيناه لمرأى ثلاثة مشردين يراقبونه بهدوء. واحد ضخم ومدجّج بالعضلات، وواحد بدا أنه عجوز جداً والثالث أكبر من فتى بقليل.

فغر فمه بارتخاء.

انتزع صاحب العضلات البندقية من بين يديه.

قال العجوز بهدوء "لِي هارفي أوزوالد، يُستحسن أنْ تهرب. اركض بأسرع ما في استطاعتك"، قال هذا وهو يتسم له أرقّ ابتسامة، "واقترح أنْ تتوجه إلى المنزل".

"مَنْ... مَنْ أنتم؟"

ابتسم فوستر. قال، مُكشراً، "همم، دعني أرَ. أوه نحن الـCIA. على أيّ حال... يُستحسن أنْ ترحل وإلا قام صاحبي هذا برميك من النافذة مباشرة".

أومأ أوزوالد برأسه موافقاً بتردُّد وهو ينهض ليقف على قدميه، ويتفحص بوب من رأسه إلى قدميه. اندفع ماراً بينهم واختفى خارج المخزن، قبل أنْ يُلقي عليهم آخر نظرة ملؤها الخوف والحيرة في أثناء هبوطه الدرج، كل ثلاث درجات معاً.

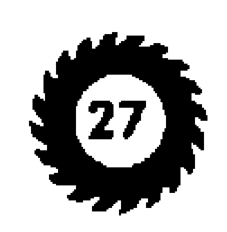
حذّرهم بوب بنبرة صوت فاترة "ثمة انتهاك للزمن. هذا التسلسل

الزمني جرى تغييره الآن".

نظر ليام إلى رأسه. "ولكن... ولكن ألم نفعل الآن ما لا ينبغي علينا أبداً أن نفعله؟"

أومأ فوستر برأسه إيجاباً. "هذا صحيح. فيما نحن نتحدث، يتغيّر الزمن، يتقدّم عبر السنين. إنَّ العقود تضبط نفسها، تُفسح مكاناً لواقع جديد: هو أنَّ الرئيس كينيدي نجا من الموت هذا اليوم".

أطلَّ العجوز من النافذة وراح يُراقب أعلى سيارة الليموزين، تُرافقها سلسلة من رجال شرطة على متن دراجات نارية، تتقدَّم بهدوء على طول الشارع نحو معبر... وتل معشوشب.



2001، نيويورك

بدأتْ سال الآن تشعر قليلاً بأنها حمقاء، بوقوفها عند تقاطع طريقي برودواي والشارع الرابع والأربعين الغربي تراقبُ العالم يمرّ من أمامها. وقبل لحظات توقفتُ امرأة عجوز ظريفة لتسألها إنْ كانت قد أضاعت أمها وأباها وتحتاج إلى مَنْ يقودها إلى رجل شرطة.

شيء مُحرِج جداً. أنا في الثالثة عشرة، إكراماً لله!

أوشكت أنْ تنطلق إلى مكان آخر أقلّ ازدحاماً تقفُ فيه، بعيداً عن الدفق المستمر من المُشاة، وإذا بها تشعر به... بلحظة عابرة من الإحساس بدوار، بالتشوُّش، وكأنَّ العالَم شرشف طاولة عملاق وأزاح أحدهم، بطريقة ما، طرفه قليلاً. مدّت يدها لتمسك بحاوية قمامة لتتوازن. وبعد أنْ استعادت توازنها، سجّلت عيناها شيئاً مختلفاً بقدرٍ مرهف في ساحة تايمز قبل أنْ يفعل عقلها ذلك.

ثمة شيء ما مختلف.

أخذت عيناها تتحركان بسرعة في أرجاء تقاطع الشوارع المثلّث، المزدحم بحركة مرور صباح يوم الاثنين.

همستْ "ما هو؟ ما هو؟"

ثم استقرّ تدقيق عينيها المتنقّل على شيء لم يكن موجوداً من قبل... شيء جديد. ففوق مدخل دار سينما برايم تايم استُبدِلتْ لوحة الإعلانات التي

كانت تعلن عرض فيلم كوكب القرود بشاشة ضخمة بأضواء خفّاقة تعلن ما يشبه برنامجاً إخبارياً. كانت هناك عبارة في أسفله تقول: CNN: آخر أخبار المهمة – اليوم رقم 346.

راحت تتابع صورة مبرغلة لعدد من الرجال بملابس عمل برتقالية اللون ومجعّدة ويحملون ألواحاً مشبكيّة[1] للكتابة ويتبادلون أحاديث وديّة داخل الحيّز الضيق والمزدحم لِما يُشبه كبسولة فضائية...

تواصلت العناوين المكتوبة على شريط متحرّك: +++ القائد جيري هاموند وطاقمه يحتفلون بعيد ميلاد أنطون بوشوف الخامس والثلاثين +++

لاحظت سال أن لا أحد تقريباً من المشاة على الرصيف من حولها بدا مهتماً بالبثّ الإخباري، وكأنه شيء مبتذل، خبر بائت بالنسبة إليهم.

تغيّرت صورة الرجال الذين يتحركون بطريقة خرقاء داخل الحيّز المزدحم إلى صورة كوكب سيار بلون الغبار يطفو على خلفية سوداء بلون الحبر.

وظهر شريط إخباري جديد:

+++ مهمة إلى المريخ: بقي 80 يوماً لبلوغ مدار المريخ +++

+++ إنّ محطة CNN تتمنى لأنطون عيد ميلاد سعيداً! +++

شهقت قائلة "أوه يا إلهي"، وأخرجت الهاتف الخلوي من جيبها.

رنّ الهاتف في يد مادي. "سال؟"

"أشعرتِ به؟ الدوار؟"

"لقد شعرتُ بما يُشبه الغثيان قبل حوالى دقيقة. حسبتُ أنّ السبب هو إصابتي بالربو"، قالت هذا وهي تنظر إلى جهاز الاستنشاق.

"أعتقد... أعتقد... أنّه كان... أنه كان هو".

اعتدلت مادي في جلستها. "ماذا؟... تعنين التغيُّر المفاجئ؟"

1 اللوح المشبكي: لوح للكتابة، في أعلاه مشبك لتثبيت الأوراق. (المترجم)

ترددت سال. "نعم... وهناك أمر آخر".

"ما هو؟"

"على الشاشة الكبيرة هنا..."

"ماذا؟"

"هناك صاروخ في طريقه إلى المريخ... اعتقد"،

كادت مادي تسفح القهوة على لوحة المفاتيح. "أنتِ جادّة؟"

"إنني أشاهد ذلك في هذه اللحظة... على الـCNN".

رفعت مادي نظرها إلى صف الشاشات أمامها. للوهلة الأولى لم يبدُ أنَّ أياً منها تعرض أي شيء غير اعتيادي. فإحداها تعرض أخبار محطة فوكس وتقريراً سياسياً بليداً، والثانية تعرض قناة أحوال الطقس MSNBC حيث يعِد قارئ النشرة الجوية بأن يوم غد يوم مشمس ودافئ، والتي تليها تعرض شريط أخبار البورصة، وأخرى تعرض أخبار الـBBC على مدار الساعة، حيث تجري تقريراً عن جولة فريق سبايس غيرلز العالمية المرتقبة وأنَّ البطاقات نفدت في غضون ساعة...

قالت، وقد انقطعت أنفاسها فجأة، "أوه يا إلهي".

ألم ينفصلن في التسعينات؟

ولكن ها هنّ يعدنَ بإصدار ألبومهنّ السابع!

"معك حق يا سال! شيء ما تغير".

بدأتْ تشعر بثقل عبء المسؤولية المُسندة إليها، متذكّرة حديث فوستر الحيوي الهادئ عن أنَّ اكتشاف حل اللغز وجعل البيانات المتوافرة ذات معنى منوط بها...

... إنَّ تحديد مصدر التغيُّر، يا مادي... هو مهمتك، ومعرفة مصدر ذلك التغيُّر.

نظرتْ إلى سلسلة الشاشات أمامها وتساءلتْ من أين كان يُفترَض بها أنْ تبدأ.

قالت على عجل "شكراً، سال. ساعاود الاتصال بك"، وأغلقت هاتفها.

نقرتْ على لوحة المفاتيح وأظهرتْ أخبار الـCNN. وها هي، الصورة المبرغلة التي تبيّن الطاقم داخل وسيلة نقل مزدحمة تُبثّ عن بُعد يعلم الله من كم مئات آلاف الأميال في الفضاء، وتعرض رسماً بيانياً على الحاسوب يُبيّن المسافة التي قطعوها، والمسافة الباقية التي سيقطعونها.

مهمّة إلى كوكب المريخ... يجب أنْ يكون هذا هو التغيّر الأكبر هنا.

تمتمت "أكبر من جولة سبايس غيرلز اللعينة".

بحثت عبر غوغل عن مهمة كوكب المريخ، وأخذت تقرأ بسرعة النتائج الظاهرة أمامها. ولم تكن تلك المرة الأولى خلال الأيام الأخيرة التي تفغر فيها فاها بارتخاء.

هناك إعدادٌ لبرنامج فضاء هائل، يشترك في تمويله الصينيون، والروس والأميركيون. هناك قاعدة أمامية علمية صغيرة على سطح القمر، وثمة محطة فضاء "متنقّلة" تدور في مدار أرضيّ ثابت، وقد حطّ فعلاً عدد من مكاكيك المؤن على سطح المريخ استعداداً لوصول الرجال. إنّ العالم – هذا العالم – يبدو مهووساً باستكشاف الفضاء، منساقاً وراء الرغبة في بلوغ كواكب مجاورة.

غاصت أعمق في تاريخ ذلك البرنامج.

ثمة مقالات صحافية قديمة من عام 1983 تصفُ مؤتمراً أممياً يُناقش تمويل "قاعدة أمامية دائمة على سطح القمر"، من أجل بناء "منصّة مدارية" لإقامة "مشاريع مستقبلية أبعد مدى".

بل إنها عثرتْ على مقالات صحافية أكثر قدماً، يعود تاريخها إلى حقبة سبعينيات القرن الماضي، عن اجتماع للعقول بين الوزير الروسي الأول بريجنيف وسفير ناسا للنيات الحسنة جون ف. كينيدي.

كينيدي؟

نظرت من جديد إلى الاسم.

ليس... ذلك... الكينيدي؟ ذاك الذي اغتيل؟ رئيس الجمهورية؟

إنّ تاريخ حياتها ليس عظيماً. لكنها شاهدت من الأفلام السينمائية

وقرأت من الكتب ما يجعلها تتيقّن من أنّ الرجل مات في وقت ما من حقبة الستينيات.

فجأة ومض اسم كينيدي على شريط الـCNN الإخباري. وبعد ذلك مباشرة ظهر رجل عجوز على الشاشة، رجل طاعن في السن، ضعيف وذو لحية بيضاء.

همست "مستحيل. هذا ليس هو... أليس كذلك؟"

+++ إنّ الرئيس السابق وسفير النيات الحسنة جون كينيدي يُقدم تهانئه وأفضل أمنياته لطاقم مهمة المريخ +++

حدّقتْ مادي إلى الرجل العجوز الظاهر على الشاشة. قالت "انتظر. كان ينبغي أنْ تكون ميتاً. كان ينبغي أنْ تموت قبل زمن بعيد".

ولكن متى؟

كادت تكون واثقة من أنّ ذلك وقع في وقت ما من حقبة الستينيات. وتذكّرت بطريقة غامضة شريطاً إخبارياً قديماً يُبيّن سيارة مكشوفة، وزوجته بفستانها الوردي جالسة في المقعد الخلفي وكينيدي ببزته الرسمية إلى جوارها، وكلاهما يُلوّحان للجماهير المحتشدة على جانب الطريق.

أين حدث ذلك؟ أين حدث ذلك؟

تذكّرت أنها شاهدت شريطاً إخبارياً قديماً التُقطَ بآلة تصوير سينمائية يدوية مهتزة...

فجأة مال رأس الرئيس إلى الأمام، ثم إلى الخلف. هناك رذاذ من الدم، ويسقط الرجل متراخياً. المرأة، زوجته، تُصاب بالرعب. إنها تصرخ. ما بقي من رأس كينيدي يستقرّ في حجرها. المرأة تتلفّت حولها طلباً للمساعدة. ورجال ببزات سوداء يرتقون متن السيارة. وتزيد سرعتها. الاضطراب يبدو على وجوه الحشود على جانب الطريق. البعض يسقط على الأرض. والبعض الآخر يصرخ مثل السيدة ذات الثوب الوردي... والبعض يبكي...

وفجأة، من دون سابق إنذار، تبدّى لها اسم المكان الذي وقع فيه الحادث. نطقتْ "إنه دالاس، في تكساس".

طبعت ما يأتي لتبحث عنه في غوغل:

[، كينيدي + دالاس ، اغتيال]

لم يمدّها البحث إلا برابط واحد فقط يتضمّن الكلمات الثلاث معاً، مأخوذ من مقال صحافي يعود تاريخه إلى 22 تشرين الثاني من عام 1963. كان مقالاً عن "إحباط محاولة مفترضة لاغتيال الرئيس". نقرت على الرابط فظهر المقال على الشاشة:

"... عُثر على بندقية عيار 41 في الطابق السادس من مخزن الكتب المدرسية المُطل على ساحة ديلي بلازا. وقد أُلقيَ القبض لاحقاً على الرجل المشكوك في امتلاكه البندقية، واسمه لي هارفي أوزوالد، وهو في منزله. ادّعى أنه خطط لاغتيال الرئيس في أثناء زيارته لدالاس، لكنه قال إنه غيّر رأيه في اللحظة الأخيرة. وقد ازدادت القصة تعقيداً برؤية ثلاثة أشخاص غرباء في ذلك المبنى نفسه في وقت مرور سيارة الرئيس، ووُصِفوا بأنهم يبدون من ملابسهم أنهم "مُشرّدون"، ولا شك في أنّه لم يكن هناك أي سبب لوجودهم هناك..."

ضربت مادي بيدها الطاولة وهي تصرخ: "وجدتها"

لقد عرفت بالضبط إلى أين عاد فوستر والآخران بالزمن ومتى.

صرخت بنبرة انتصار "وجدتها!"

1963، دالاس، تكساس

راقب ثلاثتهم سيارة الرئيس تمرّ ببطء من أمامهم وتقترب من المعبر الظاهر عن بُعد.

أعلن بوب بصوت هادئ وخالٍ من أي انفعال، "معلومة: إنّ تلوّث الزمن يتفاقم. أولوية المهمة: تصحيح انتهاك الزمن".

نظر ليام إلى بوب. "أوم... وكيف ستفعل ذلك؟"

"نصيحة: اقتلوا جون ف. كينيدي".

شهق ليام "ماذا؟ أصبحنا نحن الذين ينبغي أنْ نقتل الرجل الآن؟"

هزّ فوستر رأسه نفياً. "ليس هذه المرة، يا ليام. اهدأ".

ضجّ صوت بوب العميق من جديد بنبرة تزداد إلحاحاً. "نصيحة: اقتلوا جون ف. كينيدي في الحال".

راقب العجوز السيارة تتقدم ببطء مبتعدة عنهم. قال بحزن "سيأتي وقت يا ليام ستتمنى فيه لو أنّ في الإمكان تغيير الزمن، لو أنّ في الإمكان جعل الأشياء "الجارية" - في المستقبل - أفضل ممّا جرت.

أجاب ليام، محتاراً، "لكننا غيّرنا الأشياء فعلاً، أليس كذلك؟"

أومأ فوستر برأسه موافقاً. "نعم، ولكن في هذه الحالة، التاريخ يُصحح نفسه بعد حوالى ثلاثين ثانية".

أرهف ليام سمعه "أيفعل؟ كيف؟"

سمعوا عن بُعد فرقعة بندقية.

طلقة واحدة، تلتها أخرى سريعة.

مال ليام إلى الأمام، مُطلّاً برأسه من النافذة. واشرأبّ إلى الطريق لينظر بينما السيارة تنحدر يساراً لتمرّ من تحت المعبر. شاهد دخاناً متلاشياً ينبعث من سياج من الأوتاد الخشبية في أعلى منحدر معشوشب. وانحرفت سيارة الرئيس الليموزين. شاهد السيدة التي في المقعد الخلفي، ذات الثوب الوردي، تندفع فوق المقعد لتحضن رأس زوجها.

"في سيناريو التدريب هذا، جعلنا التاريخ يخرج عن مساره لأقل من دقيقة". تنهّد فوستر بحزن. "ولكن، في هذه المرة، نجح التاريخ تماماً في تصحيح مساره". ثم التفتَ إلى ليام، "إنّ الكثيرين اعتقدوا أنّ أوزوالد وحده اغتال كينيدي. ولكن كانت هناك أطراف أخرى... لجأت إلى قتلة

ماجورين ليكونوا على أهبة الاستعداد تحسباً إذا ما أخطأ الهدف أو انتابه الخوف في اللحظة الأخيرة".

أعلن بوب بلهجة رسمية "معلومة: جرى تصحيح انتهاك الزمن. أولوية المهمة: العودة من دون إحداث مزيد من التلوّث".

شاهد ليام المشهد المشوّش الجاري في الأسفل: الرعب الساري بين الحشود، حراس الرئيس الشخصيون يتجمعون حول السيارة.

"هل كان رجلاً صالحاً؟ ورئيساً صالحاً؟"

هزّ فوستر كتفيه. "لو توافر له المزيد من الوقت، كان يمكن، استناداً إلى قراءاتي في كتب التاريخ، أنْ يُصبح رئيساً عظيماً".

أومأ ليام برأسه. "خسارة".

"نعم".

قال بوب "معلومة: نافذة السفر تقترب"، وأغمض عينيه واستعاد البيانات من الحاسوب داخله، "بعد تسع وخمسين ثانية بالضبط".

قال فوستر "سوف نغادر الآن. وقريباً سوف يغصّ كل مبنى على طول هذا الطريق برجال الشرطة وبالعملاء الفدراليين، يا بوب". قال هذا، ملتفتاً إلى وحدة الدعم، "ضع البندقية على الأرض".

رضخ.

قادهم العجوز بعيداً عن نافذة الطابق السادس.

سأل ليام "إذن، كيف سنعود، مستر فوستر؟"

"بين لحظة وأخرى".

أعلن بوب "بعد تسع ثوان على وجه الدقّة".

تلفّت ليام حوله، لكنه لم يرَ أيّ أسطوانات كبيرة من الماء لكي يلجوها. ثم، فجأة، شعر بنفخة هواء غريبة تهبّ على وجهه. على مسافة ياردة منه كاد يُميّز شكلاً دائرياً يلوح.

قال بوب "إنّ نافذة العودة الآليّة تعمل الآن".

"ودّع عام 1963، يا ليام".

تلفّت ليام حوله في المخزن، إلى أكداس الكتب المدرسية، فسمع ضجيج أصوات نسائية باكية قادماً من الطابق السفلي.

نطق راضخاً "الوداع، يا عام 1963"، ومن ثم لحق بالاثنين الآخرَين إلى داخل الهواء الخفّاق، سادّاً أنفه وحابساً أنفاسه وهو يخطو إلى الأمام.

2001، نيويورك

شعر ليام بذلك الإحساس بالسقوط الرهيب المألوف. والأسوأ من ذلك، توقّع أنْ يجد نفسه يتخبّط وهو غارق تحت سطح الماء.

ولكن بدل ذلك وجد نفسه واقفاً في وسط مكتبهم الميداني، وقدماه تلامسان الأسمنت القاسي والبارد.

غمغم بلا تفكير "آه؟... حسبتُ أنّ...؟"

صفعه فوستر على ظهره برفق. "لقد خرجنا رطبين، وعدنا جافّين. سوف أشرح السبب في وقت لاحق".

لمح ليام الفتاتين جالستين على مائدة الإفطار، وكلتاهما تحملان علبتين واحدة حمراء والأخرى بيضاء من مشروب حلو وفوّار يُدعى دكتور بيبر بدا أنهما تحبان أنْ تشربا منه كميات كبيرة.

هتفت مادي "لقد عرفنا بالضبط إلى أين ذهبتم، يا شباب! بما أننا نتمتع بعبقرية استثنائية".

نشر فوستر يديه. "ثم؟"

كشّرت بانتصار. "أخبرونا، كيف وجدتم دالاس".

ابتسم "أحسنت".

"أُخمّن أنكم تدخّلتم بطريقة ما في عملية اغتيال جون ف. كينيدي. وربما أنقذتموه؟ ولكنكم بعد ذلك أعدتم الأمور إلى نصابها من جديد". تراخى وجهها قليلاً. "لسوء الحظ، كنتُ أتمنى لو أنّ لدينا مهمة للذهاب إلى المريخ".

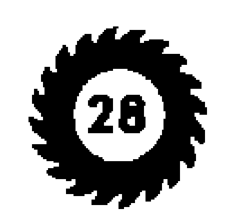
اصاخت سال إليهم بجديّة. "أحقاً نجحتم في منع محاولة اغتيال ومن ثم أعدتم مجرى الأمور إلى سابق عهدها ثانية... وأيضاً عثرتم على بعض الملابس القذرة وارتديتموها... وفعلتم ذلك كله في غضون أقل من ساعة؟"

فتح فوستر فمه ليُجيب.

قاطعه ليام "ساعة واحدة؟ نحن لم نغب كل تلك المدة، أليس كذلك؟ ربما عشر دقائق في أقصى تقدير..."

قهقه فوستر. "إنَّ السفر عبر الزمن ليس متناسقاً، يا ليام. في استطاعتي أنْ أرسلك إلى موقع زمني وأعدّ نافذة عودة بعد مضيّ خمسين سنة. بالنسبة إليك، مرور خمسين عاماً... سوف يستغرق حياة بأكملها. ولكن بالنسبة إلى شخص واقف هنا سوف تختفي وأنت فتى يافع وتعود من جديد بعد ذلك بضع لحظات وأنت عجوز".

هزّ ليام رأسه غير مُصدّق وكشّر. "يا إلهي، إنَّ مسألة ركوب الزمن هذه تسبّب لي الصداع حقاً".



1941، الغابة البافارية، ألمانيا

رنا كريمر إلى كارل بإعجاب. لقد كان الرجل جندياً متمرساً، وخدم مع بعض من صفوة القوات الخاصة في العالم، وبعد ذلك أصبح ذا حظوة عالية ومِن أعلى رجال المرتزقة أجراً. وفي الأجواء العالمية المُضطربة عام 2006، كان أمام الرجال أمثاله الكثير من العمل.

كان كارل أحد أول الذين اكتسبوا إعجاب كريمر من أجل تحقيق الحلم بعالم أفضل. كان يتحدث بالنيابة عن كريمر مع المرتزقة الآخرين الذين يعرفهم ويثق بهم. رجال يعرف أنهم يتوقون إلى تحقيق الحلم في مكان أفضل، وعصر أفضل.

العالم الذي تخلوا عنه كان مكاناً يحتضر، يختنق بالتلوُّث، وبالمصادر الشحيحة، عالم يختنق بالسكان بصورة رهيبة ومحكوم عليه بالفناء التام.

ومَنْ لا يرغب في التخلّي عنه؟

لقد كان سهلاً على كارل أنْ يُجنِّد حفنة من الرجال الموثوقين للقيام بهذه المهمة. وكل رجل انتقاه كان على استعداد لاقتناص فرصة مغادرة القرن الحادي والعشرين من أجل الحظوة بفرصة لإعادة تدوين القرن العشرين. وقد كانوا حقاً رجالاً أشداء، كلهم، متمرسين، ومنضبطين على أعلى مستوى. وكلهم يُتقنون على الأقل لغتين، بما أنّ الإنكليزية هي لغتهم المشتركة. غالبية أولئك الرجال الذين يتغلغلون بهدوء في أعماق الغابة التي تكسوها

الثلوج بمهارة عالية هم من الألمان، وبعضهم من الهولنديين، وعدد منهم من النرويجيين، وعدد قليل من الإنكليز.

ولكن... الآن لم يبقَ منهم إلا سبعة عشر. هزَّ كريمر رأسه أسفاً.

لقد فقدنا سبعة رجال في عملية الوصول إلى هنا وحدها.

فجأة رفع كارل يده بصمت على هيئة قبضة. وفهم الرجال الإشارة وجثموا على الأرض وسط النباتات التي تغطيها الثلوج. لم يكن في الإمكان كشفهم وسط الظلام بسترات التمويه القطبية المنقَّطة باللونين الأبيض والرمادي التي يرتدون وهم يكمنون بسكون تام.

التفت كارل إلى الخلف وأومأ إلى كريمر كي يتقدَّم. فأخذ يسحق الثلج بخفَّة وهو يعبر إلى أنْ جثم بجواره.

أشار كارل أمامه من بين الأشجار. "أهذا هو، يا سيدي؟"

اشرأبَّ كريمر إليه ليحظى بمشاهدة أفضل. في أعلى درب ملتوٍ استطاع أنْ يُميِّز موقعَين لمدافع الهاون المُعززة بأكياس الرمل على كلا جانبي درب مليء بالحصى وثمة كشك حراسة تغمره أنوار اثنين من الأضواء الكاشفة.

ابتسم "هذا هو، يا كارل. هذا هو! منتجع هتلر الشتوي!"

"Der Kehlsteinhaus. عش النسر. لا يبدو أنَّ عليه حراسة مُشدَّدة".

قال كريمر "إنه في أعلى هذا الدرب الوحيد، يجثم على سفح تل شديد الانحدار. المبنى نفسه تحميه ثلة من حرّاس هتلر الشخصيين، الـ Leibstandarte SS. وأعلى قليلاً على سفح التل، على مسافة فقط بضع مئات من الياردات، حامية من الحرس الشخصي تضم أربعمئة أو خمسمئة منهم". والتفت إلى كارل. "وسوف يُسعدهم أنْ يموتوا وهم يُدافعون عن قائدهم. وعلى رجالك أنْ يكونوا سريعين جداً، يا كارل. وحالما تُطلق الرصاصة الأولى، سترتفع صفارات الإنذار وتوقظ الحامية".

نظر كارل خلفه إلى رجاله الرابضين بسكون تام وسط الثلوج على أُهبة الاستعداد، بأسلحتهم وفي انتظار صدور الأوامر. كانوا مُدرَّبين تدريباً متمرساً ومُزوَّدين أفضل العتاد وبأحدث الأسلحة ونظارات الرؤية الليلية.

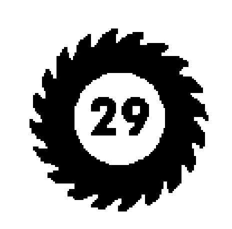
ابتسم. "سوف يصل رجالي إليه. لا تقلق".

تمنّى كريمر لو أنه يُشارك الرجل ثقته بنفسه.

لم يبقَ غير سبعة عشر منهم. إذا لم يتمكن رجال كارل من تحقيق هدفهم قبل أنْ تنقضَّ حامية قوة الفوج، الحرس الشخصي، على منتجع الفوهرر، فذلك سيعني النهاية.

سبعة عشر ضد خمسمئة؟

حتى مع توافر امتياز تقنية قتال عام 2026، تساءل برهة إنْ كان يُغالي في ما يطلب من أولئك الرجال.



2001، نيويورك

سألتْ مادي، وهي تنظر حول مدخل رواق متحف التاريخ الوطني، "لماذا أتيت بنا إلى هنا؟" بدا لها أنه يغصّ في المقام الأول بالسياح اليابانيين.

"لأنّ هذا البناء، يا مادلين، وهذه المعروضات، تمثّل كياننا"، مُشيراً بيده إلى الإطار الهيكلي الضخم لديناصور براكيوسوروس[1] يُهيمن عليهم ويحتل المكان كله ما عدا مدخل الرواق الشاسع.

"هذا هو التاريخ الذي كان مُقدَّراً. هذا هو التاريخ الذي أوكلَ إليكم - كما كانت حال الفرق الميدانية الأخرى - الدفاع عنه". هبطت عيناه من الجمجمة العملاقة لتستقرا عليهم.

"مادلين - المُحلِّلة. سال - المُراقِبة. ليام - المُنفِّذ... وبوب - وحدة الدعم. أنتم الفريق الآن. وكل كائن حيّ اليوم وغداً يعتمد عليكم لحراسة الزمن. وهذا المتحف يُسجِّل كيف يتكوّن التاريخ... ولا يُسمح له بالتغير".

انتقل صوت فوستر أعمق قليلاً داخل أرجاء الرواق الشاسع مما كان يقصد، ولكن بما أنّه بدا أن لا أحد غيرهم هنا يتكلّم الإنكليزية، رأتْ مادي أنّ ذلك ربما ليس بالأمر المهم.

"إذن، بعد ظهيرة هذا اليوم، أريد منكم أنْ تستكشفوا المتحف؛ أنْ

1 هذا النوع من الديناصورات هو أضخم ما اكتُشِفَ منها حتى الآن. يبلغ طوله 30 متراً. (المترجم)

تتلمسوا حقاً التاريخ الذي تدافعون عنه. سأترككم تعثرون على طريقكم بأنفسكم، ومن ثم سوف تجتمعون هنا من جديد في مدخل الرواق عند الساعة الخامسة بالضبط".

أومأوا صاغرين.

"ثم بعد ذلك سوف أصطحبكم يا شباب إلى أفضل محل أعرفه يقدم الأضلاع والشطائر. إنه احتفال... اعتبروه نوعاً من حفل تخرّج".

وجد ليام معرض الديناصورات مُبهراً وعجز عن التزحزح من أمام هياكل الديناصورات العملاقة وعروض الصور المتحركة. وسرعان ما تُرِكَ وحده بعد أنْ تحوّلت الفتاتان وبوب بعيداً لكي يشاهدوا معروضات أخرى.

و لم يدرِ إلا وقد انقضت ساعات عدة، وقرر أنْ يعود إلى مدخل الرواق لكي ينتظر الآخرين.

راح يراقب المنطقة التي تضج بالحركة، وتمتلئ بآلات التصوير وبأحاديث عائلية تُهمَس بهدوء، وبأطفال متحمسين وباطفال رضّع يبكون. وشعر، ليس للمرة الأولى، بوهج الامتنان الدافئ لفوستر لأنه انتزعه من أحشاء التايتانيك المبتلاة، وأنقذه من أسوأ ميتة يمكنه تصورها.

خلال الأيام القليلة الماضية - كان قد نسي كم مكثوا في هذا المكان - أدرك أنّه أوفر مَنْ وُلِدوا في القرن التاسع عشر حظاً بسبب الأشياء التي مُنِحَ امتياز مشاهدتها من مئة عام من مستقبله، وكل الأشياء المذهلة التي سيراها لاحقاً. كشّر كأبله، كطفلٍ وُعِدَ بنيل كل ما يرغب فيه من هدايا عيد الميلاد.

انتقل تحديقه إلى حشدٍ غفير بجوار أبواب المدخل الكبيرة. بدا أنّ الناس مترددون هناك في طريق خروجهم، فاقترب منهم يحدوه الفضول.

على منضدة وُضِعَ كتابٌ كبير مُغلّف بالجلد مفتوح تحت وهج ضوء مصباح من النحاس للقراءة. وإلى جواره وقف حارس أمن ذو وجه متورد، يعلوه حاجبان سميكان وكثّان، وخال غريبة الشكل على هيئة قلب تبرز من أحدهما، وتلفت الانتباه.

زجر الحارس "دفتر الضيوف"، عندما لاحظ تحديق ليام الفضولي، "وقّع كما تشاء وأضف تعليقاً إذا رغبت، يا سيدي"، ثم أضاف على مضض "وحافظ على نظافته".

نظر ليام إلى الدفتر ولاحظ الرسائل المدوّنة بأيدي مئات الزوار، والعديد من الأسماء المختلفة، بالعديد من اللغات.

"أحافظ على نظافته؟"

تنحنح الحارس. "أنا أعرف كيف تتصرفون أنتم المراهقين الملاعين".

شعر ليام بتربيت على كتفه فاستدار. كانت مادي.

قال ليام "دفتر الضيوف".

فهقهت "أوه نعم... أعلم. لقد أتيتُ إلى هنا ذات مرة ضمن رحلة مدرسية وتركتُ قصيدة بذيئة".

قطّب الحارس حاجبيه مُستهجناً، وتشابك شعر حاجبيه القديم والكث معاً، وكأنه في الحقيقة تذكّر ما كانت قد كتبت بدقّة.

سألتْ مادي الحارس "أما زلت تؤرشفها".

أجاب الحارس بجفاف "نعم. نحن نحتفظ بكل دفاتر الضيوف في القبو. إننا نفعل ذلك منذ ما قبل بداية القرن الماضي"، ثم قال بفخر "مئة عام من التعليقات. وليست كلها قصائد بذيئة".

انكمشت مادي من الإحساس بالذنب "آسفة".

لكنَّ الحارس كان قد انهمكَ تواً بتوجيه انتباه أحد الزوار إلى مكان المراحيض.

"هيا، ليام. لِمَ لا توقّع؟"

نظر إليها. "آه... الن أغيّر مجرى التاريخ بهذا، أم ماذا؟"

"لا أرى كيف يمكن أنْ تفعل هذا".

التقط بحذر شديد القلم الموصول بسلسلة إلى المنضدة.

ليام أوكنر، ١٥ أيلول\سبتمبر 2001 – لقد أحببتُ الديناصورات كثيراً.

سألته مادي "أهذا كل شيء؟"

هزَّ كتفيه استخفافاً. "لا أريد أنْ أجازف الآن".

هزّت رأسها وقالت بسخط "آه... ها قد جاء الآخرون".

تبعها ليام عبر الرواق، وألقى نظرة أخيرة خلفه إلى الدفتر.

ها أنا قد تركت علامة على صفحة التاريخ.

لو أنه يموت غداً لأي سبب من الأسباب، فسيكون هناك على الأقلّ سطر مخطوط على صفحةٍ في دفتر في مكان ما يُبيِّن انه كان موجوداً ذات يوم.

"عافاكم" قال فوستر، "لقد أحسنتم جميعاً العمل". ومسح شفتيه، وبعد أنْ ألقى نظرة حذرة حوله إلى المطعم المزدحم، خفض صوته، "هل رأيتم الآن كيف تجري الأمور، وفهمتم الجزء الذي يجب أنْ تؤدّوه داخل الفريق؟"

أومأت مادي وسال برأسيهما إيجاباً.

أما ليام فهزّ كتفيه استخفافاً. "ولكنني في الواقع لم أفعل الشيء الكثير، يا مستر فوستر".

"كلا... ليس في هذه المرة. لكنكَ ستفعل. إنَّ الوكالة تستخدم حادثة كينيدي كمعيار لمهمة التدرُّب. إنها مثال صغير على التاريخ الذي يُصحّح نفسه. ولكن عندما ستعودون لأداء مهمة جادّة، فسوف يؤول الأمر إليكم، وطبعاً إلى وحدة الدعم..." - ونظر إلى بوب الذي كان يتفحّص بإمعان سكين تقطيع اللحم - "لإعادة الأوضاع إلى نِصابها".

"ولكن كيف سأعرف ماذا سأفعل؟"

"ستعرف، يا ليام. لأنكَ شاب لامع جداً، وسريع الحركة"، ووضع فوستر يداً أبويّة على كتفهن "وصاحب مبادرة... هذا ما لديك. أنت فتى ذكي. ليس هناك أي مقدار من التدرُّب يمكن أنْ يمنح أيّ شخص هذه الصفات".

"آه... شكراً".

"ما رأيك، يا بوب؟"

رفع المُستنسَخ بصره عن سكين تقطيع اللحم. "إنَّ المُنفّذ للمهمة ليام أوكنر... جيد".

"كما ترى. أعتقد أنه مُعجب بك".

ابتسم ليام. "شكراً لك، بوب".

التفتَ فوستر إلى مادي وسال. "وأنتما الاثنتان... أنتما أبليتما بلاءً حسناً".

كشّرتا، تعبيراً عن سرورهما الغامر بنفسيهما.

"لكنَّ هذا التمرين هو مجرد البداية".

وصلت النادلة حاملة صينية ممتلئة بالأطباق. كانت مُدرَّبة للتعامُل معها وكأنها أوراق لعب. "مَنْ سيأكل الأضلاع؟"

رفع ليام يده. قال "أكاد أموت جوعاً".

"والسلطة؟"

رفعتْ سال يدها.

"والشطائر؟"

أومأ كلّ من فوستر ومادي برأسيهما.

نظرتْ النادلة إلى بوب، بحيرة. "آسفة، يا سيدي. ماذا طلبت؟"

رفع بوب إليها عينين رماديتين ثاقبتين. شرح قائلاً بنبرة جافة "أنا لا آكل طعاماً إنسانياً إلا إذا تطلّبت المهمة ذلك".

أصاخت النادلة إليه، "عفواً، ماذا قلت؟"

قال فوستر "أوه، لا عليك منه. كل ما في الأمر أنه لا يُسمح له بالأكل في أثناء أداء وظيفته الرسمية".

ابتسمت بحياء لبوب، مُبدية إعجابها بتكوينه الجسدي. "إذن... هل أنت، مثل، نوع من رجل الشرطة المتخفّي؟"

التفتَ بوب إلى ليام. "ليام أوكنر، اشرح عبارة "شرطي"، من فضلك".

هزَّ ليام كتفيه ورسم تعبير انزعاج. "أنت تسألني أنا؟"

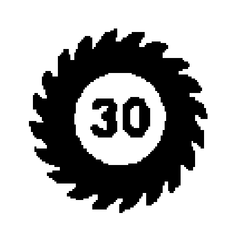
شرح فوستر قائلاً: "الشرطي" تعبير يصفُ ضابطاً يفرض القانون".

أومأ بوب برأسه ببطء وأغمض عينيه. "فهمت. إنني أحفظ التعبير من أجل استخدامه مستقبلاً".

نقّلت النادلة نظرها بذهول من بوب إلى فوستر.

"لا احسب انكم يا شباب من هذه النواحي، أليس كذلك؟"

انتهت مادي من مضغ لقمتها الأولى من الشطيرة. "أوه، دعكِ منهم، إنهم من كندا".



1941، برغوف – مُنتجع هتلر الشتوي

ربضَ كريمر خلف طاولة مكتب صغيرة من خشب السنديان في الممر. وغرزت في وجهه نثرات من الخشب عندما أُطلقَ عدد من طلقات الرصاص على الجانب النائي، فتناثرت شظايا حادة.

راح يسبُّ ويلعن بصوت خافت، بينما الرواق يضجّ بإطلاق رصاص يصمّ الآذان من مدفع رشاش.

في آخر الممر غاص عدد من أفراد الحرس الخاص في أوضاع الاحتماء، مُدافعين على الأبواب السميكة للـdie Große Halle (القاعة الكبرى)، الغرفة الرئيسة في منتجع هتلر الجبلي.

ردَّ كارل ورجاله على إطلاق النار بمثله، أصابت طلقاتهم طاولات الرخام المقلوبة أمامهم التي كان رجال الحرس خلفها يُدافعون عنها ببسالة. تناثر مسحوق الرخام مما كان ذات مرة سطح طاولة صقيل، وأضحى الآن مُحفَّراً بالتشققات بسبب إطلاق النار.

"يجب أنْ تتحرّك، يا كارل! سوف يحصلون على تعزيزات في أيّ لحظة!"

أومأ كارل برأسه موافقاً. لقد فهم الوضع فهماً تاماً.

كان الهجوم قد بدأ بسلامة. فقد تسلل هو ورجاله بهدوء متجاوزين موقعي المدافع الرشاشة على كلا جانبي الدرب الملتوية، وشقوا طريقهم

إلى أعلى المنحدر باتجاه شاليه هتلر على سفح التل. لكنَّ اللعبة تطورت عندما لمحهم أحد الحراس في اللحظة الأخيرة من اقترابهم من مدخل المبنى الرئيس. ونجح في إطلاق رصاصة واحدة من بندقيته قبل أنْ يحزّ ديتر عنقه.

كان حراس هتلر الذين انتقاهم بعناية سريعين بنحو مدهش في ردّ فعلهم، فهرعوا إلى حماية قائدهم خلف الأبواب السميكة الضخمة للقاعة الرئيسة، وأقاموا موقعاً للدفاع خارجه. أما باقي أفراد كتيبة الحرس الشخصي في المبنى فأرداهم رجال كارل بسرعة وبلا رحمة واحداً إثر آخر.

لم يبقَ غير الحراس العنيدين في آخر الردهة الآن. إلا أنَّ المشكلة هي أنْ هجومهم توقف عند تلك النقطة وكان الوقت يعمل بسرعة ضدهم. وخارج الشاليه تناهى عن بُعد نفير سيارة، ولا شك في أنَّ أفراد الكتيبة المتمركزة في الجوار يستعدون وكانوا في طريقهم إلينا.

كانت فرصة رجال كارل الخمسة الذين يحرسون المؤخرة ويغطّون المدخل الأمامي للشاليه للحفاظ على موقعهم بقدر فرصتهم للسيطرة على الطابق الأرضي من المتحف؛ كانوا حتماً سيُهزَمون بسرعة.

لم يكن كريمر جندياً، لكنه أدرك أنَّ هذه المحاولة الأخيرة قد تكون السبب في القضاء عليهم. إذا بقوا في هذا المأزق دقيقة أو دقيقتين أكثر، فإنَّ ذلك يعني نهايتهم. سوف تتكاثر بسرعة الأعداد المنقضّة عليهم، وكونهم مُزوّدين ببنادق نبض حديثة وحاصلين على تدريب ممتاز لن يُحدث أي فرق.

سوف نموت إذا لم نقضِ على أولئك الرجال.

نظر عبر الرواق إلى حيث كان كارل جاثماً. تقابلت عيونهما. أومأ الرجل برأسه، لعلمه بما يفكر فيه كريمر. انزلقت ابتسامة واهنة على وجهه وهو يصفع الخرطوشة الجديدة، وهيّأ بندقية النبض استعداداً للقتال.

حذا الرجال المحيطون بكارل حذوه، وأسرعوا بإعادة شحن أسلحتهم، ومن ثم استعدوا للانطلاق إلى العراء وإمطار الرواق بوابل من نار.

باشر كارل عدّاً تنازلياً صامتاً، بعد أنْ استدار نحو رجاله، وشجّعهم

بابتسامة عريضة ختامية متهورة كأنه يقول لمرتزقته إما أنْ تنجحوا في مهمتكم أو تموتوا أبطالاً.

خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد...

خرجوا من مواقعهم المُستترة خروج رجل واحد، مُشكلين سداً من النيران المُهلكة بطلقات سريعة وفعّالة ملأتْ الجو حول الطاولة بعاصفة من الشظايا المتطايرة ومسحوق الرخام.

تقدموا ركضاً، ولا يزالون يُطلقون النار، عشر ياردات... خمس ياردات...

خرج كريمر في إثرهم، ووجد نفسه يصرخ كأحد هنود الأباشي.

كان كارل أول الواصلين إلى الطاولة المقلوبة، مرتمياً بقوة عليها. وبسرعة أبرز بندقيته من فوق قمتها وأخذ يُمطر الحراس المُحتمين خلفها بالرصاص من دون تميز بدفعات ثابتة، إلى أنْ بدأتْ بندقيته تصدر صوتاً كصوت نقّار الخشب، بعد أنْ استنفدت ذخيرتها.

انضمَّ إليه رودي وشفِنْ، مُفرغين أمشاط ذخيرتهما من دون تمييز من فوق حافة الطاولة إلى الفراغ خلفها.

ثم فجأة ساد صمت كصمت القبور.

انجلت سُحُب الدخان والغبار من حولهم، ورفع كريمر رأسه بحذر شديد لينظر من فوق حافة الطاولة، فشاهد الرجال قتلى على الأرض، كتلة شنيعة من اللحم المسلوخ الجلد، والعِظام المكسورة والبزّات الرسمية السوداء الممزقة.

على البُعد، سمع إطلاق نار سريع صادر من واجهة المبنى، مكبوت بسبب الجدران الحجرية السميكة للشاليه.

لقد وصل جنود الكتيبة. لم يعد لدينا وقت.

ارتقى كارل متجاوزاً الطاولة وسدّد إلى الباب السميك من خشب السنديان رفسة قوية وسريعة. دمدموا بخطى ثقيلة وولجوا.

كان كارل أول الداخلين.

حالما خطا إلى الداخل، أطلقت رصاصة مسدس واحدة تردد صداها في أرجاء الغرفة وتطايرت شظية وحيدة من خشب باب السنديان بجوار رأسه.

خطا رودي إلى الداخل وأصبح إلى جواره، وأخذ يوجّه سلاحه إلى ما حوله، مُفرِغاً كمية من الطلقات في قائد قوى الدفاع المهيب الطلعة، الذي يُزيّن كتفيه بالنياشين، ومُردياً إياه نحو الخلف على مائدة وليمة كبيرة مُغطاة بخرائط وصفحات ورق مطبوعة متناثرة مملوءة بملاحظات استخبارية وخدمات ميدانية. تدحرج القائد إلى الجهة الأخرى من الطاولة وارتطم بصوت مكبوت ثقيلاً على الأرض.

خطا كريمر إلى داخل الغرفة، مُستعرضاً ببطء الوجوه الناضحة بالعرق والمنكمشة خلف الأرائك وطاولات القهوة. قادة وضباط ميدان - مُدجّجون بالذهب، وبالعديد من النياشين المثبّتة على صدورهم - ومع ذلك ها هم أقرب شبهاً بصف من الأطفال المذهولين. وأخيراً استقرّت عيناه على رجل يرتجف بزيّ أسمر اللون ذي شراشيب سوداء تنسدل فوق إحدى عينيه، وشارب واضح يُشبه فرشاة الأسنان.

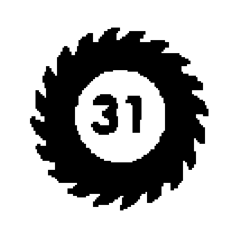
إنه من دون أدنى شك... الرجل الذي يسعون وراءه.

كان هتلر يربض مُقرفصاً على الأرض ويُمسك مسدساً معدوم الفائدة بيد ترتجف. ولما أصبح ضجيج إطلاق النار البعيد حول مدخل الغرفة أكثر وضوحاً، خطا كريمر خطوة إلى الأمام.

قال بالمانيّة فصيحة "أدولف هتلر، إنّ مُخططاتك للهجوم على روسيا خلال الأسابيع القليلة المقبلة سوف تنتهي بخسارتك الحرب".

اتّسعت عينا هتلر، وتحركت شفتاه وتوتّرتا، لكنه لم يقُل أي شيء.

"والآن، إذا أردت أنْ تربح هذه الحرب، إذا أردت معلومات استخبارية مُفصّلة عمّا يفعله أعداؤك في هذه اللحظة، إذا أردتَ الحصول على تقنية الأسلحة التي تجعلك خفيّاً..." - وأومأ برأسه باتجاه الرواق، إلى إطلاق النار المتناثر المتزايد ويزداد قُرباً - "أقترح عليك أنْ تُبعِد أولئك الرجال في الخارج وأنْ تُصغي جيداً إلى ما سأقوله لك".



2001، نيويورك

سارت مادي إلى جوار فوستر في أثناء اجتيازهم جسر وليامسبرغ الممتد فوق نهر إيستر متوجهين إلى بروكلين. في الظلام، رقصت أضواء المدينة على صفحة الماء بتشكيل رائع.

قالت "إنها حقاً مدينة جميلة".

أومأ فوستر برأسه موافقاً. قال "إنّ هذه الليلة مميّزة. لطالما اعتبرتُ هذه الأمسية آخر أمسية في نيويورك القديمة. وغداً، عندما تصل تينك الطائرتين، سيتغيّر كل شيء".

سارا في صمت بعض الوقت، يُراقبان الآخرَين اللذين يتقدّمانهما. بدا أنّ سال وليام يُضايقان بوب، ويضحكان من طريقته الجامدة، المُصطنعة في المشي. في رأيها أن لا ضرر في ذلك. إنّ بوب في حاجة إلى أنْ يشعر أكثر بأنه بشر إذا أراد أنْ يندمج، خاصة إذا كان سيُرسَل مع ليام في مهمات إلى الماضي.

لاحظتُ أنّ العجوز يبدو أكثر هشاشة بقليل مما كان عندما انتزعها من تلك الطائرة. كأنه لا ينام أبداً. في كل ليلة، بعد أنْ ياوون جميعاً إلى أسرّتهم، تسمع باب القنطرة يُفتَح.

"إلى أين تذهب ليلاً؟"

نظر إليها.

هزّت كتفيها باستخفاف. "إنني اسمعك وانت تتسلل إلى الخارج".

ابتسم. "أتجول في بروكلن. أصفّي ذهني. إنَّ الهواء المنعش يُفيدني".

دقّقت النظر إليه في صمت برهة. قالت "هل أنت على ما يُرام، فوستر؟"

أخذ فوستر وقته للإجابة. أخيراً قال "إذن، لاحظتِ؟"

"لا أفهم بالضبط ما تعني".

أجاب بهدوء "اعني اني احتضر".

"ماذا؟"

نظر إليها. "لقد خمّنتُ أنكِ ستوصلين إلى معرفة هذا سريعاً".

"في الواقع، كنتُ أفكر تواً في انكَ تبدو في صحة جيدة... هذا كل شيء".

ابتسم من جديد. "هذا لطفٌ منكِ. لكنَّ الحقيقة هي أني أحتضر... وبسرعة".

"ما هو... ما هو مرضك؟ هل تحتاج إلى طبيب؟"

قال، هازاً رأسه، "كلا، لن يُفيدني. إليكِ شيئاً تحتاجين أنتِ إلى معرفته، يا مادي"، قال هذا وهو يقبض على ساعدها، "لا يمكنكِ أنْ تخبري الآخرين في الوقت الحالي. خاصة ليام".

"ماذا؟"

أخذَ فوستر نَفَساً عميقاً. "إنّه يقتل، في نهاية المطاف".

"مَنْ الذي يقتل؟"

أجاب "ركوب الزمن، التوغل في الماضي. لكنَّ تأثيره تدريجي في أول الأمر، وبطيء التدرُّج إلى درجة أنه لن يُلاحظه من أوّله. ولكن كلما مارسه، توغّل أكثر في الماضي، وسبّب أكثر الضرر لجسمه. سوف تُخرِّب العملية بالتدريج خلايا جسمه، ويُصبح عجوزاً قبل الأوان".

نظرتْ إليه، فزعة.

"نعم... ستُصيبه بالشيخوخة. في أول الأمر لن يكون ذلك ظاهراً. ولكن مع اقتراب النهاية، عندما يصل الخراب إلى مستوى معيَّن، سيبدأ

مجاة بالتقدُّم في السن بسرعة".

خطرتْ لها فكرة. سؤال لم ترغب في طرحه، لكنها أدركتْ أنها يجب أنْ تفعل. "هل أستطيع، يا فوستر، أنْ أسألك؟"

"تريدين أنْ تعرفي عمري الحقيقي؟"

أومات برأسها إيجاباً.

هزّ رأسه بحزن واعتقدتْ أنها رأتْ لمعان دمعة تستقر في عمق تجعيد تحت إحدى العينين.

"عندما قمت برحلتي الأولى كنتُ لا أزال شاباً صغيراً".

"والآن؟"

قال، وهو يُمرر يده خلال شعره الأبيض بياض الثلج، "إذا جمعتُ أيام الاثنين والثلاثاء التي خدمت فيها في المكتب الميداني كلها، أعتقد أنّ عمري الآن سيكون سبعة وعشرين عاماً".

أسكتت مادي شهقتها بيدها. "أوه يا إلهي..."

نجح في رسم ابتسامة ساخرة. "أي إني أكبرك بعشر سنوات تقريباً. وعلى الرغم من أني في داخلي لا ازال شاباً، إلا أني أصبحتُ رجلاً عجوزاً". قال هذا بصوت يتحول إلى نبرة ندم، بل مرارة. ثم اضاف "لا ينبغي أنْ يعرف، يا مادي. ليس الآن... إنه ليس مُستعداً بعد".

"ولكن ليس من العدل ألا يعلم ما يفعله هذا بجسمه!"

رفع فوستر إصبعاً إلى شفتيه. على الرغم من هدير حركة المرور المُدمدمة فوقهم على الجسر المزدحم، استطاع صوتها أنْ يصل إليه بمقدار كاف.

"ليس لديه خيار، يا مادلين. فإما أنْ يفعل هذا أو يعود إلى سفينة التايتانيك. على الأقل بهذه الطريقة يستطيع أنْ يفوز بسبع سنوات أو ثمان أخرى من الحياة".

"وماذا لو أنه ترك الأمر؟ ماذا لو أنه قرر أنْ يرحل الآن، وألا يعود أبداً؟"

"لا يستطيع أنْ يفعل ذلك. سوف يُسبّب لنفسه المشاكل".

شعرت بصوتها يُصبح خشناً "إنْ هذا يبدو... يبدو ظلماً".

هزّ كتفيه حزناً. "إنَّ الحياة ظالمة. وعليكِ أنْ تستفيدي قدر استطاعتك ممّا تمنحك الحياة، يا مادي. وفي حالة ليام، لقد وُهِبَ بضع سنين أُخَر من الحياة ما كان ليفوز بها في حالة أخرى. ثم فكري في كل الأشياء الرائعة التي سيشاهدها في خلال تلك السنوات. ثم ماذا عن كل الأشياء التي شاهدها حتى الآن؟ إنه شاب وُلِدَ في عام 1896، ومع ذلك لم يستمتع إلا الآن بأكل شطيرة الجبن، والبطاطا المقلية والصودا المثلجة، وهو يُحدِّق إلى نيويورك القرن الحادي والعشرين. ماذا في اعتقادك كان يمكن لجول فيرن أو هـ. ج. ويلز أنْ يهبوا مقابل أنْ يحلّوا مكان ليام؟ ولو لخمس دقائق فقط؟ ولو لإلقاء نظرة سريعة إلى هذا العالم؟

أجابت "ولكن لا يجوز ألا يُسمح له بمعرفة الأمر".

قال فوستر "لعلّ الأفضل إخفاء هذه الحقيقة عنه أطول مدة ممكنة"، ونظر إليها. "وهذه مهمتكِ، يا مادلين، بعد أنْ أرحل في نهاية المطاف وأتركك مسؤولة عن الفريق وقائدة له. سيُترك إليك أمر تقرير متى وكيف تنقلين الخبر إلى ليام".

عضّت على شفتها بانزعاج ونظرت من جديد إلى الآخرين اللذين كانا لا يزالان يقهقهان ويسخران من بوب.

آه، ليام... مسكين ليام.

قالت سال، وهي ترفع غطاء رأسها إلى أعلى "أعني أنتما الاثنين يبدو أنَّ فيكما... شيئاً خطأ. إنه عرضٌ عجيب. كأنكما شخصيتان مأخوذتان من فيلم قديم بالأبيض والأسود".

تجهّم وجه ليام. "ماذا تقصدين؟ ألا أشبه كل شخص هنا؟"

هزّت رأسها نفياً وضحكت. "كلا، إنَّ طريقتك الأيرلندية المُضحكة في الكلام..."،

أجاب بلهجة دفاعيّة، "أنا من كورك، وهكذا نتكلم هناك. على أيّ حال، إنَّ لكنتكِ الهندية تبدو لي أيضاً مُضحكة. تُشبه اللكنة الويلزية".

ضحكت. قالت، وهي تلكز وحدة الدفاع بخفّة في أضلاعه، "بوب، قلّد ليام".

"تريدين مني أنْ أُقلّد طريقة ليام أوكنر في الكلام؟"

"هيا".

أخذ بوب يرف جفني عينيه وأصدر صوتاً بينما كان يستعيد البيانات المُخزّنة في مكان ما في حاسوب عقله الصغير.

"أونا ليام أوكنر، هو ذا أنا... وأونا أتيت من كورك في أويرلند"، هكذا قال بوب بوجه خالٍ من التعبير.

قهقهت سال. "رائع".

"أوووه! لا تزعجيني هكذا، يا سال. انتظري..."، وضيّقَ ليام عينيه، "لا أظنكِ كنت تدرّبينه على فعل هذا. هل فعلت؟"

أومأتَ برأسها، وهي تزمّ شفتيها بشدّة.

قال بوب بلهجة جافة. "حتماً، لقد ساعدتني سال فيكرام على تقليد أسلوبك في الكلام يا ليام أوكنر".

هزّ ليام رأسه تعبيراً عن اشمئزاز ينمّ عن طيبة قلب. "حسن، على الأقلّ أنا لا أرتدي ملابس كمتسول في الشارع، ملابسي كلها ممزقة والدهان البرتقالي المشوش يلطخ وجهي".

"آه؟" نظرت سال إلى الشعار الفوسفوري المكتوب على سترتها ذات القلنسوة. "أوه، تقصد هذا... إنه شعار فرقة موسيقى روك . أس - زد".

"فرقة روك؟"

"بانغرا روك... والداي يكرهانها كثيراً. يقولان إنّ طابعها غربي - أميركي جداً".

قال ليام، وقد أوما برأسه تأدباً، ولكن من دون أنْ يفهم عمّا كانت تتكلّم، "أوه".

"لكنها أفضل عشر مرات من الموسيقى الأميركية... وأكثر تشاؤماً، مع قليل من رقص الهيب - هوب وصراخ على طريقة الراب".

تجهّم وجه ليام. حركات رقص الهيب - هوب؟

نظر إليها. "رقص... آآآآه! إذن نحن نتحدث عن نوع من الموسيقى؟"

نظرت سال إليه، وعلى وجهها ظل ابتسامة، وظل ذهول.

هزّ كتفيه استخفافاً وكشّر. "هيه، أنا أيضاً أحب الموسيقى. أحب فرق العزف النحاسية. وأيضاً الفرق الجوالة. أؤكد لك، يمكنك أنْ ترقصي وتمرحي كثيراً على إيقاعها. ثم هناك الألحان الشعبية في مسقط رأسي. هل سمعت ب"سباقات غالواي"؟ و"مولي مالون"؟... و"الشحاذ المرح"؟"

حدّقت إليه في صمت.

"لم تسمعي؟ لا أعتقد ذلك". هزّ ليام كتفيه بلامبالاة. "آه، حسن... إنها أغانٍ تستطيعين أنْ ترقصي عليها كثيراً. ثم هناك الـ..."

أصغت سال إليه وهو يثرثر عن الرقص وصالات الرقص في كورك، مستمتعة في سرها لأنه يبدو كقطعة أثرية تسير على قدمين - شاب عتيق الطراز من عصر آخر، بكل سلوكياته وسحره الطريف - ولا يُشبه في أي شيء فتية زمانها. لقد أحبّتْ رنين لكنته الغريبة، على الرغم من أنها تزعجه.

ابتسمت سال. ما أغرب فرقتنا الصغيرة.

كأننا عائلة غريبة الأطوار.

للمرة الأولى منذ أنْ "ماتت"، منذ أنْ انتُزعَتْ من الحياة التي تعرفها، كادت تشعر أنها... تقريباً سعيدة. شعرتْ، بنحو غريب، بأنه يمكن أنْ يصبح وطناً جديداً لها، حياة جديدة يمكنها اعتيادها.

مدّت بصرها نحو أضواء مانهاتن المتلألئة، مسرورة لأنْ مكتبهم الميدانيّ موجود هنا... والآن في هذا الزمن، مسرورة لأنها حظيت بامتياز مشاهدة نيويورك في عزّها قبل أنْ يبدأ العالم بالتغيُّر - الانهيار العالمي، والكساد - قبل أنْ يبدأ الانهيار الطويل إلى الدرك الأسفل.

كانت السماء الليلية فوقها ملبّدة بالسحب المضطربة، تصبغها أضواء المدينة في الأسفل بلون كهرمانيّ.

سماء حمراء في الليل... بهجة الراعي.

بدا كأنها ستُمطر هذا المساء.

طيَّرَ نسيم رقيق الشعر إلى عينيها ولامس بشرة ساعديها العاريين. نسيم مُغمغم، كأنه يهمس بهدوء في أذنها ويعِدها بأكثر من مطر خفيف.

العاصفة قادمة، يا سال... ألا تشعرين بها؟

32

2001، نيويورك

الثلاثاء 12 أو 13 (لم أعدْ أعدّ الأيام)

نحن في صباح يوم ثلاثاء. إنّ أيام الثلاثاء بالنسبة إليّ أيام "حزينة". وأيام الاثنين أيام "سعيدة". أنا أكره أيام الثلاثاء، كلها حزن، وتينك البرجين التوأم ينبعث منهما الدخان، والبكاء والخوف... والدمدمة المرعبة التي صاحبت انهيارهما، والهواء المملوء بالغبار وقُصاصات الورق.

إنني أفضّل الا أخرج وانخرط معهم. افضّل أن الازم القنطرة. لكنّ فوستر يقول إنّ من المهم أنْ أتعرّف على قدم المساواة إلى نسختيّ نيويورك، "قبل" و"بعد".

الوقت مُبكّر الآن، السابعة صباحاً. إنني دائماً أبدو كأنني أول المستيقظين. الآخرون مستغرقون في النوم. مادي تغط على السرير السفلي. وليام ينْ كجرو.

رفعتْ سال بصرها. السكون يخيّم على القنطرة. فوستر نائم على أريكة قديمة بجوار فجوة المطبخ، يتقلّب بقلق تحت اللحاف. وبوب... بوب يرتاح في أحد أنابيب الولادة في الغرفة الخلفية. تساءلتْ تُرى بمَ يحلم، إنْ كان قادراً على الحلم؟

أغلقت دفتر يومياتها، واعتدلتْ في جلستها وارتدت بعض الملابس

تحت غطاء السرير، ومن ثم غادرت السرير بهدوء. حملت كيس القمامة الذي يحتوي ملابس قذرة الموضوع بجوار السرير السفلي ومشت حتى طاولة الإفطار.

أحد الواجبات - المتّفق عليها - كان اعتبار يوم الثلاثاء كل أسبوعين يوماً جيداً لأخذ مخزونهم من الملابس القذرة إلى غرفة الغسيل في الصباح لكي تُجمَع في المساء.

تفحّصت محتوى ثلاجتهم الصغيرة.

لا حليب.

تنهدتْ. كان أحدهم قد أجهزَ على آخر كمية من دون أنْ يُخبر أحداً.

هزّتْ رأسها يأساً وقرّقت كالدجاجة الأم.

لولاي لماتوا جوعاً.

قرّرت أنْ تعرّج على أحد المتاجر التي تفتح أبوابها 24/7 في طريق عودتها لتشتري بعض الحليب نصف الدسم، وبعض الخبز اليهودي، والمزيد من الأرز بما أنّ ليام اكتشف لديه ولعاً به، وبدا أنه يلتهم منه كميات كبيرة.

ضغطت الزر الأحمر فارتفع المصراع مع هدير خفيف، وأخذ يُطقطق ويسمح لهواء المدينة الصباحيّ البارد بالدخول. استنشقته بعمق ونظرت عالياً إلى السماء الزرقاء الصافية. سوف يبدأ كيوم جميل مُشمس... كالمعتاد.

قامت سال مع السيدة الصينية العجوز العذبة التي تعمل في محل الغسيل بإسقاط الملابس القذرة. كانت عجوزاً ثرثارة وقد بدأتْ سال توثّق معرفتها بها، ودائماً تتكلّم بفخر - أحياناً بإنكليزية ضعيفة، وتارة بالكانتونيّة[1] - عن قريبها الذي أعلنتْ بسرور أنه "دائماً يرتدي بزّة أنيقة وغالية الثمن عندما يتوجه إلى مركز عمله". وطبعاً، كانت تتلقّى منها الترحيب نفسه كلما دخلت المحل، وكأنها ترى سال للمرة الأولى.

طبعاً كانت تفعل ذلك. لكنّ سال قرّرت بتهذيب أنْ توجّه دفّة حديث

---

1 الكانتونيّة: لغة يتحدث بها أهل مدينة كانتون في الصين وهونغ كونغ وبعض المناطق الأخرى في الصين، وخارج الصين. (المترجم)

الثرثرة الوجيز نحو اتجاهات مختلفة مع كل زيارة... وأصبحت تعرف تدريجاً في كل مرة أكثر قليلاً عنها وعن عائلتها.

اجتازت الجسر متوجهة إلى مانهاتن، مُستمتعة بالشمس الدافئة وبمشهد شوارع المدينة وهي تزداد ازدحاماً باطراد. كان الهواء يعبقُ بروائح ممتعة وكريهة على قدم المساواة، ولكن حسبما تذكر لم يكن هناك ما يفوق سوء الروائح المنبعثة من قلب مدينة ممباي - خاصة في الأيام المُثقلة بالضُبخن. لدى وصولها إلى الجانب الشرقي المنخفض من مانهاتن، التقط أنفها الرائحة الحادة للأدخنة المُرهَقة الممزوجة بالعبق الذكي المُبهج للقهوة المُعدّة حديثاً والخبز اليهودي المخبوز في الفرن تصاعد من محال بيع القهوة المتنوعة ومطاعم الوجبات السريعة التي مرّتْ بها في أثناء عبورها شارع برودواي ومنه إلى ساحة تايمز.

لاحظت بحزن أنّ يوم الثلاثاء يبدأ بصورة جيدة جداً. الآن، في الصباح الباكر، النهار رائق بأفضل ما يتوقعه المرء. نظرت في ساعة يدها.

الساعة 8.32 صباحاً.

سوف يستمر النهار جميلاً على مدى الدقائق الثلاث عشرة التالية. تنهّدت بحزن. بعد ذلك سوف يتحول إلى كابوس يوم ٩/١١. ولجتْ قلب زحام ساحة تايمز وجلست على أحد المقاعد - مقعدها المعتاد - بجوار صندوق قمامة الأوراق. راحت تراقب حركة المرور المتواترة بين توقف وسير عند تقاطع الطرق المليء بالحركة والأرصفة التي تمتلئ بأناس في طريقهم إلى مراكز أعمالهم: رجال يشعرون مُقدّماً بالحرّ ويحملون ستراتهم على أذرعهم ويحلّون أربطة أعناقهم، ونساء بلوزات صيفية أنيقة وبزّات مع بنطلونات من الكتّان الخفيف.

الساعة 8.34 صباحاً. بقيتْ إحدى عشرة دقيقة.

إنّ صورة وجه "شريك" الأخضر الكبير، الذي يشعر بدوره بالذهول والغضب من "دونكي"، مُعلّقة فوق الساحة - كالمعتاد. أخذت تتفحص

لوحة إعلان الفيلم السينمائي وغيرها الموزعة حول الساحة، وبدأتْ تجدها جميعاً مألوفة حتى الابتذال، كمُلصقات غرف النوم التي تنتمي إلى عصر سابق كثيراً لعصرها ويجب استبدالها بغيرها.

الساعة 8.37 صباحاً. بقيت ثماني دقائق.

رجلٍ متشرّد يتقدَّم من المقعد – كما يفعل دائماً عند الساعة 8.37 صباحاً – دافعاً أمامه عربة تبضُّع، ممتلئة عن آخرها بعلب الكرتون والقماش المُشمّع. ابتسم لها بتهذيب – كما يفعل دائماً – قبل أنْ يُباشر البحث داخل حاوية القمامة والعثور على قطعة سجق مأكولٍ نصفها.

جلسَ إلى جوارها، وتجعّد وجهه المثلُم والمُعلّم بآثار الجُدري، ربما بآخر ابتسامة سوف تشهدها نيويورك اليوم، وفتح فمه ليقول الشيء نفسه الذي يقوله دائماً.

"مرحباً، كم أنا محظوظ... ما زال الجو دافئاً!"، وأخذ يقضم بنهم شطيرته التي أنقذها.

بادلته ابتسامته بمثلها بتهذيب.

قالت "أنا سعيدة". وقد كانت كذلك حقاً. إنها على اطّلاع على الساعات القليلة المقبلة بحيث تعلم أنَّ تلك هي آخر لحظة عابرة من الرضا بقيت في ذلك النهار، مع صعلوك متشرّد، يمضغ بقناعة قطعة سجق منبوذة مع الخبز.

الساعة 8.43 صباحاً. بقيت دقيقتان.

رفعت نظرها إلى الأفق، فشاهدتْ عن بُعد ذروتي برجي مركز التجارة العالمي، يلمعان كفضّة مصقولة تحت ضياء الصباح؛ بناءان شامخان بثقة كأنهما يلفان السماء الزرقاء ويلمسانها فعلاً. داخلهما... أعداد غفيرة من الناس، جالسين ليباشروا يوم عمل عادي، فيفتحون رسائلهم الإلكترونية، ويزيلون أغطية أكواب القهوة، وورق لف شطائر لحم البقر المملح مع الخردل.

الساعة 8.44 صباحاً. بقيت دقيقة واحدة.

أنهى الصعلوك تناول طعام إفطاره وتنهّد برضا.

التفتَ إلى سال والتقط أنفاسه ليقول ما يقوله دائماً في مثل هذا الوقت.

"سيكون نهاراً استثنائياً، أليس كذلك؟"

أومأتْ برأسها إيجاباً. "نعم، هو كذلك".

نهضَ الصعلوك عن المقعد وتابع جرّ عربته أمامه مبتعداً، وهو يُصفّر بمرح في أثناء سيره.

الساعة 8.45 صباحاً. لم يتبقَ إلا بضع ثوانٍ.

كم كرهت سال هذا العدّ التنازلي، الذي يبدأ بأزيز ناءٍ لمُحرك في السماء وينتهي بصرخات عدم التصديق تصدر عن المُشاة من حولها، وبعد لحظة يحدث الانفجار والانهيار الناجمين عن اصطدام الطائرة.

لقد جلست تستعرض هذا مرات عديدة. هل تقول مئات؟ أم آلاف؟ تساءلت سال إنْ كان هذا سيُسهّل عليها الأمر، أنْ تعُدّ هذه اللحظات الأخيرة المتبقّية.

أغمضتْ عينيها. لعلّ فوستر لن يُحبّذ هذا إذا علِم به، ولكن هناك الكثير من الأزمان أمامها لتشهد أحداثها.

اصبح في استطاعتها الآن أنْ تسمع أزيز الطائرة.

ثم شعرت به: إحساس يُسبّب الدوار بفقدان التوازن، بالسقوط، وكأنّ الأرض سُحِبَتْ للحظة من تحت قدميها.

فتحتْ عينيها، ورفعت بصرها... وشهقت أمام ما رأتْ.

دقّقت مادي النظر في الشاشات الماثلة أمامها، وإبريق من القهوة المتبخّرة في يدها - قهوة سادة لأنّ أحدهم استهلك ما تبقّى من حليب و لم يترك منه شيئاً للإفطار - وانتظرت أول شريط إخباري لكي ينقل خبر حدوث "ما يُشبه الانفجار" في مركز التجارة العالمي.

نظرت في ساعة الحاسوب. إنها 8.45.
لقد حان الوقت.
بيْن القرص الآن الساعة 8.46
حسن، لقد تجاوز الآن الوقت المُحدد.
دمدمت "همم". تلفّتت حولها تنظر إلى الآخرين. كان ليام متراخياً ناعساً على سريره، يقرأ في مجلة "ناشو نال جيوغرافيك"، كان قد عثر عليها مرمية على أرض القنطرة. وظلّ فوستر، الذي بدا أكثر هشاشة ومريضاً في صباح هذا اليوم، مستغرقاً في النوم على أريكته. وكان بوب لا يزال في أنبوبه، بعد أنْ تلقّى غذاءه عن طريق الأوردة بمادة قذرة فظيعة المنظر.
"إرر..." كان هذا أقصى ما استطاعت مادي نطقه في تلك اللحظة.

حدّقتْ سال معقودة اللسان إلى عالم مختلف تماماً حولها. لقد اختفى شريك ودونكي، وكذلك مُلصقات أفلام *Mamma Mia* و كوكب القرود. ولاحظت أنّ هناك بعضاً من الأبنية الأكثر حداثة، وقد بدت بدورها مختلفة قليلاً.
لكنَّ الأهمّ هو أنّ البرجَين التوأم اختفيا وحلَّ محلهما، ولكن ليس بمثل علوّهما ولكن بفخامتهما نفسها، عمود عملاق من الرخام يتبوّأه علم الانتصار الهائل يرفرف بافتخار.
انخفضتْ عيناها إلى مستوى الشارع. لقد بدا أقلّ فوضى بكثير: فهناك عدد أقلّ من لوحات الإعلانات تزيّن جانبي الأبنية، وواجهات المتاجر تبدو بصورة ما أكثر ترتيباً، وتحفّظاً، ورُقياً، والشوارع أقلّ ازدحاماً بكثير بالسيارات التي بدت هي نفسها عتيقة الطراز بصورة غريبة، ذكّرتها ببعض "الأتوموبيلات" الغريبة المنظر التي كانت قد شاهدتها ذات مرة في متحف وسائل النقل.
نظر المارة الذين كانوا أقلّ عدداً بكثير قبل لحظات مضتْ إلى ملابسها الرثّة باستغراب. نظرتْ إلى أسفل وأدركتْ أنَّ سترتها ذات القلنسوة

والمكتوب عليها أس - زد بألوان برّاقة، وبنطلون الجينز الممزق والمُبقّع، يبرزان بتعارُض تامّ مع البزّات الرصينة الرمادية اللون الخالية من التميُّز الموجودة في كُل مكان. وثمة شيء آخر: كان كل شخص بالمعنى الحرفي يضع عصابة حمراء اللون على ساعده عليها دائرة بيضاء وبعض الأشكال السوداء الصغيرة. ذكّرتها بأفلام الحرب القديمة؛ كان الأشرار هم الذين كانوا يضعون أربطة الساعد الحمراء تلك...

ماذا كان اسم أولئك الأشرار؟ آه نعم... النازيون.

التفتت بحثاً عن الصعلوك الذي كان جالساً على المقعد بجوارها، لكنه اختفى، مع عربة التبضُّع. وعندما استشعرت بأنّ العديد من العيون الفضولية بدأتْ تُسدد نظراتها إليها، نهضتْ واقفة من المقعد وأسرعت تقطع الرصيف المزدحم وتنتقل إلى بداية شارع خلفي أكثر هدوءاً. أخرجت هاتفها النقّال واتصلت بالمكتب الميداني.

أظهرتْ الشاشة كلمتين. لا توجد إشارة.

تشوّشت برهة، ثم ادركتْ بسرعة انها لا ترى أحداً يتكلّم بهاتف محمول. في الحقيقة، إنها لا ترى أحداً يحمل مثله، ولا ترى اي إعلانات عن بيع بطاقات الهاتف او عن محال تقديم الخدمات او صفقات خالية من الضرائب، ولا أكشاك لبيع أغلفة هواتف جديدة... لا شيء على الإطلاق يتعلّق بالهواتف النقّالة.

*

رفعتْ مادي بصرها إلى فوستر.

قالت "لم يقع حادث اصطدام الطائرة". ثم أضافت "وبعد لحظة اختفت معظم شاشات الأخبار"، وأشارت إلى صف الشاشات التي أخذت حينئذٍ تخفق في وقت واحد مُظهرة إشارة الخطأ.

أومأ فوستر برأسه، يبدو زائغ العينين جرّاء إيقاظه، وشاحباً بدرجة لم تعجبها، مفكراً. قال بهدوء "نحن في ورطة... إنّ هذا يدل على تغيُّر كبير.

في المعتاد يحدث التغيُّر على شكل تموجات دقيقة في أول الأمر لا تنتج منها إلا تغيرات بسيطة، ثم تحدث غيرها أكبر إذا كانت الأحداث على مسار التسلسل الزمني غير صحيحة".

بدا أنَّ إحدى شاشات الحواسيب كانت لا تزال تعمل، إذ تحت راية حمراء بارزة تحمل شعاراً ظهرت عناوين أخبار اليوم.

سأل ليام، مُشيراً إلى الشعار على الراية، "ما هذا؟"

اجابت "يُذكّرني قليلاً بصليب النازية المعقوف، لكنه ليس هو".

سأل ليام "ما هو الصليب المعقوف؟"

أشاح فوستر بيده، "آسف، يا ليام... سوف أجعلك تلحق بركاب الزمن لاحقاً". نظر بإمعان أكثر إلى الشعار. "يبدو أشبه بسمكة الأنقليس السوداء أو بحيّة أو ما شابه، تعضّ ذيلها".

أضافت مادي "نعم".

لمح ليام شيئاً لم يكن الاثنان الآخران قد لاحظاه بعد. "أتساءل إنْ كنتما قد لاحظتما أنَّ الأخبار تردُ بلغتين؟"، مُشيراً إلى النصف السفلي من الشاشة حيث نُسخت الأخبار نفسها ولكن بلغة أخرى.

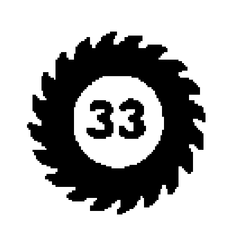
قالت مادي "الألمانية والإنكليزية، هذا كل ما أرى. ولا خيارات للغات أخرى".

التفتَ فوستر إليهما واستجمع أفكاره. "حسن، إنْ الأمر لا يتطلّب عبقرياً ليفهم أنَّ التاريخ قد تغيَّر لكي يُجسّد تبدّلاً مهماً جداً".

اقترحت مادي "إرر... أيُعقل أنَّ الألمان ربحوا الحرب العالمية الثانية؟"

"بل أكثر من ذلك، يا مادلين. يبدو أنهم انتقلوا وتغلّبوا على أميركا".

نظر ليام إلى وجهيهما الشاحبَين. "إنَّ هذا لا يبشّر بالخير، أليس كذلك؟"



2001، نيويورك

طقطق مصراع القنطرة برفق وهو يرتفع. التفتوا ثلاثتهم بقلق. وسرعان ما اطمئنوا عندما شاهدوا صاحبة الحذاء الطويل الرقبة والساقين النحيلتين.

هتفت مادي "سال! كان القلق قد بدأ يساورني عليك".

دخلت بخطى أنيقه وأغلقت المصراع. قالت، وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة "كل شيء... أصبح مختلفاً... هناك في الخارج. إنني خائفة... هاتفي المحمول لم يكن يعمل".

التفت فوستر إلى مادي. "نعم، طبعاً. في هذا التاريخ الجديد ربما ليس لديهم أشياء مثل وسائل الاتصال عن بُعد وأقمار صناعية في المدار".

أضافت "أو هوائيات الهاتف المحمول. إذا كانت هذه أشبه بحكومة على النمط النازي، لعلهم ليسوا متحمسين كثيراً لترك الناس يتواصلون بعضهم مع بعض بسهولة".

أجاب، ويداه مضمومتان بتفكُر، "هذا صحيح".

قالت مادي، وهي تومئ إلى الشاشة، "وهذا. هذا يبدو أشبه بموقع أخبار على النت ترضى عنه الحكومة".

رسم تعبيراً ساخراً على وجهه. "وهذا يعني أننا لا يمكن أنْ نثق به تماماً كمصدر للمعلومات".

أشارت مادي "ولكن هذا كل ما يتوافر لدينا".

أومأ برأسه موافقاً. "هذا صحيح".

أومأ ليام إلى سال كي تقترب منه. قال، وهو يربت مقعداً خالياً بجوار الرجل العجوز، "تعالي واجلسي هنا. دعيني أقدم لك كأساً من الماء أو ما شابه".

قالت وهي تلهث "شكراً لك".

مدّ يده ولمس كفها برفق. "هل كان كل شيء على ما يرام هناك، يا سال؟"

أومأتْ برأسها. "كنتُ... في أحسن حال! كان شيئاً مُخيفاً. وكأني في عالم آخر".

توجه إلى تجويف المطبخ وملأ كوباً من الزجاج بماء الحنفية.

سأل فوستر "هل هناك جزء خاص بالأرشيف على هذه الصفحة؟"

حرّكت مادي المؤشر عبر الشاشة. "نعم"، ونقرتْ زراً على شريط المعلومات.

[مواقع مُستخدَمة/Geschichte].

توقفت الشاشة وخفقت قبل أنْ تعرض لهما لائحة محدودة بدرجة مفاجئة.

سخرت مادي قائلة "لا أرى هنا الكثير من المعلومات".

دقق فوستر في اللائحة القصيرة من المواد. "هنا، انقري على التسلسل الزمني ... Zeitlinie".

فعلتْ، وبعد لحظة ظهر أمامهما رسم بيانيّ لعمود زمنيّ يُبيِّن الأحداث المهمة خلال الخمسين سنة الأخيرة.

قالت، مُشيرة إلى الشاشة. "يا إلهي... انظر، 1997: نهاية الحرب مع الصين. 1989: عيد مولد الفوهرر المئة. 1979: أول إنسان في الفضاء..."

قال فوستر "ولكن انظري إلى بداية التسلسل الزمني".

تجهم وجه مادي. "إنه يبدأ في عام 1959. لمَ لا يوجد أي شيء قبله؟"

"لا أعلم".

نقرتُ على زر بجوار عام البداية فأجابه مربع أحمر يُنبئ بالحوار:

.Frühgeschichlenfrugen erfordern korrekte Ermachtigung

إنّ بلوغ مواقع مُستخدمة سابقاً يتطلّب إجازة.

هزّت مادي رأسها. "يبدو أنّ التاريخ قبل هذا التوقيت كان غير محدود بالنسبة إلى الجميع. إنّ كل شيء يبدأ في عام 1956". ثم تفقّدت ما يميّز ذلك العام تاريخياً. "عام 1956: أميركا تحتفل بانضمامها إلى الرايخ الأكبر".

نقرت مادي على الشريط فظهرت المقالة القصيرة. وكانت تحتها صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود ومبرغلة تبيّن شارعاً في إحدى المدن يحفّه من الجانبين أناسٌ مرحون وموكب من السيارات يمر فيه. قرأت الكلمات بصوت عالٍ.

"أيلول، عام 1956: نائب الرئيس ترومان يُسلّم على مضض بالهزيمة ويوقّع على الاستسلام غير المشروط في حضور أعلى ضابط ميداني رتبة للفوهرر، الرايخ مارشال هاس. وقد أصبحت الأمة الأميركية الآن جزءاً من الرايخ الأكبر. والفوهرر يتلقّى الترحيب في شوارع واشنطن من مئات آلاف المؤيدين المتحمسين، يحدوهم وعده بإنقاذ أمتهم من سنوات العوز والشدّة". هزّت رأسها غير مُصدّقة. "لا أصدق هذا! لا أصدّق أنْ يستسلم الشعب الأميركي ويُحب بادولف هتلر قائداً له. هذا جنون!"

أومأ فوستر موافقاً. "حسن، أوافقك على أنه أمر عجيب. ولكن سواء فعلوا أو لم يفعلوا ذلك، فإنّ التاريخ خرج عن مساره... وبعنف".

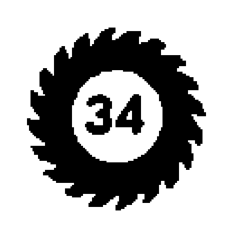
التفتَ إلى ليام. "أنا آسف، يا بنيّ. أشعر كأني أرمي بك إلى التهلكة. نحن في حاجة إلى إرسال شخص إلى الماضي لتبيُّن ما يجري".

أجاب ليام من دون حماسة "آه... حسن".

أجاب فوستر "ولكن هذه المرة، أخشى أني في هذه المرة لن أتمكن من مرافقتك".

ابتلع ليام لعابه قلقاً. "سـ... سـ اذهب وحدي؟"

"كلا، سيذهب بوب معك".
"أنا... أنا لستُ متأكداً من أني..."
"أنا آسف، يا بنيّ، ولكن ليست أمامك خيارات هنا. يجب أنْ تعود وتعرف ما يجري".
"ولكن لَمِ لن تأتي أنت؟"
تقابلت عَينا فوستر بعيني مادي بنظرة خاطفة. "إنَّ المسافة طويلة جداً عليّ".
"ولكن، ألم تعُد إلى عام 1912 لتجلبني؟"
"نعم... نعم، فعلتُ، ولكن هذه المرة... أنا آسف، إنني مُضطر إلى الابتعاد".
"اوه".
التفتَ إلى سال. "يجب الا نضيّع أي لحظة. انعشي بوب من انبوب ولادته".
أومأت برأسها موافقة وانطلقت إلى الغرفة الخلفية.
"مادلين".
"نعم؟"
"يجب أنْ نُعدّ البيانات من أجلِ بوب. يجب تعبئة مخه بكل هذا التاريخ البديل. وايضاً، يجب انْ يُلمّ إلماماً تاماً باللغة الألمانية، وسوف أزوّده من ملفاتنا على النت بكل ما لدينا من معلومات عن هتلر، القائد الأعلى للنازيين، والحرب العالمية الثانية. أعتقد أنَّ هذا كافٍ في الوقت الحالي".
سأل ليام "وماذا عني؟"
هزّ فوستر كتفيه أسفاً. "آسف، يا ليام... حدث الأمر أسرع مما توقعت. كنتُ آمل أنْ أرافقك في رحلتي تدريب أخريين، ولكن يبدو أنَّ الوقت دهمنا".
همس ليام "يا إلهي".
أشار فوستر إلى الأسطوانة. "يُستحسن البدء بملء الأنبوب بالماء".



2001، نيويورك

تشبّث ليام بيأس بحافة الأنبوب بكلتي يديه، ورفس بقدميه بخوف السائل الدافئ تحته. وطفا بوب بجواره، وهو يحرك قدميه في الماء بهدوء.

"حسن، ليام، سوف تمكث هناك مدة ساعتين بالضبط. لقد أعددنا الإحداثيات على الأول من شهر أيلول عام 1956. وسوف نرسلك إلى أرض البيت الأبيض – مقر مكتب الرئيس في واشنطن. وكل ما عليكما أنت وبوب أنْ تفعلاه هو أنْ تراقبا. اتفقنا؟ فقط المراقبة. أتفهم؟"

أومأ ليام برأسه إيجاباً. "نـ... نعم".

ربت فوستر يده. "استرخِ، يا ليام. سوف تبلي بلاءً حسناً". نظر إلى وحدة الدعم وهو يحرك قدميه في الماء. "ويجب أنْ تضع ثقتك في بوب. ففي مخه المصنوع من السيليكون ذاك كل ما تحتاج إليه في هذه الرحلة السريعة. سوف يكون بمثابة موسوعتك التي تمشي على قدمين... أليس كذلك، يا بوب؟"

"*Ja, Ich habe alle benötigten Daten, Herr Foster.*"

"تكلّم الآن بالإنكليزية من فضلك، يا بوب".

أومأ بوب برأسه انصياعاً بصرامة. "لديّ كل البيانات المطلوبة، مستر فوستر".

"عظيم".

رفع الفتى نظره إلى الرجل العجوز. "يجب... يجب أنْ اعترف بأني خائف قليلاً".

أجاب فوستر برفق. "أعلم هذا. إنَّ الذهاب وحيداً أول مرة يثير الرهبة في النفس". ابتسم. "أنا نفسي ذهبتُ إلى هناك وحدي من قبل. سوف نكون على ما يرام".

نجح ليام مع قليل من الجهد في رسم ابتسامة الشهم.

"فقط اذهب إلى هناك، يا بنيّ، انظر حولك، وافهم ما الذي يجري... وعُدْ إلى البقعة نفسها التي كنتَ فيها قبل ساعتين".

"ماذا لو تأخّرنا؟"

"إذا تأخرتما عن تلكَّ النافذة، سوف نفتحها من جديد بعد ذلك بساعة بالضبط، لبضع دقائق فقط. وإذا تأخرتما عن تلك، عندئذ سوف نفتحها بعد ذلك بأربع وعشرين ساعة بالضبط. هذا هو الإجراء المُعتمَد للتأخّر عن الموعد. لا تقلق، إنَّ بوب يعلم كل شيء عن هذا الأمر وسوف يُبقيك ملتزماً بالجدول".

"ولكن ماذا لو تأخرنا عن النوافذ كلها؟"

"فقط احرص على ألا يحدث هذا".

ابتلع ليام لعابه من فرط القلق. "ولكن... ولكن إذا تأخرنا عن كل نافذة من النوافذ... أليست هناك طريقة لتدبير واحدة أخرى؟"

"إذا وصل الأمر إلى هذه المرحلة، فلدينا طريقة للتحدث معك، لكنها ذات اتجاه واحد. لن تتمكن من التحدث معنا"، وربت ذراع ليام. "فقط احرص على الالتزام بالجدول".

"سوف... سوف ابذل أقصى جهدي، مستر فوستر، سوف افعل".

"أعلم انكَ ستفعل، يا بنيّ".

نهض فوستر واقفاً وهبط إلى أسفل الأسطوانة ليقف على أرض القنطرة الأسمنتية. "حسن، مادلين، ابدئي بإجراء الإطلاق".

"سيبدأ الإطلاق بعد دقيقة واحدة".

بدأتْ آلة الإزاحة الموصولة بأنبوب الماء تدمدم بضجيج عميق.

تقدمت سال خطوة، محدّقة إلى شكليهما المهزوزين داخل الأنبوب.

هتفت "حظاً سعيداً، ليام! انتبه لنفسك!"

أفلتَ إحدى يديه عن حافة الأنبوب ولوّح بها بسرعة. "ساكون على ما يرام هناك، سال. لا تقلقي عليّ".

أعتمت الأضواء في القنطرة وخفقتْ مع تحوّل التيار الكهربائي إلى الأنبوب.

أعلنتْ مادي "بقيت أربعون ثانية للانطلاق!"

هتف فوستر مع تزايد الدمدمة واشتدادها، "تذكر، ليام، أنت ذاهب فقط لتلقي نظرة... لا تتورط في أي شيء".

صرخ ليام، بصوت يرتعش من التوتر، "أنت على حق!"

"بقيت ثلاثون ثانية، يا شباب!"

أخذت ساقا ليام تضربان الماء، مُرسلَين شلالات من الفقاقيع إلى أعلى الأنبوب. ازداد هدير المولّد في الحجم والدرجة.

هتفت مادي، وكاد صوتها يضيع وسط الهدير الذي يصمّ الآذان لشحن الآلة، "بقيت عشرون ثانية!"

صرخ فوستر "حسن، ليام ، حان الوقت لتفلت يديك وتغوص!"

أومأ ليام برأسه انصياعاً، وبدأ يأخذ نفَساً عميقاً بعد آخر.

"بقيت خمس عشرة ثانية!"

"هيا، بنيّ... يجب أنْ تفلت الآن!"

أومأ ليام برأسه إيجاباً، ولا زال يستنشق الهواء وينفثه، بكثافة، وساقاه تضربان الماء تحته.

"بقيت عشر ثوان!"

"هيا، ليام، يجب أنْ تفلت الآن!"

فعل ذلك، وأخذ نفَساً واحداً من الهواء، وغاص بسرعة تحت سطح الماء.

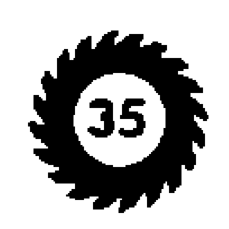
ومن خلال مادة البلاستيك الضبابية راح فوستر ومادي وسال يراقبونه يرفس

رعب وهو يغرق ببطء إلى القاع. وبوب إلى جواره يبتلع الماء بسهولة...
وبحركة مؤثرة - حسب ظن سال - مدّ بوب يده وأمسك بيد ليام.

بدا أنَّ ذلك بثَّ فيه السكينة، قليلاً.

"ثلاثة... اثنان... واحد..."

وبصوت فرقعة تلاشى الاثنان.



1956، واشنطن دي. سي.

حطّا وسط أيكة صغيرة من أشجار الأرز الباسقة بسقطة ثقيلة، رطبة.

توجّعَ ليام قائلاً "آخ! كم أكره ذلك الشيء الشبيه بوعاء تربية السمكة الذهبية!"

قال بوب "معلومة: الأداة اسمها أسطوانة الإزاحة"، وهو يجثم بجواره، وقد استعاد انتباهه تواً وأحاط بالمنطقة المجاورة.

استجمع ليام قواه وجثم بجوار وحدة الدعم وسط النباتات. خلف الأغصان المنخفضة، وعلى مساحة إكر من المرج المُشذّب أمام البيت الأبيض، شاهد جنوداً يتجمعون.

"مَنْ هؤلاء؟"

امتدت عينا بوب ببطء عبر المشهد الماثل أمامه. أجاب "إنّ الشارات والبزّات تدل على أنهم مزيج من جنود البحرية الأميركية، والجوالين، والمُجولقين. توصية: يجب أنْ نحصل على ملابس".

"نعم، الملابس شيء جيد".

نهضَ بوب واقفاً وأعلن "سوف أحصل على ملابس"، قبل أنْ يختفي بين الأشجار والنباتات.

واصل ليام متابعة الجنود. بدوا كأنهم انخرطوا في قتال ما: عديدٌ منهم كانوا جرحى، والبعض كان زملاؤهم يجرّونهم. جميعهم بدوا مُرهقين

ومصدومين بفعل المعركة، ترتسم معالم الهزيمة على وجوههم الكالحة.
لاحظ وجود سيارة كبيرة زيتونية اللون مزودة سلاسل بدل الدواليب، ولها بريج يبرز منه ما يُشبه أسطوانة نحيلة وطويلة، تطوف المكان ببطء عبر أرض المرج وسط سحب من الدخان القاتم. بدت منبعجة ومحروقة كأنها هي أيضاً تعرّضت للضرب. ثم عكست اتجاهها عبر المرج، وهي ترفس كل التربة وتخلّف وراءها آثاراً عميقة، وخلفها يظهر بناء أبيض كبير - البيت الأبيض.
بدا هذا لعينيه غير المُدرَّبتين أشبه باجتماع مشوّش، كأنه الصمود الأخير حول المبنى. لعلّهم آخر من تبقّى من جيش الولايات المتحدة.
تمتم "اللعنة".
سمع هديراً عميقاً صادراً من فوق، فنظر عالياً من خلال الأغصان المورقة. كانت السماء محجوبة، مُثقلة بسحب كثيفة منخفضة ورمادية تنذر بمطر غزير وشيك. كان الهدير عميقاً، وقوياً جداً، حتى إنه شعر بذبذباته على صدره. كان صادراً من مكان ما فوق السحب.
كان الجنود الأميركيون، مثله، يُراقبون السماء بقلق - شخصتْ العيون كلها عالياً، في انتظار ظهور شيء.
اشرأبّ ليام إلى الأعلى ليحظى برؤية أفضل.
"ماذا يوجد في الأعلى؟"
سمع خلفه وقع خطى ثقيلة، فالتفت ورأى بوب حاملاً ملابس وحذاءً طويل الرقبة. شرح من دون أي أثر للانفعال، "إنّ صاحب هذه الملابس ميت. لن يحتاج إليها".
أخذها ليام ونظر إلى بقع الدم الرطبة عليها. "لا أظنكَ قتلت رجلاً لكي تحصل على ملابسه، هل فعلت؟"
هزّ بوب رأسه نفياً. "لم يكن ثمة داعٍ للقتل".
عبَس ليام لفكرة ارتداء ملابس شخص آخر. ومن ناحية أخرى، كان الوقوف عارياً في قلب منطقة حرب أسوأ بديل. فارتداها بأسرع ما استطاع.

"يبدو أنّ أولئك الجنود يستعدون لخوض قتال الخندق الأخير".

قال بوب، وعيناه تستعرضان بهدوء أرض المرج، "هذا صحيح".

"وأعتقد أنّ كائناً ما كان ذلك الشيء..."، ونظر ليام عالياً من جديد إلى السماء التي أخذت تُظلم من مصدر ذلك الهدير العميق، "فهو قادم من فوق".

"لعله نظام السلاح المجوقل"، وخفقت عينا بوب وأغمضهما. "لدي ملفات بيانات حول النماذج الأولى المتقدمة للطائرات التي طوّرها الألمان في نهاية الحرب العالمية الثانية".

"أحقاً استخدموا طائرات في أثناء... الحرب العالمية الثانية؟"

"هذا مؤكّد".

أصبح الهدير أقوى ووجد ليام نفسه مضطراً إلى الصراخ لكي يسمعه. "طائرات كبيرة؟"

أجاب بوب، رافعاً نبرة صوته الفاترة لكي يُنافس الهدير الصامّ للآذان الصادر من فوق، "طائرات نفّاثة، بتصاميم الجناح المثلثي، وأنظمة VTOL".

صرخ ليام "في الواقع، هذا لا يعني أي شيء بالنسبة إلي. ما هذه الأشياء؟"

مدّ بوب عنقه برهة. "أستطيع أنْ أعطي جداول تخطيطية مُفصّلة إذا تمكّنت من العثور على أداة رسم ..."

وفجأة، امتدت السحب السوداء المُمدمة فوقهم واضحت أرقّ برهة بحيث تمكن ليام من أنْ يرى ما كان يقترب.

"بوب! أترى هذا؟!"

فوقهما، ومن خلال السحب، هبطت طائرة عملاقة على شكل قرص وبلون رمادي باهت، يبلغ قطرها بكل سهولة ربع ميل. بدا كأنها تملأ صفحة السماء فوق البيت الأبيض وهي تشق طريقها ببطء نحو الأسفل من خلال السحب المتراكمة. استطاع الآن أنْ يُميّز عدداً من الأجزاء الدوارة تتدلى من تحت الطائرة، شفرات مراوح عملاقة تضرب الهواء تحت بطن القرص الهائل الحجم، مولّدة تيار هواء نحو الأسفل جعل أشجار الأرز من

مولها يحفّ بعضها ببعض وتمايل.

لاحظ ليام الشعار الذي كان قد شاهده في وقت سابق على شاشات مادي مرسوماً على امتداد مئة قدم من جسم الطائرة الهائل.

صرخ "ماهذا الشيء؟"

اجاب بوب "معلومة: يبدو انه منطاد بمحرك دائري الشكل". بدا أنه اعتبرَ حركة هزّ الكتفين بذهول وخوف التي قام بها ليام أنها دلالة على أنه لم يفهم البتة ما هو الشيء. "إنه سفينة فضاء دائرية الشكل، مُدعّمة بهيكل من الألومنيوم يحتوي على خلايا عديدة كبيرة ممتلئة بغاز قادر على رفع الأشياء".

بعض أفراد جنود البحرية على المرج، الذين تجمّدوا في حالة من الذهول أمام ذلك المشهد، رفعوا سواعدهم وبدأوا يُطلقون النار عليه بلا فائدة.

في الجزء السفلي من بطن الطائرة القاتم ظهر مربّع أسود، ثم آخر، فآخر.

صرخ ليام "إر... في رأيي إنّ هذا شيء لا يُبشّر بخير، أليس كذلك؟"

أومأ بوب برأسه موافقاً، "لا يبشر بالخير".

شاهد ليام شيئاً قاتماً يبرز من تلك المربعات، تقاطاً نما حجمها بسرعة كرذاذ من شيء ما سرعان ما تبيّن أنها تسقط عليهما.

سقطت علبة بحجم قارورة حفظ الماء الساخن على المرج بصوت مكتوم على مسافة ثلاثين ياردة منهما، بين مجموعة من جنود البحرية الذين يبدو عليهم الإرهاق. تراجع الجنود مبتعدين عنها عندما بدأت تنفثُ دخاناً أصفر.

استقر عدد آخر منها بقوة على الأرض وبدأت تنشر الدخان عبر المرج.

قدّم بوب تفسيره "ستار من الدخان التكتيكي".

سرعان ما تكثّف الجو بضباب أصفر اللون. ميّز ليام من بينه بصعوبة ما يُشبه الصورة الجانبية للجنود الأميركيين على المرج، وهم يتراجعون في خوف عبر العشب المُشذّب نحو الدرج الأمامي للبيت الأبيض ورواقه الفخم ذي الأعمدة.

عندئذ شاهد المزيد من تلك الأشكال القاتمة تهبط من خلال الضباب

العالي بأعداد كبيرة، ربما بالمئات. وهذه المرة أكبر حجماً.

ثم سمعا شيئاً يتحطم بقوة بين أشجار الأرز خلفهما، مصحوباً بهسيس حادّ. استدارا فشاهدا رجلاً مشتبكاً بشكل أخرق وسط أغصان كثيفة، يرتدي رداء عمل فضفاضاً من المطاط أسود اللون، ذكّر ليام بأكياس القمامة التي بدا أنها منتشرة في شوارع نيويورك الخلفية. وكان يُغطي وجهه قناع من المطاط الأسود مزوَّد بفتحتين من الزجاج في مكان العينين. وكان رأسه ملوياً بزاوية مستحيلة، وأدرك ليام أنَّ عنقه انكسر في أثناء سقوطه على أغصان الأشجار.

استمرت أسطوانتان مُثبّتتان إلى ظهره في نفث دفق قويّ من غاز السرعة العالية بضجيج عال، لم يستمر إلا بضع دقائق وبعدها انخفض حتى الصمت.

أعلن بوب بهدوء، "جهاز هبوط سريع يعمل بالدخان".

سمع ليام حولهما ذلك الهسيس نفسه يتضاعف مقتحماً الجو، وأخذ رجال بالزي المطاطي يحطّون قريباً منهما.

"اللعنة! لا نستطيع أنْ نبقى هنا!"

وافق وحدة الدعم. "توصية: من قبيل الصواب التكتيكي أنْ نلج المبنى المعروف باسم البيت الأبيض".

قال ليام، وهو يخرج من ستار الأيكة الصغيرة إلى عراء المرج، "نعم... حسن".

هتف بوب "انتظر أرجوك!" اقترب من الجسم المتدلي من الأغصان، وبحركة انتزاع قوية، شدّه إلى الأرض. أطاح الجسم بلا جهد يُذكر، وتناول سلاحاً من حقيبة ظهر الرجل. استحسنت عيناه الهادئتان فعاليّته وكيفية الإمساك به في غضون ثوان. تنكّبَ السلاح وأومأ برأسه راضياً.

تركّزت العينان الرماديتان على عيني ليام "بندقية نبض سريعة الإطلاق. تقنية سلاح تعود إلى منتصف القرن الحادي والعشرين".

"حسن، هذا مثير للاهتمام... ولكن هل يمكننا أنْ نذهب الآن؟"

"حتماً. اتبعني من فضلك، ليام أوكنر".

أوما ليام برأسه إيجاباً. "آه... طبعاً، حسن، أنتَ أولاً".

انطلقَ بوب خلال النباتات من تحت الأشجار ومنها إلى العراء، متقدماً والبندقية مُثبتة إلى خصره.

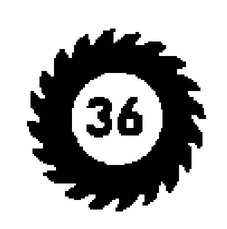
كان الجو العبق بالضباب الأصفر قد أصبح يضجّ بهسيس العبوات وبالسقوط المكبوت للأحذية العالية الثقيلة على أرض المرج. استطاع ليام أنْ يرى الأشكال المبهمة للرجال من حولهما. أصوات عالية مكتومة بفعل الأقنعة تلقي الأوامر بالألمانية.

أوه، سوف أموووت من دون أدنى شك.

أحد تلك الأشكال الغامضة المتحركة تقدّم كثيراً منهما، وفجأة صاح بعبارة تحدٍ حادة.

كان بوب سريعاً بصورة مُخيفة في تسديد لكمة خاطفة بحافة يده الحرة إلى نحر الرجل. سمع ليام صوت تكسّر مكبوت طغا على كل ضجيج آخر.

قال بوب "اتبعني".



1956، واشنطن دي. سي.

اجتاز المرج بسرعة إلى أنْ أدرك ليام أنهما أصبحا بين جنود البحرية المنسحبين على درج المرمر وهم يُطلقون النار على دُفعات إلى الضباب المتكاثر أمامهم. ومن قلب الضباب ردّت عليهم رشقات من إطلاق النار، مُثيرة عواصف من الغبار والجص من الدَرَج ومن صف الأعمدة. انتفض جندي من البحرية يقفُ بجانب ليام من تأثير رصاصة أُطلقَت عليه فانهار على الأرض، وانفجر جذعه مُحدثاً فجوة.

قال بوب من جديد "اتبعني"، متقدّماً ليام خلال جنود البحرية الذين يتبادلون إطلاق النار عبر البوابة الزجاجية الضخمة. اعترض تقدّمهما جنديٌ جريح يقفُ مترهلاً عند ممر الباب.

"هيا! إلى أين أنتما ذاهبان؟ إننا ندافع عن خط القتال هنا، اللعنة!"

قام بوب بهدوء بليّ ذراعه ودفعه جانباً من دون بذل أي جهد ظاهر. ثم ولجا الباب ومنه إلى البيت الأبيض.

كان الرواق المكسوّ بالسجاد مُكدّساً بالأجساد المُمدَّدة للجنود الجرحى، وطبيب خاص بالجيش يهرع بينهم، وهو يرتجف، ويرعاهم فقط بإعطائهم جرعات مميتة بصورة رحيمة من المورفين. وإلى الأمام هناك باب مزدوج يؤدي إلى عمق داخل المبنى وإلى الجناح الغربي. كان هناك حفنة أخرى من الجنود تُحافظ على موقعها بعد أنْ كدّستْ على عجل قطع أثاث، جنود

متجهّمو الوجوه ومستعدون بكل وضوح للتضحية بأنفسهم دفاعاً عن رئيسهم حتى الرمق الأخير.

قال ليام "يا إلهي، يا بوب، إنَّ هذا موقع الرئيس الأخير!"

ألقى بوب نظرة إلى الصالة، والاستحكامات، وجنود البحرية المستعدين للموت.

"هذا صحيح. الرئيس المدعو أيزنهاور يجب أنْ يكون في هذا المبنى".

"ماذا نفعل؟ هل نقذهم؟"

التفتَ بوب إلى ليام. "أنتَ العضو المنفّذ في المهمة. والقرارات التكتيكية لا يتخذها إلا العضو المنفّذ، وليس وحدة الدعم".

"ماذا؟"

"أنتَ المسؤول، يا ليام أوكنر".

"أنا... أنا... لا أدري ماذا عليّ أنْ افعل".

نظر من خلال زجاج الباب. لم يميِّز الكثير من خلال الضباب، لكنه تخيَّل مئات أخرى من الجنود ذوي الوجوه الخالية من الملامح مختبئين خلف أقنعة الغاز يتكاثرون في المرج أمام الدرج الفخم وصفّ الأعمدة، ويستعدون لشنّ هجوم مُدمِّر ختامي على المبنى.

نحن هنا لكي نراقب، فقط. نحن هنا لكي نعرف ما حدث. لا أكثر.

حسن، لقد خمّن تواً أنّ الشعب الأميركيّ لم يدعُ النازيين من باب التهذيب لكي يأتوا ويتولوا إدارة شؤونه. لكنهما في حاجة إلى المزيد من التفاصيل التي تساعدهم في تحديد اللحظة الدقيقة في الماضي التي حدث فيها انعطاف في اتجاه التاريخ.

"نحن في حاجة إلى أنْ نعرف كيف آلتْ الأمور إلى هذا الوضع"، ثم التفتَ إلى بوب، "صح؟"

"صح. الأولوية في المهمّة: جمع المعلومات".

أجاب، وهو يتلفّت حوله في الصالة، "حسن، إذن هل علينا أنْ نُمسك أحدهم ونطرح عليه الأسئلة؟"

"صح".
تقدّمَ ليام بين أجساد الموتى والمُحتضرين. إلى اليسار كان ممر باب يؤدي إلى غرفة الاتصالات. رأى جنوداً يُجرون اتصالات ميدانية بالراديو، ومدنيين على أجهزة الهواتف، وطابعين على الآلات الكاتبة ومتصلين بالهواتف وكلهم يُجرون اتصالات، ويتلقون تقارير عن الوضع أو، وهو الأرجح، يبعثون برسائل ختامية إلى أحبائهم. وإلى اليمين هناك غرفة ممتلئة بطاولات الكتابة وخزانات الملفات. بدت أقلّ ازدحاماً. خاضَ ليام بين الأجساد إلى داخل الغرفة. كان جزء من الدخان المنتشر في الخارج قد تسلل إلى الداخل من خلال العديد من النوافذ المُحطمة، وكان الجو ممزوجاً بقليل من الضباب الأصفر الخفيف.
لمح رجلاً ببزّة زرقاء أنيقة جالساً على الأرض بين خزانتي ملفات، ووجهه مُعفّر بالغبار وبدماء جافة جداً من أثر جرح في الرأس.
كان الرجل يُحدّقُ أمامه في الفراغ. تمتم بصوت أجش ومُرهق "إنها النهاية. انتهى كل شيء. إنهم قادمون ليقتلونا... قادمون ليقتلونا... ليقتلونا..."
جلس ليام القرفصاء أمامه. "أتقصد الألمان؟ النازيين؟"
بدا أنّ الرجل لم يسمع السؤال، وتشتّت عيناه. "كان ينبغي أنْ نعلم... كان ينبغي أنْ نعلم... كان يجب أنْ ندرك أنّ هذا سيحدث في نهاية المطاف".
حاكى بوب جلسة ليام وقعد أمام الرجل. "معلومة مطلوبة: أخبرنا من فضلك كل شيء عن خط سير التاريخ المنحرف".
"بوب؟"
"نعم، ليام؟"
"دعني أحاول أولاً، ممكن؟"
أومأ برأسه إيجاباً. "أنت المسؤول التنفيذي في المهمة".
مدّ ليام إحدى يديه إلى الرجل ووضعها على كتفه.
"مرحباً؟ ما اسمك؟"

ثبتت عينا الرجل عليه.

قال ليام "ليس لدينا الكثير من الوقت. أصغ إليّ، إنّ الأشياء يمكن أنْ تتغيّر، ولا ينبغي أنْ يحدث ذلك. ونحن موجودون هنا لكي..."

أجاب الرجل "كلا..."، هازّاً رأسه رفضاً. "كلا، أنت على حق ما كان ينبغي أنْ يحدث هذا! لقد باغتونا، تماماً كما فعل اليابانيون في عام 1941".

نظر ليام إلى بوب مُستفسراً.

"معلومة: في القرن العشرين، شنَّ اليابانيون هجوماً مُباغتاً على قاعدة بحرية أميركية في بيرل هاربر. هذا العمل دفع بأميركا إلى خوض الحرب العالمية".

رفعَ ليام إصبعاً لكي يُسكتْ بوب. "أخبرني ما الذي كان يحدث؟"

سأله الرجل "ماذا؟ أين كَنتَ بحق الله؟"

هزّ كتفيه استخفافاً. "تائهاً... منذ مدة طويلة".

"لقد شنّ النازيون هجوماً على شواطئ نيو إنغلند قبل حوالى شهرَين. تغلّبوا على دفاعاتنا في الأطلسي وكأنها غير موجودة، واحتلوا نيويورك في غضون أسبوع. حشدنا قوانا كلها لإبعادهم عن واشنطن. ولكن... لكنهم سحقوا جنودنا، وأزاحوهم. ووضع زعيمهم الفوهرر شروطاً، تقضي بتسليم الرئيس ووزرائه وهيئة أركانه كسجناء، وإلا جاؤوا هم وأخذوهم عنوة".

فجأة رفع الرجل نظره إلى بوب ثم نظر إلى ليام من جديد. "انتظر! لقد قلتَ إنه ما كان ينبغي أنْ يحدث هذا. ما الذي يحدث؟ مَنْ أنتما؟ من منظمة العمليات الخاصة؟ أم أفراد الخدمة السرية؟"

قال ليام "قد يبدو لك هذا شيئاً غريباً قليلاً، ولكن عليكَ أنْ تصدق ما سأقوله لك".

هزّ الرجل رأسه رافضاً، "ماذا؟ ما الأمر؟"

"نحن قادمان من المستقبل. من عام 2001. والوقت الحاضر أضحى في ذمة التاريخ وما كان ينبغي أنْ يحدث".

قست قسمات وجه الرجل. "إنَّ الوقت غير مناسب لتمثيل دور الأبله، يا بنيّ. أنا..."

قال بوب "إنه يقول الحق".

قال ليام "نحن أشبه بعملاء أُرسِلنا من المستقبل لكي نجمع معلومات حول ما يجري هنا. ويجب أنْ نعرف ما الذي يجري".

حدَّقَ الرجل إليهما في صمت. "أنتما مجنونان".

هزّ ليام كتفيه استخفافاً. "كنتُ أتمنى أنْ أُريك شيئاً يبرهن صحّة كلامي. ولكن لا أستطيع".

"حدود المهمة: إننا لا نحمل أي شيء من المستقبل. هذه مهمة مراقبة فقط".

سمعوا من خلال النوافذ المهشمة حركة تجري في الخارج تعلو على الضجيج الصادر من السماء: ثمة رجال يصيحون مُصدرين أوامر، وقعقعة أسلحة وأحزمة ومعدات.

صرخ الرجل "يا إلهي، إننا في عداد الأموات. هناك شائعات تقول إنَّ الفوهرر يريد أنْ يمحو تماماً الحكومة الأميركية: الرئيس، والكونغرس، ومجلس الشيوخ، والموظفين ذوي المراتب العليا كلهم. سوف يقتل كل مَنْ يجده في البيت الأبيض حتى آخر رجل".

قال ليام "اسمع، سوف نقوم بتغيير هذا الوضع. سوف نمنع هيفلر من القيام بـ..."

نظر إليه الرجل. "تقول هيفلر؟ ما الذي تقوله، يا بنيّ؟ أأنت تتحدث عن أدولف هتلر؟"

"نعم، هذا هو، هتلر. هذا هو الاسم الصحيح، أليس كذلك؟"، ونظر إلى بوب لكي يؤكد كلامه. "ألم أنطقه بصورة صحيحة؟"

"صح. أدولف هتلر، الفوهرر، قائد الحزب النازي والرايخ الثالث".

"لكنَّ ذلك الرجل، هتلر، مات منذ حوالى عشر سنوات. وأنت تحاول أنْ تخبرني أنه لا عِلم لك بذلك؟"

تبادل ليام وبوب التحديق. "تخمين: لقد انحرف التاريخ عن مساره قبل عشر سنوات على الأقلّ من زماننا هذا".

قال ليام كاتما لنفسه "أي عام 1945 بدل عام 1956؟ ويجب أنْ نعود في الزمن عشر سنين أخرى؟"

"هذا صحيح".

تفحّصهما الرجل بارتياب. "اللعنة، مَنْ أنتما، حقّاً؟ أأنتما من أفراد الخدمة السرية؟ أم تنتميان إلى قوى خاصة معيّنة أو ما شابه؟ قُل لي إنْ لديكما خطة سرية... نوعاً من السلاح الفتّاك يمكننا أنْ نردّ به النازيين. أليس كذلك؟

فجأة تكثّف إطلاق النار حول مدخل الباب الأمامي.

قال بوب "إنهم قادمون الآن. يجب أنْ نغادر. سوف تُفتَح بوابة العبور بالضبط بعد ساعة وثلاث وثلاثين ثانية".

"حسن... لكننا نعلم الآن أنّ علينا أنْ نعود من جديد... ولكن أبعد في الماضي في المرة التالية؟"

"صح".

مدّ الرجل ذو البزّة يده وقبضَ على ليام. "هل لدينا شيء سريّ مُخبّأ.. أو سلاح نحارب به؟"

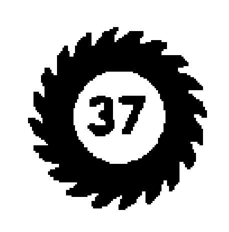
أجاب بوب. "لا شيء هناك. في الزمن الحالي أمامكم أنت والناس الذين في هذا المبنى احتمال كبير أنْ تموتوا في غضون أقلّ من خمس دقائق".

حاكى بوب محاولة ليام في تهدئة الرجل فوضع راحة يده الضخمة على كتفه المرتعش. "ولكن اطمئن، أيها المواطن، سوف يُعاد مسار التاريخ إلى حالته الطبيعية حالما نُصحح تلوّث الزمن".

هزّ ليام رأسه يأساً عندما حدّقَ إليه الرجل العاثر الحظ في حيرة صامتة.

نعم، كلام مُطمئن جداً، يا بوب.

التفت وحدة الدعم إلى ليام. "يجب أنْ نغادر الآن".



2001، نيويورك

قالت مادي "يجب أنْ نجد وسيلة لاختراق جهازهم الأمني ونحصل على باقي معلومات التاريخ على النت".

سأل فوستر "لعله لم يتبقَ أيّ معلومات؟ لعل حكّام هذا الزمان يعتبرون التاريخ قبل هذا الموعد، قبل غزو أميركا، لا وجود له. لم يكن أمامهم إلا طريقة واحدة للسيطرة على الشعب الأميركي وهي محو سجلات تاريخهم الوطني كلها، وحتى تاريخ العالم ربما".

هزّتْ مادي كتفيها استخفافاً. "ولكن هؤلاء نازيون، صح؟ ولا شك في أنهم سيرغبون في الاحتفاظ بسجلات صعود هتلر إلى السلطة، والحرب العالمية الثانية، وكيف أنهم في هذا التاريخ الفاشل ربحوها في الواقع؟ أنا متأكدة من أنّ ادولف هتلر كان سيريد من رعاياه كلهم أنْ يعرفوا كم كان عبقرياً ومدى صعوبة الصراع الذي خاضه وهو شاب يافع... وكل تلك الحكاية التافهة عن الصعود من القاع إلى القمة".

تنهد فوستر. "إنّ هذا غير مفهوم. لا أعلم لماذا لم يحدث هذا كله هناك، يا مادلين. لا أعلم حقاً. لعل أهم شيء بالنسبة إلى هؤلاء النازيين هو اليوم الذي سيطروا فيه على أميركا. وكل ما قبله لا أهمية له؟"

سعلتْ سال بطريقة مؤدبة فالتفت الاثنان الآخران نحوها.

قالت "ربما، ربما ذلك المدعو هتلر مات والذي خلفه، كما تعلمون، لم

يكن يحبه أو ما شابه؟ فقرر أنّ يمحو ذكر هتلر من السجلات؟"

أوما فوستر برأسه. "سال على حق. لقد كنا نفترض أنّ الفوهرر هو هتلر".

اتّسعت عينا مادي. أخذت تبحث عن موقع البحث على الصفحة الرئيسة، وبعد دقيقة من تجريب عدد من الأزرار المكتوبة بالألمانية استسلمت.

"يا إلهي، إنّ هؤلاء النازيين فاشلون في تصميم صفحة حقيقية على الإنترنت".

"لعلّ في هذه النسخة من عام 2001 كان الإنترنت لا يزال شيئاً جديداً".

تخلّتْ عن فكرة إجراء بحث عن اسم "هتلر". وبدل ذلك أخذت تبحث في المواد الموجودة على لائحة التسلسل الزمني - وتتفحّص كل مادة بحثاً عن الاسم.

"لا ذكر على الإطلاق لاسم أدولف. كأنه لم يكن موجوداً".

أضاف فوستر "ولكن هناك الكثير عن الفوهرر... القائد".

شدّت مادي على أسنانها من فرط الإحساس بالإحباط. "إذن من هو بالضبط الفوهرر؟"، وولجت إلى معلومات الموقع، وهي موسوعة من التاريخ الصحيح، واستخرجت ملفات عن قائد هتلر الأعلى، ووزاراته السرية... والرجل المُرجّح أنْ يخلفه. "أهو هاينريش هيملر؟ أم هرمن غورينغ؟ أم مارتن بورمن؟ أم جوزيف غوبلز؟" التفتت إلى فوستر وسال. "أيكون أحدهم؟"

أخذ فوستر يعبث بيديه. "قد يكون أيّاً منهم".

تكلّمت سال بهدوء. "أم أتراه لا أحد منهم؟"

1956، واشنطن دي. سي.

تفجّرتْ قطع من الجص حول رأس ليام.

صرخ، وهو ينكمش نحو الأسفل خلف طاولة كتابة، "أوه ساعدنا يا رب! إنهم في الرواق!"

امتلأ الجو بفرقعة نيران البنادق الرشاشة، وبالهرير الحلقي لنيران الغازين النبضية.

أشار بوب إلى الطرف البعيد من الغرفة. "توصية: انتقل إلى الطرف البعيد واحتلّه".

"وأنتَ؟"

"سوف أضمن الميزة التكتيكية".

"ما معنى هذا؟"

دفعه بوب بقوة. قال بهدوء بينما طلقات النار الآتية من الرواق تنهمر من خلال الباب المفتوح ومزّقت بضجيج عالٍ الآلة الكاتبة والهاتف وطاولة الكتابة التي كانا يجثمان خلفها، "اذهب الآن من فضلك".

سأل الرجل ذو البزّة "وأنا؟"

رسم ليام شبه ابتسامة. "تعال معنا الآن، ولكن لا نستطيع أنْ نصطحبك معنا".

"يا إلهي... سوف يُسعدني أنْ أبقى حياً ولو لفترة وجيزة".

أصرّ بوب "يجب أنْ تذهب الآن".

نهضَ ليام واقفاً، وأدار رأسه حول طاولة الكتابة واختلس نظرة من خلال الباب المفتوح إلى الرواق. رأى عدداً من ذوي البزّات السوداء يُطلقون النار على موقع جنود البحرية المحصّن. كان إطلاق النار المتقطع لبنادق جنود البحرية يقلّ في مقابل الهدير المتواصل لبنادق النبض.

أدرك ليام أنَّ الألمان يُخفضون عدد جنود البحرية إلى واحد أو اثنين. لم يكن القتال قد انتهى.

يجب أنْ نتحرك.

اندفع إلى الخارج وأخذ يعدو على طول الممر بين صفّي طاولات الكتابة، مبتعداً عن الباب المفتوح وعن المعركة الأحاديّة الجانب. ثم ظهر من جديد

امام باب من الخشب عند الطرف البعيد.

كان الرجل ذو البزّة خلفه مباشرة.

"إلى أين يؤدي هذا الباب؟"

"إلى رواق. إذا انعطفنا هناك فسوف نجد باباً خارجياً يقودنا إلى حدائق الورد".

نظر ليام خلفه إلى الدرب الذي جاؤوا منه. عند الطرف النائي حيث كانوا يختبئون ساد ضباب أصفر. و لم يتمكن إلا من تبيُّن كتلة قاتمة لعلها بوب.

سأل الرجل "ألن يأتي صديقك؟"

"آمل ذلك".

فجأة تحرّك الشكل القاتم، مندفعاً بقوة إلى الخارج من خلف طاولة المكتب، ومن ثم اجتاز ممر الباب وولج الصالة الرئيسة. بعد برهة، سمع ليام من جديد انفجار إطلاق النار من بنادق النبض. وسمع صراخ الرعب والخوف. أصوات مكبوتة تُصدر أوامر سريعة بالألمانية. وسمع صرخات عدة انتهت بسرعة، وضجيج قتال ضارٍ، وشيئاً يقع ويتهشّم.

"ما الذي يحدث هناك؟"

إنّ بوب هو ما يحدث.

لبرهة وجيزة، تخيَّلَ ما في استطاعة تينك الذراعين أنْ تفعلاه بجسد من لحم ودم فقط، وكاد يشعر بالرثاء لهم.

بعد برهة، ظهر من قلب الضباب شيء يندفع كثورٍ ضارٍ على طول الممر الفاصل، نحوهما. برز بوب من الدخان، ووجهه وصدره مُلطخين بالدماء، وكأنهما لا يخصّانه.

"لقد اكتسبتُ ميزة تكتيكية".

مدّ يديه اللزجتين من دماء حديثة وقدّم قناع الحماية من الغاز وقلنسوة من المطاط الأسود. "اقتراح: ليام أوكنر، ضع القناع والقلنسوة. سوف تبدو عن بُعد أكثر من عشرة أقدام كأنك واحد منهم".

سأل الرجل "وأنا؟"

نظر إليه بوب بلا تعاطف. "أنت لست أولوية في المهمة".

نزع ليام القلنسوة، الرطبة بالدماء. "قتلتَ واحدا منهم؟"

"خطأ: قُتلَت سبعُ وحدات عدوة".

"بلا سلاح؟"

نظر بوب بصرامة إلى كليهما. "لا وقت لمثل هذا الحديث".

لاحظَ ليام عدة جراح تمزق اللحم على كتف بوب وخصره. "يا إلهي! بوب، أنتَ مُصاب! يبدو أنها أكثر من طلقة".

"الجِراح ستبرأ في غضون ثلاثة أيام، والدماء بدأتْ تتخثّر. إنَّ هذا ليس من الأولويات".

ثم التفت وحدة الدعم بسرعة نحو الرجل.

"سؤال: هل لديك معلومات مُفصّلة عن المُخطط الأرضي لهذا البناء؟"

نظر الرجل إلى ليام. "هه؟"

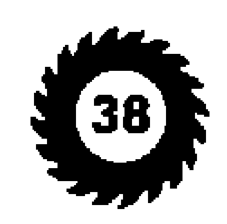
"أعتقد أنه يسأل إن كان لديك عِلم بوجود مخرج آخر".

"أوه... نعم، إنه أمامنا مباشرة".

أومأ بوب برأسه. "هذا جيد".

قال ليام "هيه، أعتقد أنَّ لديّ فكرة أفضل عن عودتنا إلى أكمة الأشجار عبر الحدائق".

قال بوب "اشرحها من فضلك".



1956، واشنطن دي. سي.

خرج ليام مع الرجل ذي البزّة من الباب إلى حديقة الورد، رافعين أيديهما. كان حاجز الدخان لا يزال كثيفاً نسبياً هناك، ومن خلاله استطاع أنْ يميّز فرقاً من الجنود ينتشرون على رقعة المرج، يجمعون السجناء الأصحاء ويُطلقون النار على جنود البحرية المثخنين بالجراح والعاجزين عن الوقوف على أقدامهم.

داخل المبنى، كان لا يزال يُسمع إطلاق نار متقطع مع انتقال ذوي القلنسوات السوداء والبزّات بين الغرف، وهم يقضون على آخر جيوب المقاومة القليلة.

لدى خروجهم خلال متاهة مزخرفة من الشجيرات إلى المرج الرئيس، رفع ليام نظره إلى السماء، فرأى أنّ الصحن الطائر العملاق قد تحرك إلى الأمام، متقدّماً ببطء باتجاه قلب مدينة واشنطن دي. سي، مُطلقاً على فترات قذائف من النقاط السوداء من أبواب سحرية مظلمة في الجزء السفلي للجسم. وأنزلت فرقٌ من الرجال بسرعة إلى الأرض، لتحقيق أهداف معيّنة من دون أدنى شك، للهيمنة على الأبنية الإدارية بسرعة، والمواقع والنقاط الحساسة.

خلفهما مشى بوب بخطى جامدة، متنكباً بندقية نبض، ومُعتمراً قلنسوة وقناعاً مُلطّخاً بالدماء على جمجمته الضخمة.

ناداهم جندي قريب منهم بلا قلنسوة ولا قناع عبر حديقة الورد التي تعلو فيها الشجيرات حتى الخصر.

أجاب بوب بالألمانية.

همس ليام من جانب فمه "ماذا قال؟"

"أخبرتُ الرجل أننا نأخذك من أجل الاستجواب".

همس ليام بما يشبه الفخر، "هذا تصرّف سليم، يا بوب. تفكير سديد".

"إنني مُبرمج لكي أحاكي السمات الإنسانية كالكذب وأيضاً التقليد..."

تمتم ليام "هــــس، وفّر كلامك لوقتٍ لاحق، يا بوب".

مشوا خلال الحديقة وبنحو منحرف عبر المرج الشمالي للبيت الأبيض باتجاه أكمة من الأشجار. لم يكن قد شاهد أكثر من جثتين المانيتين، أما الآن فكان يُحدّق إلى ما لا يقلّ عن مئة من جنود البحرية الموتى. من الواضح أنه بينما كانوا في الداخل، تجمّعَ المزيد من الجنود الأميركيين بشجاعة داخل البيت الأبيض في محاولة يائسة للدفاع عن رئيسهم.

لقد أخفى حاجز الدخان مذبحة وقعت هنا أمام المبنى، حصدتهم بنادق النبض تلك بينما كانوا يحتشدون بلا جدوى داخل الضباب لكي يُنقذوا قائدهم الأعلى.

أخذ يبحث عن أكمة أشجار الأرز وسط الدخان المتلاشي إلى أنْ عثر عليها. غاص قلبه بين أضلعه عندما رأى مجموعة من الجنود الألمان يستريحون في موقع أشجار الأرز الصغير وحوله. كانوا قد نزعوا أقنعتهم وقلنسواتهم وأخذوا يتبادلون أحاديث وديّة، وكثير منهم يدخنون السجائر.

"اللعنة! إنهم يحتلون موقع انطلاقنا إلى الوطن!"

نظر الرجل إليه بارتياب "انطلاق إلى الوطن؟ إنها مجرد أكمة من الأشجار!"

قال بوب من تحت قلنسوته، "نافذة خروجنا سوف تظهر هناك". نظر في الساعة الداخلية للمهمة. "سوف تُفتح النافذة بالضبط بعد ساعة وسبع عشرة دقيقة وأربع وثلاثين ثانية".

تمتم ليام همساً "ماذا سنفعل؟"

"ليست لدي اقتراحات تكتيكية في الوقت الحاضر".

"عظيم".

تلفّت حوله. كان نسيم خريفيّ يُزيل آخر آثار حاجز الدخان، واستطاع أنْ يرى أنَّ القليل من الأسرى الذين أخذوا أحياءً داخل المبنى اقتيدوا إلى مركز المرج حيث وقف عدد من الألمان على شكل دائرة يراقبون المدنيين والجنود المهزومين، والمُحبطين المرتمين على الأرض.

شعر بطعنة باردة من الخوف واليأس تسري في أوصاله.

سوف يتوقعون من بوب أن يقودنا إلى هناك. فإذا أسِرتُ مع الآخرين فسوف أعلق.

أشار ضابط ألماني، رفع لباس القفز المطاطي الأسود وربطه عند الخصر، كاشفاً عن بزّته الرسمية الرمادية، كأنه كان يُصغي إلى أفكاري، إلى الأسرى وأصدر أمره إلى بوب.

أومأ بوب برأسه طائعاً، وقادهما إلى بقعة الحجز.

قال وحدة الدعم بهدوء "لقد أمِرتُ بترككما هنا. ما هي أوامري، ليام أوكنر؟"

"في الواقع لا أعلم. ماذا تقترح؟"

"اقتراح: يمكنني أنْ أقوم بمحاولة هجوم على الجنود بين الأشجار. لكنني أُقدِّر نسبة نجاح احتلال الموقع والحفاظ عليه حتى موعد عبورنا النافذة بـ 0.5 %".

شدّ ليام على أسنانه.

كلا، سوف يُمطَر هو وبوب بوابل سريع من إطلاق النار قبل أنْ يتمكن من إيصالهم إلى نصف المسافة عبر المرج ونحو الأشجار. قد يتمكن بوب من النجاة بعد الإصابة بعدد من الطلقات، أما ليام فلم يتخيَّل أنه يمكن أنْ ينجو من طلقة واحدة... نظراً إلى الجراح الخطرة التي تُسبِّبها بنادق النبض.

همس من طرف فمه، "أعتقد أنه ليس بيدنا شيء نفعله الآن، يا بوب. يبدو أننا سنتأخر عن هذه النافذة. ولا أريد أنْ أتخيّل رأسي يتلقّى رصاصة وأنا أحاول أن أنجو. كم بقيَ من الوقت الآن؟"

"بقيتُ بالضبط ساعة وخمس عشرة دقيقة".
"ولكن سيكون هناك نافذة أخرى، أليس كذلك؟"
"صح، بعد مرور ساعة أخرى. ثم بعد مرور أربع وعشرين ساعة للتي تليها".
قال ليام، وقد أصبح الآن على مسافة بضع ياردات من الأسرى الجالسين ومن أقرب رجال الحرس، "إذن، اتركني هنا. فإذا وجدتَ فرصة لإنقاذي، انتهزها. ولكن، حباً بالله، لا تجعلنا نُقتَل نحن الاثنين وأنت تفعل ذلك".
"ما هي نسبة الفرصة التي تنصحني بانتهازها، ليام أوكنر؟"
تمتم بصوت منخفض "لا أدري! فقط انتهز أفضل فرصة".
هتف أحد الحرس الألمان بشيء وأشار إلى ليام وإلى الرجل الذي معه.
قال بوب بهدوء "لقد أُمرتُ بترككما هنا". ظنّ ليام أنه شعر بنبرة خفيفة من القلق في صوت الوحدة العميق والخالي من الانفعال.
"إذن افعل. إذا أخذونا من هنا، فاتبعنا... انتظر فرصة سانحة وأخرجني من هذه الورطة، اتفقنا؟"
"أولوية المهمة: الواجب الأوّلي هو المراقبة والعودة مع تقرير".
زمجر ليام بصوت خافت، "ماذا؟ لن تتركني هنا يا بوب! أتفهم؟ هذا أمر!"
اقترب أحد الحراس منهم وقبضَ بخشونة على ليام من كتفه.
قال بلكنة إنكليزية حادة "اخرس! انضمّ إلى الآخرين!"
ترنّح ليام وهو يتقدم ومن ثم خرّ على رُكبتيه بين جماعة الأسرى.
راقب بوب الواقف لا يبدي حراكاً، ولا يزال وجهه مستتراً خلف القناع والقلنسوة، واستمر في مراقبته من دون أمل.
نادى أحد الضباط على بوب عبر المرج لكي يُساعده في جرّ الجثث وتكديسها للتخلّص منها.
التفت الوحدة بتردُّد.
خلف زجاج قناع الغاز، كان جهاز حاسوب مُعقّد مُحمّل بذكاء مُصطنع

لا يزال في طور التعلُّم، لا يزال في مرحلة الطفولة، يتلاعب بيأس بأولويات المهمة ومتغيراتها، حاسباً مليون طريقة مختلفة للاستمرار.

راقبَ ليام القامة تبتعد بخطى ثقيلة.

أوه اللعنة. ما هذه الورطة التي وقعت فيها الآن؟

39

2001، نيويورك

سأل فوستر "كم بقيّ على رجوع النافذة، يا مادلين؟"

نظرتْ مادلين في الشاشة. أجابت "إننا في العد التنازلي للدقيقتين الأخيرتين".

"حسن إذن. سوف نعرف ماذا شاهد الشبان واستخلصوه من هناك".

ورسم ابتسامة خفيفة.

لقد جعل الحذف المفاجئ للتاريخ قبل عام 1956 من المستحيل علينا أنْ نعرف متى بالضبط بدأتْ الأمور تتغير وأين، والتركيز عليه. وفيما حذف السجلات التاريخية يمكن أنْ يكون نزوة من دكتاتور نازي مجنون، إرضاءً لأنانيته من دون أدنى شك، فإنْ له أيضاً أثراً إضافياً يكمن في إخفائه تماماً آثار كل مَنْ حرّضَ على هذا التغيُّر في الزمن. فإذا كانت هذه هي نيّة أحد ركّاب الزمن، فإنه غاية في البراعة. من دون أنْ يترك اي أثر، أو آثار... لا شيء يمكنهم من التعرُّف إلى اللحظة التي وصلوا فيها إلى الماضي.

تصرّف بارع جداً.

قاطعتْ مادي سلسلة أفكار فوستر. "فوستر... لقد وصلت رسالة تحذير".

رفع بصره لينظر إلى الرسالة.

ثمة انقطاع مؤقت مع الموقع

هل تنفصل أم تستمر؟

"إنّ الحاسوب يلتقط حزم كثافة متغيرة في نافذة الانتقاء".

"والمعنى؟"

"يعني أنّ الحاسوب يرصد المنطقة داخل نافذة الهدف خلال الدقيقة السابقة لإرسال عملائنا إلى الماضي. فإذا حدثت هناك حركة كثيرة غير متوقعة، نستطيع أنْ نفترض وجود أناس متهورين أو ربما حيوان يجتازها. فإذا تلكّأ كثيراً، فإنّ الحاسوب يُعطي تحذيراً".

"ماذا سنفعل؟"

أجاب، مُشيراً إلى رسم بيانيّ على الشاشة، "ننتظر ونرى إذا استمر. هناك إشارة إلى وجود حزمة كثافة. هناك شخص أو شيء اجتاز البقعة قبل عشر ثوان".

سألت سال "هل سنتركهما؟"، كان صوتها مشوباً بالقلق.

هزّ فوستر رأسه نفياً. طمأنها. "هذا لن يحدث. إذا احتاج الأمر إفشال هذه النافذة، فسوف نحاول من جديد في غضون ساعة".

نظر إلى الشاشة. لم تعد هناك أيّ إشارات على وجود جسم كثيف.

قال "يبدو أنه جسم عابر، يمكن بسهولة أنْ يكون طائراً عبر في أثناء طيرانه، أو شيئاً تذروه الريح. هذا أمر يحدث كثيراً".

نجحت سال في رسم ابتسامة واهنة. "حسن".

قالت مادي "بقيت ثلاثون ثانية. هل نوقف العملية أو نستمر؟"

لم يظهر أي شيء على الشاشة. بدا أنّ ما اجتاز البقعة لن يعود. في الغالب كان ليام مرّ بالمصادفة قبل الأوان. ولعل وحدة الدعم نصحته بالابتعاد وهما الآن ينتظران بصبر العودة إلى الوطن.

قال فوستر "استمري".

نقرتْ مادي الفأرة فاختفى صندوق الرسائل.

"بقيتْ عشر ثوان".

التفتت سال نحو وسط أرض القنطرة، على أهبة الاستعداد للترحيب بعودتهما.

قال فوستر، مُشيراً إلى الدائرة الباهتة من الطباشير الصفراء، المرسومة على الأسمنت، والتي أضحت بالية وفي حاجة إلى تجديد، "أبقيها واضحة، يا سال". كانت تعيّن حدود نافذة العودة، ولا ينبغي لأحد أنْ يقفَ عليها عندما تكون مفتوحة".

"بقيت خمس ثوان".

بدأ المولّد يهدر، والأضواء تخفق برهة ثم تنطفيء. نظر فوستر إلى الرسم البياني على الشاشة، متوقعاً أنْ يرى المؤشر البياني في أثناء ولوج ليام وبوب معاً. ولكن لم يظهر شيء.

هيا، يا شباب... كفاكما عبثاً.

"وثلاثة... واثنين..."

فجأة ظهر المؤشر البياني.

انطفأ النور تماماً.

في أثناء خفقان الضوء، همَّ بالالتفات وتوبيخهم لقطعها عندما سمع صراخ سال.

كان ثمة شاب يقف هناك، يُحدِّق إليهم، واسع العينين من الخوف وعدم الفهم. جندي شاب، لعله لا يكبر ليام بأكثر من عامين، شعره الأشقر مقصوص قصيراً جداً، وجنتاه الشاحبتان الشبيهتان بوجنتي "صبي جوقة" مُلطختان بالتراب وبالدم الجاف. كان يرتدي بزّة عمل مطاطية سوداء، مُسدلة عند خصره. وتحتها زيّ الجيش الرمادي، وثمة أوراق سنديان عند الياقة وشعار النسر على الصدر.

أخذت عيناه تتنقلان بسرعة من سال، إلى مادي، إلى فوستر... ثم إلى ساق وذراع منزوعتين من شخص ما عند قدميه وسط نثار من أوراق النباتات، والأغصان الصغيرة وكتل من العشب والتراب الملطّخة بالدم.

"Was? ... Was ist das?" ("ما...؟ ما هذا؟"). نظر إلى العضوين المبتورين على الأرض، ينزّان دماً على الأرضية الأسمنتية. "Was geschicht? Wo bin ich?" ("ما الأمر؟ أين أنا؟").

ارتعشَ فمه من الخوف، وتلعثم صوته، حاداً، كطفل اكتشفَ فجأةً أنه نائه وسط مجمع تجاري مزدحم.

كانت مادي أول مَنْ أبدى ردّ فعل. نهضتْ واقفة واقتربت منه ببطء، رافعة يديها. قالت بصوت هادئ "لا بأس. كل شيء على ما يرام... لن نؤذيك".

استجمع الشاب ما يكفي من سلامة عقله ليُنزل بندقيته عن كتفه ويُدير ماسورة البندقية ليوجّهها إليها.

"Halt, stehen bleiben! Wer sind Sie? Wo bin ich?" ("توقفي، الزمي مكانك! مَنْ أنتِ؟ أين أنا؟").

هزّت مادي رأسها. قالت "آسفة، أنا لا... أنا لا أعرف الألمانية"، وابتسمت له ابتسامة وديّة.

قال فوستر بهدوء "دعيه يواصل الكلام".

أشارت مادي إلى نفسها. "أنا... اسمي... مادي. وأنت؟"

حدّقَ الألمانيّ الشاب إليها بصمت، وهو يلهث، ويرتعش من فرط الخوف.

سألته بصوت بذلت أقصى جهدها ليبدو حنوناً، "ما اسمك؟"، ثم قالت مُشيرة إلى سال، "هذه سال".

قالت سال، مبتسمة بعذوبة وتقدّم إليه يدها لتصافحه، "مرحباً".

أخذ يُنقّل بصره من إحداهما إلى الأخرى.

"Ich ... Ich bin Feldwebel Lohaans" ("أنا... أنا الرقيب لوهانز").

خمّنت مادي أنها تسمع رتبته وكنيته.

سألته، وهي تخطو خطوة أخرى نحوه، "ولكن ما هو اسمك الأول؟ همم؟"

رفع الشاب بندقيته بعصبية. صاح، وهو يلعق شفتيه الجافتين، "Stehen bleiben!" ("الزمي مكانك!")

جمدت مادي في مكانها وهزّت رأسها معتذرة. "آسفة. سألزم مكاني. لن أؤذيك".

اوما برأسه، كأنه فهم ما قالت. أخذ نفَساً آخر. "أنتِ ... Amerikaner؟"
("أنتِ... أميركية؟").
ابتسمتْ. "نعم".
قال "هل هذا...؟"، لكنه هزّ كتفيه استخفافاً، لافتقاره إلى الكلمات الإنكليزية لإكمال سؤاله.
"هذا المكان هو أميركا، مدينة نيويورك، في الواقع".
اتّسعت عيناه. "هذه... نيويورك؟"
أومأت برأسها إيجاباً.
قال بعصبية. "واشنطن... zehn ..." وأصدر صوت اندفاع " نيويورك؟"
أجابت "هذا صحيح، وبسرعة.. أصبحتَ هنا. أمر جنوني. هه؟"
كانت تلك واحدة من الكلمات الإنكليزية القليلة التي يعرفها. أوما برأسه ونجح في رسم تكشير مرتبك" Ja ... craz—ee".
فجأة بدأ المولّد يهدر، والأنوار تخفق وبعد لحظة إذا بالجندي الشاب، والذراع والساق ومعظم كمية كتل العشب مع التراب، يختفون.
"ماذا حدث؟"
أجاب فوستر "لقد شغّلتُ حالة التفريغ الطارئ. لقد عاد من حيث أتى. على الرغم من أنه..."
"ماذا؟"
أجاب "لم يعُد يهم الآن"، ونظر إلى مادي وسال. "لقد كان ذاك... كان ذلك جندياً ألمانياً بدا كأنه انتُزِعَ من ساحة قتال، مباشرة من مرج البيت الأبيض، من دون أدنى شك".
"أهو غزو؟"
أوما برأسه إيجاباً. "يبدو أنه في اليوم الأول من التاريخ المُسجّل، أم هل أقول المُجدّد، يبدأ باليوم الذي نجح فيه الألمان باحتلال أميركا. كما خمّنا".
همست مادي "أوه، كلا. إذن لقد ألقينا بليام وبوب إلى قلب المعركة".

شحب وجه سال.

"ولكن في استطاعتنا أنْ نُعيدهما، أليس كذلك؟"

"سوف نحاول من جديد بعد ساعة. هذا إذا لم نستقبل كتلة قاتمة غريبة أخرى في اللحظة الأخيرة. لا أريد أنْ أحضر نازياً آخر، أو أي جزء منه، لو كان الأمر بيدي".

"ولكن ماذا لو عجزنا عن استرجاعه؟ فهل هذه النهاية؟ هل سيعلق هناك؟"

"هناك برنامج آخر بعد مرور أربع وعشرين ساعة".

"وإذا أخفق مرة أخرى؟"

" مادلين، إنه فتى واسع الحيلة، ومعه بوب. سوف يُحسنان التصرف حيث هما. وكما سبق أنْ قلت، لدينا وسيلة للتواصل معهما. يمكننا أنْ نُعلمهما بمكان إحداث نافذة الاستعادة التالية وزمانها"، والتفتَ إلى كلتا الفتاتين. "إنَّ الأهمّ بالنسبة إلينا في الوقت الحاضر هو ما إذا كانت ستقع حوادث تغيُّر أخرى، ما إذا كان العالم قد ثبّت على ما هو عليه، أم سيُصبح أسوأ".

"هل في مقدورنا أنْ نفعل أيّ شيء؟"

"إنَّ كل ما نستطيع أنْ نفعله الآن هو أنْ نحاول معرفة أين طرأ تغيُّر على التاريخ. أنْ نرى إن كان في استطاعتنا أنْ نُخفف من هذه الحوادث قليلاً. وتخميني هو أنّه لا بد أنَّ شيئاً ما قد طرأ في أثناء الحرب العالمية الثانية، شيئاً غيَّر موازين الأمور".

هزّتْ مادي رأسها إيجاباً. "نعم... ربما".

استأنف فوستر قائلاً "لذلك، ما سنفعله هو أنْ نستخدم ما هو متوافر بين أيدينا. علينا أنْ نستكشف نيويورك. فقد نتوصل إلى معرفة ما حدث قبل غزو أميركا. أوكيه؟"

أومأت برأسها.

"أوكيه، سال؟"

نظرتْ إليه، والدموع تجري على وجنتيها الشاحبتين. أنّتْ قائلة "مسكين ليام، آمل أنْ يكون على ما يُرام".

نهضَ فوستر بشكل يدل على تعبه وتقدّم منها. مال إليها. "لا تقلقي، يا سال... سيكون في أحسن حال. بوجود بوب إلى جانبه، سيكون في أحسن حال، أعدكِ بذلك".

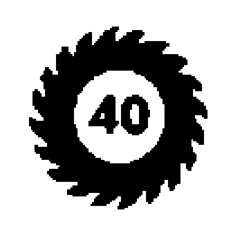
"والآن ماذا نفعل؟"

"نحن في حاجة إلى معلومات. أريد منك يا سال أنْ تنطلقي من جديد إلى ساحة تايمز. فقط اجلسي هناك وراقبي كل ما في استطاعتك. انظري إذا كان في وسعك أنْ تجدي اي دليل بصري... اي شيء يُشير إلى أحداث وقعت قبل عام 1956. وأنتِ يا مادلين؟"

اومات براسها طائعة.

"نحتاج إلى الحصول على بيانات تاريخية عنهم. إذا استطعت أنْ تجدي طريقة لاختراق إجراءاتهم الأمنية، فقد نتمكن من زيادة معلوماتنا. وحينئذ سوف نستعد لتنشيط موعد العودة". واستنشق الهواء من بين أسنانه الخشنة.

"ونأمل ألا نتعثّر في المرة التالية بقوات ألمانية، هه؟"



1956، واشنطن دي. سي.

راقب بوب النشاط المسعور الذي يجري من حوله. ثبّتَ عينيه الباردتين وأخذ يتفحّص القرص العملاق يطفو بجمال فوق المدينة وينفث القوات على دفعات متقطّعة. استطاع أنْ يسمع ضجيج إطلاق نار بعيد، وتفجيرات مكتومة.

في مكان ما من المدينة، كانت جيوب صغيرة من الجنود الأميركيين لا تزال صامدة، غير مُدركين أنّ الصراع قد انتهى، وأنّ قائدهم، الرئيس أيزنهاور، مات وهو يقاتل، والآن يُحمل جثمانه ويوضع على الدَرَج الأمامي للمبنى جنباً إلى جنب مع باقي أعضاء الوزارة وأركان الحرب.

كان ضابط يقف بالقرب منه يُعدِّل من شأن ملابسه وقلنسوة القوات المسلحة، ولم يعُد يرزح تحت ثقل ملابس الهبوط، يُوجِّه النشاط الجاري على الأرض.

أشار إلى بوب "أنت! تستطيع أنْ تزيل القناع. أصبح الهواء نقياً".

وبصمت أزال بوب قناع الغاز. جعله شعره - الذي لم يكن عمر نموّه أكثر من أسبوعَين، وما زال كالإبر الخشنة - وقسمات وجهه القاسية والجامدة يبدو شبيهاً بأفراد قوات الصاعقة الآخرين من حوله.

قال الضابط "بعد أنْ نزيل الفوضى السائدة هنا، يمكنك أنْ تأخذ فترة راحة. والآن، تحرك، يا رجل".

ضاقت عينا بوب وهو يُجري عملية حسابية في غضون جزء من الثانية

بشأن ما إذا كان عليه أنْ يواصل ادّعاءه بأنه وحدة عدوة أو يقفز بأقصى سرعه عبر العشب المُثْلم ويقوم من دون بذل جهد يُذكَر بنزع أوصال الرجل عن جسده.

[هجوم: من الناحية التكتيكية غير صحيح في اللحظة الراهنة].

استدار ومدّ يده إلى الأسفل ليرفع جثة جندي من البحرية، تناول البقايا المُقطّعة وتنكبها وحملها إلى حيث ركام من الجثث يتزايد ببطء. بينما هو يفعل ذلك، كان عقل بوب غير الخبير والمصنوع من السيليكون يعمل على قضية أكبر، أكثر أهمية من أي تخمين تكتيكي عاجل. كان عليه أن يتخذ قرارا استراتيجياً مطلوباً...

الخيارات التكتيكية:

1. إنقاذ المسؤول ليام أوكنر.
2. العودة إلى المكتب الميداني مع معلومات استخبارية.
3. منع حدوث المزيد من التلوّث - إنهاء ذاتي.

كان سلوك ذكاء بوب الاصطناعي يعمل بكفاءة أعلى مع عدد أقلّ من الخيارات في كل فرع من فروع شجرة اتخاذ القرار. كان الرقم المثالي هو اثنين أو ثلاثة، وأي مجموعة أكبر من الخيارات تُبطئ من عملية تخمين الخطر أضعافاً مضاعفة.

استعرضَ الأسرى المتكوّمين وتعرّف إلى ليام الرابض بطريقة مُزرية بينهم وبادله النظر. لو كان لدى بوب المزيد من الوقت ليتآلف أكثر مع تعبيرات الوجه وتقلّصات العضلات الإنسانية، لتمكنَ من تميز مزيج من الخوف والغضب والخيانة مرتسماً على وجه الشاب.

فجاةً سجّلتْ عيناه حركة متزايدة بين أشجار الأرز، في الموقع الذي كان ينبغي أنْ تُفتَح فيه نافذة الزمن. كان الجنود منهمكين في جمع شيء على الأرض، شيء بغيض بالنسبة إلى واحد أو اثنين منهم بحيث يميل إلى الأمام ويتقيّأ بعنف.

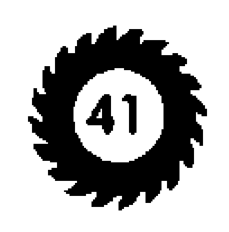
كائناً ما كان ما يحدث هناك، فإنّ الحركة كانت تزداد نشاطاً لإخلاء المنطقة،

بحيث لم يتنبهوا إلى أنها نقطة انطلاق قابلة للنشاط، في الوقت الحاضر، على الأقل. وقرر أنَّ أفضل خيار يناسب معطيات المهمة هو الخيار الأول: إنقاذ ليام.
إنَّ الخيار الثاني يترك ليام عالقاً في الماضي حيث يمكن أنْ يتعرّض للتعذيب ويكشف بصورة خطرة عن تفاصيل مهمة عن المستقبل.
والخيار الثالث أنْ يُفجّر مخّه الحاسوب حتى يحترق، ولا يُحقق أي شيء مفيد في هذه اللحظة من الزمن.
اشرأبَّ إليه مُصغياً.
الخيار الأول حظي بأعلى نسبة بوصفه وثيق الصلة بالمهمة، وأغمض عينيه برهة.

الخيار الأول تقدير الحل:

1. انتظار وصول نافذة العودة الثانية - بعد 57،30 دقيقة.
2. إذا كانت نسبة نجاح إعادة ليام أكبر من 23% من سابقتها.
3. وإلا... انتظر نافذة العودة الثالثة بعد مرور 24 ساعة.

فتح بوب عينيه ورمى بالجثة التي كان يحملها إلى الركام. كان الحل مقبولاً، على الرغم من أنه ليس أكثر من "انتظرْ وانظرْ ماذا سيحدث". إنه لن يُغادر ولن يقضي على نفسه، بل سينتظر سنوح فرصة أفضل لإنقاذ ليام.
ولكنه أدرك أنَّ ثمة عاملاً دخل إلى القرار، شيئاً لم يتمكن من تحديده.
في الوقت الحاضر قرّر أنْ يُسميه عاملاً غير مُحدد.
هذا العامل غير المُحدد لم ينشأ من بياناته أو من شيفرة ذكائه المُصطنع، بل من الجزء الصغير من مخّه، العضوي، الكتلة العضوية الصغيرة جداً من اللحم المجعّد في جمجمته والموصولة بعدد هائل من أسلاك دقيقة بخليّة حاسوبه الرقيقة من السيليكون المُحمّل. وكل ما يستطيع هذا العامل غير المُحدد أنْ يفعله هو أنْ يهمس برسالة غير منطقية وغير عملية إلى حاسوبه المنطقي، رسالة خرقاء بدأتْ تسبب بعض الفوضى وسط شيفرة ذكائه الاصطناعي المُنظم بعناية.
إنَّ ليام أوكنر هو صديقي.



1956، سفينة القيادة فوق واشنطن دي. سي.

سار الملازم أول رالف هوفمن على رصيف الشحن مع رجلَين آخرين يشتركان في حمل حقيبة ثقيلة، تحتوي جثة، بينهما. تركاها برفق ورفعا بصرهما برهبة، مثله، إلى السماء المُظلمة فوقهما، إلى الجزء السفلي العملاق والرمادي لسفينة قيادة الفوهرر.

كان هوفمن قد حجز له مكاناً على متن السفينة مع رجلَين من وحدته، الفيلق 23 من المهاجمين المظليين. كان يعرف داخل سفينة الفضاء، ولكن لدى رؤيتها من الخارج تذكّر حجمها الهائل الحقيقي.

بدأ رصيف الشحن، وهو قاعدة معدنية مربّعة تَسع لشاحنة واحدة، يرتفع ببطء إلى أعلى. بدأت الأرض المحيطة بالبيت الأبيض من تحتهم وجادات واشنطن دي. سي. الشامخة تتراجع تدريجاً.

راقب هوفمن ضوء فترة العصر يتلاشى بينما الغروب يصبغه بسرعة، وتناغم السماء الملطّخة بالدخان فوق المدينة. لم تكن أضواء الشوارع قد أنيرَت، ولا أضواء الأبنية. لقد احتُلّتْ محطات الطاقة في المدينة مع أول عملية اجتياح. لم تكن تُضيء المدينة واشنطن دي. سي. إلا أضواء الحرائق المتقطعة هنا وهناك، إضافة إلى الومض المتفرق لإطلاق النار في الشوارع.

اخذَ نَفَساً عميقاً.

إنها هستريا.

كان في طريقه إلى استقلال الـ... Das Mutterschiff "السفينة الأم"، وهو اللقب الذي أطلقه رجاله على سفينة الفضاء العملاقة. وبتحديد أكبر، كان في طريقه إلى السطح الأعلى للسفينة الأم، حيث يطلّ صف طويل من النوافذ على العالم في الأسفل - السطح الذي يطل منه الفوهرر.

لم يكن هوفمن قد دُعيَ إلى فوق من قبل. قليلون، ما عدا القيادات الأعلى للفوهرر وأركان الجيش، دُعوا. كان أكثر من مجرد مركز قيادة الرجل العظيم ونقطة التحكم. كان منطلق حملته. مكان خاص جداً.

استمر الرصيف في رفعهم مع صوت رتيب آليّ صادر من فوق. رفع نظره ليرى الباب السحري ينفتح متثائباً في بطن السفينة.

وفجأة، أشعلَتْ أضواء غامرة وتدفقت أعمدة قوية من النور وانتشرت نحو الأسفل على الشفق المتجمّع، وعلى امتداد المدينة. أجفل هوفمن وظلّل عينيه. عندما نظر إلى أعلى في الوقت الذي أضيئت تلك الأنوار اللعينة، فوجئ لأنه لم يُصَبْ بالعمى.

رالف... قد تقابله بالفعل. إنه احتمال مؤكّد. فاستعد.

نثرت الفكرة رعشة بغيضة من الخوف والإثارة في جسمه. لم يرغب في أنْ يبدو عصبياً بصورة حمقاء أمام الفوهرر. كان يرغب بشدة في أنْ يُثير إعجاب الرجل، أنْ يبدو هادئاً ومحترفاً كما ينبغي على ضابط صفوة المظليين أنْ يكون. من ناحية أخرى، رسم الرجلان اللذان يرافقانه ابتسامة عريضة كطفلَين فرحين في طريقهما لمقابلة بابا نويل.

قال ساخراً بغضب "أنتما الاثنين، إنكما تبدوان كأبلهَين. اضبطا نفسيكما وكفاكما تكشيراً كالسعادين".

عدّلَ الرجلان من هندامهما طائعين، وخفّفا من ابتسامتهما من تحت تعبير وجه رصين منكس نحو الأرض.

نظر هوفمن إلى حقيبة الجثة الكبيرة. كانت قد صدرت إليه الأوامر من الضابط الأعلى الميداني للفوهرر، الرايخمارشال هاس إلى قائد وحدة

هوفمن. وكان الفوهرر قد طلب أن يتفحّص الجثة بنفسه... وطلب من الرجال الذين شاهدوا ما حدث أنْ يشرحوا له مباشرة ما شاهدوا.

كانت الجلبة القادمة من فوق قد ازداد ضجيجها. رفع نظره، وهو يُظلل عينيه بحرص، ليرى أنَّ مرفأ الشحن الفاغر فمه أصبح الآن فقط على بُعد عشرين أو ثلاثين قدماً فوقهم.

وأخيراً اهتزّ رصيف الشحن وتوقف داخل المرفأ حيث رأى هوفمن اثنين من حرس هتلر الخاص واقفين في حالة انتباه، يرتديان ملابس رسمية سوداء مجعدة.

اعتقد بسعادة، برهة، أنهما سيتسلمان حقيبة الجثة ويدعان هوفمان ورجليه يهبطان. ولكن بإيماء روتيني من رأس أحدهما أشار إلى هوفمن والرجلين كي يتبعوه.

أوصلهم درج يحرسه اثنان آخران إلى السطح الأعلى. جدران البارجة الحربية الرمادية التي كان هوفمن والرجلان قد تعودوا رؤيتها في أثناء صعودهم - التي تعيش كالدجاج المنهك على الأسطح الأدنى بينما "السفينة الأم" تبحر بسلاسة جنوباً من المنطقة المحتلة حول مدينة نيويورك - افسحت المجال الآن لألواح السنديان القاتمة. لم تعد الأرضية من الشبك المعدني بل أضحت سجاداً ناعماً كتانياً يهمس همساً من تحت أحذيتهم الحربية الملطّخة بالطين.

أمامهم، هناك باب مزدوج يحرسه اثنان من الحراس الشخصيين يقفان وقفة انتباه.

أعلن أحد الحارسين اللذين رافقاهم من المرفأ، "الملازم أول هوفمن، يرغب في مقابلة الفوهرر".

أعلن أحد الحارسين الواقفين وصولهم من خلال وسيلة اتصال داخلية. وبعد برهة ظهر مساعد شاب أنيق الملبس من مكتب جانبي.

ابتسم "آه، جيد. سأرافقكم إلى الداخل".

شعر هوفمن كأنَّ قلبه يضرب بقوة في صدره عندما دفع الشاب الباب

ونحه. أول ما رأى من غرفة الفوهرر الكبرى كان أعظم من مقدرته على التحمّل.

تذكر، الحرفيّة، الهدوء. اظهر بمظهر جيّد أمام الفوهرر.

تحدّث المساعد بصوت خافت مع أحد الأشخاص قبل أنْ يستدير نحوهم.

"ادخلوا"، وابتسم بأناقة ولوّح لهم بالتقدُّم.

دخل هوفمن من الباب، ومرافقاه خلفه يحملان حقيبة الجثّة بينهما. أول انطباع تكوّن لديه هو عن جدار طويل من النوافذ العريضة تنعطف ببطء مع استدارة الجدار، كمقدمة سفينة عالية من القرن الثامن عشر، والتوهج البراق للأضواء الغامرة المتدفقة من الخارج إلى الداخل، ينتشر على سقف الغرفة الفسيحة المزخرفة بأسلوب منمّق. ومن خلال الزجاج استطاع أنْ يرى الحدود العامة للمدينة المظلمة، وفوق، كانت سحب سماء أيلول تدحرج راعدة، مُشكّلة معاً ما يشبه اللوحة الزيتية الكبيرة.

خلف طاولة مؤتمرات شاسعة نُشرت عليها خرائط للساحل الشرقي لأمريكا ومُنقّطة بأعلام رمزية تمثّل القوات الألمانية الغازية، وقف الفوهرر، الطويل القامة، والنحيل البنية، وهو يتمتع بجاذبية تماماً كما تُظهره المُلصقات ولوحات الإعلانات.

على أحد الجانبين، على بُعد مسافة قصيرة، وقف الرايخمارشال: صارمة تقاسيم الوجه، باستعداد ويقظة، كما تصوّره سُمعته. ومن الشائع أنّ علاقة هاس مع الفوهرر تعود إلى فترة طويلة، أكثر من عقد من الزمن. وقد قيل إنهما تقابلا للمرة الأولى في أثناء خدمتهما في الحرب العالمية الثانية. قبل ذلك، طبعاً، لم يكن أحد يعرف عنهما أي شيء.

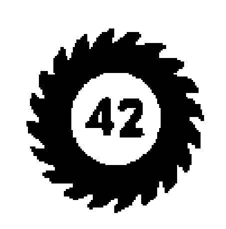
رجلان غامضان جداً.

ابتسم الفوهرر بودّ غامر لهوفمن.

"أنت الذي قاد الهجوم؟"

"نعم، سـ... سيدي فوهرر"، أجاب هوفمن متلعثماً بارتباك.

لوّح بيده مُستخفاً وضحك. "استرخِ، أيها الملازم أول... أنا لا أعضّ.
أنت الذي قاد الإغارة على البيت الأبيضِ؟"
"نعم، سيدي الفوهرر".
"تهانئنا. عمل حسن جداً".
انتفخ صدر هوفمن من فرط الفخر.
"إذن... اعتقد انكَ جلبتَ شيئاً لتُريني إياه؟"، قال بول كريمر.



1956، واشنطن دي. سي.

سأل ليام "إلى... إلى أين نحن ذاهبون؟"

أُنزِلَ باب شاحنة الجيش الخلفي مع السلم، وهبطوا قفزاً. واكَبهم الجنود الألمان، وهم يُلوّحون ببنادقهم.

قال الرجل ذو البذلة الذي استجوبه ليام وبوب في وقت سابق في البيت الأبيض "إنه مخيم إعادة التثقيف".

"ماذا؟"

"لقد سمعت أنّ هذا ما حدث لكل سكان نيويورك عندما استولى عليها الألمان. إلى هنا يُقاد الجميع".

"إلى مخيم إعادة التثقيف؟"

"معسكرات اعتقال، هذه هي حقيقتها... وإلى هناك نحن ذاهبون"، تنهّد الرجل. "إذا حالفنا الحظ".

التفتَ ليام لينظر إليه. "و... ماذا لو لم يُحالفنا الحظ؟"

"سوف يأخذوننا إلى مكان هادئ ويقتلوننا".

شعر ليام فجأة بجفاف في فمه وبوخز في جلده. ألقى نظرة عبر رؤوس باقي الأسرى بحثاً من جديد عن أي أثر لبوب. إذا كان وحدة الدعم سيدعمهما حقاً، فيُستحسن أنْ يُسرع بفعل شيء.

وسط الغسق المتزايد أصبح تمييز أي شيء أكثر صعوبة. لكنه رأى أنّ في

استطاعته أنْ يتبيّن الحدود العامة لجندي ألماني طويل القامة ملفوف العضلات بنحو لافت للنظر، يقفُ بسكون تام على مسافة حوالى مئة ياردة، يُبادله النظر بإمعان.

"بوب؟"

"أوه يا إلهي... هيا، بوب! أخرجني من هذا المكان!"، هكذا قال متنمراً بصوت منخفض.

نظر إليه الرجل ذو البذلة بفضول. "هيه، يا فتى. أنت وصديقك الضخم ذاك... لقد قلتَ شيئاً غريباً عن المستقبل هناك في..."

أجاب ليام بشرود "نعم، لا أعتقد أنَّ من المهم الآن من أين أتينا". ومدَّ عنقه لينظر إلى بوب للمرة الأخيرة، ولكنَّ القامة الواقفة وحدها لا تُبدي حراكاً، كانت قد اختفت.

فليعنّي الله.

صرخ جندي بغضب في وجهه يحثّه على التقدّم والصعود إلى الشاحنة من الخلف، قابضاً على ذراعه ودافعاً إياه بخشونة نحو الأمام.

تمتم الرجل المجاور لليام "افعل ما يأمرك به. احمد ربك لأنهم لم يردونا جميعاً قتلى هنا على المرج".

ارتقى ليام إلى الداخل، ووجد مقعداً في الظلام ليجلس عليه. كان يأمل أنْ يكون الظلام حالكاً بالقدر الكافي ليتيقّن من أنَّ الرجل لن يرى مساري الدموع المنهمرة على وجنتيه القذرتين.

راقب بوب آخر الأسرى وهم يرتقون متن الشاحنة التي بدأ مُحرّكها يعود إلى الحياة، مُثيراً سحابة من الدخان المُنهك.

[فرصة النجاح % 0,5].

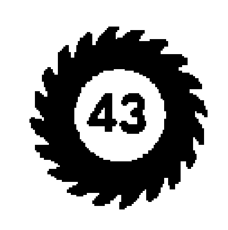
لم يكن هناك أيّ فائدة عملية من محاولة إنقاذ ليام أوكنر الآن. حتى وإنْ نجا جسده من عدد من الطلقات... فإنَّ ليام لن ينجو. راقبَ الشاحنة وهي تبتعد عبر المرج، خلال سياج ثم انتقلت إلى الرصيف ومنه إلى أسفلت الجادة العريضة.

إنَّ الأولوية العليا الآن في هذه اللحظة من الزمن بالنسبة إليه هي العودة إلى المستقبل بالقدر القليل من المعلومات الاستخبارية التي تمكنا من جمعها. إنَّ اتفاقية النافذة المفقودة تعني أنَّ المكتب الميداني سوف يُجرب نافذة أخيرة مُدرجة وسط أشجار الأرز بعد اثنين وعشرين ساعة بالضبط.

حتى ذلك الحين كان بوب قد وجد أنَّ أفضل سياق للعمل هو العثور على مكان مُنخفض ومُستتر يحتلقي فيه. والأهمّ، ان جسمه تحمّل عدة جراح من طلقات رصاص في جذعه. لم يُصَبْ أي من أعضاء جسمه الحيوية بأي أذى والدم تخثّر، مانعاً المزيد من الخسارة، لكنَّ الجراح في حاجة إلى تنظيف، ومنع التهابها وتضميدها. أخبره برنامجه أنَّ عدم فعل ذلك قد ينتج منه بنسبة 83% انتشار التهاب جرثومي وأخيراً فشل أعضائه العضوية في أداء وظائفها.

سوف يموت... كأي كائن إنسانيّ.

ابتعد عن الجنود الآخرين الذين كان بعضهم قد بدأ ينظر إلى وجهه غير المألوف بعين الريبة، وأخذ يقطع بخطوات واسعة أرض البيت الأبيض، ماراً من دون أنْ يُلاحظه أحد، وسط صخب ما يجري في المكان - يبدو في الغسق كأنه مجرد جندي آخر أُرسِل في مهمة خطيرة يجب أنْ يؤديها بأقصى سرعة.



1956، سفينة القيادة فوق واشنطن دي. سي.

التفت كريمر ليطل من نافذته التي تمنحه مراقبة شاملة لواشنطن، المدينة المظلمة، الساكنة. كان يتوقع مقاومة أشدّ في أرجاء العاصمة. لقد سقطت واشنطن دي. سي. في غضون يومين فقط. المعركة الأساس وقعت إلى الشمال من الضواحي في اليوم الأول. والدبابات الأميركية، القليلة التسليح وعربات شرمن MKII2 الثقيلة، تعرض للهزيمة ولمدافع Blitz Raptor MkVIS من اللحظة الأولى. لقد أوقعت بهم منصات أسلحة هوفركرافت الرشيقة هزيمة تثير الشفقة.

الدفاعات التي أُعدّت على عجل، وامتدت من شرق المدينة إلى غربها اختُرِقَتْ بسهولة تامة، وانهار خط القتال الأميركي وتفتّت في الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم، الثاني من معركة الاستيلاء على واشنطن. وعندما هبط مظليو كريمر ذوو التدريب العالي، والمزودون معدات هبوط تدفع بالغاز وبنادق النبض الحديثة، خلف خط الدفاع الأميركي المنهار، ساد بينهم المزيد من الرعب والفوضى.

اليوم كان في معظمه يوم التدرُّب على إزالة الفوضى.

كان الأميركيون قد نجحوا في التكاتف معاً على هيئة مجموعات دفاعية قليلة. وقد أبلغه سلك الاستخبارات أنَّ قوة مقدارها فيلق من جنود البحرية الأميركيين يصمدون في موقعهم حول إحدى الضواحي الجنوبية للمدينة،

وأنّ هناك جيوباً هنا وهناك داخل واشنطن دي. سي. ولكن لم يكن لدى الأميركيين ما يكفي من الوقت لإقامة أكثر من خط عشوائي من القوات المرهقة من القتال حول البيت الأبيض نفسه.

هزّ كريمر رأسه. لقد خسر الرئيس أيزنهاور آخر موقع له وأصبح مثيراً للشفقة وفقد هيبته. كان يأمل بنهاية أكثر درامية لحملته. لقد استسلمت أميركا بضعف وليس بقوة.

إنّ المفاجأة التامة التي انقضوا بها على الأميركيين جعلتهم يتدافعون مذعورين منذ البداية. لم يستغرق الأمر أكثر من ثمانية أسابيع منذ أول انقضاض برمائي شامل على شواطئ نيو إنغلند... حتى اليوم.

طبعاً كان هذا أفضل بالنسبة إلى المدنيين. أفضل من شنّ حملة طويلة الأمد تستمر من الخريف إلى الشتاء، يموت فيها الأبرياء بلا داع. لم يكن يشعر بأي ذنب حقيقي تجاه شعب أميركا. في الحقيقة، لقد كانت أمه أميركية - ولدت في مينيابوليس - وهو نفسه كان يحمل ذات يوم جواز سفر أميركياً. ابتسم جراء التعقيد العبثي للأشياء. فأمه، سالي-آن غاردنر، مثال المرأة الأميركية، لم يكن يُفترَض بها أنْ تولد قبل خمسة وأربعين عاماً، وما كان من المفترَض أنْ تقابل ومن ثم تتزوج والده، بوريس كريمر، إلا بعد خمسة وستين عاماً. ومع ذلك ها هو ابنها، قائد الأمة الألمانية، والدول الأوروبية... والآن أيضاً الولايات المتحدة.

أليست هذه هي عبثيّة ركوب الزمن، يا بول... إيه؟

طبعاً هذه تفاصيل حياة، لا يعرفها إلا حفنة من المُقرّبين منه والموثوقين : كارل هاس وثلاثة رجال آخرين جاؤوا على متن آلة الزمن وبقوا على قيد الحياة حتى هذا اليوم. لقد اتّضح أنْ الإغارة على منتجع هتلر البافاري كانت مُكلفة. لم يكن قد بقي منهم أكثر من خمسة رجال عندما أمر هتلر رجاله بالانسحاب.

لقد عشق الشعب الألماني كريمر، قائدهم الفوهرر الذي قادهم إلى النصر، القائد الذي حلّ محل ذلك الأبله العجوز المضطرب عقلياً والمعادي للسامية،

أدولف هتلر. لقد آمنوا بأنه ألمانيّ، ولم يهتموا بعدم وجود أي سجل عن طفولته، أو عن امه أو ابيه، ولا أثر لوجوده في هذا العالم... حتى ربيع عام 1941. كل ما اهتموا به كان ظهوره من العدم، كملاك حارس هبط من السماء، وقادهم إلى النصر. لقد وحَّدَ أوروبا تحت راية فخر واحدة، لا ذلك الرمز الأحمق، الصليب المعقوف، بل راية من تصميمه هو، اليوروبوروس - الأفعى التي تأكل ذيلها - رمز الأبدية.

إنَّ ما يأتي بسرعة... يذهب بسرعة.

أخيراً توحّدت أوروبا، والآن حان دور أميركا - القوة المندمجة التي احتاج إليها لكي يجبر باقي العالم أخيراً على الخضوع.

وسوف يُصبح عالماً أفضل بكثير. عالم لا يجوع فيه أحد. عالم يمكن التحكم في عدد سكانه بحيث لا يزيد على ما تستطيع الأرض إطعامهم. عالم تُستخدم موارده بحرص ولا يُبدّدها الأثرياء ثراءً فاحشاً والسياسيون الذين لا يجدون من يُحاسبهم. عالم لا تُسمّمه عوادم السيارات ولا دخان الفحم. عالم لا يحتضر لأنَّ البشر لا يستطيعون التحكم في أطماعهم.

والأهم من ذلك...

سيكون عالمَك، يا بول. لك وحدك.

جعله صوت طموحه الهادئ يتململ بانزعاج.

لقد غزوت أكثر ممّا فعل أي قائد في التاريخ.

كان كريمر يعلم أنَّ عليه أنْ يشعر بالتيه، بالفخر بما حقق حتى الآن. لكنه لم يفعل. والسبب في ذلك يمثل أمامه على الأرض، جلبه ملازم أول مع اثنين من رجاله: مخلوق مشوّه بصورة شنيعة لعله كان ذات يوم جندياً ألمانيا شاباً، لكنه الآن أصبح خليطاً مشوّهاً من شابين، وربما ثلاثة شبان.

إنه يقبع أمامه داخل حقيبة الجثة المغلقة. كان كريمر قد شاهد شيئاً شبيهاً له مرة واحدة من قبل، قبل حوالى عقد من الزمان في غابة أعالي سالزبرغ التي تكسوها الثلوج. تذكّر أنه كاد يتقيّأ حينئذ، تماماً كما يشعر بأنه يرغب في أنْ يفعل الآن.

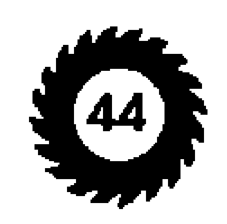
جلس كارل مقرفصاً بجوار الجثة وأخذ يتفحّصها بإمعان. "قد يكون هذا نتيجة الإصابة بسلاح حارق. لعلّ الحرارة العالية سبّبت خلط هذين الرجلين المسكينين معاً".

أومأ كريمر برأسه، زامّاً شفتيه، مُداعباً ذقنه. قد يكون الأمر كذلك... أو نتيجة إحدى قنابل النبض، المُصممة لسحق النسيج الرقيق بموجاته الصاعقة. إنّ تصاميم سلاحه الحديث تنتج ضحايا مشوّهة تشويهاً شنيعاً كهذا.

أم لعله شيء آخر؟

إنه ذلك الصوت من جديد. أمره بالسكوت.

"نعم، يا كارل... هذا مُحتمَل".



1956، خارج واشنطن دي. سي.

نظر ليام من خلفية الشاحنة وهي تدمدم مع ضجيج عالٍ مبتعدة عن دي. سي. على طريق مرصوفة بقوات المانية تقوم بدوريتها، ولاجئين مدنيين يُساقون تحت تهديد البنادق، ورتل يُثير الشفقة من الجنود الأميركيين المضروبين ببذلات الكاكي المبرقعة بالأخضر، كثير منهم جرحى.

قال الرجل ذو البذلة "في المناسبة، اسمي والاس. دانيل والاس. أعمل في سلك الصحافة في البيت الأبيض. أو..."، وتنهّد بضجر، "على الأقل كنتُ كذلك".

مدّ له ليام يداً رخوة. لم يكن يعلم ماذا يفعل "سلك الصحافة"، لكنّه خمّن أنّ له صلة بالصحف. "وأنا ليام أوكنر، من كورك، في أيرلندا".

أومأ والاس برأسه. "أنت بعيد جداً عن وطنك، يا بنيّ".

أجاب مع ابتسامة باهتة "أعلم هذا".

تكلّم والاس بهدوء "ما زال أمرك مع زميلك يُحيّرني. قلتَ إنكما..."، تلفّتَ والاس حوله إلى الأسرى الآخرين، كثير منهم كانوا إما مصعوقين، أو منكفئين على أنفسهم، ومنغلقين دون هذا الواقع الكئيب.

أجاب ليام "لَمَ لا ننسى ما قلت؟ لم يعد هذا يهم، أليس كذلك؟ أنا هنا في الورطة نفسها كأي شخص آخر".

"وماذا عن الرجل الذي كنتَ معه؟"

"ماذا عنه؟"

"أكاد... أكاد أُقسم على أنني رأيته يُصاب بطلقة رصاص وأنه... وأنه ما كان ينبغي أنْ يعيش".

لم يُجب ليام بأي شيء وترك والاس الأمر مؤقتاً، وعاد إلى الإصغاء إلى اثنين آخرين من الأسرى في خلفية الشاحنة يتحدثان بهدوء؛ كولونيل في الجيش فضّي الشعر وضابط في البحرية.

"... كلهم كانوا منظمين، ومصدومين. لا أصدّق أنه منذ شهرين كان الخبر الكبير هو لقاء أيزنهاور مع كريمر على أرضٍ مُحايدة لمناقشة السلام، ووضع نهاية للتوتر المتزايد بيننا وبينهم".

قاطعه ضابط البحرية "وطوال الوقت كان كريمر يضع الاستعدادات الختامية لغزو أميركا". مرّر الكولونيل يده على شعره المقصوص قصيراً جداً، "بل إننا لم نشعر بحدوثه. بيل... لقد كنا نخدع أنفسنا برغبتهم في السلام وبأنهم سيدعوننا وشأننا".

حدَّق ليام من خلفية الشاحنة، وذهنه شارد على بُعد ملايين الأميال.

إنها رحلتي الأولى... وها إنَّ أمري قد انتهى.

لقد عاش الأسابيع الأخيرة من حياته كأنها حلم مجنون. قبل أكثر من ثلاثة أسابيع بقليل كان صبياً مُضيفاً يعمل على متن التايتانيك، يخدم الأثرياء، ويُدلل المسافرين، ويتطلّع إلى بلوغ أرض الفُرَص، أميركا. وكانت الخطة تقتضي أنْ يترك العمل حالما ترسو السفينة ويبدأ حياة جديدة من المغامرة والاكتشاف. كان قد قرأ الكثير عن أميركا، وأدركَ أنها المكان المناسب له، البلد الذي سيجمع فيه ثروته.

ثم غيّرتْ قطعة من الثلج المُدمّى كل شيء.

ومعها جاء فوستر... ليُنقذه من طريقة الموت التي طالما جاءته في المنام ككابوس – غرقاً. لقد فتح له العجوز باباً لا يُصدَّق. إلى عالم مذهل من المستقبل، عالم من أبنية من الكروم والزجاج، من أضواء النيون والشاشات الساطعة بالألوان، والإنارة، والحركة، والتكنولوجيا التي تتجاوز هذا العالم.

ولكنه أيضاً عالم من الماضي، من الزمن الذي تمنّاه، لأنّ فوستر طمأنه إلى أنه سيشهد الكثير من الأشياء الرائعة، واللحظات الرائعة، بحيث يُدرك بصورة ما... كلا، بل حتماً... أنه أسعد الشبان حظاً على قيد الحياة.

وها هو الآن في ورطة. إنّ ما يواجهه الآن مع كل مَنْ على متن هذه الشاحنة هو مستقبل مُخيف وغامض. سوف يُرمون بالرصاص، فإذا لم يحدث ذلك، ففي الغالب سوف يُسخّرون للعمل كأسرى حرب.

حاول صوت خافت داخله أنْ يُطمئنه إلى أنه على الأقلّ على قيد الحياة بدل أنْ يُسحق ويتعفّن ويُصبح طعاماً للأسماك في قاع المحيط الأطلسي.

ولم يسعده ذلك البتّة. لقد علقَ هنا. ولا أمل بعودته إلى نافذة الانتقال الأخيرة تلك. وبغياب أيّ طريقة للتواصُل مع فوستر، ومادي وسال... فإنّ أمره قد انتهى.

حدّث نفسه، لعلّي أيضاً سأنسى هذه الأسماء، ولن أرى أصحابها بعد الآن.

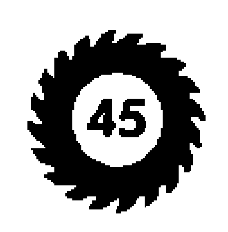
طقطقت الشاحنة في أثناء مرورها بأسلاك شائكة ألصقت عليها صور فوتوغرافية من كل الأشكال والأحجام، تمثل الوجوه المبتسمة للمفقودين، كُتبَ تحتها هل رأيتهم؟مُلصقات وضعها أزواج وزوجات، وأمهات وآباء قلقون. وعلى طول الجزء السفلي من السياج كُدّستْ باقات من الأزهار، نضرة وذابلة، وتذكارات، دببة دمى وعرائس. كان ضريحاً لأولئك الذين اختفوا وسط دوامة المذابح التي دارت خلال الأسابيع الأخيرة.

كثير من أولئك الجالسين في مؤخّر الشاحنة راقبوا السياج يمرّ بهم، كعرض مؤلم لا نهاية له من الأمل والحزن.

هناك العديد من الموتى والمفقودين.

شدّ جنديّ في الشاحنة على أسنانه قائلاً "ليس لدينا أي أمل لعين في صدّ أولئك النازيين".

قال ليام في نفسه، لعل العزاء الوحيد هو أنّ الحرب كانت قصيرة الأمد، وأنها شارفت على نهايتها.



1956، سفينة القيادة
فوق واشنطن دي. سي.

راقبَ كريمر ضابط المظلات الشاب المضطرب ومرافقيه يُغادرون الغرفة.

كان أمامه مليون عمل وعمل عليه أنْ يقوم به، ليس فقط في ما يتعلّق بالبلد الذي غزاه أخيراً، بل أيضاً بالأوضاع في وطنه أوروبا.

لكنّ تفكيره الآن مشغول بهذا الأمر وحده، بالتقرير الذي سمعه تواً من الضابط الشاب: عن نافذة من الأثير تومض وسط أشجار البيت الأبيض. وقد وردت تصريحات من شاهد عيان تقول إنّها "ابتلعت" رجلاً، ثم عاد بعد دقيقة، ظهر على الفور مع جسد رجل آخر تصادفَ أنْ اجتاز الهواء الوامض.

هذه التصريحات من شاهد عيان صدرت مباشرة بعد إحدى المعارك؛ كان الرجال في حالة غليان، والأدرينالين يندفع في شرايينهم. فقد كان الجنود دائماً بعد فورة المعركة يميلون إلى تخيُّل بعض الأشياء. والتاريخ العسكري مليء بقصص عن جنود شاهدوا جيوشاً من الملائكة تهبّ لإنقاذهم. كان يمكن كريمر أنْ يرفض هذا الكلام بوصفه ثرثرة سببها حماسة الجنود الشبان المفرطة، لولا أنّ الضابط جلب له هذا...

تفحّص ذلك الشيء المبتور، المشوّه، داخل حقيبة الجثة بينهما.

رفع كارل بصره إلى قائده. "أتعتقد أنّ هذا نتيجة حضور راكب آخر للزمن؟"

لم يُدلِ كريمر بجواب.

كيف يمكن شخصاً آخر أنْ يسافر عبر الزمن؟

لقد كان تصميم فالدشتاين الأوّلي المُخبّأ بعناية هو آلة الزمن الوحيدة. وقد كان القانون الدولي صارماً، وأغلق الباب بإجماع تام وشامل في وجه هذه التقنية. وأيّ أمة، أو شركة، أو فرد يُضبط وهو يُطوّرها يتعرّض للعقوبة القصوى: التدمير التام. لا تحذير، لا جدال، ولا عوامل مُخفّفة. حتى في قلب عالم منتصف القرن الحادي والعشرين الفوضوي والمُضطرب، كان هناك تفاهم مقبول لفكرة أنه لا يمكن السماح بتغيير الزمن، سواء للأفضل او للأسوا.

سأل كارل "هل كانت تلك الآلة هي الوحيدة، يا بول...؟"

اصبح كارل هو الوحيد الذي يحظى بهذا الامتياز الآن – أي مُخاطبته باسمه الأول، ولكن أيضاً فقط في ما بينهما.

"نعم، يا كارل... كانت الوحيدة".

لقد كان كريمر متيقناً، بعد أنْ دمّر النموذج الأوّلي لفالدشتاين، من أنّه لا أحد يستطيع أنْ يلحق به ويعود في الزمن من أجل إفشال جهوده لتغيير العالم إلى الأفضل.

ولكن ماذا لو كانت هناك آلة أخرى؟

بثّت هذه الفكرة الرعشة في أوصاله.

وصمّم أحدهم على العودة ومُلاحقتنا؟

إذا كانت هذه الجثة المشوّهة المُمددة على الأرض هي نتيجة انفتاح نافذة لاجتياز الزمن، فإنّ شخصاً من المستقبل اختار أنْ يفعل ذلك هذا اليوم. هناك شخص من المستقبل حاول أنْ يُصحح التاريخ ويعتبر أنّ هذا اليوم، الخامس من شهر أيلول عام 1956، هو اليوم الذي جرى تغيير التاريخ فيه.

ولكنه لم يكن هذا اليوم.

في الحقيقة لقد جرى تغيير التاريخ قبل خمسة عشر عاماً من الآن، اليوم الذي قاتل فيه كريمر ورجاله الحرس الخاص ليجتمعوا بهتلر. اليوم الذي

شرح فيه كريمر أنّ هجوم هتلر الوشيك على روسيا سيكون بداية نهاية احلامه، نهايةً ستحلّ بعد ذلك باربع سنوات في غرفة مُحصّنة تحت برلين برصاصة تُطلَق إلى صدغه وكبسولة من السيانيد يسحقها بين أسنانه.

رفع كريمر بصره عن الجثة، نظر من خلال النوافذ التي تطل على مشهد بانوراميّ. "كارل، يجب أنْ نمحو التاريخ كله".

"ماذا؟"

"كل شيء قبل انصرام هذا النهار... خاصة كل شيء منذ وصولنا في عام 1941".

"لكي نمحو آثارنا؟"

"نعم. ولكن ينبغي أنْ نقدّم هذا للناس على أنه إشارة رمزية".

"لا افهم".

"هذا اليوم سوف يُعرَف باسم اليوم الأول، بداية جديدة للبشر جميعاً. سوف نُعلن أنه بعد آلاف لا تحصى من السنوات من تاريخ مُلطّخ بالدماء – بلدان، وملوك، وباباوات، وأباطرة يتقاتلون في ما بينهم من اجل ارض أو مال، او مُعتقد – سوف تنتهي الحروب كلها".

اوما كارل براسه موافقاً. "لا حروب بعد الآن، نعم. سوف تلقى هذه الرسالة رواجاً".

أشار كريمر باتجاه أفق المدينة من خلال النافذة العريضة. "لقد كانت أميركا هي مصدر تهديدنا الأكبر، والآن هي جزء من إمبراطوريتنا. لم يعد هناك مَنْ يستطيع أنْ يُهددنا. إننا نتطلّع إلى الوقت الذي سيتوحّد فيه أخيراً كل إنسان في هذا العالم تحت راية واحدة".

"بقيتْ دولتا روسيا والصين".

هزّ كريمر كتفيه استخفافاً. "سيأتي وقتهما". ثم التفت إلى كارل. "على ايّ حال، أعتقد أنّ الوقت الحاضر هو التوقيت المثالي للقيام بهذه الخطوة الكاسحة".

أشاح بنظره بعيداً عن الجثّة الهامدة، سعيداً لأنّ الضابط الشاب مع

مرافقيه قد رحلا، ولأنَّ في وسعه أنْ يُشيح بوجهه عن ذلك المشهد الفظيع.

"ولكن لا أنت، يا كارل، ولا أنا سوف ننسى أننا غريبان في هذا الزمن. وعلى الرغم من أنه مرَّ خمسة عشر عاماً على سفرنا عبر الزمن، يجب أنْ نبقى على الدوام حريصَين على محو آثارنا".

"فهمت".

"وبإعلاننا هذا اليوم اليوم الأول في مرحلة جديدة، نمحو بذلك، يا كارل، السنوات الخمس عشرة الأخيرة كلها، من دون أنْ نترك منها أي أثر. لا دليل يمكن أي شخص من المستقبَل أنْ يضع يده عليه. ولكن، زيادة على هذا، سوف نمحو التاريخ كله. ولِمَ لا؟ أليس لهذا السبب أيضاً عدنا إلى الماضي؟ لكي نمحو السجل كله... لنَبدأ بداية جديدة مع نظام جديد؟"

أومأ كارل برأسه إيجاباً.

"سوف أبثّ إعلاناً عبر تلفاز الدولة وإذاعتها. سوف نُصدِر مرسوماً بيوم للاحتفال عبر بلاد الرايخ الأعظم كلها - يوم اتّحاد الـ..."

"يوم الاتحاد... إنه اسم جيد له، يا بول".

"نعم... هو كذلك. إذن، فلنعطه هذا الاسم. وإضافة إلى هذا الاحتفال، سوف نباشر عملية تطهير شاملة لكتب التاريخ، والوثائق، والرفات. يجب إزالة كل شيء. يجب إحراق كل شيء".

أومأ كارل برأسه.

"حاضر، سيدي".

"وسوف نُخبر شعب أميركا بأنَّه ليس هناك ما يخشونه. لن يُستعبَدوا، بل سيُدعَون للانضمام إلى الألمان، والفرنسيين، والبريطانيين وإلى مواطني الرايخ الأعظم كلهم".

سأل كارل "سوف أعدّ لك مسوّدة خطاب".

"شكراً لك، يا صديقي العزيز"، ثم أشار إلى الجثة الملقاة على الأرض وقال "إنَّ هذا لا يُخيفنا، أتفهم؟ نحن الذين نتحكم في التاريخ الآن، يا كارل... أنت وأنا... إنه كالغضار بين أيدينا نشكله بالضبط كما نشاء، ولا

يمكن أي شخص من المستقبل أنْ يعثر على نقطة الوصول إلينا".

"إذا كانت هذه الجثة هي نتيجة محاولة أحدهم للعثور علينا..."، نظر كارل إلى كريمر، "فإنَّ كونه حاول في هذا اليوم وليس هناك في عام ...1941 يُثبت أنَّ...؟"

قال كريمر مبتسماً "نعم، إنّه لا علمَ له بالتوقيت الذي عدنا إليه في الأصل". وربت بحب كتف كارل. "أعتقد أنَّ هذا يُبيّن أننا في أمان".

"نعم، يا سيدي".

قدم كارل تحيته بنشاط. "سوف أُعدّ خطابك".

"شكراً لك".

راقب كريمر كارل وهو يبتعد، ويُغلق الباب الضخم والسميك خلفه، ومن ثم التفت من جديد ليطل من النافذة ذات المشهد الشامل.

ولكن، هل سيكون هذا كافياً... محو التاريخ؟

سوف يكون إجراءً احترازياً معقولاً، لكنَّ كريمر ظل يشعر بقشعريرة عدم الارتياح. فقبل نصف ساعة كان متيقناً من أنَّ أنموذج فالدشتاين الأصلي هو آلة الزمن الوحيدة في العالم.

أيعقل أني على خطأ؟

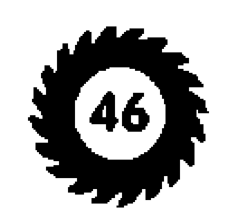
شاهد في السماء سرباً من طائرات ماسرشميت جتلاندر تنساب من الأعالي وتحوّم مباشرة فوق الشوارع المُقفرة في الأسفل، وتمسحها بأضوائها الكاشفة.

لن يُمثّل غزو ما تبقّى من العالم عائقاً أكثر ممّا فعلت أميركا. أصبح الرايخ الآن حصيناً، لا يمكن قهره، وكليّ السلطة. والبلدان الباقية سوف تسقط واحداً بعد آخر. إنَّ روسيا والصين أمّتان كبيرتان، لكنهما متخلفتان، وهما معزولتان، ومُحاصرتان من الجهات كلها. وعاجلاً أو آجلاً سوف يُقضى عليهما وتنتهي الحروب إلى الأبد.

ومع ذلك، كان منزعجاً من فكرة أنَّ في إمكان أحد في مكان ما في المستقبل - إذا ما حالفه الحظ - أنْ يجد وسيلة للعودة إليه.

أو قد يكون شيئاً أسوأ بكثير، يا بول. أتذكر ماذا قال لك العجوز فالدشتاين ذات مرة؟

أخذ كريمر يسبّ وهو يُلقي نظرة إلى الجثة. أمر حرّاسه الواقفين في الخارج أنْ يُبعدوا هذا الشيء عنه ويتخلّصوا منه. لقد رأى ما يكفي من الدماء في يوم واحد... وهناك الكثير من العمل ينتظر التنفيذ الآن بعد أنْ استسلمت الولايات المتحدة رسمياً.



1956، واشنطن دي. سي.

كانت الدنيا ظلاماً والجو رطباً. وكانت عينا بوب قد تأقلمتا قبل ساعات على العتمة هنا داخل المجاري. تسللت خيوط شاحبة من الضوء من خلال قضبان الرصيف المتشابكة فوقه. كان اللون الرمادي يخيّم على فترة ما بعد الظهيرة في واشنطن دي. سي.، في اليوم التالي الذي هُزِمَتْ فيه أميركا على أيدي الغازين.

جلس وحدة الدعم بسكون على الحافة الأسمنتية الرطبة، وقدماه متدليتان في المياه ذات الرائحة الكريهة التي تجري بسيل ضعيف.

كان يسمع من فوق حركة السيارات المتقطعة، ووطء الأحذية العسكرية، وبين حين وآخر إطلاق نار بعيد. وعلى امتداد الساعات الأربع والعشرين الأخيرة، كان آلاف من الناس، المحتمل أنهم مُثيرو شغب - أعضاء مجلس الشيوخ، والكونغرس، وقضاة، ومحامون، وصحافيون - يُجمَعون ويُشحَنون في قوافل من الشاحنات إلى خارج المدينة. أما باقي سكان المدينة فكانوا يلزمون بيوتهم بجبن ويكتفون بالتساؤل عمّا سيفعل كريمر وقواته الغازية بهم الآن.

في تلك اللحظة كان كل شيء هادئاً، ما عدا صدى الماء المُلح يقطر من سقف المجاري القرميدي المنحني، وجريان ماء الصرف الكريهة الرائحة البطيء.

جلس بوب لا يحرّك ساكناً. وبحركة شاردة كان إصبعه يضغط على

زر أمان بندقية النبض التي يحملها بيديه. يفتحه ويقفله، يفتحه ويقفله، والصوت المعدني يتردد صداه عالياً على طول المجاري.

انتظر بصبر. يُجري العدّ التنازلي على ساعته الداخلية.

أغمض بوب عينيه.

[معلومة: النافذة الأخيرة ستُفتح في غضون 23 دقيقة].

لم يكن يفصله عن البيت الأبيض أكثر من مسافة عشر دقائق، أو ميل بأقصر الطرق، وكان في إمكانه أنْ يقطع نصف تلك المسافة تحت الأرض على طول شبكة قنوات المجاري، ليخرج من فتحة البالوعة في جادة بنسلفانيا. سوف يُضطر إلى الجري ما تبقّى من مسافة مكشوفاً للجميع. قد تمثّل بذلك المطاطية السوداء والقناع وسيلة تنكر بضع لحظات قصيرة. ولكن بما أنَّ جنود العدو كلهم قد خلعوا ذلك اللباس، وهم الآن يرتدون زيّهم الرمادي الرسمي، فسوف يلفت انتباههم في الغالب حالما يصبح فوق سطح الأرض.

ولكن، إذا حدّد زمن التنفيذ بصورة صحيحة، وحالفه الحظ، فإنَّ أمامه فرصة جيدة في شقّ طريقه بسرعة إلى الفسحة بين أيكة أشجار الأرز في اللحظة التي يبدأ فيها الهواء بالخفقان والنافذة بالظهور. ولكن من المحتمل جداً أنْ يُعاني جسمه من جراح القتال ولا يتمكن من شفاء نفسه.

لكنَّ هذا ليس ذا أهمية.

إنَّ رقاقة السيليكون الصغيرة التي في رأسه هي أهمّ شيء. كان تلقّي هذا من خلال النافذة ثم إرساله إلى المستقبل سليماً هو الهم الوحيد. وحتى إنْ كان أفضل ما يستطيع أنْ يفعل هو أنْ يمدّ رأسه من البوابة في أثناء عملها، تاركاً وراءه جسداً بلا رأس، فإنَّ ذلك سيلبي هدف مهمته الأولى، وسوف تعود المعلومات الاستخبارية إلى المكتب الميداني حيث يحتاجون إليها.

انتبه بوب. كان الوقت قد حان ليقوم بخطوته.

لكنَّ شيئاً ما في عقله العضوي الصغير حثّه على إعادة ترتيب أولويات مهمته، أشبه بصوت طفل صغير متذمر؛ مناشدة متذمرة تتنقل على طول أسلاك دقيقة داخلية.

لا نتركه وتذهب.

انتفضَ رأس بوب بانزعاج عندما حاول ذكاؤه الاصطناعي أنْ يتعامل مع التوكيدات المتصارعة. هناك إجابة السليكون الجازمة والخالية من الانفعال مقابل صوت الطفل ذاك.

[هدف المهمة: جمع المعلومات والعودة بها].

ولكن... ليس هناك إلا القليل من المعلومات ولا يمكن الاتّكال عليها، فهما لم يتمكنا من جمع إلا أقلّ القليل منها. في استطاعة بوب أنْ يعود إلى المكتب الميداني – حياً أو ميتاً – ويمكنهم أنْ يستخلصوا من رأسه ما رأى وسمع. لكنَّ الغالبية العظمى من هذه البيانات مجرد دخان وإطلاق نار. لن يحصلوا على ما يفيد من المعلومات. لن يكون كافياً للتركيز على نقطة أصيلة معيّنة في مسألة تلوُّث الزمن هذه. كانوا في حاجة إلى المزيد من المعلومات، الكثير منها. خاصة بشأن معرفة الأحداث التي وقعت قبل هذا الغزو. إنَّ وجوده هنا في عام 1956 يُتيح له فرصة أفضل بكثير للكشف عن الماضي الحديث مما يُتاح له هناك في عالم عام 2001 المتغيّر.

اضطرب رأسه بعنف من القلق، وتلمّسَ إصبعه زر الأمان بانفعال شارد متزايد.

[مقتضيات المهمة تطلب إعادة ترتيب الأولويات].

كان الوحدة قد خرج حينئذ من منطقة العزاء. كان ذكاؤه الصطناعي قادراً على التعامل مع تحليل الوضع السريع والمفصّل، لكنّ صنع القرار يجري التعامل معه بطريقة أفضل بما لا يُقاس بمعيّة العقل الإنساني. لقد تذكرتْ ذاكرته المُحمّلة كلمات فوستر التي قالها قبل بضعة أيام.

"... وهذا هو السبب الذي دفع بالو كالة إلى إرسال عميل بشري إلى الماضي إضافة إلى وحدة الدعم. إنّ الإنسان الآلي لا يستطيع أنْ يُقدّم اقتراحات حدسيّة، يا ليام... ليس كما يستطيع الكائن البشري أن يفعل..."

لقد فهمتْ الكتلة الصغيرة من اللحم الملتوي داخل جمجمة بوب – المخ المتخلّف – هذا تماماً. فهمتْ أنّ المساعدة مطلوبة، فيما شيفرة الحاسوب

الموصول بأسلاك استمرت في مناقشة مسألة أنْ أوامر المهمّة يجب إطاعتها مهما كلّف الأمر.

يجب أنْ أعثر عليه.

[توصية: تحديث مقتضيات المهمّة].

جمدتْ إصبع بوب، بقيَ جسمه متيبّساً، ساكناً سكوناً صارماً. إنْ حاسوبه الداخلي يُركّز الآن على أمر واحد، وكل مايكروفولت من طاقة الحاسوب مُسخّر لهذه الغاية.

إنه يُعيد ترتيب أولويات مهمته.

إنه يصنع قراراً.

[تم تحديث المهمّة: حدّد مكان العميل ليام أوكنر وأنقذه].



2001، نيويورك

راقبَ فوستر ومادي العدّ التنازلي على شاشة الحاسوب. أعلن "بقيتْ ثلاثون ثانية".

اومأتْ مادي براسها. هي أيضاً كانت ترى ما يظهر على الشاشة. "وماذا لو أخفقوا في ولوج هذه النافذة أيضاً؟"

"سوف نتعامل مع هذه المشكلة عند وقوعها أو إذا وقعت".

نظرتْ مادي إلى الأرض، إلى بقعة أزيلتْ منها الكابلات والحصى ورُسمت وسطها دائرة بالطبشور الباهت اللون، حيث سيتجسّد ليام وبوب - إذا حالفهما الحظ - قريباً. كانت سعيدة لأنَّ فوستر أرسل سال لكي تجلس في ساحة تايمز وتراقب. لو أنها كانت هنا، لاستولى عليها القلق، وقاطعت عملهما، وغضبت... وشتّتت انتباههما. إنَّ فوستر نفسه بدأ يبدو متوتراً بما يكفي، من دون أنْ يُضطر إلى طمأنتها باستمرار إلى أنْ ليام وبوب سيكونان على ما يرام.

وماذا لو عادا، وكان ليام جريحاً... أو ما هو أسوأ؟

من الأفضل انَّ سالي موجودة في مكان آخر الآن.

قالت "بما أنهما فوّتا محاولتي الدعم الأخريين، فلا بد أنَّه قد حدث لهما شيء. أليس كذلك؟"

قال فوستر "لسنا متأكدين من هذا. كثيراً ما فوّتُ نافذة مُدرَجة أو اثنتين

في المهمات التي قمت بها. إنّ أموراً غير متوقعة تحدث، لهذا لدينا العديد من البوابات الداعمة".

"ولكن ماذا لو فوّتنا هذه البوابة...؟"

نظر إلى الشاشة.

بقيتْ عشر ثوان.

"إذا فوّتنا هذه، فسوف نحتاج إلى إرسال موعد جديد لهما".

نظرتْ إليه. "إرسال؟ كيف؟"

"الأمر معقّد. سأخوض في هذا لاحقاً".

أطلقتْ تنهّداً. "إذن، الأمر لا ينتهي عند هذا الحد؟ لقد حسبت... كما تعلم... حسبت أننا سنفقدهما إلى الأبد".

تفحّصَ مؤشر انقطاع المرحلة. لا أثر لأي كتل كثيفة تتحرّك حيث ينبغي لبوابة العبور أنْ تُفتَح. وهذا جيد. لا بد أنّ الجنود رحلوا.

قال "حسن... فلنبدأ".

بدأت آلة الإزاحة تهدر وأضواء القنطرة تعتم مع تحوّل الطاقة إليها. ثم بدأت كتلة كروية في الطرف المقابل من الغرفة تخفق فجأة، ومن خلال الهواء الساكن حسبت مادي أنها تميّز الأشكال المتراقصة، الملتوية لجذوع أشجار.

همست مادي "هيا، ليام. تحرّك".

ابتلع فوستر لعابه بقلق. "نعم، تحرّك".

إذا كانا موجودين هناك، فيجب أنْ يلجا فوراً. ليس من الحكمة إبقاء البوابة مفتوحة بلا فائدة؛ نافذة على أبعاد فوضوية يمكن أي شيء أنْ يتسلل منها... كلما أُغلقت بسرعة كان ذلك أفضل.

قال بصبر نافد "هيا!"

حام الجسم الكروي، وهو يخفق، يتوهج بضوء أزرق وسط عتمة القنطرة الخفّاقة. ألقى فوستر نظرة سريعة إلى شاشة الحاسوب. كانت البوابة قد فُتحت مدة عشر ثوان ومن ثم بدأتْ رسالة إنذار حمراء تومض على الشاشة.

قال فوستر "يجب أنْ أُغلقها. إذا طالت مدة فتحها فسوف نجازف بجذب الباحث. إنهما ليسا هناك".

صرخت مادي "كلا اتركها مفتوحة أكثر قليلاً".

قال فوستر ساخراً "لقد تخلّفا عن الموعد"، وضغط زر إفشال المحاولة على الشاشة، وفي الحال اختفى الشكل الكروي، وتلاشى هدير الطاقة العالي وعاد توهج أضواء السقف.

"تبّاً، فوستر، لعلهما كانا يهرعان الآن وتأخرا قليلاً!"

"ليس هناك شيء اسمه تأخرا ويهرعان، يا مادلين. إما أنْ يكونا حاضرَين أو لا. النافذة مفتوحة، فإما أنْ يلجاها أو لا. واخشى أنه لا مجال لتركها مفتوحة لكي ننتظر ونرى".

جلسا برهة صامتين، يُحدقان عبر الغرفة إلى دائرة الطباشير، كأنهما لا يزالان يأملان ظهور ليام وبوب كالسحر، وعلى وجه ليام تعبير الإحساس بالذنب لأنهما تأخرا في الوصول.

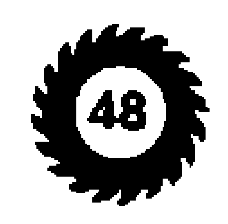
قالت مادي، مُجبرة نفسها على الظهور بمظهر الإنسان العملي "إذن... حسن. إنها ليست نهاية الأمر. هل ذكرتَ شيئاً عن إرسال رسالة؟"

أومأ فوستر برأسه. "هذا صحيح. نحن في حاجة إلى إرسال تفاصيل منصة جديدة للزمن... وقد نحتاج إلى انتقاء موقع آخر. ليس بعيداً جداً عن الأول، لكنه أكثر سرّية بقدر ما، وأقلّ زحاماً، أعتقد أنّ ذلك سيكون أفضل".

زمّت مادي شفتيها. "وكيف بالضبط سيتسلمان هذه الرسالة؟"

أجاب "بالبث الأسرع من الضوء. سأشرح لك هذه التقنية لاحقاً... إنها معقّدة".

هزّت كتفيها استخفافاً. "أستطيع أنْ أنتظر".



1956، سفينة القيادة فوق واشنطن دي. سي.

تناول كريمر طعامه وحيداً. لم يكن في مزاج يسمح له بالاحتفال بالنصر مع الرايخمارشال كارل هاس وكبار قادة الفصائل ومساعديهم. مرّت عدة أيام منذ حصول الاستسلام، وعلى الرغم من وقوع بعض المناوشات القليلة مع استمرار عدة ولايات أميركية منفردة في الغرب بالقتال بشراسة، أضحت أميركا الآن جزءاً من الرايخ الأعظم.

كان ضباط القيادة العليا يحتفلون الآن، ويشربون من دون أدنى شك نخب غياب قائدهم الفوهرر وهم بملابسهم الرسمية الأنيقة، ثم سيجلسون معاً في قاعة البيت الأبيض الرسمية لكي يُناقشوا الشؤون الإدارية بشأن إدارة أميركا. وكان واثقاً من أنّ كارل سيضبط سلوك أولئك القادة والحكام الفرعين الطموحين. ورأى أنهم يخشونه بقدر ما يخشون قائدهم الفوهرر.

كلا، هذه الليلة أراد أنْ ينفرد بنفسه. ثمة أمور تشغله.

إنّ تلك الجثة، تلك الجثة اللعينة... تُثير أسئلة كثيرة مُقلقة، على الرغم مما قاله كارل، من أنه لا يمكن جثّة أنْ تتلوّى وتتشوه فقط بفعل قنبلة يدوية حارقة. لقد سبق أنْ شاهد مرة من قبل ما يمكن بوابة الزمن أنْ تفعل للمجسم الإنساني. لن ينسى أبداً اللحم المشوّه، والأعضاء الحيوية انقلبت إلى الخارج، ومع ذلك بقيتْ تعمل بصورة ما... بعض الوقت.

لمتم مع نفسه "هناك شخص من المستقبل يلاحقنا".
كاد يشعر بأنْ شخصاً مايحفر في الماضي، يشقّ طريقه ببطء ليلاحقه، ويطارده. قد يخفق الهواء في أي لحظة بجوار الطاولة ويظهر قاتل، شاهراً مسدساً ومستعداً للقضاء عليه. كان هناك شيء ما يبثّ في كريمر الخوف. وكان تكرار ظهور الكابوس في كل ليلة خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة يقضّ مضجعه. يستيقظ في وسط سكون الليل الحالك ليتراءى له قاتل يميل فوقه ويُعلن تنفيذ الإعدام الفوري فيه لأنه سافر عبر الزمن.
إنّ الجثّة... تلك الجثّة... جعلت كوابيسه أسوأ ألف مرة، والآن أصبح في كل ساعة من ساعات يقظته يخشى من أنه يكمن له في مكان ما. لقد كان ذلك صراعاً لكي يُخفي أمر هذا العذاب عن كارل، ليُحافظ على رباطة جاشه أمام الرجل. أحياناً يتساءل إنْ كان هناك مخرج أسهل من هذه الورطة.
كان صوت خافت يهمس له في داخل رأسه.
انت تعلم أنّ هناك مخرجاً.
تعني الانتحار؟
كلا، بل طريقة أخرى.
أطلّ من النافذة على مدينة مظلمة تخرقها نيران خافتة متفرقة وتتخللها الأضواء الكاشفة الصادرة من سفينة قيادته.
فكر في الأمر.
صوته الهادئ. الصوت الموجود دائماً هناك، ظل يرافقه دائماً قدر ما تسعفه الذاكرة. صوت الـ... الطموح... يتحداه أنْ يستمر، يدفعه إلى القيام بتلك الأمور التي في الحالة العادية ما كان ليعتزم القيام بها. وهو طفل ساعده ذلك على إنجاز النجاح الأكاديمي، وهو شاب صغير دفعه إلى نيل درجة الدكتوراه في فيزياء الكمّ، لكي يُصبح باحثاً في مؤسسة فالدشتاين، ومنحه الثقة بالنفس لكي يضع أخيراً خطّته المتهورة في العودة في التاريخ وامتلاكه.
في استطاعتك أن تدمّر هذا العالم، أليس كذلك، يا بول؟ فقبل كل شيء، إنه ملكك الآن. ملكك وحدك ويمكنك أنْ تفعل به ما تشاء.

أجاب، تاركاً الشوكة فجأة من يده، "هذا جنون". وأحدثت ضجيجاً على الصحن، ملأ أرجاء مسكنه الفخم والفسيح بصدى متلاشٍ.

أهو حقاً جنون؟

منذ أنْ اجتاز الزمن، ولقنع الفوهرر بقبوله في حلقته الخاصة، وأخيراً أصبح الفوهرر نفسه، صار الصوت هادئاً، ولا حاجة به إليه. كطفلٍ مكتئب، عبوس. ولكن الآن – منذ ظهور تلك الجثة، في الحقيقة – بدا أنه اكتسب زخماً جديداً.

أهو جنون؟ ماذا سيحدث لو أنَّ مسافراً قادماً من المستقبل ظهر هنا وأطلق رصاصة على رأسك؟

أغمضَ كريمر عينيه. الفكرة جعلته يرتعش. والجواب واضح. إنَّ هذا التاريخ الذي بذل كل جهده لكي يوجِده سيتغيّر.

وماذا لو أنَّ مسافراً عرفَ الزمانَ والمكان الدقيقين اللذين وجدْتَ من خلالهما التاريخ؟ في تلك الغابة، في عام 1941؟ وقتلك هناك؟ قبل أن تقابل هتلر؟

أجاب بصوت عالٍ "سيبقى العالم على حاله. وسيعود المستقبل مُظلماً ومُحتضراً كما تركناه".

هذا صحيح. عالم يحتضر. يختنق بالأبخرة السامة. وتسمّم البحار. ويموت الناس ببطء من الجوع. وبصورة ما، من الأرحم أن نقضي عليه الآن. أليس كذلك؟

أرحم؟ لم يكن كريمر قد فكّر في العالم الذي خلّفوه وراءهم منذ زمن بعيد. لقد أصبحت ظاهرة الاحتباس الحراري قوة لا يمكن التحكم فيها. وبحلول عام 2025 كان قطبا الثلوج قد اختفيا، وكامل القارة الأفريقية محروقة بأشعة الشمس وخالية من أي حياة مثل سطح المريخ، وتزاحم سكان العالم بملايينهم التسعة داخل ما تبقّى من مناطق قليلة مُحتملة، غالبيتهم من المهاجرين الجياع يعيشون في بلدات بدائية تجتاحها عواصف الغبار خارج المدن العظمى القليلة. وكما يحدث لغالبية الأنواع الأخرى على الأرض،

تساءل كريمر عمّا إذا كانت البشرية ستنقرض ذات يوم.
أخيراً قال "ربما كان ذلك أرحم".
أرحم بكثير.
عندئذ فقد شهيته للطعام.
أنت تثق بي يا بول، أليس كذلك؟
لطالما وضع ثقته في صوته الداخلي، في غريزته. لقد قاده بنحو أفضل بكثير ممّا فعل أي مُعلم أو مُرشد، أو أي شخصية أبوية أو صديق. وذات مرة أخبره أحدهم "إذا لم تثق بغريزتك الخاصة، فأنت رجل تائه".
ألا تفهم؟ إنّ هناك شخصاً ما أو شيئاً ما يربض في انتظارك. وسوف يعثر عليك، مهما فعلت، ومهما قررت بتصميم أنْ تمحو التاريخ وتُخفي آثارك. سوف يعثر عليك في نهاية المطاف. وما الجثّة إلا إنذار.
كان يُدرك في أعماقه أنّ في ذلك جانباً من الحقيقة. لعله كان يعلم ذلك منذ اللحظة التي وُضعت فيها تلك الجثة المشوّهة بقسوة أمامه هو وكارل، لكنه لم يستطعِ أنْ يعترف بذلك.
أعتقد أنك بتّ تدرك الآن... أنّ تواصل حسن حظك قد بلغ أخيراً نهايته.
قال "خمسة عشر عاماً".
هذا صحيح، خمسة عشر عاماً. اثنا عشر منها وأنت أعظم قائد في العالم. وخلال تلك الفترة أنجزتَ الكثير. لكنّ حظك بلغ الآن نهايته. لقد جاء أحدهم لينال منك.
"مسافر عبر الزمن؟"
ربما. أو ما هو أسوأ.
"أسوأ؟"
لقد عبثتَ بالزمن، وتجاوزتَ الأبعاد، وخضتَ في الفوضى نفسه. لا أحد يعلم ما الذي يفتش عنك.
شعر كريمر بأمعائه تتلوى من فرط القلق، بألم مبرح يتآكله من الداخل.

قد ينتزع عميلٌ من المستقبلِ هذا العالمَ منك برصاصة قاتل. ولكن يمكن الأمر أن يكون أسوأ بكثير. لعل شيئاً لم نحسب أبداً حسابه يلاحقك... لعله كامن هناك في المدينة المظلمة في هذه اللحظة...

شعر بوخز في فروة راسه، وببرودة في جلده.

ولكنْ في وسعك أن تمنع حدوث هذا.

"بتدمير هذا العالم؟"

نعم، بول... بتدمير هذا العالم.

دفعَ بالكرسي إلى الخلف. والغريب، أنَّ تلك الحركة ولّدتْ فيه إحساساً بالارتياح. لقد جُعلَ هذا العالم ساكناً، صامتاً، بلا حياة ولا تبدل؛ صرحاً أبديّاً أمام العالم الذي ابدعه بول كريمر، خلا من أي أثر للحياة في ومضة عين، كبديل للبؤس المتواصل الذي سيسود المستقبل. وكانت هناك وسيلة – أداة للتدمير الشامل تدارسها في أوقات إراحته.

كلانا نعلم أنَّ هذا قد يحدث ذات يوم. أليس كذلك؟ لعل هذا كان دائماً قدرك.

ضيّقَ كريمر عينيه، وكاد يشعر بالتغيُّر المرهف والمحتوم لقدره ماثلاً أمامه، وتاريخ المستقبل يُعدَّل، يُكتَب من جديد، وهو يشعر بقراره يتكوّن بحزم.

"إذن فليكن كذلك".

بدا أنَّ صوته وغريزته قد رضيا بذلك.

هذه نهاية مناسبة للأشياء، يا بول. لطالما كان قدر البشرية أن تدمّر نفسها. إنَّ من طبيعتنا أن ندمّر كل ما نخلق. وأنتَ المُختار لفعل ذلك.

49

2001، نيويورك

سألتْ مادي "هل ستكون سال على ما يُرام وهي هناك؟"

كان فوستر يراجع معلومات عن تاريخهم. "ستكون على ما يرام".

كانوا قد وجدوا لها قميصاً رياضياً بسيطاً أزرق اللون وبنطلون جينز رمادياً. كانا يخصّان عضواً في الفريق السابق، وكانا حجمهما كبيرين عليها، ويكادان يُغرقانها. لكنها لم تبرز فيهما كما كانت وهي ترتدي ملابس الصرعة الحديثة المفضّلة لديها.

ثم أضاف "لا أحد سيلاحظ وجود فتاة صغيرة. إنها مجرد طفلة وديعة"

هزّت مادي كتفيها. "يبدو الوضع هناك كئيباً، كالحاً ومُنظّماً جداً".

كانت قد خرجت مع سالي قليلاً لتلقيا نظرة على نيويورك البديلة هذه. بدت المدينة شديدة الترتيب والكآبة. اللون الوحيد السائد وسط الأبراج الرتيبة المملة كان لمسات اللون الأحمر للأعلام والرايات المثلّثة في وجه أفق المدينة.

أوما فوستر برأسه. المكان كئيب. ولكنه، بالنسبة إلى طفلة بريئة تتمشى في المكان، أو ربما عائدة من المدرسة إلى المنزل أو ذاهبة لشراء شيء من الدكان، أكثر أماناً الآن ربما منه في وقت آخر".

"ماذا تعني؟"

رفع بصره عن الشاشات. "لا أتصور أنهما ارتكبا جريمة، همم؟ هذه

دولة فاشية. أعتقد أنَّ من الأضمن الرهان على أنّه في هذه النسخة من نيويورك لا يفلت المجرمون من العقاب وتقويم السلوك".

وافقت مادي. "هذا ما أعتقد".

قال "على أي حال، فلنعُد إلى العمل. انا اقترح أنْ ننتقي نافذة للعودة ضمن نطاق البيت الأبيض، ليس بعيداً عنه كثيراً ولكنها آمنة وخارج مجال الإجراء الأمني. يجب أنْ نعرف إنْ كان في حوزتهم خريطة لواشنطن في هذه النسخة النازية. قد تكون المدينة مختلفة، وأُعيد بناء قطاعات منها".

"حسن".

"إذن هذا هو الموقع. والآن نحن في حاجة إلى معرفة التوقيت. ولديّ اقتراح في هذا الشأن. نُعدّها من أجل آخر توقيت ممكن لمهمتهما. المدة القصوى لمهمة بوب..."

ثم شعرت مادي به. شعرت بخفّة في رأسها، وكأنها تفقد توازنها.

تلاشت الصورة عن الشاشات، وبعد برهة انطفأ الشريط المضيء في الجزء العلوي منها، وتركها مظلمة تماماً.

" ما هذا بحق الـ...؟"

خرج صوت فوستر من قلب الظلام إلى جوارها، "كان ذلك تغيُّراً في الزمن. تغيُّر كبير. شعرتُ به بوضوح".

همستْ مادي "لقد فقدنا الطاقة الكهربائية. هذا يُنذر بالشؤم، أليس كذلك؟"

"إنه يعني أنه كائناً ما كان العالم خارج فقاعتنا الميدانية، لم تعد قادرين على الحصول على الطاقة الكهربائية منه". وضمّ فوستر قبضتي يديه دلالة على الإحباط. "في الحقيقة، ومولّد الميدان تعطّل أيضاً. وهذا يعني أنه لا يوجد مخزون لثمان وأربعين ساعة. إننا حتماً وفعلاً عالقون في الخط الزمني لهذا العالم... كائناً ما كان".

"لستُ واثقة من أنّ هذا الكلام يُعجبني".

قال بهدوء "يجب أنْ نُلقي نظرة".

سمعت كرسيه يُجرّ على الأرض الأسمنتية. "هيا بنا".

نهضت واقفة، ويداها ممدودتان أمامها.

"من هنا".

تبعت صوته عبر الغرفة.

"استمري بالمشي".

بعد قليل، حفّت أصابعها بجدار الآجر الخشن.

سبّ فوستر بصوت خافت. "كم أكره رفع هذا الشيء اللعين".

قالت مادي "سأساعدك"، وتحسّست طريقها على طول الجدار إلى أنْ حفّت أصابعها بصندوق الرفع. عثرت على مساحة على المقبض بجوار يد فوستر العجوز الهشّة.

قال بهدوء "دعينا نبدأ، إذن".

أخذا يدفعان المقبض فبدأ يدور ويصرّ. وبدأ مصراع الباب يرتفع ببطء وضجيج.

تسلل ضوء بعد الظهيرة إلى المكان، دافعاً إلى الخلف الظلام الدامس خلفهما.

"يبدو أنه يوم آخر من الأيام الكئيبة في مانهاتن"، وضحكت مادي بدلع.

ظلّ مصراع الباب يرتفع شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح في مستوى الخصر.

قال فوستر "يكفي هذا، مادلين. انزلي وألقي نظرة من فضلك".

أومأت برأسها "حاضر".

انحنت إلى الأسفل وألقت نظرة إلى الخارج. كان الشارع الخلفي ممتلئاً بكسارة الحجارة وبرقائق ملتوية من المعدن الصدئ، كأنها سقطتْ من الجسر فوقهم قبل سنوات عديدة جداً. وبرزت كتلة متشابكة من الأعشاب البرية الخشنة من خلالها وهيمنت على الأرض، كأنّ الطبيعة تعود شاقة طريقها بمخالبها.

تسللت مادي من تحت المصراع واستقامت واقفة على الجانب الآخر.

"ماذا ترين؟"

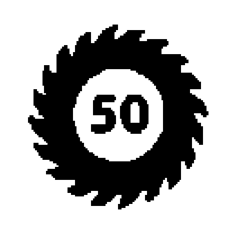
رفعت بصرها إلى الجسر فوقهما، الجسر الذي كان يمتد بفخامة فوق نهر إيست قبل لحظات قليلة، أصبح الآن أكثر قليلاً من أطلال - كتلة متشابكة من المعدن الصدئ ممتد عبر النهر. وعلى البُعد، أضحتْ الأبنية العالية والشاهقة في مانهاتن عصر النازيين التي كانت قد رأتها قبل قليل مع سال أشبه ببقايا أسنان عفنة متصدعة؛ مجرد هياكل من الحديد تنهض من بين أطلال منهارة عبر الجسر. وتدلّتْ الشمس منخفضة وثقيلة كعين محتقنة بالدم تحدق من خلال سحب بنيّة تسوقها الريح وتبدو مُهدّدة وسامة.

كانت نيويورك ميتة بكل معنى الكلمة؛ خراب مروّع.

لقد حدث شيء رهيب هنا. حدث قبل عقود من الزمن كما يتجلّى من مظهر من الحياة النباتية الذاوية والقليلة التي تبرز هنا وهناك من بين الأطلال المتقوّضة.

قالت "يا إلهي يا فوستر... إنها... إنها نهاية العالم"، وسمعت صوتها يخرج، ثم يتلعثم ثم يتلاشى داخل حنجرتها.

نهاية العالم.



2001، نيويورك

كانت سال خائفة، بل خائفة جداً.

نظرتْ عالياً إلى التكوينات القائمة، الصامتة، المُدمَّرة، من حولها. أطلال شاهقة تصرُّ وتئنّ، بينما سحبٌ من الغبار تتلاحق كأشباح هاربة خلالها.

ساحة تايمز لم تعد ساحة تايمز. أصبحت ضريحاً، بقايا متفتتة من حضارة اندثرت منذ زمن بعيد. ولم تستطع أنْ تبدأ بالتخيُّل كيف حدث ذلك. أنْ النسيم وهو يدخل من النوافذ، وسمعتْ صراخاً مخيفاً لروح تتعذَّب يُحذِّرها بوجوب رحيلها في الحال من دون إبطاء لحظة واحدة أخرى.

قرّرت أنها ربما نصيحة جيدة، والتفتت إلى الوراء نحو المكتب الميداني، وتساءلت برهة إنْ كان الجسر والقنطرة من تحته، وشارعهما الخلفي الصغير... لا تزال موجودة في أماكنها.

عندما استدارت، شاهدتْ شيئاً يتحرّك.

رأتْ وميضاً خفيفاً لشيء شاحب ينتقل من نافذة مظلمة إلى أخرى.

إنه مجرد شيء... لا أكثر.

شقّت طريقها بسرعة عبر البقايا، وهي ترفس الحجارة التي طقطقت مع ضجيج شقّ الصمت. ومن جديد اعتقدت أنها رأتْ وميضاً آخر يتحرك من داخل أحشاء أحد الأبنية المُظلمة.

شيء بيضاوي شاحب... فيه ثقبان قاتمان، تفحّصها بإمعان لبرهة من

الزمن، ثم اختفى في الداخل الكئيب.

أنا لستُ وحدي.

حثّت خُطاها، غير راغبة في الركض لئلا تشجّع كائناً ما كان في الداخل على مطاردتها واللحاق بها، لكنها من فرط الخوف عجزت عن مجرد المشي.

أخذت تهمهم لحناً. أغنية هندية بلهاء مُصطنعة ومفرطة المرح تذكّرتها من طفولة والدتها؛ لحناً من النوع الذي لا يبارح ذاكرتك حالما يلجها.

أحدثت جلبة وهي تجتاز ساحة تايمز، وهمهمتها يتردد صداها بين جدران محترقة ومتهدمة. وفي أثناء مرورها من أمام هيكل سيارة صدئ، لتنتقل إلى ما كان ذات يوم شارع برودواي، ظهر مخلوق على مسافة عدة ياردات أمامها.

توقف وحدّق إليها بعينين عميقتين، سوداوين وجامدتين على رأس أصلع وشاحب بلون الرماد.

سكتت عن الهمهمة.

ذكّرها بمخلوق كانت قد شاهدته ذات مرة في فيلم سينمائيّ قديم جداً، فيلم يحتوي على عفاريت وأقزام وخواتم سحرية. ولكنها تذكّرت على وجه الخصوص واحداً من تلك المخلوقات اسمه غولم. والمخلوق الماثل أمامها ذكّرها به. حدّقَ إليها، من دون أنْ يأتي بحركة. وأخيراً فتح فمه ليكشف عن لثّة محقونة بالدم وسنّ أو اثنتين معطوبتين.

وصرخ.

تردد صدى الصرخة بين أرجاء الأطلال الشاهقة، وسرعان ما صاحبتها أصوات حادة أخرى.

تلفّتت سال حولها بيأس ورأتْ وجوهاً بيضاوية وشاحبة أخرى، وكل واحد منها ذو عينين سوداوين وفم دامٍ أدرد، تظهر من مئات النوافذ، كنمل أبيض انتفضَ منزعجاً من أعشاشه.

وانضمت بدورها إلى الصراخ معها.

انضمّ فوستر إلى مادي في الخارج، مستعرضاً المدينة المُهدّمة والمبتلاة.

همس "إنه دمار شامل. ثمة أمر وقع هنا قبل زمن بعيد. وإذا كان قد وقع هنا، يمكنني أنْ أتخيّل بوضوح أنه حل بكل شيء". ونظر إلى مادي. "أتراها نوع من الحرب النووية؟"

أومأت برأسها إيجاباً. "أوه يا إلهي، ما خطب الجنس البشري؟ لا يسعد إلا إذا فجّر أحداً".

"أخشى أنّ هذا هو نوعنا".

قالت في نفسها، أليس هذا عدلاً. أحياناً تشعر بالاشمئزاز لكونها من البشر.

قال فوستر بهدوء "إنّ سال في مكان ما هناك".

نظرتْ إليه. "سوف ينتابها الرعب. وقد تواجه صعوبة في العثور على طريق العودة. إنّ المشهد العام أصبح مختلفاً جداً الآن".

قال، وهو يغوص عائداً إلى داخل المصراع، "سوف أُحضر بعض الأغراض".

بعد بضع دقائق ظهر من تحت المصراع حاملاً مصباحين كاشفين، وزجاجة من الماء وبندقية على منحنى ذراعه.

اتّسعت عيناها لهذا المشهد. "أتعتقد أننا سنحتاج إليها".

"يُستحسن أنْ نكون مستعدين".

ابتلعت لعابها بعصبية وأومأت برأسها موافقة. "حسن، هيا بنا نبحث عنها".



2001، نيويورك

كانت سال تركض بأسرع ما في طاقتها وسط بقايا الحجارة وكتل البناء المتهدمة التي انهارت على شوارع منسيّة. وأخذت تتعثّر، وتفقد توازنها، وتخدش قصبتي ساقيها، وتكشط يديها وتجرحهما.

كانت المخلوقات خلفها - أضحت الآن حشوداً - وتلحق بها بسهولة. كانت تلك الأجساد الشاحبة والضعيفة تتمتع بحيوية مدهشة. كانت صغيرة كأطفال سيّئي التغذية، ولكنها تحمل وجوهاً محفورة بخطوط الشيخوخة... أو الحزن. لحقت بها، محتفظة بمسافة حذرة منها، لا تقترب، ولا تبتعد... بل يحدوها فضول شديد.

في الوقت الحاضر.

نظرت أمامها على طول الشارع، لم يكن أكثر من حوض متموّج من كتل أسمنت محطمة وصفائح بارزة من المعدن الصدئ. وكانت أُطر الأبنية على كلا الجانبين هي الدليل البصري الوحيد على أنّ ما ترى كان ذات يوم شارعاً.

إذا كان هذا شارع برودواي... ذات يوم، فإنّها تعلم أنّ عليها أنْ تنعطف يساراً عن نقطة معيّنة، إلى الشارع الرابع عشر الشرقي. وهذا سيأخذها باتجاه النهر وجسر وليامسبرغ.

إنْ كان لا يزال موجوداً.

ألقت نظرة أخرى خلفها فرأت أنَّ أحدها ضيَّق المسافة بينهما وأصبح خلفها مباشرة، وامتدت منه يد طويلة شاحبة، ومال رأسه الأصلع إلى أحد الجنبين، وأخذت العينان الفضوليتان تتأمل شعرها الأسود الطويل.

صرخت "دعني وشأني!"

فجأة توقفت ثابتة في مكانها والتفتت لتواجهه.

توقف المخلوق على مسافة قصيرة منها، وتوقفت المخلوقات الأخرى خلفه. وانتشرت على الجانبين، وكلها تفحصها في صمت بعيون واسعة، والفضول الجامح مرتسم على وجوهها.

مدّت سال يدها إلى أسفل لتتناول قضيباً من المعدن الصدئ. رفعته، فانهمرت منه رقائق من الصدأ. لم تكن متيقنة تماماً من أنَّ ذلك القضيب لن يتحول إلى مسحوق حالما تنهال به على شيء ما، ولكن مع ذلك شعرت بالاطمئنان وهو في يدها.

زمجرت "ابتعدوا!"، بصوت حادّ وعالٍ.

حافظ المخلوق الأقرب إليها على مسافته، واقفاً ومنخفضاً، يكاد يكون رابضاً كأنه الزعيم. كان الصمت يقطعه تنفسها المنهك والريح الحزينة. وتوافر لها الوقت لتدقق النظر فيه.

عينان مُعبّرتان. إنسانيتان بصورة واضحة. لكنها إنسانية مُثيرة للشفقة. ولو لم تكن مرعوبة، لشعرت بالأسى تجاهه.

خطا المخلوق الأقرب إليها خطوة حذرة، محسوبة إلى الأمام، ماداً إحدى يديه نحوها.

صرخت، وهي تلوّح بالقضيب المتفتّت، "كلا! ابتعد!"

سمعت ذلك المخلوق يئن، بصوت كالعويل، ككلب مُثير للشفقة خلف قضبان مجمّع الإنقاذ. الجلد الشاحب - الممتد على ذراعين وساقين ليّنين، وعبر أضلاع صدر وعظام الحوض التي تبرز بصورة كريهة - كان شديد البياض حتى كاد يكون شفّافاً. واستطاعت أنْ ترى الخطوط الخفيفة للعروق القرمزية من تحته. وكان فمه، وعيناه وأنفه تنزّ مخاطاً دامياً.

أبدى ذلك الشيء رغبة يائسة في لاقتراب منها، واليد ممتدة إلى الأمام لتتواصل معها.

صرخت من جديد "كلا! سأضربك!"

ومن جديد مدّ رأسه، وأخذ الفم الأدرد تماماً يُفتَح ويُغلَق مُصدراً صوتاً مُطقطقاً.

لفظ "أوه! آااه... ررررربيبك".

كانت مُحاوله منه ليحدّثها.

ونجحت في أنْ تقول "أنت... انت... تستطيع الكلام؟"

غرغرَ "آاا... آاا... آاا... تتس... لالالالام؟"

ثم لاحظتْ شيئاً في وجهه. لمحة ذكاء. ربما ذاكرة تلاشت منذ زمن بعيد تتحرك من خلف تينك العينين البيضاويين كعيني سمكة مطبوخة. إنّ ذلك الشيء إنسان، أو على الأقلّ كان ذات يوم إنساناً، كانت متأكدة من ذلك.

قالت بصوت عالٍ، وهي تشير إلى نفسها، لكي يسمعها الآخرون، "أنا... اسمي سال". عندما عرّفت عن نفسها للمرة الأولى لبوب، هو أيضاً اشرأبّ من الفضول، وحاولت شفتاه بنحو اخرق أنْ تكرر اسمها. وهذه المخلوقات، من ناحية أخرى، ترتعد من رنين صوتها. وتبدو عيونها الميتة أقلّ فضولاً من عينيّ بوب. وراحت تئنّ وتتحبُ في ما بينها.

أهذه هي لغتهم؟ ذلك الأنين؟

قالت من جديد، وقد تشجعت لأنّ كلامها بدا أنه يضعهم في موقف الضعيف برهة، "سال، أنا سال".

"أننن... اا ه ه ه".

ابتسمت "هذا صحيح. سال".

كانت اليد التي لا تزال ممدودة نحوها قد أضحت الآن لا تبعد عنها أكثر من بضعة إنشات. تساءلت هل تلوّح بالقضيب في وجهه أم تدعه يلمسه؟ لم تكن هناك من وسيلة لمعرفة ما إذا كانت تلك المخلوقات ترغب في التواصل بصورة ما أو أنها فقط تحاول أنْ تختبر مدى التهديد الذي تمثّله لهم.

إذا ضربته...؟

ثم اعتقدت أنَّ ما يُشبه غريزة القطيع ستسود بينها. سوف ينقضّون عليها في لمح البصر.

فليلمسني. فليقم اتصالاً.

ابتلعت لعابها بعصبية بينما أطراف أصابعه تمتد بتوق لتلامس بخفّة شعرها.

قالت "شعر".

انحنت الأصابع وهي تتغلغل بين الخصلات، وتحركها، وتعبث بها.

قالت من جديد "إنه شَعر"، مُرقّقة صوتها، تحاول أنْ تجرّده من نبرة الخوف.

اتّسع فم المخلوق، وامتدّ، كاشفاً عن بضعة أسنان بارزة تظهر من لثّة دامية.

يا إلهي... أهذه ابتسامة؟

انبعث لحن غنائي ناعم من صدر المخلوق الضيق والبارز العظام إلى حنجرته. وتحول إلى ما يشبه ثغاء طفل وليد. كالصوت الدال على الرضا من طفل وليد يرضع من زجاجة.

وجدت سال يدها تمتد نحوه. مُقلّدة حركته، ومُبدية الفضول نفسه، وكأنه التصرف الصحيح. واحتكت يدها بساعد المخلوق. كانت تتوقع أنْ يكون ملمسه بارداً ورطباً... لكن بشرته كانت دافئة وجافة، كملمس أي بشرة إنسانية.

وبادلته الابتسامة بمثلها.

قالت "يسرني... يسرني أنْ أقابلك".

"إيـي... إيـيي... وووو.. يـي... ورو".

عندئذ سمعت حفيف كسارة حجارة خلفها.

"يُستحسن أن تلزمي السكون!"

كان صوت مادي. ليس صراخاً، بل همساً أجشّ يتردد صداه عبر السكون.

"لا تقومي بحركة مفاجئة. افهمت؟ أبقي عينيك على ذلك الشيء، يا سال. لا تشيحي بنظرك عنه. أتفهمين؟"

أومأت برأسها إيجاباً.

"حسن، يا سال، والآن اخطي خطوة إلى الخلف".

ارادت أنْ تنظر خلفها، لترى أين يقف صديقاها، وكم يبعدان عنها.

همس فوستر "لا تتحركي! أبقي عينيك عليه وأنتِ تتراجعين".

نجحت في أنْ تهمس "لـ... لماذا؟"

"فقط افعلي!"

فعلت كما أمِرَتْ، متراجعةً خطوة حذرة بعد أخرى، متحسّسة طريقها على الأرض الوعرة بقدمها، ومُبقية عينيها على الشيء الماثل أمامها.

تجهّم وجه الغولَم. وسرعان ما تحولت الهمهمة إلى زمجرة إحباط وهو يتقدم إلى الأمام، ماداً يده من جديد إلى شَعرها.

قالت سال "لن... لن يدعني أذهب. آخ! يريد أنْ يشدّ شعري من جديد!"

قالت مادي "فقط تابعي التراجع، يا سال... لا تتوقفي". بدا أنها اقتربت قليلاً.

كان المخلوق متمسكاً بحزم بخصلة شعرها، جاعلاً أصابعه الشبيهة بالمخالب تتغلغل في شعرها ليقبض عليها بنحو أفضل. ثم رأتْ شيئاً في وجهه، فضولاً بريئاً يتلاشى وتحل محله غريزة غامضة. فتح فمه وأطلق صرخة بدت إنسانية تقريباً، لكنها حتماً لا تشبه أي لغة.

وفجأة، اندفعت المخلوقات الأخرى إلى الأمام.

صرخت مادي "أوه كلا!"

ثم ضجّ هدير طلقٍ ناريّ يصمّ الآذان. وفجأة انطرح المخلوق المتشبّث بشعرها على ظهره، ناشراً رذاذاً من الدم القاتم على حجارة الطريق.

"سال، أسرعي!"

استدارت فرأت مادي وفوستر على مسافة عشر ياردات منها، وستاراً أزرق من دخان الطلق الناري يتلاشى، بينما فوستر يستعد لإطلاق الدفعة

التالية من الرصاص. زحفتْ على أربع باتجاههما، وهي تطقطق فوق ركام حجارة القرميد وحجارة البناء، متوقعة أنْ تشعر في أي لحظة بالمخالب من حديد تشدها من الخلف لتقف على قدميها. ولكن بدل ذلك، وبعد برهة، كانت تتعثّر مندفعة بين ذراعي مادي المفتوحتين.

"أوه يا ربي! سال! هل أنت على ما يُرام؟"

كانت من فرط الرعب بحيث عجزت عن الرد.

همست "اركضوا! يـ... يـ... يجب أنْ نركض!"

ثبتت مادي في مكانها، وهي تمسك بها بحزم. "لا بأس، سال... لا بأس. انظري".

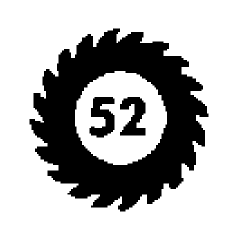
التفتت سال إلى الخلف لتنظر فوجدت أنَّ المخلوقات قد اختفت. كلها ما عدا الجسد المنخفض أمامها... اختفوا ببساطة في غضون بضع دقات قلب فقط، وكأنها ليست أكثر من كتل من الدخان، أزاحتها ريحٌ عاصفة وحملتها معها.

قال فوستر "لقد أخافها الطلق الناري وأبعدها".

اخذت مادي تتلفّت حولها بقلق، وتنظر إلى أطلال الأبنية المظلمة على كلا الجانبين. "إنهم يختبئون هناك. يجب أنْ نُسرع في العودة بينما هم في حالة خوف".

اوما فوستر موافقاً ولوّح بيده لهما "هيا بنا".

هرعت البنتان بخطى سريعة حوله وابتعدتا عائدتين. تبعهما فوستر، والبندقية ما زالت مُثبّتة على كتفه وعلى استعداد لإطلاق النار.



1956، نيو جرزي

عرك الرقيب يوهان كرنســت يديه معاً ليُدفئهما وهو يراقب الشاحنة التي تلوح عن بُعد وتقترب من المدخل الشرقي لمعسكر الاعتقال، معسكر أسرى الحرب رقم 63. من تلك المسافة بدا أنها تقترب بسرعة هائلة.

صرخ في الرجال الذي يحتلون الثُكنة، "استيقظوا، يا شباب".

ظلّل عينيه اتّقاءً من وهج الشمس الساطعة على الحقول المغطاة بالثلوج على جانبي ممر الحصى المحفور، وشعر بأنّ شيئاً ما ليس على ما يُرام.

قال بحدّة "استعد يا M96".

أسند اثنان من الحرس بندقيتيهما على كتفيهما وأعدّا ماسورتي بندقيتي الحراسة الثقيلتين ذواتي السرعة الرباعية، واللتين تستطيعان أنْ تدمّرا سيارة غير مُصفحة في غضون ثوان، تعتليان مسنداً ثلاثياً ضخماً ومُدعمتان بأكياس من الرمل للتثبيت.

كانت الشاحنة المقبلة لا تُبدي أي علامة على أنها تُبطئ سرعتها وهي تندفع على أخدودين في الطريق، وترش رذاذاً من الطين الرخو على الجانبين المكسوّين بالثلوج.

تقدّمَ كرنست بضع خطوات إلى الأمام في مواجهة حاجز السيارات وأخذ يُلوّح بذراعيه، مُشيراً إلى السائق بأنّ عليه أنْ يُخفف من سرعته، ويتوقف ويعرض بعض الأوراق. إما هذا، أو يواجه خطر فتح النار عليه.

اخذ يسبّ بصوت خافت عندما سمع هدير مُحرّك الشاحنة يعلو ويزداد. إنه يزيد السرعة.

ابتعد الرقيب الألماني عن الأخاديد الموحلة في وسط الطريق إلى أحد الجانبين، وأوما لرجليه كي يُطلقا طلقات تحذير قصيرة. أزّ رصاص رشاش الـM96 للحظة، لافظاً شلالاً قصيراً من أغلفة الطلقات المتبخّرة على الأرض، وتراقصت كتل من الوحل اللزج في الهواء على بُعد عدة ياردات أمام الشاحنة المقتربة.

لكنها لم تُبدِ أي دلالة على إبطاء السرعة.

هزّ كرنست رأسه يائساً. لا بد أنّ الأبله الأحمق الذي يقود تلك الشاحنة هو حتماً فتى أميركي متهوّر يُودّ أنْ يقتحم المكان عنوة لإنقاذ أحد أقربائه أو حبيبة له. حسن، إنّ ذلك الأبله يوشك أنْ يموت.

بينما الشاحنة تقترب أكثر، ولم تبقَ إلا خمس عشرة ياردة وتزداد سرعتها، أوما كرنست لرجليه كي يُطلقا المزيد من النار. فوجّها ماسورتي الـM96 الضخمتين نحو الشاحنة نفسها، مُسددين إلى حاجب الريح.

وأطلقا النار.

انفجر حاجب الريح. وبدأ المعدن المتصالب في مقدمة الشاحنة يتفكك وسط رذاذ من الشرر. لكنّ السرعة الزائدة كانت لا تزال تحمل الشاحنة الثقيلة ذات الأطنان الأربعة بلا هوادة إلى الأمام.

وجد كرنست نفسه في اللحظة الأخيرة غائصاً بعيداً عن الدرب عميقاً في الثلوج، وهي تلقّى الطلقات في أثناء عبورها بجواره، مندفعة بسرعة نحو موقع رشاش الـM96 ومنه مخترقة الحاجز بعده. انقلبت الشاحنة على جنبها، ثم انطرحت بعد عشر ياردات أخرى، محُطّمة بذلك امتداد خمسين ياردة من السياج المحيط عندما توقفت في فناء يكسوه الثلج أمام الصف الأول من أكواخ معسكر الاعتقال.

انتزع كرنست نفسه من بؤرة الثلوج العميقة وأخرج مسدسه. وأخذ يقترب بحذر من الشاحنة التي كانت قد سكنت تماماً... عدا دولاب وحيد

كان لا يزال يدور، وعمود من الدخان والبخار ينبعث من البقايا المثلّمة والملتوية لمقدمة الشاحنة ذات الحديد المتصالب.

فجأةً، فُتِحَ الباب من جانب السائق بقوة وظهر منه رجل، يجرّ نفسه إلى الخارج مُسقِطاً جانب السيارة على الأرض بسرعة وحيوية مدهشتين.

أطلقَ كرنست عدة جولات من الرصاص على الرجل. أخطأ الهدف في مُعظمها، ولكنّ (وقد حلَفَ لاحقاً خلال فترة بعد الظهيرة عندما طُلِبَ منه أنْ يتذكر ما ادّعى انه شاهد) على الأقلّ طلقتَين منها أصابت الهدفَ في صدره مباشرة.

كان الرجل ضخم الجثّة، مفتول العضلات، ومن الواضح أنه لا يهاب شيئاً. فهو لم يسقط وهو يصرخ قابضاً على موقع الجرح، بل أدار رأسه بهدوء، ونظر إلى كرنست، ورفع ذراعيه معاً، وفي كل يد يحمل مسدس نبض، واطلق النار.

ومن جديد، وجد الألماني نفسه غائصاً في بؤرة الثلج ووابل من الرصاص ينهمر عليه، على مسافة بضع بوصات فوقه. فقرر كرنست أنّه ربما من الأفضل أنْ يبقى حيث هو في الوقت الحاضر.

قطع الرجل ذو العضلات المساحة المكشوفة بخطى واسعة، وهو يمسح بعينيه صف أكواخ الخشب المنخفضة الطويل أمامه. وبعد برهة، بدأتْ الأبواب تُفتح مُصدرةً صريراً. وأخذت تبرز من عدد منها، من داخلها المظلم، رؤوس.

[عملية مسح].

تركّزت عيناه على كل وجه على حِدة لجزء من الثانية.

لا شيء.

لا وجود لليام أوكنر.

مشى بوب بخطوات واسعة نحو أقرب كوخ عندما انطلقت أول صفّارة

إنذار في المعسكر. وترددت أصداء صرخات إعطاء الأوامر الحادة بالألمانية في الهواء.

رفس باب أقرب كوخ واندفع شاقاً طريقه إلى الداخل المظلم، وفي الحال تأقلمت عيناه مع العتمة في الداخل.

[عملية مسح].

لم يكن أيّ من الوجوه الشاحبة والخائفة في الداخل تخصّ وجه عميله في المهمة.

صاح صوت ضعيف من بين جماعة السجناء المرتعشين، "هل... هـ... هل جئتَ لكي تُحررنا؟"

اشرأبّ بوب إليه مفكّراً. "الجواب سلبي".

"أ... ارجوك... سـ... ساعدنا. ساعدنا".

[تخمين تكتيكي].

ادرك بوب أنّ الفوضى التي قد تسبّبها عملية تهريب السجناء سوف تساعده بدل أنْ تُعوقه. فكر وهو يقف وحده هناك في أنه إذا استجلب على نفسه إطلاق الكثير من النار، وتلقّى عدداً كبيراً جداً من الطلقات، فإنّ جسمه المطوّر جينياً سوف يكافح كي يُصلح الضرر الحاصل. وعلى الرغم من أنه إنسان مُصطنع، ما زال مجرد دم وعِظام وأعضاء حيوية. إنّه جسد قابل للقتل.

عندما يبدأ مئات الأشخاص بالفرار هاربين في الاتجاهات كلها، سوف يضطرب الحراس، ويتشتّت إطلاق النار. سوف توجُه إلى السجناء الفارين وإليه هو.

نظر بوب إليهم. قال بصوت رتيب "أنتم أحرار، اذهبوا".

أربعة وخمسون كوخاً. أخذ بوب ينتقل إلى كلٍ منها على حدة، متقدماً أولئك المتحلّين بقدرٍ كافٍ من الشجاعة بحيث يهربون إلى القسم المُخرَّب من السياج المطوّق. وكانت عيناه تمسحان بسرعة وبانتظام وجوه السجناء المتكوّمين معاً في الداخل.

في الخارج، كان فناء المعسكر يتخبّط في الفوضى، والناس يزحفون نحو السياج المُخرَّب، والثلوج تُداس وتُخسف بوطء الأقدام، وتصطبغ ببقع وردية من الدم. كان الجو يرجع أصداء الصراخ والبكاء، وضجيج إطلاق الرصاص الذي يُردي السجناء قتلى، وصياح الأوامر، وصراخ يُهدد بالانتقام.

شاهد عدداً من الحراس، بوغتوا، وسُحقوا، وضُرِبوا وأطلقَت النار عليهم وهم يتوسلون طلباً للرحمة. وبوب نفسه أحصى جزافاً ستاً وثلاثين جثة قتلهم بنفسه، وهو عدد سوف يؤخذ في الحسبان عندما سيقوم عقله المصنوع من السليكون لاحقاً بتقييم أدائه في المهمة.

بينما كان يلحق بالحشود الفارة من المعسكر كانت عيناه تسجلان في الحال كل وجه، فصادفَ رجلاً نحيلاً، ضئيل الحجم، سلبيّاً، هرع لإدراكه.

"هيه، أنت!"

التفتَ بوب لينظر إليه.

"نعم، أنت، أيها الضخم!"

فعقعت بندقية على بُعد مسافة، وانهال فوق رأسه الرصاص يئز. أدار بوب بندقيته، وسددها وأخذ يُطلق دفعات قصيرة من الرصاص بحركة رد فعل سريعة. على بُعد خمسين باردة، انطوى حارس على نفسه وسط الكثير من دفق الدم القرمزي.

انفتح فك الرجل الضئيل، كاشفاً عن فم مملوء بأسنان مُصفرّة من تدخين السجائر.

"يا إلهي يا رجل... هذا... هذا ما يسمّى بالطلقة الموفّقة!"

تابع بوب مشيه بخطوات كبيرة وسريعة باتجاه السياج المُخرّب.

"معلومة: إنّ الدقّة القياسية لهذا الساعد فعّالة على مسافة تصل إلى مئة باردة". هكذا شرح بخفّة.

هزّ الرجل كتفيه استخفافاً. "نعم، يعني، طبعاً... لكنكَ لوّحت بذلك الشيء وأطلقت النار من دون أنْ تُسدد".

أعلن بوب، وهو يجتاز البقايا الملتوية والمُحطّمة للسياج، "هذا الوضع التكتيكي هو مُصادفة. قريباً سوف تنتشر التعزيزات هنا. يجب أنْ تغادر هذه المنطقة في الحال".

أجاب الرجل "معك حق. هؤلاء القوم سيغضبون كثيراً عندما سيصلون. وحتماً لن أبقى هنا لأشهد هذا!"

كان بوب قد اجتاز السياج وأخذ يهرول عبر الحقل المغطى بالثلوج والممتد بعد ذلك. ولحق الرجل الضئيل به من جديد، وهو يلهث في كفاحه ليجاري خطواته.

لهث قائلاً "هيه! اسمي بانيللي. ريموند بانيللي. ولكنّ أصدقائي يُنادونني براي، لأنه... أخ!"، وتعثّر بصخرة مدفونة تحت الثلج، وأخذ يسبّ وهو يعرج ويهزّ قدمه برهة قبل أنْ يكافح للّحاق بخطوات بوب.

قال بصوت كالصفير "إذن... إذن، ماذا عنك؟ ما اسمك؟"

"اسمي بوب".

"بوب؟... بوب؟ فقط؟"

تابعا الهرولة في صمت عبر الحقل برهة، متوجهَين نحو غطاء صف الأشجار. كان بانيللي إلى جانبه يلهث كعجوز مُصاب بالربو.

"إذن، بوب؟"

استمر بوب بصمته، وعيناه تستعرضان وجوه باقي السجناء المتدفقين عبر الحقل المكسوّ بالثلوج. داخلِ جمجمته، كان الحاسوب منهمكاً في بلوغ نتيجة أدائه في المهمة، مُقيِّماً الوضع التكتيكي. في تلك الأثناء، كان جسمه يعمل باجتهاد لمعالجة جراح الطلقات النارية الخمس المتبقية من الغارة، مُختثراً الدم المُحيط بالجراح. كانت خلايا كريات الدم البيضاء قد بدأت تلتئم لكي تكافح أي التهاب.

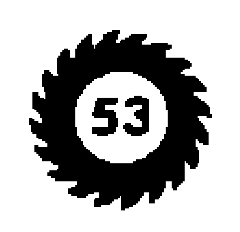
"هيه، بوب!"

كان الرجل الضئيل الراكض إلى جوار بوب قد أصبح مصدر إلهاء عقيم. فالتفت بوب لينظر إليه. "ماذا تريد؟"

"أأ... هل ثمانع إذا... رافقتك موقتاً؟ لقد قتلت بعضهم هناك، أعني أنك حقاً ناصرت أولئك الناس. كان شيئاً مذهلاً". ارتعش بانيللي. "إذن، أعتقد أنك تستحق أنْ تكون صديقاً".

قيّمَ بوب الرجل الضئيل. يمكنه أنْ يكون ذا عون بطريقة ما.

أجاب بلا حماسة "كما تشاء".



2001، نيويورك

الخميس/الجمعة (لست متأكّداً)

مرت ثلاثة أيام الآن. أعتقد أنها ثلاثة. من الصعب معرفة ذلك. علب الطعام المحفوظ في خزانة الأطعمة تنفد وقريباً سنجوع.

خرج فوستر مع مادي بضع مرات بحثاً عن مؤونة. حتى الآن لم يجدا أي شيء، فقط أطلالاً وعظاما.

الآن بتنا نعلم أنّ تلك المخلوقات في الخارج هي من أكلة لحم البشر.

عثر فوستر على بقايا أحد أبناء جنسنا، مأكولاً منه... وإلى مكان قريب على عظام أشخاص كثيرين آخرين. يبدو أنّ تلك المخلوقات تعيش في جماعات صغيرة، ويُطعمُ بعضها بعضا. والآن اتذكر كيف اوشكتُ أنْ أُخطَف... وذلك المخلوق وهو يُمرر يده خلال شَعري وكاد يختطفني! يتبيّن إنْ كنتُ أصلح للأكل.

لا اريد أنْ أموت بهذه الطريقة. أفضّل اي طريقة أخرى. إنني دائما أتوقّع أنْ اسمعهم في أي لحظة خارج باب المرأب، يخدشونه، ويحاولون أنْ يجدوا طريقة للدخول.

لم أكنْ مرة في حياتي في مثل تلك الحالة من الخوف المفرط.

همست سالي "أنا... لا أريد أنْ أخرج إلى هناك بعد الآن. أبداً. أبداً بعد الآن".

شاهد فوستر الرعب الظاهر في عيني الفتاة المسكينة على الوهج الذي يحفر ثلماً على الشمعة على الطاولة بينهما. وظل باقي القنطرة غارقاً في الظلام.

قال بحزم "لا بد أنْ نخرج".

"ولكن... ولكن، تلك الأشياء..."

تلك الأشياء كانت ذات يوم مخلوقات بشرية. لكنّ أمراً ما حصل. شيء أشبه بالحرب النووية، في اعتقاده. فهناك الكثير من الخراب الناتج من انفجار، جدران محروقة وبقايا توحي بلحظة من الحرارة العالية جداً. ومرور عقود من مرض الإشعاعات يفسّر حالتهم المؤلمة؛ البشرة المفتقرة إلى الدم، القروح الجارية، والأفواه الدردة.

قالت مادي "فوستر على حق. لا يمكننا أنْ نختبئ إلى الأبد".

"ولكن... إنها... تلك المخلوقات هي... من آكلات لحم البشر".

قالت مادي بحدّة "نعم، نحن نعلم بالضبط ما هي".

قال فوستر "قد نتمكن من التواصل معها. إذا كان ما يشبه الحرب النووية قد حصل في عام 1956 ونحن في عام 2001، فإنّ تلك المخلوقات هي أحفاد القلائل الذين نجوا. أطفال ما بعد الكارثة الذين لم يعرفوا إلا الأطلال وبقايا الحجارة. قد يتذكر أكبرها سناً نوعاً من اللغة".

قالت مادي "أنت تمزح، أليس كذلك. إنها لا تتكلّم، إن لعابها يسيل". إنهم يرون فينا وجبة تتحرك في المكان".

لعلها على صواب. "حسن، إذن... لقد بددنا ما يكفي من الوقت. كنتُ أتمنى لو وصلتنا موجات عالم آخر، ربما عالم لم يُحسّن وضعنا. ولكنْ يبدو أنّ

هذا ما علقنا فيه. لذلك لا خيار أمامنا. يجب أنْ نجد وسيلة لتوليد الطاقة. كفانا إعادة تشغيل حاسوبنا... ويكفي، إنْ استطعنا، فتح نافذة لاستعادة ليام وبوب".

تجهّم وجه مادي. "يبدو أننا سوف نحتاج إلى الكثير من الطاقة".

"حتى وإنْ كان لدينا ما يكفي منها لاستعادة واحد منهما، فقد نعرف بالضبط مكان وجودهما وزمانه عندما تغيّر مسار الزمن".

نزعت نظارتها عن وجهها، ومسحت العدستين الباليتين. "ولكن عندئذ سوف نحتاج أيضاً إلى كمية كافية من الطاقة من أجل إعادتهما إلى تلكَ النقطة من الزمن الواجب إصلاحها، صح؟"

نجح فوستر في رسم ابتسامة واسعة وقال "نعم. ولكن، اسمعي، سوف يتابنا القلق جميعاً بشأن هذا عندما نبدأ بتنفيذه. فلنفعل ذلك بالتدريج".

همست سال "أوه رائع، لقد قُضيَ علينا تماااااماً".

أجاب بصرامة "كلا، هذا غير صحيح. إنْ كان هناك شيء واحد تعلّمته عبر السنين الطويلة التي أمضيتها هنا عاملاً لمصلحة الوكالة، فهو أنّ كل شيء يتغير... لا شيء ثابت. نحن نستطيع، وسوف نفعل... بل يجب... أنْ نعيد كل شيء إلى سابق عهده. أتفهمين؟ إنّ الفشل ليس خياراً".

حدّقتْ إليه في صمت.

"لا أحد سينفّذ هذا بالنيابة عنا. الأمر منوط بنا. إذا اكتفينا بالجلوس هنا في أمان إلى أنْ نموت من الجوع، فهذا يعني... النهاية. لن يتبقّى لنا إلا العالم خارج مصراع هذا الباب وإلى الأبد".

ترك تلك الكلمات مُعلّقة فوق الطاولة، ووجوههم الثلاثة يُضيئها وهج الشمعة الخفّاق، ساكنة وخالية من التعبير.

"إذن... لدينا مولّد طاقة في الغرفة الخلفية حيث أحواض المُستنسخين. ونحتاج إلى وقود الديزل لكي نشغّله".

سألت مادي "لِمَ ليس لدينا مخزون من الديزل؟ ما فائدة وجود مولّد داعم من دون وقود يُشغّله؟"

هزَّ فوستر رأسه جاهلاً. "كنا نحتفظ بمخزون من وقود الديزل... ولكن هناك شيء في طاقة فقاعة زمن مكتبنا الميداني يسبّب تخريبه من الناحية الكيميائية".

"والمعنى؟"

"المعنى هو أنَّ الديزل يفسد. الوقود الذي في حوزتنا في الغرفة الخلفية لا فائدة منه. يجب أنْ نخرج ونعثر على المزيد منه".

صمت برهة، مُصغياً إلى الرياح المخيفة التي تهب خارج مصراع الباب تئن بهدوء.

كسرت سال الصمت. "إذن أعـ... اعتقد أنه ينبغي أنْ نخرج ونبدأ البحث".

أومأت مادي برأسها موافقة. "نعم. لدينا بندقيتك. وتلك المخلوقات سوف تبقى بعيدة عنا".

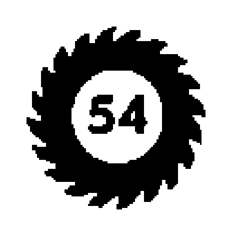
"لا بد أنّه في مكان ما من نيويورك - ربما في قبو منزل أحدهم، أو مخزنه - يوجد بعض وقود الديزل".

أومأت مادي موافقة. "صح".

زمّت سال شفتيها متفكّرة، وأخيراً أومأت هي أيضاً برأسها. "هيا بنا".

امسك فوستر يديهما، وشدّ عليهما بحزم، وابتسم لهما بفخر. "أتعلمان، لدي شعور بأنكما، ووليام، سوف تكوّنون معاً ذات يوم فريقاً رائعاً. أفضل فريق في الوكالة حتى الآن".

نجحت الفتاتان في رسم ابتسامة عريضة شجاعة.



1957، مخيم الاعتقال رقم 79، نيو جرزي

تدثّر ليام جيداً بالغطاء الرمادي الخشن، محاولاً أنْ يحتفظ بالقليل من الدف، الذي نجح جسمه في توليده. كان قد بدأ ينسى عدد الأسابيع التي أمضاها هناك. لم يكن متيقّناً ما إذا كان العدد أربعة أشهر أم خمسة.

تقريباً هذا المقدار.

استعرضتْ عيناه مئات - بل آلافاً - من الآخرين المتلفعين بأغطية رمادية مُشابهة ويُحدقون بفتور من خلال السياج الحديدي إلى الفناء الشتوي القاحل المحيط بمعسكر الاعتقال.

قال والاس، الواقف إلى جواره، "انظر، من الصعب أنْ أقبل... أنْ أصدّق". كان قد لزم الصمت بعض الوقت، ضامّاً يديه معاً وينفخ فيهما وهو يُقلّب الأفكار في رأسه. "أعني... لقد رأيتُ صديقك، بوب، يتلقّى يعلم الله كم رصاصة هناك في البيت الأبيض، وبدا أنه تخلّص منها كلها بصورة ما. لا أستطيع أنْ أقول إنه سبقَ أنْ رأيتُ شيئاً مشابهاً".

"إذن فأنت تصدّقني فعلاً؟"

كان حنك والاس قاتم اللون بسبب طبقة من لحية نامية. حكّ ذقنه بانفعال. "أحقاً تطلب مني أنْ أصدّق أنكَ من المستقبل؟"

هزّ ليام كتفيه استخفافاً. "نعم. حسن، في الواقع أنا من عام 1912. ولكن..."، ورسم ابتسامة مرهقة، "نعم. جئتُ إلى هنا من المستقبل".

"وتقول إنكَ أتيتَ إلى هذا اليوم... من عام 1956، لكي تُصحح التاريخ في الواقع بحيث يخسر الألمان الحرب العالمية الثانية؟"

"نعم. لكي أُصحّح التاريخ".

هزَّ والاس رأسه غير مُصدِّق وضحك. تكوّن بخار تنفّسه على شكل سحابة سرعان ما تبدّدتْ وسط هواء الصباح البارد.

"هذا جنون مُطبق. اسمع، ها أنا أخبرك. لقد كان النازيون أبعد ما يكون عن خسارة تلك الحرب. لقد احتلوا بولندا، وبلجيكا، وفرنسا، وبريطانيا وباقي أراضي أوروبا في مدة لم تتجاوز سنتين. لم يكن من الممكن بأي حال من الأحوال أنْ يخسروا تلكَ الحرب. مستحيل".

هزّ ليام كتفيه بلامبالاة. "حسن، في المكان الذي جئت منه خسروا. هذا ما قيل لي. وكانت خسارتهم فادحة. من المفترض أنْ زعيمهم الذي اسمه هتلر قد ارتكب بعض الأخطاء الكبيرة جداً، كإشعال الحرب في روسيا في الوقت نفسه الذي كان يُحارب..."

مرة أخرى حكَّ والاس ذقنه. "حسن... لقد كان العجوز أدولف مجنوناً حقاً. هذا الكلام حتى الآن صحيح. ولهذا حدثت تغييرات في القيادات العليا في عام 1944. وذلك عندما تولى كريمر قيادة ألمانيا".

التفتَ ليام إلى والاس. "أخبرني المزيد عن هتلر وعن ذلك الآخر الذي اسمه كريمر. أنا في حاجة إلى معرفة المزيد. في الواقع، هذه الأمور كلها حصلت بعد أربعين عاماً من وفاتي وأنا أبذل قُصارى جهدي لكي أدركها وأفهم مغزاها".

أضاف والاس بارتياب "توفيت؟ أوه طبعاً، قلتَ إنكَ كنتَ على متن سفينة التايتانيك، أليس كذلك؟"

"نعم، على متن ذلك الجسم المعدني الضخم المسكين، المُفترَض أنه عصيّ على الغرق".

قال والاس بصوت أجش. "أراك جاداً؟"

تنهّد ليام. "فقط أخبرني عنهما من فضلك. عن هتلر وكريمر".

أخذَ الرجل نَفَساً عميقاً.

"كان أدولف هتلر زعيمِ الحزب النازي. تسلّم السلطة في ألمانيا في عام 1933 لأنَّ البلد كان مُفلساً وخالي الوفاض، فوعد هتلر الشعب بأنَّ في استطاعته أنْ يُصحّح أحوالهم. وقد نفّذ وعوده بعد فترة من الوقت. جعل ذلك البلد يقف على قدميه من جديد، ولذلك أحبّه الشعب. ولكن بعد ذلك... بدأت تظهر عليه بوادر الجنون، أصبح مهووساً بالسلطة، على ما أعتقد. جعل البلد يبني قواته المسلحة بنفسه، ومن ثم وقع الأمر المحتوم. في عام 1939 غزا بولندا. وتلك كانت بداية الحرب العالمية الثانية".

"الحرب العالمية الثانية؟ إذن كانت هناك حقاً حرب أولى؟"

"تعني الحرب العالمية الأولى؟ نعم، طبعاً. أتريد مني أنْ أختم كلامي بالحديث عن هذه أيضاً؟ لقد وقعت بعد وقت قصير مما قلت إنه... أ... وفاتك".

هزّ ليام رأسه. "كلا... لقد تشوّش ذهني بما يكفي حتى الآن. فقط تابع الكلام عن هتلر وكريمر".

"حسن. إذن بدأتْ الحرب العالمية الثانية. احتل الألمان بولندا، وبلجيكا، وفرنسا، وطردوا الجيش البريطاني من فرنسا في مكان يُدعى دنكيرك. ثم أمضوا عاماً يُثبّتون أقدامهم ويبنون دفاعاتهم. وهنا في أميركا، على الرغم من أنَّ الرئيس روزفلت أراد أنْ يدخل الحرب، إلا أنَّ الكونغرس ومجلس الشيوخ منعاه وأبقونا خارجها. وقد رأت غالبية الشعب، حينئذ، أنها فكرة سديدة. اعتقدنا أنها مشكلة الأوروبيين وحدهم. وليست مشكلتنا.

تابع والاس "وهكذا، راجت شائعة تقول إنَّ هتلر يُخطط لغزو روسيا بعد ذلك. لقد كان يُدبّر لأمر ما من دون أدنى شك. وقد رأيتُ تقارير استخبارية ترد إلى رئيس الجمهورية، مفادها أنَّ الألمان يُكدّسون الدبابات وكتائب المشاة في الشرق. ثم، فجأة، بدا كأنَّ هتلر بدّل رأيه تماماً".

"ماذا تعني؟"

"أعني، أنه قرر ألا يغزو روسيا. وفي أوائل صيف عام 1941، وقعَ

الألمان والروس، ومن دون سابق إنذار، اتفاقية سلام. وفي ذلك العام نفسه، لفتَ بول كريمر الانتباه بوصفه نائب هتلر. وكان ذلك أمراً لا يُصدّق وتبدّلاً مفاجئاً. ذلك انه كان معروفاً جيداً أنَّ هتلر يحتقر الروس، وستالين، والشيوعيين. وظننا جميعاً أنَّ دورهم هو التالي على قائمة أهدافه".

"أتعتقد أنَّ كريمر هو الذي أقنعه بتغيير رأيه؟"

أومأ والاس برأسه إيجاباً. "نعم... نعم، من دون أدنى شك. أعتقد أن كريمر استولى على انتباه هتلر الكامل منذ لحظة لقائهما الأولى: أصبح أقرب مستشاريه، ونائبه. وبعد مرور ثلاث سنوات قام الكلب الماكر كريمر بطرد ذلك العجوز المجنون هتلر من السلطة".

نظر ليام إلى والاس. "في المكان الذي جئت منه – أي المستقبل، تختلف القصة التي سمعتها عن هذه. فذلك الرجل هتلر بقيَ في السلطة ثم خسر تلك الحرب. ومات في غرفة مُحصّنة تحت الأرض إذا أسعفتني الذاكرة. أعتقد أنه انتحر. ولا ذِكر لشخص اسمه كريمر".

نظر والاس إليه غيرَ مُصدِّق. "وتقول إنه لا وجود لذكر بول كريمر في كتب التاريخ الخاصة بكم؟"

أومأ ليام برأسه مؤكداً. "حسب علمي".

حدّقَ والاس إليه، يحاول جاهداً أنْ يُصدق ذلك الجنون. أجاب، وهو يهزّ رأسه "يا إلهي، ليت ما تقوله يكون صحيحاً. لقد راقب العالم ذلك الرجل بأنفاس محبوسة. فهو لم يخطُ خطوة واحدة خاطئة. إنه عبقريٌّ ومجنون. وقد راقبنا إمبراطوريته تزداد قوة على قوة، وتقنيته العسكرية تصبح أفضل من تقنيتنا، وتمثّل تهديداً مطّرداً لأميركا على مدى الخمسة عشر عاماً الأخيرة".

نفخ والاس الهواء في يديه الباردتين. "لكننا اعتقدنا – بل أملنا – أنه سيدعنا وشأننا هنا. كان ثمة أمل بأنْ يُصبح كريمر مستعداً لتوقيع معاهدة هدنة بين الرايخ الأعظم وأميركا، وتنتهي بذلك حالة الحرب الباردة بيننا".

تنهد والاس. "وقد اتّضح أننا كنا مخدوعين".

راقب ليام عدداً من الحراس المُسلّحين يقومون بدوريتهم خارج نطاق السياج القريب، تغطي ملابسهم العسكرية السوداء، وشارة رأس الموت أردية خارجية سميكة اتقاءً لبرد الشتاء.

كريغر؟ أهذا هو؟ أهو من المستقبل؟

ارتعش ليام وهو متدثر بغطائه. "اسمع، من المُحتمل أنّ كريغر هو شخص مثلي... مسافر آخر عبر الزمن".

ضحك والاس. "اسمع، لقد أوغلت في قصتك أكثر مما ينبغي في المغالاة، يا بنيّ. حتى بالنسبة إليّ".

"أوه، أنا جادّ تماماً".

تجهَّم وجه والاس. "عندما كنا في البيت الأبيض، حسبتُ أنك وصديقك ربما من رجال الاستخبارات، وأنه ربما هناك شيء خاص أو سرّي يكتنفكما. أما الآن..."، وهزَّ رأسه، "الآن... أنا آسف، أعتقد أنك مجرد فتى مجنون ذي مخيلة جامحة أكثر مما ينبغي".

"أؤكد لك أنَّ السفر عبر الزمن أمرٌ ممكن".

هزأ والاس به قائلاً، "إذن، أقول لك شيئاً؟ لِمَ لا تذهب وتصنع آلة لعبور الزمن، واقتل كريغر بنفسك". بدا أنه ضاق ذرعاً أخيراً بقصة ليام المجنونة.

تنهّد ليام. "إنني مجرد صبي مُضيف أبله. أو على الأقلّ كنتُ كذلك. على أي حال، حتى وإنْ كنتُ أتمتع بالذكاء الكافي لصنع آلة زمن، فأنا في حاجة إلى معرفة المكان والزمان اللذين سأذهب إليهما... إلى اللحظة الأولى التي دخل فيها كريغر تاريخكم".

هزّ والاس رأسه متفكراً. "حسن، أعتقد أنّ الجميع يعلمون هذا، إلا أنت".

"آه؟ ماذا تعني؟"

"هناك وصف للقاء هتلر الأول معه. موجود في سيرة حياة هتلر الثانية، Mein Sieg... أو "انتصاري"، الذي نشره في عام 1944، قُبيل أنْ يطرده كريغر".

"استمر".

"جرى في عام 1941. إنه لقاء معروف جيداً، وهو يصف كريمر كأنه رسول الله، ملاك. تدخّلٌ قُدسي، كما يُسمّيه. وفي كتابه يُخبرنا كيف وصل كريمر ذات ليلة حالكة من الشتاء إلى المكان الشائن "عش النسر". ليلة الخامس عشر من شهر نيسان، إذا أسعفتني الذاكرة".

شعر ليام بقلبه يخفق بقوة.

أوه يا إلهي... هذا ممكن. إنهما الزمان والمكان اللذان كانا ينبغي أن نذهب إليهما.

استدار والاس ليذهب، ثم توقف. ابتسم وجهه النحيل، وظهرت أسنانه من بين لحية قاتمة. "أعتقد أنني أريد أنْ أصدق قصتك، يا فتى، القائلة إنّ هناك تاريخاً أفضل لنا في مكان ما".

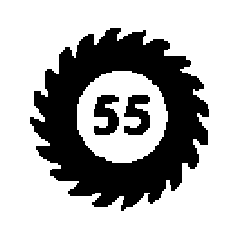
"وهو موجود فعلاً"

ضحك، نافثاً أمامه سحابة من أنفاسه. "حسن، أعلِمني عندما تعثر عليه، هه؟"

راقب ليام الرجل وهو يستدير ويرحل، قدماه تسحقان الثلوج، ومتلفّعاً بغطائه الرمادي الخاص. قامة كئيبة. غاب والاس بين باقي الأسرى، متكوّماً على نفسه طلباً للدفء، وعاد عقل ليام يتشبث باحتمال، بشعاع أمل. ليته فقط يستطيع أنْ يحصل على تلك المعلومات من فوستر ومادي... حول ذلك المكان والزمان.

لعلهما عثرا مُصادفة على هذه المعلومات في مكان ما - هذا اللقاء المُلهم المُفترَض بين كريمر وهتلر. لعلّ بوب استطاع أنْ يعود من خلال الباب المُقرَّر، والآن هو وفوستر في سبيلهما إلى امتطاء الزمن لإعادة الأمور إلى نصابها؛ العودة إلى عام 1941 من أجلِ العثور على كريمر، وقتله.

كان ذلك أملاً، أليس كذلك؟ شيئاً يتشبّثُ به.



1956، سفينة القيادة فوق واشنطن دي. سي.

حيّا كارل هاس بلباقة عنصري حرس هتلر الخاص الواقفَين على كلا جانبي الباب المؤدي إلى منصة مراقبة الفوهرر. أدّيا حركة الانتباه بسرعة ونشاط، ومن ثم فتحا له الباب الضخم على مصراعيه.

تابع طريقه على طول الممر المكسوّ بألواح خشب السنديان باتجاه الباب الثاني، الداخلي، المؤدي إلى مسكن كريمر المزخرف زخرفة غنيّة، ولم يعد عقبا جزمته العسكرية الثقيلة الجلدية يُصدران ضجيجاً على الأرضية المعدنية، بل صوتاً مكتوماً خفيفاً على السجادة السميكة الثمينة.

ما خطب بول؟

كان كارل يزداد قلقاً على قائده. خلال الشهرين الأخيرين، منذ هجومهم الأخير على واشنطن والاستيلاء على البيت الأبيض، كان كريمر قد أصبح كثير الشرود؛ أصبح إقناعه بحضور اجتماعات تقدير الوضع الأسبوعية مع الحكام المحليين وكبار قادة أسطول الغزو أمراً صعباً باطّراد. وعندما يحضر يبدو أنه لا يُصغي.

والأصعب من ذلك، كان على كارل أنْ يرى صديقه الحميم وحيداً. وأصبح كريمر يصرّ، في حالات تزداد بانتظام، على أنه كثير الأشغال ولا يستطيع أنْ يقابل أحداً.

ما خطبه؟ لا أظنّ السبب هو تلك الجثّة حتماً؟

قد يعني الأسوأ أنّ عميلاً من المستقبل حاول الوصول إلى كريمر وفشل في ذلك. مجرد محاولة اغتيال فاشلة.

أما باقي الأخبار فكان جيداً. في أرض الوطن أوروبا، كان شعب ألمانيا العظمى منتشياً بنشرات الأخبار التي تبثّ في دور السينما. وثمة عرض لقواتهم الغازية تسير بإباء في شوارعِ نيويورك، وواشنطن، وبوسطن. وبعض من ذلك الترحيب كان ظاهراً حتى في مناطق ريفية في بريطانيا وفرنسا... التي، على الرغم من كونها تتعرّض للغزو منذ عقد من الزمن، إلا أنها أدركت أنّ الفوهرر رجل طيب، ومُصمّم على توحيد الناس جميعاً، وليس على استعبادهم.

قابل مواطنو الرايخ الأعظم إعلان يوم الاتحاد، يوم الاحتفال بانتهاء الحرب وتوحيد الأمم الغربية، باستحسان وفرح. كان كارل واثقاً من أنّ هذه المناسبة سيُحتفل بها في الشوارع في كل مكان، وسوف يسرّ الناس في كل مدينة من كل بلد في إمبراطورية كريمر أنْ يضعوا خطاً تحت ألفي عام من التاريخ المخضّب بالدماء. حروب، حملات عسكرية، تعصّب ديني، محاكم التفتيش، تعذيب، تطهير عرقي، محارق، هذه كلها أشياء مشؤومة أضحت الآن من الماضي.

قرع بيراجم يده على الباب الخشبي السميك، منتظراً أنْ يومئ إليه كريمر كي يدخل. دفع الباب، وولج إلى الداخل وحيّا قائده.

كان كريمر جالساً في كوّة النافذة، يطل منها على الصباح الذي يلفّه الضباب. كان تميّز فقط قبّة أعلى البيت الأبيض تطل من خلال الغلالة الشاحبة التي تغطي واشنطن، والوهج البرتقالي لمصابيح الشارع على طول جادة بنسلفانيا، والأضواء الأمامية المزعجة للسيارات التي تتقدم ببطء، شاقة طريقها بتكاسُل إلى مراكز الأعمال.

في الحال، التفت لينظر إلى كارل وابتسم له ابتسامة ودودة "صباح الخير، كارل. كيف حالك؟"

اتّخذ كارل وضعية الاستراحة، وانزل يده التي أدّت التحية ثم تقدّم نحو قائده، وصديقه. "أنا بخير".

هزّ كريمر رأسه. "مذهلة هي السرعة التي تعود بها الحالة السوية إلى سابق عهدها، أليس كذلك؟ هناك... يتوجه الناس إلى أعمالهم، إلى مدارسهم، يزورون أصدقاءهم، وأحباءهم، كما يفعلون دائماً. يُصبح لديهم قائد جديد، وعلم جديد... لكنّ الحياة تستمر ببساطة بالنسبة إليهم".

"معك حق... يا بول".

يُتابع كريمر "يبدو أنّ الشعب الأميركي قد قَبِلَ تواً بمسار الأمور".

تململ كارل بانزعاج. ما عدا، طبعاً، أولئك المشاغبون الذين يهاجمون معسكرات الاعتقال.

قال كريمر "إذن، هل نباشر باجتماع هذا الصباح؟ لدي مسائل أخرى يجب معالجتها".

"طبعاً، لدي مجموعة من الأوراق يجب أنْ تحصل على توقيعك؛ معظمها موافقات على تنصيب حكام محليين، في معظمهم سياسيون متعاطفون".

مال كارل ووضع الأوراق على طاولة المكتب. نهضَ كريمر عن مقعد النافذة وجلس إلى الطاولة، مُستعرضاً بضجر الاستمارات وموقّعاً عليها بشرود.

تنهّد "هناك الكثير من الأعمال المكتبية في هذه الأيام".

"إنّ القوات العسكرية الأميركية المتبقية التي تجمّعت من جديد في تكساس وافقت على الاستسلام بنحو غير رسمي. وأعتقد أنّ القائد ماك آرثر هو القائد المسؤول الآن".

"عظيم... عظيم. إنّ استمرارهم بالقتال العقيم أمر سخيف".

"إنه يأمل أنْ تأخذنا الرحمة بكبار الضباط، ونسمح لهم بالعودة إلى عائلاتهم".

تابع كريمر التوقيع باسمه في أثناء الحديث. "بصراحة، أنا لا أثق بكبار الضباط. قُل لماك آرثر إنّ قواته سوف تُجرّد من أسلحتها ويُسمح بتسريحها، والذهاب إلى بيوتها. ولكني أخشى أنه وقياداته العليا سوف يُعتقَلون مع

باقي المعتقلين السياسيين الآخرين". قال كريمر هذا وهو يُقلّب الأوراق بنزَق. "أي، إلى أنْ أقتنع بأنهم لن يقعوا فريسة لإغواء قيادة أي انتفاضات مشاغبة".

حرك كارل قدميه على الأرض بانزعاج. "بخصوص هذا الموضوع.. إننا نواجه بعض المشاكل في منطقة واشنطن".

"هممم؟"

"غارات. إنَّ بعض المتمردين يشنّون هجوماً على معسكرات الاعتقال".

رفع كريمر بصره إليه، وتوقفت حركة القلم في يده.

تابع كارل "حتى الآن أغير على خمسة معتقلات. هُزِمَتْ الحاميات وهرب في كل مرة عدد لا يُستهان به من المُحتجزين".

"أعتقد أنَّ اولئك المتمردين هم وحدة من أوغاد الجيش الأميركي؟ كم يبلغ عددهم؟"

قال كارل بارتباك "في الواقع، هناك فوضى في هذا المجال، يا سيدي. إنَّ تقارير شهود عيان عن الغارات الأولى تشير إلى فريق إغارة صغير جداً".

"ماذا تعني بصغير؟"

"يعني، في الواقع، رجل واحد فقط".

"ماذا؟"

"من الواضح أنه لا يمكن أنْ يكون رجلاً واحداً فقط. فهذا جنون. ولكن من بين بعض المعتقلين الذين نجحنا في اعتقالهم من جديد، هناك شائعة واسعة الانتشار تقول إنْ ما يُشبه الـ... السوبرمان... جاء لإنقاذهم. ويصفون شخصاً ضخم الجثة ترتد عنه طلقات الرصاص..."

"سوبرمان؟"

ابتسم كارل. "من الواضح أنها مجرد أمنية، أو وهم. لطالما أحبَّ الأميركيون كتبهم الهزلية، وشخصياتهم البطولية بملابسها السخيفة. وليس مُستغرباً أنْ تلبس آمالهم وصلواتهم شكل مثل هذه الشخصية الأسطورية".

اضطربَ كارل من النظرة الشاردة التي ارتسمت على وجه الفوهرر،

، ثانَّ نصف انتباهه كان مُنصباً على شيء آخر، كأنه يُصغي إلى لحن خافت لا يكاد يُسمَع، أو إلى حديث يتناهى إليه من الغرفة المجاورة.

"إنَّ المُرجَّح غالباً، يا سيدي، أنَّ المتمردين هم مجموعة صغيرة من الجنود المدرّبين جيداً، وجنود البحرية الأميركية... والطيارين الأميركيين، المعبّئين معنياً تعبئة قصوى، والمزوّدين بأفضل المعدات. وحتى الآن لم ينجحوا إلا في أنْ يكونوا محظوظين جداً".

أوما كريمر برأسه. "نعم... نعم. لعلك على حق".

"ومع ذلك، يا سيدي، اقترح أنَّ من الحِكمة مضاعفة قوة الحاميات في معسكرات الاعتقال الأخرى في المنطقة. إذا ازدادت مثل هذه الغارات الناجحة، فإنَّ ذلك قد يُشجع متمردين آخرين على الانضمام إليها".

ران الصمت على كريمر، وتجهّم وجهه، وانعقد ما بين حاجبيه في تعبير عبوس التركيز، وكأنه يُحاول أنْ يستمع إلى شخص آخر. ولاحظ كارل أنه لم يحلق ذقنه في صباح ذلك اليوم، وأنَّ على ذقنه طبقة باهتة من الشعر القصير ذي اللون الرمادي الفضي، وشعر بأخفّ رعشة متوترة تصدر عن فكّ الرجل. أشياء صغيرة لا يستطيع إلا صديق مُقرّب أنْ يلاحظها.

أشياء صغيرة أثارت قلقه.

أهو يُعاني مما يُشبه الانهيار العصبي؟

"بول؟ هل أنت على ما يُرام؟"

قال كريمر بشرود "نعم... نعم، طبعاً". عادت نظرته الشاردة من حيث كانت وتركّزت من جديد على كارل. "اتخذ أي إجراء تراه ضرورياً بخصوص تلك الغارات".

وقّع كريمر على عجل باسمه على ما بقي من أوراق، وأعادها إليه مبتسماً. "شكراً لك، يا كارل. يمكنك أنْ تنصرف الآن".

"حاضر، سيدي".

أدّى تحيّة رشيقة، واستدار على عقبيه ثم غادر استراحة المراقبة.

انتظر كريمر إلى أنْ سمع وقع الأقدام يتلاشى على طول الممر في الخارج.

إلى العمل.

وافق قائلاً "إلى العمل"، وهو يقطع أرضية غرفة المكتب المصقولة بخطى سريعة. أدار المقبض النحاسي للباب وولج إلى sanctum sanctorum (قُدس أقداسه): جدران مُبطّنة كلها بالكتب، وعدد من الأرائك الملبّسة بالجلد، وطاولة مكتب للعمل مغطاة بمخططات تمهيدية. إنه نسخة طبق الأصل عن غرفة مكتبه الخاصة في مستشارية الرايخ في ألمانيا؛ مكان للتفكير، للعبث بتصميماته للأسلحة، للتأمّل بسياسة الإمبراطورية بأكملها.

أخرج من درج طاولة مكتبه دفتراً صغيراً أسود اللون، زواياه ملتوية وبالية، والصفحات الممتلئة بملاحظات بخط اليد بدأتْ تصفرّ بعد مرور سنين طويلة. دفتر ثمين من الأفكار والفِكر، والنظريات والأسرار. خط يده وهو أصغر سناً ينم عن تشوّش ونزق.

في عام 2056، لم يكن قد تجاوز العشرين من العمر، وكان مُعجباً متفانياً بالمُخترع الغامض روالد فالدشتاين. كان ذائع الصيت لعبقريته المُحيّرة، ولكونه الوحيد الذي صاغ رياضياً حقلاً للإزاحة يمكن أنْ يراب صدعاً من خلال المكان–الزمان. والوحيد الذي اختبر فعلاً النظرية بنموذج أصلي قابل للتنفيذ. وكان مدير شرفي للمؤسسة العالمية لبحث الكمّ، وللمتحف الأميركي للتاريخ الطبيعي، ومقاولاً ثريّاً، ومستشاراً علمياً لرؤساء الجمهورية... كان لغزاً كاملاً.

أتاح اجتهاد كريمر في العمل وموهبته الواعدة له دخول مركز أبحاث فالدشتاين العالي الأهمية في نيو جرزي، وظل على صِلة بالرجل العجوز العظيم نفسه. وكان فالدشتاين يُحب صحبة العقول الشابة والحادة الذكاء، وكان مقرّباً جداً من كريمر. وقد لَمح باقي الشبان اللامعين أصحاب العقول الوقّادة، بسبب غيرتهم، إلى أنّ كريمر يُذكر العجوز العاطفي بابنه الذي كان قد فقده قبل ذلك بسنين عديدة.

ابتسم كريمر لتلك الذكريات السعيدة، وتلك الأسابيع التي أمضاها مع صاحب العقل العظيم، مكتسباً ثقته به، ومُصغياً إلى نظرياته عن كيف أنّ

الأبعاد الخفيّة للـmetaverse (الكون الأعلى) تجمع كل شيء معاً بطريقة تتجاوز فهم غالبية العقول الإنسانية. كان يُكافح ليواكب أفكاره، لكنه لم يفهم إلا قدراً كافياً منها، أجزاءً يتلاءم بعضها مع بعض في عقله الشاب.

لكنَّ شغف العجوز الجامح الذي يقضّ مضجعه ليلاً ويحرّكه بقوة بحماسة واعظ، كان بأنْ يتخلص من التقنية التي وحده رائدها، وكانت ستؤدي إلى السفر عبر الزمن، لكي يتيقّن من أنّه لا أحد سيسير على خُطاه.
كان أمراً مُحبِطاً بالنسبة إلى كريمر أنْ يتناقش مع هذا الرجل العظيم في شأن أشد أعماله النظرية تقدّماً، ومحبِطاً بالنسبة إلى فالدشتاين أنْ يُصبح فجأة حذراً بشأن موضوع نظرية الإزاحة.

كان رجلاً عجوزاً. لا بد أنه كان في الستين في ذلك الوقت، لكنه بدا أكبر سناً بكثير وأشدّ ضعفاً من ذلك، بيديه المرتعشتين والمرتجفتين باستمرار، وعينيه الضعيفتين اللتين تبدوان دائماً أنهما تتجهان بسرعة نحو زوايا مُظلمة. ثم هناك طقوسه الغريبة. ففي صباح كل يوم بعد الإفطار، كان كريمر يراقبه وهو يجرّ نفسه نحو صفحة أخبار غريبة الشكل مصفرّة، محفوظة داخل إطار من زجاج ومعلّقة على الجدار. كان فالدشتاين يُحدّق إليها بضع دقائق في كل يوم بعينين تسكبان الدمع على وجنتين غائرتين.

كان كريمر قد ألقى عليها نظرة مرة، ولم يرَ أكثر من صفحة مأخوذة من صحيفة قديمة تبيّن إعلاناً شخصياً، عن رجال عجائز وحيدين يبحثون عن نساء عجائز وحيدات.

كان فالدشتاين يفقد عقله... وفي لحظات الهدوء، وفي أثناء جلوسه مع الشاب كريمر يستدفئ بجوار المدفأة، ينسى أشياء كثيرة. لقد كان عجوزاً حقاً ويثقُ بكريمر بما يكفي ليُطلعه على أكثر ممّا ينبغي أنْ يعرف.

الآن كريمر يتصفّح الدفتر العتيق البالي. صفحات من الأرقام والمعادلات الرياضية، أجزاء من لغز الرجل العجوز باح بها بتهوُّر، تتخلّلها صفحات وصفحات من الصيغ المشطوبة بغضب عمل عليها كريمر نفسه على مرّ السنين. أجزاء من معادلة حاول أنْ يختصرها، لتتناسب مع عمل فالدشتاين

الأنيق... وكان ذلك دائماً يبدو غير واف.

ابتسم لمرأى الملاحظات المكتوبة بسرعة عبر ورقة التصميم على طاولة المكتب.

لكنها أصبحت متلائمة بعضها مع بعض الآن، يا بول، أليست كذلك؟ بعضها كان كذلك، "حقل فالدشتاين للإزاحة". لقد استغرق من كريمر خمسة عشر عاماً، على فترات، من التفكير في المسألة الحسابية في لحظاته الخاصة. إنها هواية شخصية، ولعلها بلوى.

كان الحقل – حقل فالدشتاين – نظرياً، على الورق، مجرد وسيلة لإحداث فجوة صغيرة جداً في علاقة المكان–الزمان. إنَّ هذا وحده لا يصنع آلة زمن، بل هو طريقة ثقب للتلصص على نسيج الفضاء–الزمان. كان كريمر في حاجة إلى طاقة حاسوب لكي يصنع آلة زمن. في عام 1956 لم تكن هناك حواسيب أبل ماكنتوش، ولا حواسيب شخصية، أو حواسيب محمولة أو برامج تنظيم يمكن تفكيكها، وتكييفها.

التصميم المدوَّن بسرعة أمامه على قطعة من الورق كان لأداة يمكنه تركيبها وتسمح له فقط بفتح نافذة صغيرة جداً للحصول على طاقة غير محدودة من دوامة العماء خلفها.

كان فالدشتاين قد قال له شيئاً ذات مرة: "إنَّ فتح الزمان–المكان يعني فتح باب جهنم نفسه".

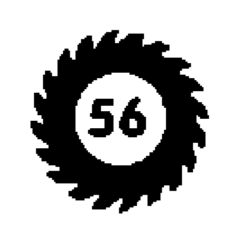
لقد وجدت ذلك الباب من قبل.

قال برفق "نعم، وجدت جهنم". ارتعشَ صوته بمزيج من الخوف والإثارة. وكان فالدشتاين قد قال أيضاً مرة شيئاً لكريمر الأصغر سناً بكثير حينئذ، شيئاً أزعجه في ذلك الوقت، وأزعجه الآن.

"ضع هذا نصب عينيك، يا بول... إذا كان في استطاعة الرجل أن يلج الجحيم، فكائناً مَنْ كان يُقيم هناك يمكنه بسهولة أن يستخدم الباب نفسه ويلج عالمنا".

تلك الكلمات عذّبته الآن، لأنه أدركَ أنها تدل على شيء أسوأ بكثير من

، جود عميل من المستقبل يسعى إلى قتله. شيء مخيف أكثر بكثير.
يجب أن تسرع، يا بول... قبل أن ينال منك.
قال كريمر، دافعاً طبقاً من الطعام المنسي جانباً على طاولة المكتب، "هيا إلى العمل".



1957، نيو جرزي

دقّقَ بوب في الخريطة الممدودة أمامه. هناك العديد من العلامات على الخريطة تشير إلى مواقع معسكرات الاعتقال الأخرى بين واشنطن دي. سي. ونيويورك. إنّ المنطق البسيط يقول إنّ ليام أوكنر لا بد أُخذَ إلى احدها. وقد تمت زيارة تسعة من تلك المُعلّمة حتى الآن: تسعة معسكرات اعتقال اقتُحمَتْ، وفُتِّشَتْ وتُركت في حالة من الفوضى العارمة. المعتقلون اندفعوا إلى الخارج من المكان الذي حطمه، والأبنية أحرقت، وجثث الحراس والمدنيين التعساء تغطي الأرض.

وحتى الآن كان عاثر الحظ. تسعة معتقلات... ولا أثر لليام.

[تقييم المهمة: لعلّ نسبة النجاح هبطت إلى 31%].

أصبح اقتحام المعتقلات أصعب. فقد وُضِع المزيد من الحراس عليها وأصبحوا أكثر يقظة - مستعدين وينتظرون تعرّضهم للهجوم. بعد الغارة الأخيرة خرج بوب مُصاباً بعدد كبير من الطلقات في جسمه. واستغرق شفاؤه من جراحها خمسة أيام. خمسة أيام من الاستلقاء لا يُبدي حراكاً، مُكرّساً كامل طاقة جسده لعملية الشفاء.

الرجل الضئيل الذي قرر أنْ يُلازمه، ريموند بانيللي، كان يسهر على راحته، ويرعاه وهو متمدد من دون حراك، في حالة من غياب الوعي، ليرا. وتساءل بوب لِماذا يهتم ريموند بانيللي به هكذا. وتساءل أيضاً لماذا

تبعه عصبة تتزايد من البشر في تنقّله من معسكر إلى آخر. ومع كل غارة كان يجذب المزيد منهم. من الناحية التكتيكية كانوا، طبعاً، مفيدين؛ كانوا يخففون عنه تلقّي نيران العدو.

اضطربت معدته مُصدرة ضجيجاً، وذكّره حاسوب عقل بوب بأنّ الوقت قد حان لإعادة تزويد جسمه بوقود البروتين. كانت عصبته المتزايدة من المعسكرات هي التي تزوّده الطعام – تشكيلة من اليخني، والمرق والحساء – لم تكن مغذّية كثيراً مثل محلول البروتين المُكثّف الذي كان يستهلكه في أنابيب الولادة هناك في المكتب الميداني، لكنه واف كبديل موقّت.

طوى الخريطة بعناية وخرج من الخيمة، وأخذ يتمشّى بين الأعشاب والشجيرات، ينحني من تحت الأغصان المنخفضة والمتدلية ليشق طريقه نحو نار المخيم.

لدى اقترابه، هرع أحد أتباعه إليه حاملاً طاساً من الحساء الحار.

"هذا لك، كابتن بوب، سيدي".

تناول بوب الطاس وخطا نحو النار، ووجد مساحة من الأرض وسط الحشد الصامت من الرجال. كانوا يتابعون كل حركة تصدر عنه بعيون متّسعة. جلس بتثاقل، متصالب القدمَين، يُحدّقُ إلى النار الخفّاقة، وبدأ بحركة آلية يغرف الحساء بالملعقة ويضعها في فمه.

مال الإنسان المدعو ريموند بانيللي إليه. "كابتن بوب، لقد حصلنا على حفنة من المقاتلين من أجل قضيتنا. انضموا إلينا في هذه الليلة بالذات".

توقف بوب عن تناول الطعام ونقل بصره من النار إليه.

قال بانيللي، مُشيراً إلى بعض الرجال المتجمعين بجوار النار، "هؤلاء الرجال هنا". حدّقوا بصمت ورهبة، ومن الواضح أنهم يتساءلون ما الذي يفهمونه من ذلك السوبرمان الضخم والمفتول العضلات الماثل أمامهم.

استعرضتهم عينا بوب، واحداً إثر آخر. تعرّف إلى ملابس الجيش الأميركي البالية التي يرتديها السبعة. بدوا لائقين جسدياً، وبنحو عام في سن القتال الأمثل. المزيد من الأجساد لتشتيت نيران حرس العدو، المزيد من

الأجساد ليُسددوا إليها، وقدر أقلّ من الطلقات توجّه مباشرة إليه.

[تقييم المهمّة: احتمال النجاح يزداد بنسبة 1%].

اوما بوب برأسه استحساناً. "هذا أمر جيد. مع مزيد من الرجال، سوف تزداد نسبة احتمال نجاح المهمة".

تموّجت أنفاس هادئة حول نيران المخيّم بفعل طبيعة صوته العميق الهادر، الآمر.

التفت أحد الرجال، مجند شاب، إلى بانيللي. "هل... هل لي أنْ أسأله، أسأل الكابتن بوب سؤالاً؟"

فكّر بانيللي في الأمر قليلاً، ثم اوما برأسه موافقاً على مضض. "سؤال واحد فقط، اتفقنا؟ إنّ البطل في حاجة إلى الراحة، في حاجة إلى التفكير في غارتنا غداً".

ابتلع الشاب لعابه بعصبية. عذراً، سـ... سيدي؟"

وببطء تحولت عينا بوب الرماديتان بلون الفولاذ نحوه.

"ثمة شائعة تدور في البلد... تقول إنكَ اشبه بسوبرمان، يمكن أنْ يتلقّى العديد من الطلقات وينجو منها".

حدَّقَ بوب إليه بصمت، بوجه خالٍ من أي انفعال أو ردّ فعل.

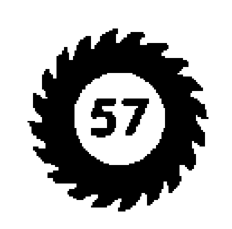
التوَتْ شفتا الشاب بقلق. "أنا... أنا... أنا أؤمن بالله الطيب، و..."

قال بانيللي "حسن، عظيم، يا بنيّ، ولكن لدى الكابتن أمور أفضل يقوم بها غير الإصغاء إلى ترتيل آيات الكتاب المقدس".

قاطعه الجندي الشاب "يجب أنْ أسألك، كابتن بوب، هل أرسلك الله لتنقذنا، يا سيدي؟"

في الحال توقف عقل بوب السليكون عن العمل على إعداد حسابات تقييم المهمة لكي يفكر في السؤال الغريب الذي طرحه الشاب عليه. قدّم له الحاسوب لائحة بأفضل الأجوبة عن السؤال.

فرقعت النار بضجيج عالٍ وسط الصمت.



2001، في قطار نيويورك النفقي

اخترق ضوء مصباح فوستر المُسلَّط ظلام محطة القطار النفقي. كشف الشعاع عن بريق مساري سكة حديد إلى يسارهم من فوق حافة الرصيف وتلألؤ تجمعات مياه آسنة بينهما.

بعد خطوط السكة بقليل، رأت سال عربة يد قديمة منكفئة على جنبها، نصفها في الماء، والنصف الآخر خارجه.

سمعوا أصوات خربشة على طول السكة، وداخلها، وحولها وتحت عربة النوم الخشبية العفنة؛ وصوت حركة حيوانات مؤذية صغيرة، ووقعاً ثابتاً رتيباً - يشبه دريب، دريب، دريب - لرطوبة صادر من سطح النفق المنحني فوقهم يتردد صداه في أرجاء المحطة.

على طول الجدران القرميدية لرصيف المحطة فُتنت سال بمرأى لوحة إعلانات بهتت ألوانها منذ زمن بعيد. مرت من أمام صورة باهتة تمثّل عائلة سعيدة متجمعة حول مائدة مطبخ تقليدية من خشب الزان، وكلهم يتسمون ولهم وجنات وردية ونظيفة، يستمتعون كل الاستمتاع الذي بإمكان علبة رقائق شوفان الكولونيل جونستون أن تقدّمه.

سألتْ مادي "على ماذا تتوقع أنْ تعثر هناك في الأسفل؟"

على الرغم من أنها تكلّمتْ بأكثر قليلاً من همس مرتعش، تردّد صدى صوتها بلا نهاية بين جدران المحطة والسقف المنحني وبعيداً داخل النفق.

همس فوستر "على مخزن طوارئ من نوع ما. إنني أذكر أني قرأتُ أنَّ معظم محطات سكك الحديد في نيويورك كان فيها مولدات طاقة طارئة رُكِّبَتْ في أثناء الحرب العالمية الثانية. ونأمل أنْ نعثر على واحد منها، ومعه على بعض حاويات الوقود". بادلهم فوستر النظر. "أعلم. إنها آمال عريضة".

قالت سال " لم أكن أعلم انه كان لديهم حينئذ أبنية تحت الأرض".

قالت مادي "نعم، طبعاً كان لديهم. لقد نفّذتُ مشروعاً للمدرسة ذات يوم للقطار النفقي في نيويورك. أعتقد أنهم بدأوا حفر الأنفاق في وقت مبكر يعود حتى عام 1904".

أومأ فوستر موافقاً. "هذا صحيح. وجلبوا عمالاً ايرلنديين بعشرات الآلاف ليعملوا في ذلك..."، واوشك فوستر أنْ يُضيف المزيد، لكنه آثر السكوت.

لم يكونوا، حتى ذلك الحين، قد قابلوا، والحمد لله، أياً من تلك المخلوقات. ولكن شاهدوا آثاراً لها في الشوارع فوقهم: مجموعة من العظام الصغيرة، جثث جرذان، بقايا قطط بل وجيف كلاب. وطبعاً وجدوا أيضاً هنا وهناك، بنحو أكثر شؤماً، أكواماً منبوذة من العظام الكبيرة الحجم، أحياناً مرتَّبة بعناية أو مُنظَّمة حسب حجمها. ووجدت سال أنَّ ذلك أكثر إثارة للاضطراب – فكرة أنَّ عدداً من تلك المخلوقات جالسون ويُصنّفون بعناية عظام شخص كانوا قد التهموه.

ارتعشت.

في الجادة الخامسة اعتقدتْ انها رأتْ وجهاً شاحباً حدّقَ إليها قبل أنْ يغوص داخل الظلال المظلمة، خلف إطار واجهة مجمّع تجاري. وفي شارع برودواي، كانت تنتبه إلى أوهى حركة بين بعض تماثيل العرض في واجهة مخزن، التي احترقت مادة البلاستيك فيها حتى السواد في بعض المواقع، واضحت اصابعها وإباهيمها ليست أكثر من جدعة ذائبة. لكنها كانت مستعدة أنْ تصدّق أنها مخطئة. بل تفضّل، في الواقع، أنْ تصدّق ذلك.

يجب التذكير هنا أنه إذا كانت تلك الأشياء موجودة فعلاً، تراقبهم من

داخل الظلمة، فقد كانت على الأقلّ تبقى بعيدة، ولا تزال شديدة الحذر من بندقية فوستر. لكنها تساءلتْ، إلى متى سيستمر ذلك الوضع. إلى متى ستتحمّل أجسادها الممتلئة، والحسنة التغذية نسبياً، ويتغلب جوعها الذي لا يشبع على حذرها.

همس فوستر "أمامنا، انظرا!"، ووجّه شعاع مصباحه نحو آخر الرصيف، إلى باب صغير عليه لافتة "غرفة الإدارة" باهتة اللون، وتحتها لافتة أخرى تحذّر من خطر التعرُّض للتيار الكهربائي.

أسرع خُطاه، وحذاؤه يطقطق على طول الرصيف، رافساً جانباً بضع حجارة قرميد ساقطة، وأحدث ضجيجاً عالياً عبر الرصيف، واجتاز الحافة ووقع على برك الماء تحت، ناشراً رذاذاً. انكمشت سال عندما تردد صدى الضجيج المتقطع على طول النفق.

مدّ فوستر يده إلى مقبض الباب وجرّب فتحه، وهو يشدّه بقوة. فانخلع في يده وسط رذاذ من رقائق الصدأ.

قال بحدّة "أوه، عظيم".

قالت مادي "دعني أجرّب".

رفعت ساقاً، وكانت ترتدي جزمة طويلة الساق، ورفست الباب بالمقبض الصدئ. وبصرير حادّ انخلع الباب نحو الداخل، وانهمر سيل من كسرات من القفل الصدئ ومن نثرات الخشب على الأرض.

أبعد فوستر سحابة من الغبار عن وجهه بحركة من يده. "تفضلي".

قالت مادي "الأكبر سناً قبل الجميلات".

أجاب مع ابتسامة رقيقة وحركة من حاجب سلكيّ الشعر، ثم خطا إلى داخل الغرفة، مُديراً ضوء مصباحه بسرعة من جانب إلى آخر، ومُبيِّناً أسطحاً مغطاة بطبقة من الغبار عمرها قرن من الزمان.

دخلت مادي خلفه، بينما ألقتْ سال نظرة سريعة أخيرة خلفها إلى الرصيف الخالي الذي جُرِّدَ من ضوء مصباح فوستر الذي تقدَّم أكثر في الداخل.

هرعت تلحق بهما.

أخذ فوستر يُنقّل ضوء المصباح ببطء في أرجاء المكان. شاهدتْ طاولة وكراسي في وسط غرفة صغيرة، وعدداً من الأباريق على الطاولة، إلى جانب نسخة مصفرّة، وبالية وباهتة اللون، من صحيفة نيويورك تايمز مفتوحة على صفحة الرسوم الهزلية ومُنقّطة ببراز الجرذان. على الجدران كانت هناك معاليق لتعليق المعاطف، وخزانات ومُلصقات لنجمات سينما جميلات، ولوجوه منسية كان جديراً بأمها وأبيها أنْ يعرفا أسماءها.

قالت مادي "كأنّ أحداً لم يلمسها منذ... يعني... منذ أنْ حدث ما حدث".

اقتربَ من الطاولة وسلّط ضوء مصباحه على الصحيفة. "الأربعاء، الثالث عشر من آذار عام 1957". ورفع نظره إليهما. "لطالما كرهت أيام الأربعاء".

شخرت مادي، وابتسمت سال، وقد عزّتها محاولته الفاشلة لتلطيف الجو. مالت فوق الصحيفة، مُستعرضة العناوين الرئيسة:

الإرهابيّون يستمرون بشنّ هجمات على معسكرات إعادة التوطين.

إلقاء القبض على أستاذ مدرسة لأنه يُدرّس تاريخ ما قبل الاتحاد.

غياب الفوهرر عن عرض يوم الاتحاد - تقول الشائعات إنه مريض.

"السوبرمان" ليس إلا أسطورة نشرها المشاغبون.

في نهاية الغرفة كان هناك باب يحمل تحذيراً آخر من التيار الكهربائي العالي. وتحته، لافتة أخرى تقول "ممنوع الدخول لغير المكلفين".

قال فوستر "قد نعثر على شيء مفيد في الداخل". دار حول الطاولة وجرّب مقبض الباب. هذه المرة فُتِحَ من دون صراع، على الرغم من أنّ المفاصل أصدرتْ صريراً حاداً. دفعه ليفتحه وسلّط الضوء من جانب إلى آخر داخل الفراغ المظلم.

سألتْ مادي "أترى شيئاً؟"

"أرى رفوفاً على كلا الجانبين... أرى لفائف من الكابلات... وبعض الأدوات... أوه".

صمت.

سألت سال "ما الأمر؟"

قالت مادي بصوت أعلى "نعم، ماذا لديك؟"

قال فوستر، متقدماً أكثر إلى الداخل، "لحظة". وترك الباب يتحرك خلفه، فهرعت مادي للقبض عليه قبل أنْ يُصفَع بقوة.

"فوستر؟"

استطاعت سال أنْ ترى عبر كتفي مادي جانب وجهه في الداخل، وظلالاً تتراقص، وخفقان ضوء منعكس من أنابيب مُعلّقة من سقف منخفض بصورة تُشيع الضيق في النفس. مشى على طول ممشى ضيّق تحفّه من الجانبين رفوف تمتد من الأرض حتى السقف.

ردّ قائلاً "هنا توجد مؤن مفيدة. إنني فقط ألقي نظرة عامة. ابقي مكانك". وشق طريقه إلى آخر الرفوف ومن ثم انعطفَ يميناً، وغاب عن الأنظار.

أرادت سال أنْ تهتف له كي يرجع، لتقول إنّ عليهم أنْ يبقوا معاً. لكنها لم تفعل. وكانت مادي تقفُ إلى جوارها مباشرة.

خفقَ الضوء من فوق أعالي الرفوف وتراقصت ظلال عبر السقف المنخفض، بينما هو يتنقّل حول آخر الرفوف وبعيداً عن الأنظار. كان في استطاعتهما أنْ تسمعا وقع خطاه وحركتهما عبر الأرض الأسمنتية الباردة.

هتفت مادي "هيا، فوستر. هل لديك هناك شيء يمكن أنْ نستفيد منه، أم لا؟"

توقف حفيف خطاه وحام ضوء المصباح حيث يقف برهة. ثم أجاب "لحظة".

كان فوستر يتصرف على راحته. همست سال "ماذا يفعل؟"

"اعتقد أنه يتفقّد شيئاً".

عضّت سال على شفتها، محاولة أنْ تُحافظ على هدوئها.

هذا صحيح. إنه ليس بعيداً، عند المنعطف مباشرة. لا حاجة إلى الذعر، يا سالينا فيكرام.

ولكن، في تلك اللحظة، تبدّى لها أنّ البندقية الوحيدة التي في حوزتهم هي معه بعد منعطف الزاوية. ماذا لو عادت تلك الأشياء إلى ذلك النفق المؤدي إلى خارج المحطة، وتنتظر بصبر في الظل؟ لعلها تنتظر، أو لعلها تُصبح أكثر جرأة مع مرور كل لحظة. لعلها الآن على الرصيف تقترب من باب غرفة الإدارة، تقفُ مباشرة خارجه يحدوها الفضول لتعرف ما الذي يحدث في الداخل، لترى إلى أي مدى تستطيع أنْ تقترب من دون أنْ نراها.

نظرت خلفها في قلق إلى الغرفة الصغيرة. كان الظلام قد أضحى دامساً حينئذ. إنها بالكاد تميّز حافّات الطاولة المربّعة من الضوء القليل الواصل إليهما من مصباح فوستر المتنقّل، بريق واه من أحد الأباريق. كان واحد أو اثنان من الكراسي مرئين، ولكن لا أكثر. التفتت لترى ما الذي يفعله العجوز.

هتفت مادي، بهدوء أكثر هذه المرة، "فوستر؟ ألن تخبرنا ما الذي تفعله هناك؟"

تحرّكتْ قطع الضوء الظاهر على السقف بخفّة كجواب. ثم سمعتا حركة، ووقع خطوات عبر الأرضية، ومن جديد تراقصت الظلال. كان في طريق عودته لينضم إليهما.

هتفت مادي "هل عثرت على أيّ شيء؟"

ظهر شعاع من الضوء من منعطف آخر صف الرفوف الطويل، يومضُ في وجهيهما مع اقترابه منهما.

"فوستر؟"

أجاب صوته الأجش "نحن محظوظون. هناك مولّد في الخلف... نأمل أنْ نعثر على بعض الوقود في مكان ما على هذه الرفوف..."

سكت فجأة.

لقد رأى شيئاً.

شعرت سال بأنّ دمها أصبح بارداً.

هل هناك شيء خلفي؟

استدارت بسرعة لتنظر خلفها من جديد، فرأت عينين شاحبتين، عينين بضاويتين بلون سمك مطبوخ على وجه شبح، على بُعد بضعة أقدام منها، تدوران حول نهاية الطاولة وتنزلقان بسرعة باتجاهها.

صرخ فوستر "انخفضي!"

تصرفت مادي غريزياً، وخطت إلى أحد الجانبين وجرّتْ سال معها.

كانت الغرفة الصغيرة تضجّ بهدير طلق نار بندقية فوستر الذي يصمّ الآذان. وعلى خفق ومض فوهة الماسورة المتواصل، رأتْ صورة داخل إطار متجمّد لأحد المشوّهين عندما برز من مربض تلصّص منخفض، وذراعاً طويلة ونحيلة تمتد نحوها، لا تبعد أكثر من بضع بوصات عن مكان وقوفها. وخلفها المزيد منهم، كشفهم الومض في أثناء ولوجهم من الباب المفتوح إلى غرفة الإدارة، مستديرين حول الطاولة ومقتربين منهم.

ظلام.

سمعَتْ شيئاً يسقط على الطاولة ويتقلّب بضجيج عالٍ برهة، ثم خربشة مضيف ذي أقدام مذعورة، وطقطقة إبريق ثقيلة وهو يقع ويقفز، وصراخ رعب حاد وزمجرة شعور بالإحباط.

بانغ!

وبرهة أخرى مُبهِرة من ومض ماسورة البندقية، ورؤية خاطفة لمخلوق متمدد على الطاولة، لا يزال يرتعش، وثقب قاتم اللون يكاد يكون أسود يمزّق صدره، وسائل لزج يتجمع تحته. وبجوار الباب ثمة مجموعة متشابكة من الأطراف الشاحبة وجذوع نحيلة تنضغط من خلال إطار الباب الضيق، وكلها تحاول أنْ تهرب من خلال الإطار دفعة واحدة.

ومن ثم ساد الظلام من جديد.

سمعتْ صفع قدمين حافيتين على الأرض يتلاشى مع فرار المخلوقات على طول الرصيف، وهم يئنون، ويصرخون من الغضب والخوف معاً مع ابتعادهم.

ثم ران الصمت إلا من لهاثها ولهاث مادي، والقطر المتواصل الناتي

للرطوبة من موقع ما فوق وضجيج إبريق يتدحرج جيئة وذهاباً على الأرض.

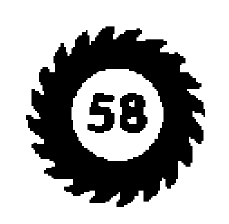
قالت مادي وهي تستنشق الهواء "أوه يا إلهي".

قال فوستر "كدنا نموت". كان مصباح الإضاءة على الأرض عند قدميه. كان قد أسقطه وسط حالة الرعب. انحنى والتقطه، وسلطه بسرعة نحوهما. نفث قائلاً "أنتما... هل أنتما الاثنين بخير؟"

قالت سال، بصوتٍ مُجرّد من كل شيء، ما عدا الهمس، "نعم".

تقابلت عينا مادي بعينيها. "كانوا وراءنا مباشرة! أعني..."، وشهقت تطلب المزيد من الهواء، "أعني أنهم كانوا وراءنا تماماً!"

قال فوستر بسرعة "يجب أنْ نتحرك، فقد يعودون".



2001، محطة قطار نيويورك النفقي

عثروا على ما كانوا يفتشون عنه داخل خزانة مؤونة مُقفلة تقع في آخر غرفة التخزين: ثلاثة براميل معدنية كبيرة من وقود الديزل تحرّك ما بداخلها بطريقة مُشجّعة عندما كافحت مادي لإخراجها من الباب.

قالت "إنها ثقيلة جداً. لا أكاد أقوى على تحريكها بيديّ المُجردتين، فكيف نحمل أحدها من هنا حتى القنطرة".

تجهّم وجه فوستر. "أنتِ على حق". وراح يفكّر في المشكلة، وعيناه تنتقلان بسرعة على طول رفوف التخزين ليستمد منها الإلهام. "حسن إذن، يمكننا أنْ نصبّ الوقود داخل حاويات أصغر حجماً، نستطيع أنْ نحملها معاً".

"ولكن كم سنحتاج منها؟"

الحقيقة كانت أنه لا يعلم. فلم يسبق له أنْ استخدم المولّد، ولا احتاج إليه حتى الآن. وفي آخر مرة جرى تفحّصه كان قد صدر عنه صوت انفجار لحسن الحظ لبضع دقائق. ولو كان يعلم شيئاً عن مولدات الديزل، لو كان ميكانيكياً، لاستطاع ربما أنْ يُخمّن عن علم كم سنحتاج إليه من وقود.

المشكلة هي... أنّ ما كان يعرفه هو أنّ آلة إزاحة الزمن يجب أنْ تشحن نفسها بنفسها قبل استخدامها. ولما كان التيار الكهربائي مقطوعاً منذ بضع ساعات فسوف يكون الشحن بطيئاً. ربما سيتطلّب من المولد أنْ يعمل على

مدى ساعات طويلة قد تمتد حتى أربع وعشرين ساعة قبل أنْ يتمكنوا من فعل أي شيء. لم تكن لديه أدنى فكرة كم سيحتاجون إليه من وقود لذلك. ربما كميات كبيرة جداً.

كانت الفتاتان تنظران إليه، على أمل أنّ يكون لديه جواب.

هيا... فكِّر. كم سنحتاج؟

كان ذلك يعتمد على خطة العمل. في الحقيقة، كانوا في حاجة إلى بثّ رسالة عبر الزمن إلى بوب لكي يُعدّ نافذة عودة جديدة. ومكان فتح النافذة وزمانها هما العاملان اللذان يُحددان كمية الشحن التي تحتاج إليها آلة الإزاحة.

وحتى لو نجحوا في استعادة ليام وبوب، فسوف يحتاجون إلى ما يكفي من الطاقة لإرسالهما إلى الزمان والمكان الصحيحين من أجل محاولة إصلاح التاريخ.

كان هناك الكثير من المتغيرات أمام فوستر ويجب أنْ يعرف بالضبط كم سيحتاجون إليه من وقود.

سألت مادي من جديد "فوستر؟ إلى كم نحتاج؟"

أجاب "أكبر مقدار يمكننا حمله"، وإذا لم يكفهم، فسوف يُضطرون إلى العودة إلى هنا وإحضار المزيد. وهو أمر مُحتَمَل لم يكن مرتاحاً جداً إليه، والفتاتان حتماً لن تكونا كذلك.

تلفّت حوله. كان هناك عدد من الحاويات الصغيرة في الرف السفلي. إذا أفرغوها وملأوها بالديزل، يمكنهم أنْ يحملوا أحد عشر غالوناً من الوقود.

أتكفي؟

يجب أنْ تكفي.

قال، مشيراً إليها: "أتريان هذه الحاويات؟ سوف نملأها. سوف يزوّدنا ذلك أحد عشر غالوناً".

"وهل تكفي؟"

ربما. آمل.

"فوستر؟"

اجاب "طبعاً. سوف يكفينا تماماً".

أومأت مادي برأسها، راضية في الوقت الراهن بجوابه.

ثم أضاف "لكن الشيء التالي الذي علينا أنْ نهتم به هو كيف سنحمل هذه الحاويات إلى المركز. فبعد ملئها سوف تصبح ثقيلة جداً. سوف نضطر إلى حملها معاً، واحدة إثر أخرى. أي على ست دفعات".

التفت سال إلى كليهما. "انتظرا، لديّ فكرة".

ارتقوا الدَرَج صعوداً خارج محطة القطار النفقي، رافعين معاً عربة يد مُحمَّلة حاويات مملوءة بالوقود ووضعوها على الرصيف المكسوّ بكسارة الحجر. كانت العربة بدولابيها الكبيرين القديمي الطراز تسير بصورة أفضل على الكسارة والفضلات مما تفعل عربات التسوُّق بدواليبها الصغيرة.

كان الظلام يحلّ. وكان فوستر قد صمّم من أجلهما أنْ يعودوا إلى القاعدة سالمين معافين قبل أنْ تغيب آخر خيوط النهار الشاحبة عن وجه السماء. لكنّ الأمر استغرق منهم زمناً أطول مما توقع.

لا بأس. لقد أصبحوا فوق الأرض الآن، وعلى الرغم من أنْ الغروب يمتد عبر المدينة الميتة، إلا أنّ الثلاثة شعروا بسعادة أكبر وهم في العراء مما كانوا وهم في الأسفل. جرّوا العربة بسهولة أكبر خلال الشوارع المكدسة بالركام، شاعرين بتلك العيون في أثرهم... تراقب وتنتظر.

قال فوستر بهدوء "سنعود إلى مقرّنا قريباً".

أومأت سال برأسها. لم يكن المكان بعيداً جداً. إنه يقع في الشارع الرابع عشر الشرقي المؤدي مباشرة إلى الجادة الرابعة حتى شارع ديلانسي، ومن ثم يساراً عبر الجسر ثم المركز.

كشّرت مادي بقلق.

تمتمت بنبرة غنائية مرتعشة. "أرافق طفلي الصغير للتنزه على طول الجادة. أه - هاه... لا أهتمّ بشيء متوجهة إلى المنزل. أوه حقّاً". تنقّلت عيناها بسرعة من نافذة مظلمة إلى أخرى.

قال فوستر "ما رأيك في أنْ نفعل مثل هذه الأشياء بهدوء؟"
قهقهت، ثم سكتت.
جوّ متوتّر.
طقطقت الدواليب بضجيج عالٍ على الحطام المتناثر.
أجابت بهدوء "أعتقد أننا نتعرّض للمراقبة على أي حال، يا فوستر. قد نتمكن من جعلهم يعتقدون أننا لسنا خائفين".
أومأ فوستر برأسه موافقاً. لعلها على حق في هذه النقطة.
أعلنَ بصوت عالٍ "حسن، أعتقد أننا أنجزنا عمل يوم جيد. لدي شعور بأنّنا قد مررنا بأسوأ ما فيه".
نظرتْ سال إليه. "أتعتقد هذا؟"
"طبعاً. سوف نستعيد الجماعة. سوف أشغّل المولّد، ويبدأ الشحن. وسوف نشرب كوباً ساخناً لذيذاً من القهوة في أثناء انتظارنا. فما رأيكما في هذا؟"
أجابت "رائع!"
سألتْ مادي "متى سنجرب استعادتهما؟"
كالمعتاد قام فوستر بحركة هزّ الكتفين استخفافاً، لكنّ عينيه كانتا تراقبان ظلال المساء التي تستطيل على كلا جانبي الشارع. "أعتقد أننا لن تتمكن من محاولة فتح البوابة إلا بعد مرور أربع وعشرين ساعة".
"أربع وعشرين ساعة!" ارتطم صوت مادي بأقرب الجدران، ثم امتدت تموجاته على امتداد الأطلال المُقفرة للشارع الرابع عشر الشرقي.
ابتسم "ولكنّ، الخبر الجيد هو أننا ستتمكن من بث رسالة إلى وحدة الدعم وليام قبل ذلك بكثير".
قالت سال "تعني بوب، هذا ما اتفقنا على مخاطبته به".
"نعم، أنا آسف... بوب".
"إذن، كيف تعمل آلية بثّ رسالة عبر الزمن تلك بالضبط؟"
"أنا لست فيزيائياً، يا مادلين، لذلك لا تبدئي بطرح أسئلة عليّ. لكنّ

التفسير الذي سمعته هو أنّ الأمر كله يتعلّق بذرات المادة المُسرّعة. وهي الذرات التي تستطيع أنْ تنتقل أسرع من الضوء، وبالتالي تستطيع أنْ تسافر عبر الزمن. فإذا وجّهناها بتقدير تقريبي نحو المكان الذي نتوقع أنْ يكون ليام وبوب فيه، عندئذٍ سوف يعمل البرنامج المبثوث في بوب على تقصّي مكانهما، وحلّ شيفرة الرسالة".

"لكنهما لا يستطيعان أنْ يردّا علينا برسالة جوابية؟"

هزّ فوستر رأسه نفياً. "كلا. الذرات تستطيع أنْ تسافر فقط إلى الزمن الماضي، وليس إلى المستقبل". تابع تسليط ضوء مصباحه على طول الشارع الذي يزداد ظلمة. "نحن نعلم أنهما في موقع ما حول واشنطن، لذلك سوف نوجّه الحزمة السريعة نحو ذلك الاتجاه العام".

قالت سال "إذن الدقّة ليست ضرورية في تسديد الإشارة؟"

"في الواقع، كلما استطعنا أنْ نحقق دقّة أكبر في تسديد الذرات، قلّت حاجتنا إلى الذرات التي نرسلها، وبالتالي إلى طاقة أقلّ. وإذا عرفنا بالضبط أين يقفان، فسوف يستلزم ذلك طاقة أقل بكثير. إذن، إذا جعلنا الرسالة مُقتضبة وقصيرة والشعاع عريضاً... فسوف تعادل بالضبط الطاقة المصروفة".

أومأت مادي برأسها. "أعتقد أنني أفهم. سوف تكلّف قدراً مساوياً من الطاقة إذا كانت لدينا رسالة أطول ولكننا استخدمنا شعاعاً أضيق".

"ها قد فهمت".

ساروا يلفّهم الصمت مسافة أخرى، لا يرافقهم إلا حركة السائل داخل الحاويات التي في عربة الجر وطقطقة دواليها على الرصيف المكسوّ بكسارة الحجر.

قالت سال "آمل أنْ يكون ليام بخير. أعلم أنه لم يمر إلا بضعة أيام على سفره، لكنني أشعر بأنه غائب منذ مدة طويلة".

"هو ذاك... ولكن من وجهة نظره لقد مرّ ما يُقارب ستة أشهر".

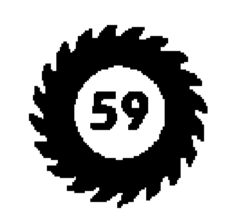
تجهمت. "إنّ هذا شيء شديد الغرابة".

ساروا في صمت مسافة أخرى وهي تتصارع مع فكرة أنّ تجربة ليام في هذه الأزمة امتدتْ على مدى نصف عام. سألتْ سال "إذن... إذن كم بقيتَ أنت مُسافراً عبر الزمن؟ أنتَ عجوز جداً، لذلك أعتقد أنكَ تقوم بذلك منذ فترة طويلة؟"

أجاب "مدة طويلة جداً، يا سال، طويلة جداً".

"إذن، هل هذا كله شيء مفهوم بالنسبة إليك؟"

هزّ فوستر رأسه نفياً ونخر استنكاراً. "بل مفهوم جداً. إنه لا ينفكّ يعبث بعقلي".



1957، معسكر الاعتقال رقم 79، نيو جرزي

كان ليام مُرهقاً. لم تكد تنقضي ساعة على نوبة الصباح في حفر الخنادق على طول مُحيط سياج المعسكر الشائك حتى شعر بالاستنزاف، وبالعجز عن رفع رفشه. لقد تركَتْه ستة أشهر من سوء التغذية، بطعام لا يتجاوز مقداره حمية تُصيب بالجوع، شاعراً بالضعف وعاجزاً عن تحمُّل أي نوع من الجهد الجسدي مدة طويلة.

اتكأ على الرفش، مُحاولاً أنْ يلتقط أنفاسه، مانحاً عضلاته المتوجعة لحظة استراحة. جرى العرق على قفا عنقه، مبللاً قميصه. وشكَّلت أنفاسه الحارة سُحباً أمامه في هواء الشتاء البارد.

همس والاس داخل الخندق معه، "يستحسن الا تدع كول يراك".

كان كول هو أحد أشد الحراسِ افتقاراً إلى الرحمة. في الأسبوع السابق جرَّ رجلاً من خنادق الدفاع التي تُحفَر حول المعسكر وأخذ يضربه بلا توقف بعقب بندقية النبض لأنه توقف ليلتقط أنفاسه. ويقول الخبر إنَّ الرجل مات لاحقاً متأثراً بجراحه.

وعلِمَ ليام من أحد الحراس سبب حفرهم تلك الخنادق الدفاعية حول محيط الأسلاك الشائكة. لقد حصلت بعض الغارات، غارات ناجحة، على أيدي عصبة صغيرة من مقاتلي المقاومة. وقد دُمِّرَتْ عدة معسكرات، وتحرر المعتقلون وقُتِل مُعظم الجنود الذين كانوا يحرسونها. وانتشرت شائعة بين

الحراس مفادها أنّ أولئك المقاتلين يقودهم مخلوق شيطانيّ. شاعت أوصاف مختلفة لذلك المخلوق؛ فبعض الحراس الذين نجوا وصفوا عملاقاً بطول يفوق ثماني أقدام، يبرز من رأسه قرنا شيطان. وشاهد آخر وصف ذلك الشيطان بأنه مصنوع من حديد، ومع ذلك قادر على الانتقال بسرعة مفزعة وبخفّة نمر.

بل إنهم خلعوا لقباً على ذلك الشيء،

Der Eisenmann، أو الرجل الحديدي.

أحد الحراس على بُعد مسافة من الصف لمح ليام متكئاً على رفشه فصرخ يُصدر أمراً حاداً إليه.

"Weiterarbeitn, Du Amerikanischer Haufen Scheiße?"

فباشر الحفر من جديد، مرتاحاً لأنّ الرجل لم يكن كول.

همس والاس "أوكنر، سوف تتعرّض للقتل إذا ضبطوك متراخياً هكذا مرة أخرى".

إنه على حق.

لقد جعلتهم الشائعات عن الرجل الحديدي متوترين. كان ليام يرى الخوف في عيونهم وهم يمسحون أشجار الأفق عن بُعد، منزعجين لوجودهم خارج نطاق سياج الأسلاك الشائكة للمعسكر.

الرجل الحديدي.

لقد مرّ وقت طويل على وجود ليام هنا، حتى إنه بدأ يعتقد أنّ الفترة القصيرة التي أمضاها في ركوب الزمن كانت من اختلاق مخيّلته. إنّ ركوب الزمن كان مجرد وهم... وربما حتى حياته، وطفولته في إيرلندا، وفترة عمله على متن التايتانيك، هذه الأشياء كلها كانت أشبه بالحلم. في الواقع، لعل هذا المعسكر الرهيب، ورفاقه من المعتقلين الجائعين بأسمالهم الرمادية، وصفّ أكواخ الخشب المنخفضة الطويل، هو عالمه الحقيقي، حياته الحقيقية.

ولكن بعد ذلك سمع عن تلك الشائعات عن الرجل الحديدي. وظهر على السطح أمل بائس، احتمالٌ كان مُستبعَداً، هو أنْ يكون بوب، بنحو

ما، وراء قصة الرجل الحديدي تلك. وكره نفسه لأنه سمح لذلك القبس من الأمل أنْ يومض لحظة وتُبعَثُ فيه الحياة. وحاول المنطقُ أنْ يُخبره أنَّ ذلك الهراء عن الرجل الحديدي ليس أكثر من ثرثرة متشائمة يتداولها جنود خائفون وغير معتادين البتّة أنْ يكونوا على الجانب الخاسر في أي نوع من القتال.

ستبقى هنا إلى الأبد، يا ليام. والآن، عليك أن تعتاد ذلك جيداً.

ولكن هذا أمر صعب. صعب ألا يأمل بأنْ يظهر فجأة ذات يوم، من دون سابق إنذار، جسم خفّاق إلى جواره، ويظهر فوستر وبوب والفتاتان ويأخذانه معهم.

كفى! لن يأتي أحد لإنقاذك الآن. لقد مرت ستة أشهر. لا أحد سيأتي.

خمسة أشهر وثلاثة أسابيع. مئة وخمسة وسبعون يوماً. إنه يعرف بالضبط كم مضى من الوقت... كان أحد المعتقلين يعمل عامل تنظيف في مكتب القائد قد لمح تقويماً على طاولة مكتبه. والمعتقلون يتعقّبون مسار الزمن – يُعلّمون الأيام التي تمر عليهم هنا، وتبدو متشابهة ولا تنتهي – من خلاله.

همس والاس "هل أنت على ما يرام هناك؟ لا ينبغي أنْ تفقد الأمل، يا فتى. إذا فقدتَ الأمل... تموت".

كان على حق. إنّ الشائعات المهموسة، والأحاديث المُسترقة بين الحراس مثّلتْ خيطاً من الأمل، وساعدتهم على الاستمرار والبقاء أحياءً.

التفتَ ليام إلى والاس وابتسم له ابتسامة صغيرة، واهنة. "أنا بخير".

أجاب بهدوء "أتعلم يا بنيّ... سوف تتحسن الأمور". تمددت لحيته السوداء، الكثّة بابتسامة. "لن يقبل الشعب الأميركي بهذا الوضع. سوف يُقاوم. أنا متأكّد".

أخذ ليام يتساءل بشأن هذا. حسب ما سمعت، كانت المعسكرات ممتلئة بأولئك الناس الذين يمكن أنْ يكونوا قد نظّموا أو قادوا ما يشبه حركة مقاومة: ضباط جيش، قادة مدنيون، أعضاء في الكونغرس، مُحامون،

ومعلّمو مدارس، وبروفسورات جامعيّون، ومُحرّرو صحف. الباقي... الذين حُرّروا وتُرِكوا ليواصلوا حياتهم ما داموا لا يمثّلون تهديداً لسادتهم الجُدد، لن يُجازفوا بحياتهم، وبحياة عائلاتهم، ما بقي لهم ما يُشبه الحياة الطبيعية.

في استطاعة ليام أنْ يرى خطة الفوهرر بجلاء تام؛ إنه يحتجز كل المُشاغبين المُحتملين، ومن ثم فإنه إما يُجوّعهم أو يستنزفهم بالعمل حتى الموت. وفي كلا الحالتين لن يروا العالم الخارجي بعد ذلك أبداً. في تلك الأثناء، سوف يعتاد باقي السكان نظام الحكم الجديد، وإطاعة سادتهم الجُدد، إلى أنْ ينسوا معنى الحرية، وما دام قائدهم الجديد - الفوهرر - يستمر بطمأنتهم إلى توافر الطعام والماء والكهرباء. ماذا سمع احدهم يتمتم في الليلة السابقة في مهجع النوم؟

"... ما دام أولئك الألمان يُحافظون على عمل الحافلات، وعلى المحال مزدحمة بالبضائع، ودور السينما تعرض أفلام رعاة البقر، ومباريات كرة البيسبول بين كبار الفرق تجري حسب برنامجها، ويستطيع المواطن أنْ يحصل على نصيبه من السجق الفاخر المغطى بالبسترما وصلصة البندورة من البائع، فإنْ الناس سيكونون راضين.بما يكفي ليدعوا الأمور تسير كما هي. سوف ينسون أمرنا نحن هنا..."

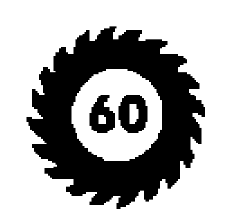
قد يكره الذين في الخارج أنْ يُحكَموا، ولكن ما دامت أُمورهم تسير بانتظام، ويبقون مرتاحين بالقدر الكافي، فلن يثوروا أبداً.

نحن عالقون هنا... إلى الأبد.

وفجأةً

على بُعد بضع ياردات انفجرت كتلات حارة من التربة الموحلة وتناثرت عليه.

"آه؟"



1957، معسكر الاعتقال رقم 79، نيو جرزي

شعر ليام بذلك أكثر ممّا سمعه.

انفجر شيء آخر قريب وضربه على صدره برفق.

ارتفعت كتلة حارة من التربة والثلج في الهواء على بُعد بضع ياردات منه. ثم أخرى على مسافة أبعد. ثم أخرى.

صرخ أحدهم من الخندق "قذائف الهاون تنهال علينا!"

من صف الأشجار عبر الحقل شاهد وميض ضوء وسط الشجيرات، وبعد برهة سُمعت فرقعة متنوعة من إطلاق النار إلى جانب المعتقلين.

كان ردّ فعل الحراس فوري، فهبطوا إلى الخندق وبادلوا إطلاق النار بمثله على الأشجار. وفي الحال أصدر أحد الضباط أوامره إلى عدد من رجاله بمرافقة المعتقلين والعودة بهم إلى الداخل فوراً.

أخذوا يصيحون مُصدرين الأوامر إلى المعتقلين على عجل، ويُطلقون النار عليهم من بنادقهم. صرخ أحدهم "على المعتقلين الدخول، في الحال! تحركوا... تحركوا!! Schnelll (بسرعة!)".

نفّذ ليام ما أُمر به، مُبقياً رأسه منخفضاً وهو يركض على طول الخندق.

قفزت كتل من التربة في الهواء فوق رأسه مباشرة بينما الطلقات تنهار عبر الحقل.

استقر عدد آخر من كتل التراب المتفجرة على كلا جانبي الخندق ناثرة

عليهم كل التراب المبلل. هتف أحد المعتقلين بزي جنود البحرية الزيتوني اللون يقف أمام والاس مباشرة: "إنها قذائف هاون الجيش الأميركي!"

صرخ الحراس بأصوات حادة فيهم كي يُسرعوا، وسرعان ما وجد ليام نفسه خارج الخندق ويجري إلى داخل المجمع من خلال بوابات مفتوحة، يتبعه عدد آخر من الجنود.

صفعه والاس من الخلف على كتفه، وهو يُكشّر ويلهث في وقت واحد. "ماذا قلت لك، يا بنيّ؟"

كانت عيون الحراس الواقفين بالقرب منهم مركزة على تبادل إطلاق النار الذي يتكثّف باطراد في الحقل، وبحذر على المعتقلين المبتهجين. وكان جلياً لليام أنهم متوتّرو الأعصاب. كان قلقهم من تزايد الابتهاج بين المعتقلين داخل المعسكر يعادل قلقهم من المهاجمين بين صف الأشجار.

صاح والاس صيحة انتصار نحوهم "نعم! إنهم قادمون إليكم، يا أكياس القذارة!"

التفت عدد منهم إليه، وعيونهم تنتقل بسرعة بين والاس وحشد المعتقلين المتزايد الذين يخرجون من أكواخهم إلى الفناء ليروا ما يحدث.

هلّل والاس عن بُعد للمهاجمين "تعالوا! تعالوا واقضوا على هؤلاء الألمان!"

قبض ليام على ذراعه. "والاس، هيه، اهدأ!"

استقرت قذيفة هاون بين عدد من الحراس داخل الخندق في الخارج، ونسفتهم أشلاءً دامية. هلّل والاس مع عدد من المعتقلين مبتهجين بأصوات عالية، ضاربين الهواء بقبضات أيديهم بفرح.

ظهر آمر المعسكر من كوخه مهرولاً، يحفّ به عدد من الحراس الآخرين. دار بينهم حديث مُقتَضَب وسريع وأعلى من ضجيج المعركة المتزايد. أشار بيده نحو الحشد المتزايد من المعتقلين الساخرين. وأومأ الحراس المحيطون بهم برؤوسهم رضوخاً لأوامره ورفعوا بنادقهم ببطء.

استشفّ ليام من تعبير وجه القائد الهادئ، الخالي من الرحمة، أنه أعطى

انْوَه أمره بإعدامهم جميعاً في الحال. وبدا أن لا أحد من المعتقلين لاحظ ذلك، لأنّ عيونهم كانت تنظر إلى تبادل إطلاق النار عبر الحقل في الخارج.

يجب أن أركض... اركض الآن!

بدأ ليام يشق طريقه بصعوبة عائداً من خلال المعتقلين المتحدين والساخرين، بينما الحراس يرفعون بنادق النبض بصمت.

يا - إلهي.

لفتت قعقعة البنادق وهي تُعَدُّ للإطلاق انتباه باقي المعتقلين، فارتدَّتْ عيونهم بسرعة إلى صفّ الحراس. وقبل أنْ يصدر عنهم أيّ ردّ فعل، صاح القائد بكلمة واحدة، "Feuer!" (نار!).

أطلق الحراس النار.

فجأة دبّت الحياة في الهواء المحيط بليام بصفير الرصاص المنهمر حوله، والسقوط المكتوم القاسي للأجساد المُصابة، والشهيق المخنوق للساقطين والمُحتضرين، وصرخات الجرحى والمذعورين.

أخذ يتعثّر عائداً من خلال الحشد المرعوب، متوقعاً أنْ يشعر في أي لحظة بضربة قاسية حادة يتلقّاها بين كتفيه، تدفع الهواء، بقوة من رئتيه وتطرحه أرضاً على الثلج المتماسك والبرك الموحلة.

انتهى الوابل الأول من الرصاص مع قعقعة عندما فرغ الخزان من الذخيرة، وبدأ الحراس بملئه من جديد. في أثناء فترة الصمت، امتلأ الجو بالأنين والصراخ والعويل، وبضجيج القتال المقترب عبر الحقل.

أدركَ ليام أنه لم يكن يركض. كان راكعاً على رُكبتيه في الوحل تحيط به الأجساد المرتعشة والمُصابة.

اركض!

نهضَ متعثراً على قدميه، وأخذ يتجاوز الأجساد من حوله أو يطأها. ألقى نظرة خلفه ليرى إنْ كان الحراس قد انتهوا من ملء بنادقهم وبدأوا بتسديد ماسوراتها نحو مَنْ تبقّى من المعتقلين الذين ما زالوا يقفون على أقدامهم. وكانت معظم من يقفون على أقدامهم ثابتين في أماكنهم من تأثير

الصدمة، والآخرون الذين كانوا في خلفية الحشد باشروا الركض، مبتعدين بخطى متعثرة عن الحراس، باتجاه أبواب أكواخهم المفتوحة.

بدأ الحراس بإطلاق النار من جديد من دون انتظار الأمر، واخذوا هذه المرة ينتقون أهدافاً منفصلة بوابل قصير من الطلقات، يُصوّبون ويُطلقون النار آلياً... يصوّبون ويُطلقون النار... كأنهم أناس آليّون، يُطيعون الأوامر الصادرة إليهم من دون تفكير.

نهضَ ليام من مربضه لكي يباشر الركض ويهرع إلى أقرب كوخ. لمح أحد الحراس مُمايِل الحركة فوجّه ماسورة البندقية نحو ليام. مرّت عدة طلقات تصفر وتجاوزته - قريبة، بل قريبة جداً - من فوق رأسه، بينما كان ينخفض، ويترنح ويسقط على سجادة مجعّدة من الموتى والمحتضرين نحو الباب المفتوح لأقرب كوخ.

سقط في الداخل المظلم وزحف على يديه ورُكبتيه عبر الأرضيّة الخشبية الخشنة لكي يختبئ تحت أقرب الأسرة الخشبية.

في الخارج استمر إطلاق النار برشقات متقطعة، قصيرة، طويلة ومنفردة، للإجهاز على الجرحى، بينما الجنود يتقدمون بين الأجساد. في تلك الأثناء، كان هدير إطلاق النار المتبادل عبر الحقل في الخارج يزداد قُرباً. سمعَ ارتطام قذائف الهاون المكتوم، وهذه المرة داخل محيط المعسكر.

سمع صراخ رعب حاد من الحراس.

أخذ ليام يُصلّي. لم يكن يفعل ذلك في الغالب. بل نادراً ما فعل، في الحقيقة. لقد أخذتْ أمه وأبوه وكل معلم في المدرسة درس على يديه ينهالون بمبادئ التدّين المتشدد على رأسه منذ ولادته، و لم يتمكنوا من التأثير عليه. أما الآن فكان يُصلي من دون أدنى شك، مبتهلاً إلى الرب كي لا تدع أياً من أولئك الجنود في الخارج يُقرر أنْ يُبرِز رأسه من الباب المفتوح ويُجهِز عليه.

سمع وقع جزمات ثقيلة تضرب الوحل في الخارج، ثم تهرع متجاوزة الباب المفتوح. لقد كان انتباه الحراس متركزاً على المهاجمين المقتربين،

وبدأوا يتخذون أوضاع الدفاع مع وصول ضجيج إطلاق النار المتبادل إلى مرحلة مُكثَّفة.

بدا كأنَّ القتال عندئذ قد أصبح داخل نطاق المعسكر نفسه.

فجأةً، اخترقت جدران كوخه المصنوعة من صفائح الخشب الرقيقة سلسلة من ثقوب الطلقات، مُبعثرة رذاذاً من شظايا الخشب على الأرض، وتاركة صفاً من أشعة الشمس يتسرب، مخترقة الهواء.

ثم انفجار آخر، وهذه المرة يصمّ الآذان، وسط الطين والجثث خارج الكوخ مباشرة، مُرسِلاً رذاذاً من التربة إلى الداخل من خلال الباب المفتوح.

كان الحراس يصرخون بالألمانية. ليس بنبرة إصدار الأوامر لجنود محترفين، بل صراخ رعب صرف.

"Der Eisenmann! Das ist der Eisenmann!" ("الرجل الحديدي! إنه الرجل الحديدي!").

"Töten Sie ihn! Töten Sie ihn!" ("اقتلوه! اقتلوه!").

سمع ليام الهدير المفزع للصراخ الطويل الذي انتهى فجأةً بصوت تمزق لحم، ثم صرخات أخرى. وسُمع في أرجاء المُجمع رنين أصوات أميركية، خافتة.

"اقتلوا الحراس! اقتلوهم جميعاً!"

ثم إطلاق نار وأقدام تطأ أشد الأرض المشبّعة بالدم في الخارج مُحدثة "طرطشة". "أنتم أيها الرجال! اقتلوا هؤلاء الحراس... إنهم يهربون! اقضوا عليهم! لن نأخذ معنا أياً من هؤلاء القذرين سجيناً، أتفهمون؟ ولا واحداً منهم!"

رغبَ ليام في أنْ يخرج من تحت السرير، لكنَّ الخوف أبقاه منكمشاً على نفسه في الظلام. كان لا يزال هناك الكثير من إطلاق النار تتردد أصداؤه في أرجاء المعسكر، وأصوات رجال مُزمجرة بغضب أُصيبوا بالرعب من مشهد المجزرة في المُجمع.

"آآه يا إلهي..."، هكذا سمع أحد الرجال في الخارج يصرخ. "لقد

ذُبحوا جميعاً. لقد استطاع أولئك الحثالة أنْ يقتلوهم قبل أنْ تتمكن من إنقاذهم... لم يحدث أبداً... أنْ رأيتُ... أووووه يا إلهي".

انتهى صوت ألماني بعيد يناشد... "Nein! Nein! Ich ... ich habe niemanden erschossen" ... بفرقعة طلق ناري تردد صداه بين صفوف الأكواخ. وسمع صوت ألماني آخر يُناشد أسكته رصاصة واحدة أبعد قليلاً عبر المجمع. ثم طلق ناري بعيد مع استمرار القتال في مكان ما على الجانب الثاني من المعسكر.

"هل ليام أوكنر هنا؟"

كان ذلك صوتاً رتيباً خالياً من أي انفعال.

"هل ليام أوكنر هنا؟"

أصبح أعلى، وأقرب، كهدير البوق، وخال من أي تنوُّع.

"هل ليام أوكنر هنا؟"

سمع الوطء الثقيل الرطب لجزمة في الطين خارج الباب مباشرة ومن ثم غمر الكوخ ظلام دامس عندما خطا جسم ضخم مجتازاً ممر الباب، سادّاً كل شيء ما عدا أرفع خيط من الضوء.

"هل ليام أوكنر هنا؟" هدر الصوت بضجيج يصمّ الآذان داخل الكوخ.

كان ثقل وطأة الموقف من الشدّة بحيث لم يتمكن من إبداء ردّ فعل. وأقنعَ نفسه بألا يرى ذلك القرد الآلي الضخم مرة أخرى. واستغرق من الحقيقة برهة لتستقر فيه.

تلكّا بوب برهة أطول ثم خرج من الباب.

هتف ليام بصوت ضعيف، زاحفاً على أربع ليخرج من تحت السرير "بوب! بوب! انتظر! أنا هنا!"

مال كتفان عريضان يتوّجهما رأسٌ صغير تعلوه كتلة من التراب بنيّة بلون الجوز نحو الخلف وداخل الكوخ. "ليام أوكنر؟"

نظر ليام إلى أعلى. "ما أسعدني برؤيتك من جديد، يا بوب".

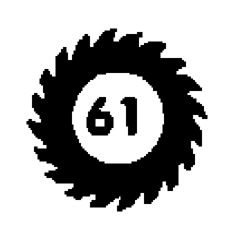
خطا وحدة الدعم إلى الداخل ومن ثم ربض على كفليه، مُدققاً في

الشكل الهشّ لليام على الأرض، وعيناه الرماديتان الهادئتان تعتادان بسرعة ظلام الداخل.

كاد ليام يُقسم أنه رأى، في تلك اللحظة من التعرُّف، بينما حاسوب دماغ بوب يؤكّد هوية ليام البصرية ويطابِق نبرة صوته المُميَّزة، دمعةً في هاتين العينين الرماديتين، البليدتين والخاليتين من أي تعبير.

ثم، طبعاً، دمَّر تلك اللحظة العاطفية من التئام الشمل بالزمجرة بلا أي انفعال، "تمّ التعرُّف إلى الهدف بنجاح".

أجاب ليام بوهن "وأنا أيضاً سعيد برؤيتك، يا بوب"، كابحاً دموعه وراسماً ابتسامة واسعة قدر استطاعته.



2001، نيويورك

تذمّرت سال "إنّ المكان يفوح برائحة كريهة هذه المرة. رائحة شيء متفسّخ".

أدار فوستر ضوء مصباحه في أرجاء المكان. لم يكونوا قد ولجوا الغرفة الخلفية منذ أنْ انقطع التيار الكهربائي مرات عدة. تنقل ضوء المصباح عبر صف من أنابيب الولادة البلاستيكية الكبيرة على طول الجدار الخلفي.

قال "إنهم هم. لقد ماتت أجنّة الأنابيب داخلها".

اقتربت سال منها. وحدّقت من خلال البلاستيك الضبابي إلى الأشكال القائمة داخلها – الأجنة، الطفل الوليد، الصبي الصغير، والفتى المراهق.

"كلهم ماتوا؟"

أومأ فوستر برأسه إيجاباً. "لقد توقف جهاز الترشيح عن العمل. يبدو أنّ دفقها تراجع وسمَّمَ المحلول المُغذّي".

"ما معنى هذا؟"

قالت مادي من باب المساعدة وهي تصبّ ملء حاوية من الديزل في المولّد، "لقد اختنقت ببرازها. هيه، فوستر، أأنت واثق من أنّ هذا هو الوقود الذي أصبّه في هذا الشيء هو المناسب؟ كيف تعرف إنْ كان يعمل بالديزل وليس، مثلاً، بالبنزين؟"

اقترب منها. "إنه يعمل بالديزل. لكننا سنعرف إنْ كان النوع الصحيح أو لا قريباً".

قالت مادي "كان جدّي يحتفظ بمولّد في قبوه، وكان شديد الدقّة بشأن
نوع الوقود الذي يصبّه فيه... يعمل بضربتين أو ما شابه. كان يقول إذا
سكبت فيه النوع الخطأ من الوقود فسوف ينتهي الأمر بالمكربن إلى الانسداد
أو ما شابه. ويكلّف إصلاحه مبلغاً كبيراً من المال".

هزّ فوستر رأسه. "ما دام هذا المولّد يعمل مدة كافية لإخراجنا من هذه
الورطة، فسأكون سعيداً. وإذا اختنق فينبغي استبداله، وعندئذ نقلق بهذا
الشأن، اتفقنا؟"

قالت مادي وهي تهز كتفيها استخفافاً، "اتفقنا".

انتهى فوستر من إفراغ آخر حاوية وأغلق الغطاء، في خزان المولّد. قال
"حسن"، وهو يلعق شفتيه، "حسن إذن... فلنتمنّ حُسن الحظ".

ضغط على عتلة يدوية على جانب المولّد مرات عدة، ومع كل جهد
مبذول لشدها إلى أسفل كان ينخر. وبعد أنْ نظر مرة أخيرة إلى مادي، ضغط
بقوة على زر في المقدمة. سعل المولّد عائداً إلى الحياة ودار على مضض عدة
مرات قبل أنْ يبقبق ويهمد.

قالت مادي "حسن، هذا لا يبشّر بالخير".

قال بإيماءة من رأسه غير مُقنعة، "إنه فقط يتنحنح، لا أكثر". وشدّ العتلة
مرات عدة، ولهث من عزم المحاولة، ثم ضغط الزر من جديد. ومن جديد
عاد المولّد إلى الحياة، ولكن هذه المرة بحماسة أكبر. وبعد بضع ثوانٍ خطرة،
أصدر إيقاع انفجار بطيء، ثم بدأ يُسرع. تحول ضرب المولّد البطيء المكتوم،
الشبيه في أول الأمر بضربات قلب عملاق، إلى طعنات سريعة، ثم إلى هدير
مدوّ ملأ الجزء الخلفي من الغرفة بضغطه الصامّ للآذان.

تنحّى فوستر إلى جانب الآلة المهتزة وضغط على بعض فواصل الدارة
على لوحة الصمامات. أضاء مصباح في السقف مغطى بشبكة عنكبوت،
وفرش الغرفة بضوء أحمر خفّاق.

هللت مادي "ييه! لقد نجحنا!"

أومأ فوستر برأسه موافقاً ورسم ابتسامة عريضة، وقد بدا عليه الارتياح

الصريح. وهتف بصوت عال "إذن عادت إلينا الطاقة الكهربائية"، محاولاً أنْ يتفوق على ضجيج المولّد.

التفت إلى سال، ولا يزال يُحدّق إلى الجثث في الأنابيب، "هيه، سال، استبشري! نحن في سبيلنا إلى استعادة الآخرين!"

استدارت لتنظر إليه، عيناها حمراوان ومبللتان. "لكنَّ الأوان قد فات بالنسبة إلى هؤلاء".

هزَّ رأسه نافياً بحزم. "على الرغم من أنهم يبدون كالبشر، إلا أنكِ يجب أنْ تنظري إليهم على أنهم كذلك، إنهم ليسوا أكثر من آلات تلبس لحماً، يا سال، لا أكثر"، ثم أضاف مُشيراً نحو الباب المنزلق المعدني المؤدي إلى القنطرة، "هيا، فلندع آلة الإزاحة تتشحن".

قادهما إلى الخارج، والتفتت سال مرة أخيرة إلى الأنابيب قبل أنْ يخرجوا.

سألتْ "ماذا ستفعل بهم؟"

"سأتدبر أمرهم، لا تقلقي بشأنهم".

"ولكن ماذا ستفعل بهم؟"

هزَّ فوستر رأسه مستنكراً. "إنَّ لدينا شؤوناً أهم بكثير نشغل تفكيرنا فيها الآن".

أغلق الباب على الرائحة وهدير المولّد الصاخب وسجل ملاحظة ذهنية لكي يُعد تفكيره في الأجساد المُستنسخة بعد أنْ استغرقت سال في النوم. لا ينبغي أنْ تراه وهو يُخرج تلك الجثث.

اقترب من الآلة المجاورة للأسطوانة البلاستيكية، وضغط على زر. أضاء صف من المصابيح الحمراء. الأول أضاء على الفور وتحول لونه من الأحمر إلى الأخضر.

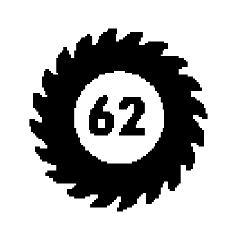
قال "حسن، إنه يشحن".

انضمَّ إلى الفتاتين المسترخيتين على الأرائك حول طاولتهم التي تملؤها الفوضى. قال "لقد قمنا بالكثير، وما زال أمامنا عمل أكثر ننجزه. عندما

...حن الآلة بالقدر الكافي، سوف نحتاج إلى إرسال الرسالة إلى بوب.
، طبعاً يجب أنْ نُحدد بالضبط أين ومتى نفتح نافذة العودة. أما الآن..."،
، ..هد، "الآن... أستطيع أنْ أقضي على كوب من القهوة".

رفعت الفتاتان نظرهما إليه، كئيبتان ومتعبتان. قالت مادي "هذا ما
..حتاج إليه بالضبط".

استقرّ فوستر بارتياح على كرسيه، وقد شعر فجأة بأنه عجوز بعمر
التلال. "هيا، إذن، دور مَنْ الآن في إعدادها؟"



2001، نيويورك

قال فوستر "كلما قصُرَت الرسالة التي نحاول إرسالها، قلَّتْ الطاقة التي نستهلكها. يجب أنْ نلجأ إلى المُختَصَر المفيد. بهذه الطريقة نستطيع أنْ نستهلك المزيد من طاقة السرعة المتفجّرة في إحداث انتشار أوسع للذرات".

تجهّم وجه سال. "ما زلت لا أفهم".

حكّ فوستر ذقنه التي تحمل لحية كثة، عمرها بضعة أيام، من الشعر القاسي الأبيض والرمادي. إنّ أول ما ينوي أنْ يفعله فور عودة الأمور إلى نصابها هو أنْ يحلق ذقنه حلاقة كاملة.

كانت فكرة إطلاق أشعة من حبيبات دون–ذرية إلى الماضي في الزمان صعبة الفهم عليه في المرة الأولى عندما جُنّدَ لركوب الزمن. والحقيقة كان كثير من المفاهيم، والتقنيات، والبدع، غريب عليه. وقد كافح عقله الغض كثيراً ليستوعبها، لكنه نجح في ذلك.

قال "اسمعي، إنّ الأمر هو كما يأتي. إنّ ما نفعله في الحقيقة هو أننا نرشّ منطقة من أميركا في الماضي، تعود خمسين سنة، برذاذ من جسيمات دقيقة – هذه المُسرّعات. فإذا علمنا بدقّة أين يقف بوب في وقت معيّن، نستطيع أنْ نُسدد جهاز الإرسال إلى تلك النقطة ونُطلق الرسالة مُستخدمين مقداراً ضئيلاً جداً من الطاقة، ولا نحتاج إلا إلى إرسال عدد قليل من تلك

الجسيمات المُسرّعة. ومع ذلك، نحن لا نعلم أين هو بوب الآن. ليس في حوزتنا إلا اتجاه عام.

قالت مادي "ولكن لماذا لا نُسدد الشعاع إلى الموقع والنقطة من الزمن اللتين أرسلناهما إليهما؟ كما تعلم... إنّ الجهة الأمامية من البيت الأبيض هي مرج، أي... بعد أنْ وصلا إلى هناك بثلاثين ثانية، لن يتمكنا من الابتعاد كثيراً في غضون، لنقُل، نصف دقيقة".

قال فوستر "هذا صحيح، ولكن على هذا الأساس لم يتمكنا من جمع أي معلومات استخبارية مفيدة في غضون ثلاثين ثانية. كنا سنعود من حيث بدأنا، من دون أنْ نزداد عِلماً وخالي الوفاض من معلومات نعمل على أساسها".

نظر إلى الآلة المجاورة لأنبوب البلاستيك. بيَّن صف الأضواء الحمراء الخفّاقة أنّ آليّة الإزاحة لا يزال أمامها الكثير لتنشحن بما يكفيهم.

قال، وهو ينظر إلى كلتيهما مع تعبير صارم على وجهه، " اسمعا، ساكون صريحاً معكما. إنني في الحقيقة لا أعرف بعد إنْ كنا ستتمكن من إعادة واحد منهما، فما بالكما بالاثنين. المشكلة هي - وهذا أمر غاية في الأهمية - أنّ علينا أنْ نأمل أنْ يكونا قد عثرا على ما يكفي في الماضي بحيث يتمكنا من إخبارنا متى بالضبط وأين انحرف هذا التاريخ الخاطئ عن مسار تاريخنا. لأنه قد لا يبقى لدينا من الطاقة إلا ما يكفي محاولة واحدة عند استعادة أحدهما. محاولة واحدة فقط".

رشف رشفة من إبريقه.

"فقط محاولة واحدة لوضع الأمور في نصابها".

قالت مادي بهدوء "هذا صحيح".

"إذن، نحن نعلم أنهما فشلا في اللجوء إلى نافذة العودة، وإلى نافذة الدعم بعد ذلك بساعة... وأيضاً نافذة الدعم الأخيرة بعد مرور أربع وعشرين ساعة. وهذا يعني أنهما وقعا في مشكلة. ولكنَّ هذا لا يعني بالضرورة أنه أمر سيّئ".

بدا الاكتئاب على سال. "أليس كذلك؟"

"كلا. من خبرتي عبر السنين كعميل، مواجهة المشاكل أمرٌ يتعلّق حتما بالطريقة التي يتعلّم بها المرء الأشياء". ابتسم فوستر. "كلما ازدادت المشاكل التي يقعان فيها، تعلما ربما أكثر عن عالم عام 1956".

قالت مادي "هذا إذا كانا لا يزالان على قيد الحياة".

"إنّ ليام فتى واسع الحيلة، وسريع التعلم. ووحدة الدعم إلى جانبه. إذن... هما يؤلفان ثنائيا متيناً. إنّ قتل عزيمة أي منهما يتطلّب جهداً جبارا. وأعتقد أنهما نجحا في إيجاد وسيلة للاحتماء، لجمع المعلومات وانتظار وصول رسالة منا".

سألتْ سال "إذن... ما فحوى الرسالة التي ننوي إرسالها إليهما؟"

نظر فوستر إليها. "لقد أرسلنا إليهما منصة زمن: موقعاً ولحظة في الزمن يستطيعان أنْ يلجآ إليهما".

"صح".

"نستطيع أنْ نفترض أنهما بقيا في منطقة واشنطن".

قاطعته مادي "أمتأكد أنت؟ إيمكننا أنْ نفترض هذا؟"

"نعم، لأنه أمر معقول. سوف يفترض بوب أننا سنسترجعهما من تلك المنطقة تقريباً. لذلك سوف يبقى قريباً من البيت الأبيض ما دام ذلك تصرفاً آمناً".

قالت مادي، وعلى وجهها مسحة من الشك، "إننا نقوم بالكثير من التخمين في هذا الشأن".

"أخشى أنّ التخمين هو كل ما نملك".

لم تبدُ السعادة على أي من الفتاتين بهذا.

قال "اسمعا، إليكما الخطة. سوف نشغّل جهاز الحاسوب، ونفتح خريطة واشنطن، ونحاول أنْ نعثر على شارع خلفي هادئ ليس بعيداً كثيرا عن البيت الأبيض... فلنقُل ضمن مساحة ميل أو اثنين. هناك سيكون المكان الذي سنفتح فيه نافذة العودة. سوف ندوّن الإحداثيات، ونوجّه الحواسيب

إلى الماضي، بما أنها تستمد الطاقة من المولّد، وسوف نحصل على ما نريد".

"حسن".

"والجزء الآخر من الرسالة هو عن الزمان. وهذا هو الجزء الذي ينبغي أنْ نكون دقيقين في تخمينه".

اقترحتْ سال "ما رأيك في يوم الدعم الذي أرسلناه بعد مرور أربع وعشرين ساعة؟"

"ممكن... لكنهما إذا فشلا في إدراكه، فذلك يعني أنَّ هناك ما منعهما من الوصول إلى هناك. وفي رأيي أننا يجب أنْ نعطيهم المزيد من الوقت".

"شيء منعهما؟"

هزّ فوستر كتفيه استخفافاً. "أشياء كثيرة. لعلّ بوب أو ليام أُصيب بجرح، أو بضعف أو إعاقة بنحو ما... وعجز عن الحركة. لعلهما اعتُقلا. لعل المنطقة معزولة أو خطرة".

سألتْ سال "إذن، بعد كم من الوقت بعد ذلك؟ بعد يومين؟ أم ثلاثة؟"

زمَّ شفتيه. "قدر ما في استطاعتنا. إننا لا

نعرف أين موقعهما، وكم يحتاجان إليه من تخطيط أو فترة شِفاء للوصول إلى ذلك الموقع".

سألتْ مادي "عن كم من الوقت نتحدث هنا؟ أسبوع؟"

أجاب "عن المدة القُصوى للمهمة. عن ستة أشهر".

نزعت مادي نظارتها وراحت تمسح العدستين بشرود. ضيّقت عينيها. "المدة القصوى للمهمة؟ لقد سبقَ لك أنْ ذكرتَ هذا مرة من قبل".

كرر فوستر "المدة القصوى للمهمة ستة وعشرون أسبوعاً، ستة أشهر. هذا هو الموعد الأخير لموت وحدة الدعم".

قالت مادي "الموعد الأخير للموت؟ لا تعجبني نبرة هذا التعبير".

"إنَّ وحدة الدعم، أو بوب، مُبرمج على تدمير نفسه إذا لم يرجع إلى الزمن الحاضر بعد مرور ستة أشهر".

سألتْ سال "لِمَ؟"

"لكي نمنعه من الوقوع بين الأيدي الخاطئة... لكي نمنعه من أنْ يُصبح سلاحاً خطراً".

"خطراً؟"

"إنَّ عقله يتألف من ذكاء اصطناعي متكيِّف. إنه برنامج قابل للتعلُّم. تخيّلي لو أنَّ بوب وقع في أيدٍ خاطئة. تخيّلي لو أنَّ برنامج بوب بدأ يتعرَّف إلى العالم من خلال شخص شرير، أو مجنون. تخيّلي لو أنَّ بوب تعرَّف إلى العالم من خلال شخص مجنون تماماً كالإمبراطور الروماني كاليغولا، أو استخدمه نابوليون، أو جنكيز خان كسلاح".

أخذت الفتاتان تفكران في الاحتمال في صمت.

تابع فوستر "والأسوأ من هذا أنه بما أنَّ أعضاء جسمه الحيوية لا تشيخ، شريطة أن يستطيع الأكل، ففي وسعه أنْ يعيش إلى الأبد، رجلاً قوياً، من المستحيل تقريباً قتله، ولا يشيخ أبداً. فكرا في هذا! إنَّ شيئاً كهذا يمكن أنْ ينتهي به الأمر - خاصة في أيام عصر الخرافات - إلى أنْ يُعبَد بوصفه... يعني، إلهاً".

همست مادي "أراهن على أنَّ ذلك الأبله سوف يُحبّ هذا".

"المهم في ذلك هو أنَّ ترك وحدة دعم في التاريخ فكرة سيئة للغاية. لذلك هي مبرمجة لتدمّر نفسها بعد مرور ستة أشهر".

عبست سال "فما الذي سيفعله بوب؟ هل سيفجر؟"

"لن تكون نهاية فخمة كثيراً. سوف تضعف دارات حاسوب الدماغ ويحترق. لن يبقى منه غير كتلة من المعدن لا نفع فيها لأحد".

قالت مادي، وهي تأتي على ما تبقّى من قهوتها، "ويحترق الحاسوب، وبذلك يُقضى على بوب؟"

"ليس بالضبط. عندما يخلو رأس وحدة الدعم من الحاسوب، لن يصبح بعد ذلك إلا جسد ذكَر، ضخم الجثة، وذا قدرة هائلة وعقل طفل وليد متخلّف".

قالت مادي "ويبقى هكذا أحمق متلعثماً حتى آخر الزمان. رائع".

"كلا. في الغالب سوف يموت في نهاية المطاف. بما أنه في الواقع عاجز من التفكير، سوف يعجز عن الاعتناء بنفسه، عن إطعام نفسه. سوف يموت الجسد من الجوع بعد بضعة أسابيع، كأي جسد إنساني آخر. في الحقيقة، سوف يعجز عن فهم حاجته إلى الشرب، وسوف يموت في غضون بضعة أيام".

قالت سال "مسكين بوب".

مال فوستر إلى الأمام وأراح يده على كتفها. "إنَّه مجرد آلة يكسوها اللحم... أفهمت؟ هذا كل ما يتألف منه. فقط آلة يكسوها اللحم".

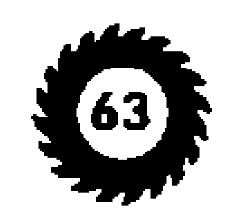
أومأتْ برأسها بحركة بطيئة. كررت بينها وبين نفسها، "آلة يكسوها اللحم، آلة يكسوها اللحم".

قالت مادي، وهي تعيد وضع نظارتها، "إذن، هذه هي منصّة الزمن التي ننوي إرسالها إليهما؟ وعليهما أنْ يستقلاها في موقع ما في جوار البيت الأبيض للحاق ببوابة تنفتح بعد مرور ستة أشهر على وصولهما إلى هناك؟"

اجاب، "ربما قبل يومين أو أكثر من موعد الإعدام. ولكن نعم، اعتقد أنّ هذه أفضل محاولة يمكن أنْ نقوم بها".

أومأتْ مادي باتجاه شاشات الحواسيب. "هذا صحيح. أعتقد أنه يُستحسن أنْ أرفس الحاسوب، لأرى إنْ كان هذا الشيء يعمل ونفتح خريطة واشنطن".

"شاطرة".



1957، الغابة خارج بالتيمور

سال ليام وهو يكافح لكي يواكبه في خطوته، "إذن... مَنْ هؤلاء الأشخاص، يا بوب؟"، وأخذ يمشي بخطوات واسعة على الحقل المكسوّ بالثلوج نحو الغابة. كان هناك رجال يتبعونهما، بأعداد كبيرة، وهم يلوّحون ببنادقهم في الهواء، ويُطلقون العيارات، ويُهللون للانتصار.

أجاب بوب بصوت خال من أي نبرة. "إنهم لا ينفكون عن السير ورائي".

نظر ليام نحو الخلف إليهم: كانوا جيشاً من الجنود والمدنيين بملابس رثّة وقذرة. وأبعد منهم استطاع أنْ يرى الحقل الأبيض البارد المُنقّط بالسجناء، بثيابهم الرثة الفارين من المعسكر في الاتجاهات كلها.

هلل أحد المقاتلين "لقد فعلها القائد من جديد!"

"حيّوا معي القائد بوب... هيب هيب..."

هتف الرجال بصوت واحد "هووورراى!"، وأطلق عدد منهم عيارات نارية من جديد دعماً له.

مال ليام إليه، وخفض صوته. " القائد بوب؟ أقلتَ لهم إنك ضابط في الجيش؟ يا إلهي... هذه لفتة بارعة". لقد تأثّر بصدق بالبادرة التي أبداها بوب. قال، وهو يصفعه على ظهره العريض، "إنني فخور بك".

أجاب بوب "أنا لم أخبرهم بأي شيء. هم قرروا أنْ يُخاطِبوني بهذا الاسم".

"هيه! أنت!"
استدار ليام، فوجد رجلاً ضئيلاً يُشبه ابن عرس، على مسافة بضع ياردات منه، كأنه محصّل ديون محتال، كالذي حذّرته أمه منه ذات يوم.
"هيه، يا فتى! لا تحشر نفسك هكذا مع القائد. أتريد أنْ تتحدث معه، تعال وتحدث معي أولاً. إنه لا يرغب في أنْ يُزعجه فتى صغير مزعج يريد توقيعه".
نظر ليام إلى المحاربين الآخرين خلفه، كانت عيونهم لا تزال تتوهج بحماسة المعركة، ويلهثون نافثين سحباً من أنفاسهم الشتائية، ويُحدقون إلى بوب بشراسة... مُضاعفة...
ماذا؟ أهو وله؟ أم حب؟ كلا، لم يكن كذلك... بل أكثر من ذلك. أكثر بكثير. كانت رهبة.
قال ابن عرس صاحب البذلة، "هيه، يا ولد!" اندفع نحوه. "أتريد أنْ تنضم إلى جبهة تحرير القائد بوب؟ أهذا ما تريد؟ إذن تعال وتحدث معي في المعسكر. اسمي بانيللي، نائب القائد بانيللي. أنا القائد الأعلى هنا. سوف أزوّدك بالطعام وبندقية..."
"آه... كلا، لا بأس. لا أريد أنْ أنضم إلى جبهة تحريركم. إنني فقط..."
"إذن، إذا كنتَ لا ترغب في الانضمام إلينا، يا فتى، فيتحتم أنْ نرحل. أمامنا بضع عمليات إغارة يجب أنْ نُخطط لها، وحرب يجب أنْ نشنّها. والقائد بوب في حاجة إلى وقت للراحة قبل أنْ يقودنا في حملة جديدة ضد أولئك الألمان".
نظر ليام إلى بوب. سأله، متجاهلاً بانيللي، "ألهذا أنت هنا؟ لكي تحارب جيش كريمر؟"
أجاب بوب "هذا صحيح. إنَّ أولوية المهمة الآن هي العودة إلى الوطن مع البيانات المطلوبة".
"وكيف سنفعل ذلك؟"
فكر بوب في السؤال برهة. "ليست لدي أي خطّة جاهزة. اقتراح:

ننتظر إشارة من الوكالة لتمدّنا بمزيد من التعليمات".

"فقط ننتظرهم ليتصلوا بنا؟"

"نعم".

قاطعه بانيللي، قابضاً على ذراع ليام، "هيه! هيه! يكفي هذا! أي حديث غريب تبادله مع القائد؟"

استدار ليام بغضب، نافضاً منه يده. "من فضلك! هلّا تركتنا وحدنا؟! يجب أنْ نتحدث!"

نظر بانيللي إليهما معاً بارتياب. "لقد سمعتك تتحدث عن إشارة من الوكالة؟ أأنت جاسوس؟ أم متعاطف مع العدو؟"

"ماذا؟ كلا!"

"تبدو لي غريب الأطوار. لديك لكنة غريبة. ما رأيكم، يا رجال؟"

أجاب ليام "أوه إنّ سبب صراخي العالي هو أني ايرلندي! ولست جاسوساً ألمانياً لعيناً!"

نظر ليام إلى وحدة دعمه. "أخبرهم يا بوب أني صديقك".

"إنه صديقي".

بدت الدهشة على بانيللي. "أتعرف... أتعرف هذا الفتى؟"

"نعم. أعرفه".

"إذن... إذن، ما القضية؟ أأنت من أقربائه؟"

هزّ ليام كتفيه. "نعم... هذا صحيح. نحن من العائلة، ألسنا كذلك، يا بوب؟"

رفع بوب حاجبيه، لا يدري ماذا يقول. ثم، هدر صوته المُجلجل: "هذا هو الشخص الذي كنتُ أبحث عنه".

فجأة بدت التعاسة على بانيللي لسماعه هذا. انتابته الغيرة لأنّ فتى أعجف نصفه، وهو الذي عيّنَ نفسه ساعد بوب الأيمن.

"إذن، أيها القائد بوب... كنتَ تبحث عن هذا الفتى، والآن عثرت عليه. كيف تتوقع أنْ أفهم هذا... أنْ نفهم هذا؟"، تساءل وتعبير القلق المتزايد

يحلّق في عينيه. "أما زلنا... أما زلنا أتباعك؟"

تجهم وجه بوب ونظر إلى ليام طلباً للإرشاد، ومن جديد لم يعرف ماذا يقول.

يا إلهي. إنّ هؤلاء القوم... يعتقدون أنه أشبه بقدّيس.

كاد يقهقه ساخراً من سخافة الموقف.

"اخبرهم، يا بوب. أخبرهم بالضبط عن طبيعة عملنا".

"نحن في انتظار وصول إشارة".

شهقَ الجندي الشاب، الواقف خلف بانيللي مباشرة، "إشارة؟"

قال ليام "نعم... هذا بالضبط هو الأمر. نحن في انتظار إشارة".

انتشرت تموجات الكلمة بين الرجال المتجمعين، وأخذوا يتهامسون بها بحماسة متزايدة ورهبة.

إشارة. إشارة.

تابع الجندي "أتعني... أتعني إشارة من الرب؟"

أضاف بوب يحدوه الأمل "بل من حقل الـ..." لكزه ليام بمرفقه في أضلعه وأغلق له فمه.

سأل بانيللي "من الماذا؟"

كرر ليام "إشارة من، في الحقيقة، من... البعيد".

انتشر الهمس كالنسيم بين الرجال. ولمح ليام عدداً منهم يرسمون على أنفسهم إشارة الصليب.

نطقها الجندي، جاحظ العينين، " البعيد".

قال ليام، محاولاً أنْ يُبقي صوته متوازناً ويمنع شفتيه من التلوّي، "هذا صحيح. من... أنت تعلم ممَّن".

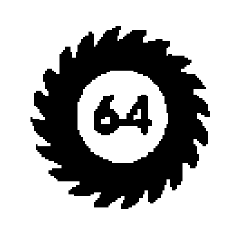
خيّم الصمت على الرجال.

في تلك اللحظة، تصادفَ أنْ عبرتْ سحابة تدفعها الريح عن وجه الشمس، مرسلة دفقاً من أشعتها المُبهرة على حقل الثلج المحروث، وعلى بوب بضياء دافئ. بدت كتلة الشعر ذات اللون البني كالجوز، النامية على

رأسه الشبيه بجوزة الهند، كأنها تتوهج لبرهة، وكأنها هالة.

سرت بين الرجال شهقة جماعية، وبدأوا واحداً إثر آخر يركعون، حتى ابن عرس - بانيللي - الذي ما كان ليُصدق أنه من مُرتادي الكنيسة.

أوه، عظيم. هذا ما كان ينقصنا.



1957، الغابة خارج بالتيمور

صُبَّ الحساء مُحدثاً صوتاً في طاس ليام من مغرفة كريهة الرائحة والشكل كالعصيدة التي اعتاد أكلها في معسكر الاعتقال.

رفع نظره إلى الرجل الذي خدمه. "شكراً لك".

ابتسم له الرجل ابتسامة عريضة مرتبكة ولمس قلنسوته بتهذيب. "هل من خدمة أستطيع أنْ أؤديها للقائد بوب؟"

فكّر ليام في هذا برهة. لم يكن بوب يُحسن استخدام الملعقة. وانتهى به الأمر إلى ترك الحساء ينسكب على ملابسه.

إنه ليس مُلهِماً.

"إنَّ قائدنا في حاجة إلى بعض الخبز، إنْ كان لديكم منه شيء".

ابتسم الرجل، مبتهجاً لأنه كان ذا نفع. أخذ يبحث داخل حقيبة ظهر وأخرج رغيفاً طويلاً من الخبز البائت. أومأ ليام برأسه شاكراً، وتأبّطه تحت ذراعه وانطلق عائداً إلى الخيمة قبل أنْ يتردد ويقفل عائداً ليواجه الرجل.

"آه... إنَّ قائدنا يُرسل بركاته من أجل الطعام".

رسم الرجل ابتسامة عريضة. "شكراً لك، شكراً لك"، "باركه الله".

شقَّ ليام طريقه عبر أرض المعسكر، ينيره وهج إطلاق النار، وأشعة ضوء القمر متسللة من بين أغصان الغابة. وفي أثناء مروره أومأ برأسه تهذيباً للآخرين، ناقلاً إليهم بركاته من بوب على طول الطريق. وخلال اليومين

الأخيرين كان المعسكر قد تحوّل من كونه العرين السرّي لعُصبة من المقاتلين الوطنيين من أجل نيل الحرية إلى ما يُشبه مكان العبادة. والرجال الذين كانوا يتبادلون النكات القذرة أصبحوا الآن ورعين ومتأملين.

وأخيراً، لدى وصوله إلى كوخ بوب المتواضع، غاص من تحت طرف الخيمة ودخل. "لقد أحضرتُ لك بعض الخبز. أخشى أنه ليس ذلك السائل المُقرف الشبيه بالقيء، والغني بالبروتين الذي تتناوله عادة في المكتب الميداني".

قال بوب، مادّاً يده ليتناول رغيف الخبز ويأكل قضمة من طرفه. وبعد أنْ مضغها برهة، بلّله لعابه، وحلّل الحاسوب المُركّب محتوى البروتين.

أومأ برأسه. "إنه مناسب".

جلس ليام على صندوق من الخشب قبالته. "أتعلم، حسبتُ أني سأبقى عالقاً في ذلك المعسكر إلى الأبد. حسبتُ أني سأموت هناك".

ارتعش لذكرى الأشهر التي أمضاها هناك، ووجوه المعتقلين الذين أصبح يعرفهم جيداً. وتساءل، ترى ماذا حصل لوالاس وسط كل ذلك العماء؟ هل نجا من المذبحة؟ هل هرب؟ تمنى ليام أنْ يكون قد فعل.

أخذ يشرب الحساء، مُحدثاً ضجيجاً. "لقد وجدتني أتساءل ألم أكن أفضل حالاً لو أني بقيت على متن التايتانيك. كان الموت غرقاً سيكون وسيلة أسرع من معاناة الجوع حتى الموت، أليس كذلك؟"

أعلن بوب "هذا صحيح. إنّ الموت جراء انعدام الأوكسجين يستغرق تقريباً من ثلاث إلى خمس دقائق".

هذا جميل. كلمات مُهدهدة.

وضع ليام ملعقته، ومدّ يده وربّت أحد كتفي بوب المكدّس باللحم. "أعلم أنّ ما سأقوله لن يعني لك أي شيء، بما أنّ عقلك، كما يقول فوستر، ليس أكثر من آلة صغيرة مملوءة بالشيفرات والبرامج وما شابه. ولكن... أعتقد... اسمع، أريد فقط أنْ أقول شكراً لك، يا بوب. شكراً لأنك أتيت لتنقذني".

رأى ما يُشبع التعبير ينتشر على صفحة وجه وحدة الدعم الذي من

المفترض أن يكون جامداً. أتراه نوعاً من ارتعاشة عضلة لاإرادية، أم هي ابتسامة؟ كائناً ما كانت، فإنها بدت مُقنعة.

تناولا الطعام في صمت بعض الوقت. صمت، اللهم ما عدا صوت رشف ليام العالي للحساء وطحن أسنان بوب الشيه بضجيج الطحن الذي تذكّر ليام أن أبقار عمه ديارميك كانت تُصدره وهي تمضغ ذرة الشتاء.

"إذن أنتَ تقترح أنْ نبقى هنا من دون تحديد مدة إلى أنْ تصلنا رسالة؟"

"الجواب سلبي".

"فقط قُلْ "كلا" يا بوب. إنها طبيعية أكثر".

"كلا".

"إذن كم سننتظر؟"

"سننتظر ثمان وسبعين ساعة أخرى، وسبعاً وخمسين دقيقة".

"آه؟" بدا أنَّ ثماني وسبعين ساعة وسبعاً وخمسين دقيقة موعد دقيق نوعاً ما. "بوب، ولَم بالتحديد هذه المدة؟"

"بحلول ذلك الوقت، يجب أنْ أدمِّر نفسي".

أسقطَ ليام ملعقته في الحساء. "عفواً؟ تدمّر نفسك.. ماذا يعني هذا بالضبط؟"

كفَّ بوب عن مضغ الخبز ووجّه عينيه الرماديتين الباردتين نحوه. "شرط أساسي في العملية: مدة ستة أشهر من الحياة في الميدان. إذا فشلت في العودة من المهمة بعد ستة أشهر، يجب أنْ أدمّر ذاتياً. إنهم يعلمون هذا. لذلك لن يحاولوا أنْ يبعثوا إليّ بأي رسالة بعد مرور ستة أشهر. فإذا كنا ستستلِم أي رسالة فإنها ستصل قبل انصرام تلك المدة".

"تعني ستة أشهر؟ ولكن... ولكنك تقول إنك ستدمّر نفسك في... في... في...؟"

ساعده بوب قائلاً "بعد مرور ثلاثة أيام، وست ساعات وسبع وخمسين دقيقة من الزمن يجب أنْ أدمّر نفسي".

"ولكن لَمِ؟"

"لكي أمنع أي شخص من استغلال تقنية حاسوبي".

فجأة أدرك ليام انه يكنُّ شعوراً ما نحو الآلة الضخمة الماثلة أمامه. أهو وَلَه؟ كان يعلم أنَّ من غير المعقول أنْ يميل إلى ما هو في الأصل منصة إطلاق أسلحة مكسوة باللحم والعضلات مزوّدة بمُنظّم شخصي مُخزّن في أعلاه. لعل السبب، بنحو ما، يعود إلى كونهما معاً راكبَين جديدين للزمن. كلاهما جديدان. أو ربما لأنه وحيد في عالم ما كان ينبغي أنْ يوجد لولا رعاية بوب له، وحمايته له.

"بوب، ألا تستطيع أنْ تُقرر ألاتدمّر نفسك؟"

"الجواب سلبي".

"ماذا لو أصدرتُ إليكَ أمراً مباشراً؟ فبوصفي رئيس هذه المهمة، أنا الآمر هنا، ألستُ كذلك؟"

"هذا صحيح".

"إذن إذا أصدرتُ إليك امراً لكي تُلغي..."

"لا يمكن إلغاء هذا البروتوكول. إنه برنامج ثابت".

"برنامج ثابت؟"

"أي يدخل في أساس تصميم الحاسوب، ولا يمكن إبطاله".

رفع ليام بصره إلى وجهه المُجرّد من التعبير. "لكنَّ هذا حمق!"

"لا يمكن تجنّبه".

نظر ليام إلى حسائه الذي أصبح بارداً في طاسه. "أليست فكرة الموت، يعني... ألا تخيفك؟"

"جواب سلبي".

"بوب، قُلْ "كلا"... وليس "جواب سلبي".

"كلا".

"ألا تكنّ أي انفعالات قوية حيال... حيال إعدام نفسك؟"

"إنَّ وعيي هو مجرد شيفرة إجرائية، وذكرياتي مُخزّنة في لوحي الصلب الداخلي. جسدي يمكن أنْ ينمو من جديد من خلية واحدة. ويمكن

استخراج نسخ مني لا حصر لها، يا ليام أوكنر. أنا ليس لديّ أي مفهوم للموت. وعليه ليس لديّ أي مفهوم للخوف".

قال ليام بصوت أجش خالٍ من حس الفكاهة "لا خوف. يا إلهي، أتمنى لو في استطاعتي أنْ أقول هذا. لقد أمضيتُ كل ساعة يقظة خلال الأشهر القليلة الماضية وأنا في خوف. أخاف من أنْ ينتقيني أحد الحراس ليجعل مني عِبرة. وأخاف أنْ يُقرروا قتلنا جميعاً. أخاف أنْ..."

دمدم بوب "أتمنى..."

هذه الكلمة أوقفتْ سلسلة إشفاق ليام على نفسه. فوضع الملعقة في طاس حسائه ورفع نظره ليرى عيني وحدة الدعم وقد علتهما غشاوة، وثبتتا على رغبة نائية، لا يمكن بلوغها.

هل قال تواً "أتمنى..."؟.

تذكّر قول فوستر له إنّ الحاسوب موصول بمخ عضوي صغير. فهل ذلك الجزء الصغير المجعّد من بوب، تلك الكتلة الصغيرة البدائية من مادة المخ، قادرة على تمنّي شيء، على الرغبة في شيء، بصورة غامضة؟

قال ليام بهدوء "قُل لي، ما الذي... ما الذي تتمناه، يا بوب؟"

"أتمنى... لو أني... مثلك، ليام أوكنر".

مدّ ليام رأسه. "مثلي؟ يا إلهي! انظر إليّ. لستُ أكثر من قزم ضئيل ونحيل. أنا في السادسة عشرة لم تنبت لدي شعيرات قابلة للحلاقة. وأفضل ما نجحتُ في إنجازه، قبل أنْ أكون قد مُتّ، كما هو مُفترَض، هو أنْ أصبحت مُضيفاً في سفينة. مجرد نادل لعين. شيء عظيم، أليس كذلك؟"

"أنت جُنِّدتَ بسبب مهاراتك الأساسية".

"مهاراتي الأساسية؟ أتمزح؟ في استطاعتي أنْ أرتّب قمرة في سفينة، أنْ أعدّ إبريقاً من الشاي وأقدّمه من دون أنْ أسفح منه على المنديل. عمل عظيم".

"إنّ سجل بياناتك يُشير إلى أنك تتمتع بحاصل ذكاء عالٍ جداً، وبردّ فعل ذهني سريع، وبمهارات معرفية خلاّقة".

"أحقاً؟"

"إنَّ هذه المعلومات مُدرجة في سجلاتك الشخصية".

"أيّ سجلات؟"

"إنَّ حياتك الشخصية كلها مسجلة في لوحي الصلب. وتتضمن سجلاتك الشخصية في شركة ملاحة النجم الأبيض، وتفاصيل عن أسرتك، والمدينة مسقط رأسك، وتقاريرك المدرسية..."

"لديك تقاريري المدرسية هناك في أعلى رأسك؟"

"جواب إيجابي"، ثم لمعت عينا بوب برهة، دلالة على أنه يستعيد بياناته.

باشر بوب بسرد كلمات تعرَّفَ إليها ليام بأنها التقرير الذي خطّه مدير مدرسته العجوز، الأب أوهيرلي، " ليام أوكنز ولد لامع بوضوح، لعله أحد البارزين في عامه الدراسي. ولكنه يميل أيضاً إلى التحديق خارج النافذة، والاستسلام لأحلام اليقظة كلما سنحت له أدنى فرصة، ولا يركز انتباهه كما يفعل بعض من الفتية الآخرين الواعدين في صفّه. إنَّ ليام متوحد، يبدو أنه لا يستمتع بالاختلاط في أثناء فترات الاستراحة، ولا يشترك في..."

ثم سكت بوب فجأة. تجمّد برهة.

"أأنت بخير، يا بوب؟"

"لحظة... لحظة".

ارتعشت عضلات وجه بوب ثم توترت، وبرقت عيناه بسرعة وكأنَّ كل عملية تفكير، داخل رأسه، توقفت فجأة تماماً.

[تقصّي عملية بثّ جزيئات].

تخلل حاسوبه البيانات الواردة، ثمة جزيئات ما دون ذريّة تلوح للعيان كما السحر وتمر من خلال مادة صلبة كأنها الهواء. هناك قدر كاف من الجزيئات السريعة تظهر في شبكته العصبية - علقَت كما يعلق الذبابُ في شبكة عنكبوت - وبدأ بحلّ شيفرة بعض مقاطعَ من رسالة.

[... زمن يحد... دمار شامل... طاقة ضعيفة... لواحد في... كما يأتي: خط العرض:

١٨ درجة و ٥٤ د و ٢٤...].

"بوب؟ ماذا جرى لك؟"

اجاب بصوت خالٍ من النبرة "لحظة... لحظة".

المزيد من الجزيئات يصل، ومزيد من المقاطع من رسالة تتجمّع. انتظر إلى أنْ بدا أنَّ مرور موجة الجزيئات قد توقف أخيراً. ومرت دقيقة أخرى من الصمت، في انتظار احتمال التقاط دماغه لموجة أخرى من الجزيئات السريعة. ولكن بدا أنه لم يعد هناك المزيد. لقد مرّ شعاع الإشارة من المستقبل بنحو قصير من هذا الطريق ومن ثم تابع طريقه.

أعلن "لقد تلقّيتُ تواً إشارة ضعيفة من المكتب الميداني".

أشرقَ وجه ليام "ماذا؟ الآن؟"

"جواب إيجابي".

"آه... شكراً لك يا إلهي لأنهم عثروا علينا! وهل هم بخير؟ طبعاً هم بخير".

دبّتْ الحركة في بوب وتناول قضمة أخرى من الخبز.

"لا تتركني مُعلقاً، يا بوب. ما فحوى الرسالة؟"

رفّت عيناه. "الرسالة قادمة من المكتب الميداني: هناك تلوّث زمني في الحاضر. النتيجة هي دمار شامل. الطاقة منخفضة جداً. غير واثقين من حجم النافذة. لعلها لا تتسع إلا لأحدنا. ولا سبيل إلى فرصة ثانية. منصّة الزمن هي كما يأتي: خط عرض 38 درجة و54 دقيقة و24.35 ثانية شمالاً - خط الطول: 77 درجة ودقيقتين و33.94 ثانية W - الزمن -03-03، 23.50 57".

حدّقَ ليام إلى بوب. "أنا... أنا لست واثقاً من أني فهمت الكثير من هذا. هل فهمت أنت؟"

أوما بوب برأسه إيجاباً.

"لقد مرّ مسار الزمن عندهم محدثاً تغيُّراً هائلاً نتج منه الكثير من الدمار. ونتيجة لذلك، تعرّضت تغذية الطاقة الخارجية للخطر".

اتّسعت عينا ليام. "ماذا يعني هذا؟ ألا تعمل آلة الزمن عندهم؟"

"غير صحيح. إنها تعمل، ولكن لم يعد لديهم إلا مخزون محدود من الطاقة".

" نافذة تّسع لشخص واحد... هذا يعني...؟"

أجاب بوب "هذا يعني أنه لم يعد لديهم من الطاقة إلا ما يكفي لعودة واحد منا. ويجب أنْ يكون أنت".

هزّ ليام رأسه رافضاً. لا بد أنَّ في استطاعتهم أنْ يُعيدونا معاًبطريقة ما؟ إذا جرّبوا أقراصهم أو ما شابه".

"الجواب سلبي. إنَّ كتلة الجسد تؤثر على الطاقة اللازمة لركوب الزمن. انت ضئيل الحجم، وتتطلّب من الطاقة أقل مني بكثير".

جلس ليام برهة يلفّه الصمت، وأخيراً هزّ رأسه. "أنا... أنا لا أستطيع أنْ أتركك هنا وحدك... لتعدم نفسك، يا بوب. أنا فقط..."

"إنَّ هذا تخمين غير منطقي".

"لا بد من وجود شيء يمكن فعله لتعزيز الطاقة من جانبهم، أو لتخفيف العبء من جانبنا؟ شيء ما، حتماً؟"

قال بوب "هناك شيء يجب فعله. إنَّ البيانات التي على خط الزمن مخزّنة في لوحي الصلب ويجب أنْ تُعيدها معك".

ابتلع ليام لعابه بعصبية. "آه... هذا الكلام لا يُعجبني. هل هذا يعني ما أعتقد أنه يعني؟"

"ينبغي أنْ تفتح جمجمتي وتزيل النسيج الرخو هناك، بما فيه المخ العضوي، لكي تتمكن من الدخول إلى الحاسوب. إنَّ فصل الحاسوب وإزالته سوف يتطلبان مني أنْ أزودك تعليمات مفصّلة قبل أنْ تفعل أنت هذا لكي أمنعك من تشغيل برنامج التدمير الذاتي في أثناء إزالتك الحاسوب".

"أوه... كلا... لستُ متأكداً من استطاعتي أنْ أفعل هذا. بوب، إنني، حقاً..."

"ليس أمامك خيار. إنه من مستلزمات المهمة".

هزّ ليام رأسه رافضاً، وقد بدأ يشعر بالاشمئزاز من فكرة فتح رأس بوب.

"إذن... إذن متى ينبغي أنْ أقوم بهذه العملية؟"

"إنَّ نافذة العبور أعدَّت لمدة أربع وعشرين ساعة".

"وأين هي؟"

رفّت عينا بوب، وهو يستعيد البيانات. "الإحداثيات تشير إلى شارع اسمه جيفرسون بليس، في مدينة واشنطن دي. سي. ويقع على وجه التقريب على بُعد ميل من موقع الوصول الأول إلى نافذتنا".

اتّسعت عينا ليام أكثر. "على بُعد ميل من البيت الأبيض؟ ولكن هذا شيء جنوني! إنَّ المنطقة برمّتها سوف تزدحم بالجنود وبتلك الأشياء الطنانة التي تنفث الهواء".

"يجب أنْ نصل إلى ذلك الموقع ضمن المدة الباقية. وحالما نصل يجب أنْ تنزع الحاسوب من جمجمتي، أو تقطع رأسي بدل ذلك وتأخذه معك".

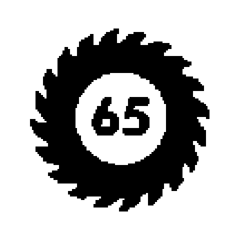
شحب لون ليام ، وكأنه أصبح مريضاً، "أقطع رأسك؟ لا أستطيع أنْ أفعل هذا، يا بوب. أنا... لم أكن يوماً أُحسن التعامل مع الدم والأشياء المثيرة للاشمئزاز. سوف أُصاب بالإغماء... ها أنا أخبرك، سوف أضعف وأُصاب بالاغماء. ثم سأفشل في بلوغ تلك النافذة وسوف نقع معاً في ورطة".

نظر نحو الأسفل إلى البقايا الفاترة للحساء المتكتّل في طاسه ونحّاه جانباً، وقد زال إحساسه بالجوع. "أحقاً لا توجد وسيلة أخرى؟"

"ليتكَ كنتَ أضأل حجماً. ليتني كنتُ أضأل حجماً. ليت نافذة العبور فُتحَتْ جغرافياً في موقع أقرب إلى المكتب الميداني. ليت نافذة العبور لم تكن موغلة عميقاً في الماضي. إنَّ هذه العوامل كلها تؤثر في كامل الطاقة اللازمة".

نظر بوب إليه بعينيه الرماديتين الهادئتين. ولسبب ما حاول بوب أنْ يرسم إحدى تلك الابتسامات المثيرة للشفقة التي تعلّمها من سال. وفي ما يتعلّق بليام، لم يشدّ ذلك من أزره. لم يساعده البتّة. بل جعله يبدو هشاً بنحو غريب، كأنه مخلوق ضخم الجثة يحبو كطفل وليد.

تابع بوب "يجب أنْ تحصل على منشار للعظام أو على شفرة ذات حا
مُسنن من أجل قطع راسي. أيضاً، قد تحتاج إلى مثقاب قوي مزوّد بـ...؟"
فجاة انفجر ليام قائلاً "يا إلهي! كفى! أحتاج إلى استنشاق بعض الهوا،
اعتقد أني سأتقيأ!"



1957، الغابة خارج بالتيمور

، ذهب ليام في الخارج يستنشق بعمق، عابّاً الهواء البارد، إلى أنْ بدأ إحساس
العجز يزول. مشى بضع خطوات داخل الشجيرات بعيداً عن ملجأ بوب،
محاولاً أنْ يُصفّي ذهنه لكي يفكر في ما ينبغي أنْ يفعل.

لدى مروره بجذوع الأشجار النحيلة وأغصان شجر التنوب المنخفضة،
رأى الضوء الخفّاق لنار معسكر في وسط بقعة مكشوفة، تجمّع حولها رهط
من جيش بوب الصغير، الذي بلغ المئة بعد تلك الغارة الأخيرة. فتساءل كم
سيشعر أولئك الرجال بالغضب، وبأنهم خُدعوا عندما سيُخبرهم بأنّ بوب
سيغادر معه، وأنّ أمامهما شؤون أخرى أكثر أهمية يجب أنْ يتولياها.

إنّ الناس لا يتخلّون عن آلهتهم أو قادتهم بسهولة.

لقد تخيّل أنّ المشهد سيكون مزعجاً. سوف يُسددون نظرات إليه ملؤها
الريبة والاتهام، متسائلين أي سُمّ وضعه في أُذُن قائدهم. ولكن لم يكن هناك
مجال لإضاعة الوقت إذا صحّ فك بوب للرسالة. لم تكن واشنطن بعيدة عن
هناك. مدة ساعة فقط من قيادة السيارة. ولكن هناك من دون أدنى شك
متاريس على الطرقات وأماكن محروسة يجب وضعها في الحسبان حالما
يصلان إلى المدينة.

لماذا انتقوا موقعاً شديد القُرب من البيت الأبيض؟

وتساءل كيف عرفوا أنّ تلك الفكرة جيدة. ولكن تبيّن له أنّه ربما لم يكن

فوستر ومادي وسال يعلمون أنها كذلك. ولهذا وضعوا افتراضاً منطقياً بسيطاً، وهو أنْ يبقوا في الجوار.

ويا له من افتراض عظيم.

كان يمكن أنْ تقع أحداث كثيرة في مدة ستة أشهر. كان يمكن أنْ يجدا نفسيهما في الجانب الآخر من البلاد في ذلك الزمان، أو حتى في الجانب المقابل من العالم.

هزَّ رأسه. كان من الجنون والحمق الا يتمكّن هو وبوب من التواصل معهم. و لم تكن تلك المرة الأولى التي يلعن فيها هذه التقنية المجنونة للسفر عبر الزمن، إذ حالما تظن أنك فهمتها، إذا بها تزداد تعقيداً.

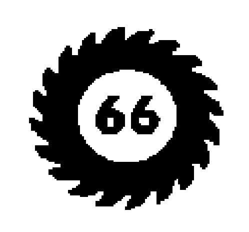
وهكذا، أصبح لديهم الآن زمان ومكان. على الأقل فعلوا شيئاً. لقد بدا التوجه إلى قلب واشنطن دي. سي. التي يحتلها العدو أشبه بحماقة هدفها الانتحار... ولكن لم يكن أمامهم خيار آخر.

تمتم لنفسه "أوه حسن". كان واثقاً بأنَّ بوب سوف يستمتع بقطع رؤوس الأشرار، فهذا ما يُحسن فعله.

وسرعان ما سارا في الاتجاه الصحيح، وتركا تلك الغابة خلفهما... مع عصبة بوب من المناصرين المتفانين.

قرر ليام أن من الأفضل أنْ ينطلقا مع أول خيوط الفجر. فمع حظر التجوال الذي ساد أنحاء البلاد كافة، سوف يُثيرون الريبة إذا جرى توقيفهما للتفتيش بسبب تنقلهما ليلاً وليس في أثناء النهار.

في تلك الأثناء، رأى ليام انه يُستحسن أنْ يجد طريقة لإبعاد بوب بطريقة مهذّبة عن تابعيه المتفانين. وتخيَّلَ أولئك الرجال وهم يُعدمونه بلا محاكمة بسبب إبعاده معبودهم عنهم.



2001، نيويورك

اليوم 5؟ (لأن التيار الكهربائي مقطوع)

إذن نحن الآن في الانتظار. في انتظار أنْ تخزّن آلة الزمن ما يكفي من الطاقة من أجل فتح نافذة.

لا سبيل إلى معرفة إنْ كانا قد تسلّما رسالتنا التي بعثنا بها إليهما. لن نعرف إلا بعد أنْ نفتح النافذة في واشنطن. فإذا تسلّماها، يجب أنْ يعبرا منها ويظهرا أمامنا. وإذا لم يفعلا... فسوف نكون قد بددنا طاقتنا بلا جدوى.

كل شيء مُعطّل هنا. الأضواء كلها، كل شيء.

اقترحت مادي أنْ نُعيد تشغيل "فقاعة الحقل" لكي نلجها في خلال ثمانٍ وأربعين ساعة. فإذا لم تتمكن تلك المخلوقات التي في الخارج من العثور علينا حتى ذلك الحين... فسوف نسلم منها.

ذلك أنهم مهما أحرزوا من تقدُّم في العثور على مكان اختبائنا فسوف يتوهون عندما "يُعاد تنسيقنا". ولكنَّ فوستر قال إنَّ ذلك سيستهلك أكثر مما ينبغي من الطاقة جراء شحن آلة الإزاحة. قال إنه الشيء الوحيد المهمّ الآن– أي شحن ذلك الشيء.

يا إلهي... إنني أفضل تشغيل الفقاعة، والانتظار مدة أفضل. إنَّ أقل ضجة تصدر عن الخارج تُجفلني حتى أكاد أخرج من جلدي.

سألت مادي "كم سننتظر، في اعتقادك؟"

دقّقَ فوستر النظر في صف الأضواء الخفّاقة في شاشة شحن الآلة. "أعتقد أربع ساعات أخرى أو خمس ساعات".

"كل هذه المدة؟".

"بعد أربع ساعات أو خمس أخرى... سوف نفتح النافذة وعليهما أنْ يخرجا إلى الوجود هنا". ابتسم لها مُشجّعاً. "بهذه البساطة".

على الرغم من أنّ واقع الأمر ليس بهذه البساطة... أليس كذلك؟

في الحقيقة، لم يكن فوستر متأكّداً من أنّ المولّد في الغرفة الخلفية سوف يُخزّن ما يكفي من الطاقة بحيث يتمكنون من إحداث نافذة تكفي لنقل حتى ليام وحده. ثمة عوامل كثيرة ينبغي أخذها في الاعتبار: المسافة من هنا، حجم النافذة، كتلة الشخصَين المنقولين، كل المتغيرات التي تؤثّر على مقدار الطاقة المطلوبة. وبينما هم ينقرون على دارة الكهرباء الشبكية لمدينة نيويورك، لم تكن تلك الاعتبارات تؤخذ عادة في الحسبان، ولكن الآن وهم يستعينون بالطاقة الهزيلة التي نجحوا في توليدها... أصبح كل عامل متغيّر عاملاً مهماً. وليست نافذة إعادة ليام وبوب إلى أرض الوطن هي الوحيدة التي يحتاجون إلى الطاقة من أجلها، هناك أيضاً إرسالهما إلى حيث ينبغي أنْ يذهبا من أجل إصلاح هذه المشكلة إلى الأبد. لقد كان على فوستر أنْ يحرص على حفظ ما يكفي من الطاقة ليتمكن من فعل ذلك أيضاً.

أخذ يسبّ بصوت منخفض. هناك الكثير من الأمور المجهولة.

قالت مادي "إذن، ربما تسلّما الرسالة، يا فوستر، ولكن ماذا لو أنهما لم يتمكنا من بلوغ الموقع الذي حدّدناه؟ ماذا لو أنّ الأمر مستحيل الحدوث؟"، ونقرت على الشاشة أمامها التي تبيّن خريطة أحد شوارع واشنطن دي.

سي. "لعلَّ المدينة أضحت مختلفة تماماً. لعل هذا الشارع لم يعد موجوداً في زمنهما. لعل الألمان بنوا شيئاً فوقه أو سُوّي بالأرض... أو... أو أصبح مطموراً تحت أكوام من النفايات، أو..."

"يجب أنْ ننتهز هذه الفرصة". جلس فوستر مُرهقاً على كرسي مكتب قديم ذي دولابين نحيلين يصدران صريراً وتدثّر بغطاء رثّ باهت اللون.

"إنّ ليام فتى ذكي. سوف يجدان معاً طريقة، يا مادلين. سيجدان طريقة ليصلا في الوقت المحدد".

أضافت بكآبة "هذا إذا كانا لا يزالان على قيد الحياة".

كان يمكن فوستر أنْ يُجيب بغضب بأنّ تشاؤمها وكآبتها لا يُساعدان على حل الأمور، لكنها كانت على صواب. هناك أسباب كثيرة تجعل هذه المحاولة مجرد ضربة حظ يائسة. إذا فشلتْ...

فهي إذن النهاية.

لقد تُرِكَ العالَم هكذا، مجرد رماد وركام.

في هذا المشهد المُدمَّر تعيش تلك المخلوقات المشوّهة المُثيرة للشفقة، يقتات بعضها على لحم بعض، تغير على القمامة كالجرذان. في غضون بضعة أيام سينفد منهم الماء والطعام المُعلّب، وبعد ذلك سوف يخرجون بحثاً عن الطعام بين القمامة مثلها.

بعد كم من الوقت ستعثر تلك المخلوقات عليهم؟ وتعثر على قنطرتهم الصغيرة؟ لعلها تموء وتبربر كالأطفال المولودين حديثاً، ولكن في تلك العيون الشاحبة كان يلوح بعض الذكاء. يمكنه أنْ يتخيّلها ببطء، ولكن بوضوح وهي تجوب المدينة بحثاً عنهم، وتتوجه نحوهم بالتدريج. إنّ هذه الفكرة توقِف شعر ساعديه الشائب.

إذا نجحت تلك المخلوقات في العثور عليهم هنا... فسوف تجد وسيلة للدخول والانقضاض عليهم. فقبل كل شيء، إنّ مخبأهم الصغير المتواضع ليس أكثر من قنطرة من أطلال حجارة القرميد والملاط، ولا يتمتع بأي مناعة.

سوف يجدون وسيلة للدخول... وسوف ينتهي أمرهم بسرعة.

طبعاً لم يقوَ على إطلاع الفتاتين على ما يجول في فكره. لم يقوَ على إطلاعهما على أنه يشك في أنَّ خطتهم محكوم عليها غالباً بالفشل. إن فرصة وصول الرسالة هزيلة حتى الإيلام، فضلاً عن قدرة ليام وبوب على الوصول إلى النافذة في الوقت المحدد. وعندما يُصغي إلى الضجيج المختنق لعملية التنقية للمولد... يُخيّل إليه أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة. وتشاء الصدف أنه لن يتوافر ما يكفي من الطاقة في آلة الإزاحة لإخراجهم من هذه الورطة، في كل الأحوال.

سألت مادي بهدوء "أانت بخير، فوستر؟" قالت ذلك بهدوء لكي لا تسمع سال. "لا تبدو بخير".

ابتسم. "أنا في أحسن حال... أنا فقط مُتعب قليلاً".

سألتْ "هذه المحاولة ستنجح، أليس كذلك؟"

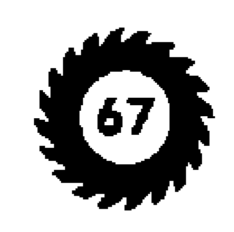
في حالات كهذه، كان عليه أنْ يتلبّس الجرأة.

"حتماً. طبعاً ستنجح. ستكون ناجحة".

ناجحة؟

إذا فشلوا في إعادة ليام وبوب إلى الوطن وبقوا عالقين وحدهم بين هذه الأطلال إلى الأبد، فإنه يُقسِم بصمت على أنْ يقوم بما هو ضروري. في بندقيته كمية من الذخيرة. سوف يستخدم قسماً منها للدفاع عنهما إذا ما عثرت تلك المخلوقات على قاعدتهم وقررت أنْ تقتحمها.

والباقي؟ حسن، سوف تبقى رصاصة لكلٍ منهم.



1957، سفينة القيادة
فوق واشنطن دي. سي.

"بول؟ ما هذا؟"

رفع كريمر بصره عن طاولة العمل. ابتسم عندما رأى صديقه واقفاً في ممر الباب المؤدي إلى المختبر.

"كارل، أنا مسرور برؤيتك".

دخل كارل المختبر، وعيناه تتحركان بسرعة متفحصتان الآلة المُجمَّعة، يُحاول أنْ يفهم معنى الكابلات الممدودة، وأجزاء الآلة المنزوعة من أماكنها والمتشابكة، وكتلة الأسلاك.

ما هذا؟

"أنت لم تحضر اجتماعات تقييم الأوضاع اليومية منذ أكثر من أسبوعين، يا بول. لقد قال مساعدك أنكَ لست على ما يرام... وأنكَ ترفض الاجتماع بأحد".

عاد كريمر ينظر أمامه إلى التصميم المرسوم بخط يده. "لقد كنتُ مشغولاً، يا كارل. مشغولاً جداً".

اجاب، هازّاً رأسه، وقد ارتسم على وجه الجندي النحيل الذي يحمله تعبير الذهول، "هذا ما أرى. ما هذا الشيء الذي تعمل عليه الآن؟"

اجاب كريمر عن السؤال بهزّ كتفيه استخفافاً.

اقترب كارل قليلاً، منحنياً تحت كتلة من الكابلات الكهربائية. "معي كمية من الأوراق تحتاج إلى توقيعك، يا بول. وثمة مسائل مهمة يجب مناقشتها. المشاكل تتراكم علينا في مناطق ولايتي نيو جرزي وميريلند وهناك المزيد من الغارات تُشنّ على معسكرات الاعتقال".

مرّ كارل بصعوبة بين رفوف أسطوانات الأسيتلين لكي ينضم إلى عمله على الطاولة.

"لقد نشرت الصحف الأميركية تقارير عن ذلك البطل الخارق وعن جيشه. إنّ هذا لا يبشّر بالخير، يا بول. إنه يزود الشعب الأميركي ما يجعله يستجمع قوته".

أجاب كريمر بشرود، مستأنفاً عمله بالقيام ببعض الإصلاحات، "إذن، اغلقوا المطابع".

"لقد فعلتُ هذا تواً مستعملاً صلاحياتي. ولكن لديهم مطابع سرية ليس فقط في واشنطن... بل في نيويورك، وبوسطن، وفي مدن أخرى".

تابع كريمر عمله في صمت.

"بول؟ إنّ هذه المشكلة قد تتطور سريعاً لتغدو مسألة خطيرة. ليست لدينا قوة بشرية هنا في أميركا لكي نتعامل بها مع هذا التمرد الذي يجتاح البلاد بأسرها. نحن في حاجة على الأقلّ إلى ما يُعادل ثلاثة إلى أربعة أضعاف ما لدينا هنا من الرجال إذا ما استمرت حركة المقاومة بالانتشار".

بقيتْ عينا كريمر منصبّة على طاولة العمل. "افعل ما تراه ضرورياً، يا كارل... أنا مشغول هنا. ليس لدي وقت لمعالجة هذا الأمر".

تأمله كارل بصمت. لم يكن يُصغي إليّ.

شعر بالإحباط فمدّ يده ووضعها على ذراع كريمر. "بول، يجب أنْ.. "

رفع كريمر نظره إليه بحدّة، قابضاً على يده بقوة ودافعاً إياها بعنف بعيداً عنه. "أنسيت نفسك، يا كارل... أنا زعيمك الفوهرر؟"

"أنا آسف... كل ما عنيت هو أنْ..."

"اخرس!"

أجفلَ كارل. تقابلت عيناه بعيني كريمر وأدرك ما فيهما من قسوة، وتصميم صلب كالحديد، ولا شيء من دفء الصداقة التي تعوّدها على امتداد السنين.

إنّ بول ليس على طبيعته.

بدأ كريمر بقول شيء، ثم عدل عنه بهزّ رأسه بغضب. عاد يحدق بنزق إلى الأوراق المبسوطة على طاولة العمل.

بقيَ كارل واقفاً في حالة انتباه ثابت، في انتظار كريمر كي يصرفه رسمياً من الغرفة. وفي أثناء انتظاره، أخذ ينظر حوله. كان المُختبَر هو مكان تأمل لكريمر على متن سفينة القيادة. في المعتاد يكون مرتّباً كطريقة تفكير قائده، يسوده الترتيب والهدوء، حيث يستطيع عقل كريمر أنْ يعمل بارتياح على إجراء تحسينات على تقنية أسلحة جيشهم. أما الآن، فيأخذ شكل عقل مشوّش. فإلى جانب طاولة العمل، هناك وجبة بدأ يتناولها، ثم نسيها من دون أنْ يُنهيها. وكوب من الشاي لم يتبقَّ غير نصفه، أصبح بارداً ويتحول إلى قوام الكريما المتخثّر. لحقت عينا كارل بلفائف الكابلات الممتدة على الأرض حتى قفص من الأسلاك.

قفص.

ومضَتْ في مخيلته صورة قبو متحف... قبل خمسة عشر عاماً. معركة يائسة بالبنادق، ثم الإسراع إلى ولوج قفص يشبه هذا. تيار كهربائي ثابت، وشرر، ومن ثم إحساس رهيب بالسقوط.

"يا إلهي... أنت تصنع آلة زمن؟"

لمتم كريمر بشيء على سبيل الإجابة.

لحقت عينا كارل امتداداً آخر لكابل بعيداً عن القفص، عبر المُختبَر وباتجاه ما بدا أنه وعاء صغير معلّق في منتصف إطار معدني واقٍ من مجموعة من النوابض السميكة. حيّره شكل الإطار الغريب برهة، لكنّه تعرّفَ فجأة إلى الوعاء.

"بول! إنّ في حوزتك هنا قنبلة نووية!"

تنهد كريمر، ورفع نظره. "هذا صحيح".

" اهي... أهي مُعطلة؟"

"كلا، يا كارل، إنها جاهزة للاستعمال".

في الحال شعر كارل بوخز في فروة رأسه. "أتدرك... أتدرك مدى خطورة وجود هذا الشيء على متن سفينة القيادة، وهو جاهز للـ..."

كانت ابتسامة كريمر باردة وبلا حياة. لكنّ الأسوأ منها كانت النظرة الجوفاء التي أطلّتْ من عينيه. شعر كارل بأنّ قائده – صديقه – ينظر من خلاله، إلى ما بعده، وليس إليه. واتّضحت أكثر التقلصات اللاإرادية في عضلات وجهه التي كان قد لاحظها للمرة الأولى قبل ذلك بأسابيع، وارتعاش فك كريمر. بدت عيناه أشدّ عمقاً، وغائرتين وقاتمتين من قلّة النوم.

"بول، ما الخطب؟ هلاّ أخبرتني ما الذي يجري هنا؟"

بدت عينا كريمر مُسلطتين بتركيز عليه. قال، وقد عاد قدرٌ من الدفء أخيراً إلى وجهه النحيل، "يا صديقي العزيز، اعتقد أنّ أمرنا قد انتهى".

"انتهى؟ ما الذي انتهى؟"

"لقد جاء أحدهم ليقضي علينا، يا كارل".

"عمّ تتحدث؟"

"أنت رأيت تلك الجثة. أتذكّرها؟ يوم استولينا على البيت الأبيض؟"

عادت عيناه إلى الماضي. نعم، لقد تذكّر الجثة المشوّهة بطريقة غريبة. تذكّر أنّ صورتها أقلقت نومه على مدى بضع ليالٍ، ولكن بعد ذلك أنتجت أسلحتهم ذات القدرة العالية، وقنابلهم الحارقة، كُل أصناف الجثث الملتوية والبشعة، بنحو مستمر. لم يكن لديه الوقت لتذكر أكثر منها. هذا ما يفعله حكم أمة مغلوبة.

"أترى، يا صديقي الحميم... هؤلاء هم".

"هم؟"

" إنهم يعرفون مكاننا... ويعرفون زماننا. وهم قادمون ليقضوا علينا".

"هم؟ مَنْ؟"

هزّ كريمر رأسه، وأصبح الارتعاش في فكّه مُبالغاً فيه بنحو مزعج. وأدرك كارل أنه لا بد أنّ كريمر يُعاني ممّا يشبه الانهيار العصبي.

"يبدو أنّ أعمالنا في التاريخ قد أثارت غضبهم، يا كارل. وها هم قادمون طالبين السداد. وسيأخذونه كاملاً".

تجهّم وجه كارل. "أتتحدث عن مسافرين آخرين في الزمن؟"

اتسعت عينا كريمر، الحمراوان والمتلألئتان. "لقد شاهدتهم في كوابيسي. لعلي لمحت وجهه في فجوة في الزمان-المكان، يا كارل. عندما سافرنا عائدين إلى عام 1941. لا بد أني رأيت وجهه هناك... وسط ذلك العماء السائد بين الحاضر والماضي".

"وجه؟ وجه مَنْ؟"

"وجه الشيطان، يا كارل... إبليس. الموت. العماء".

تأمل قائده وسط صمتٍ متوتر.

لقد جُنّ تماماً.

"بول، لا وجود لشيء اسمه الشيطان".

"أوه، بل يوجد. لقد ولجنا أنا وأنت إلى فجوة في الزمان-المكان، فجوة في قانون الفيزياء... لعلنا دخلناها أنا وأنت لفترة وجيزة، بل وجيزة جداً، ووطأنا أرض الجحيم نفسها".

يجب أن يتوقف. إنّ بول ليس على طبيعته.

"وأصبحت رائحتنا موجودة في الجحيم الآن، يا كارل. إنه يحمل رائحتنا. إنه يبحث عنا وسوف يُعاقبنا".

ارتدت عينا كارل عن وجه كريمر المتوتر، ومن ثم عادتا بسرعة إلى القنبلة النووية المستقرة داخل إطارها المعدنيِ الداعم. يمكنه أن يسبب قتلنا معاً بتلك الأداة. ويقتل كل مَنْ على متن سفينة القيادة.

التفت كريمر وتابع تحديقه. "نعم، يا كارل. هذه الأداة... أتريد أنْ تعرف ما هي؟"

"هل وصلتَ قنبلة نووية بآلة الزمن؟"

هزّ كريمر رأسه نفياً. "إنها ليست آلة زمن. فلكي أصنع واحدة يلزمني أشياء لا أستطيع الحصول عليها في عام 1957. كلا... إنها قنبلة التدمير الشامل. قنبلة نووية عظمها إلى ما لا نهاية حقل فالدشتاين للإزاحة". وأشار إلى قفص الأسلاك. "إنها تضمن أنْ يُزيل انفجار وإشعاع غاما كل مظهر من مظاهر الحياة".

شهق كارل "أوه يا إلهي!"

تغضّن وجه كريمر بتعبير ألم عابث. "كأنه من إنجاز الله، أليس كذلك؟"

شعر كارل بقلبه يضرب بقوة من تحت ردائه الرمادي بلون الفحم، وشعار النسر الفضيّ المُطرّز على جيب صدره الأيسر.

"بول، إنّ هذا... هذا جنون".

"أنا أعتبره لطفاً، يا صديقي العزيز".

"ماذا؟"

"نعم... نعم، لطفاً. لقد أخطأنا وتركنا قوة شريرة تتبعنا إلى الماضي. شيء شرير... هو العماء نفسه. وهو يلاحقنا. سوف يلاحقنا أنا وأنت، وسوف ينال من كل كائن في هذا العالم. أستطيع أنْ أرى هذا الآن".

"بول... اسمع. لا وجود للملائكة، أو للشياطين، أو..."

"سوف يلاحق كل مخلوق في هذا العالم... لأنّ هذا العالم ما كان ينبغي أنْ يوجد. وكل كائن حيّ الآن يعيشُ حياةً ما كان ينبغي أنْ توجد".

وجد كارل يده تنحدر بحركة غريزية، وببطء، إلى المسدس الذي في حزامه. وبما أنه كان مجرد قطعة زينة لم يكن محشواً، ولكنْ لعل كريمر لم يكن يعلم ذلك.

أحقاً سأشهر المسدس في وجهه؟

نعم. يجب أنْ يصطحب بول معه الآن، بعيداً عن هذه البدعة، لكي يتمكن من التحدث إليه، لكي يناقشه بأمان. وإذا احتاج الأمر، سوف يأمر طبيباً بإعداد بعض المُهدئات للفوهرر. إنّ الرجل في حاجة إلى أنْ يهدأ، ومن مظهره يبدو في حاجة ماسّة إلى بعض النوم.

قال كريمر، وعيناه المتعبتان مغرورقتان بالدمع، "أنت تعلم، يا كارل، اني اردتُ أنْ اخلقَ عالماً أفضل، ومستقبلاً أفضل. ولكن بدل ذلك..."، هزّ رأسه أسفاً، "أعتقد أني حكمت على انفسنا بما هو أسوأ من الموت نفسه".

"لكنكَ تتحدث عن خوارق، يا بول. عن شياطين، وملائكة، والله، وإبليس. هذه أشياء تعود إلى العصور الوسطى، وأنت رجل علم، ولست داهناً... معتوهاً".

"لعلَّ الخوارق هي ما يقع ما بعد عِلمنا؟ إنه ذلك الفجوة بين الزمان والمكان". تدحرجت دمعة يتيمة على وجنة كريمر النحيلة. "الحقيقة هي... اني اعلم أنَّ الشيطان وصل وهو يسعى إلينا بينما نتبادل الحديث الآن".

لقد تمادى كثيراً.

"يجب أنْ أطرح عليك السؤال الآتي، يا بول... هل هذه الآلة تعمل؟"

اوما كريمر برأسه إيجاباً. "نعم".

لا خيار أمامي، إذن. تسللت يد كارل إلى جرابه وبحركة واحدة سريعة وسلسة استلّ المسدس. سدّده نحو كريمر. كان المسدس مُستعداً. أما صوته فلا. "بول... أنا آسف. يجب أنْ تفهم أني لا أستطيع أنْ أدع هذا يستمر أكثر من ذلك".

حافظ كريمر على هدوئه، وعيناه تنظران إلى المسدس. ثم ابتسم، برقّة. "اخشى أنّك ستطلب مني أنْ افعل شيئاً".

سدّد كارل مسدسه. "اسمع، تعال معي، يا بول. سوف نتحدث في هذا الأمر في مكتبك. أنت وأنا".

مدّ كريمر يده بهدوء نحو جهاز الاتصال الداخلي على طاولة العمل.

"بول! توقف من فضلك! سأطلق الرصاص!"

قال كريمر بنعومة وهو يضغط زراً على جهاز الاتصال، "لا أعتقد أنكَ ستفعل، يا صديقي العزيز. فليحضر ضابط أمن إلى معملي الخاص في الحال، من فضلك".

تسلّمَ صوت رفيع الأمر عبر مكبر صوت على الطاولة.

رفع كريمر نظره إليه. "كنتُ آمل أنْ تتمكن من مواجهة هذا الأمر معاً، يا كارل. بعد كل ما مررنا به معاً".

"ألا تفهم؟ أنت مريض. أنت مُتعب. أنت لا ترى الأشياء بوضوح. أبعد الحراس لكي تتمكن أنا وأنت من التحدث".

كان كارل قد بدأ يسمع وقع الجزمات على الأرضية الصلبة خارج المعمل. "أبعدهم، يا بول. هذا جنون".

سُمع قرع قوي على الباب الضخم، ومن الخارج تناهى صوت مكتوم. "ضابط الأمن، يا سيدي!"

"ادخل!"

أسرع كارل بإنزال مسدسه. يمكن الحرس الخاص أنْ يُطلقوا النار حتى عليه هو، الرايخمارشال، إذا رأوا سلاحاً مرفوعاً في وجه قائدهم المحبوب. فُتِحَ الباب واسعاً وولج خمسة من عناصر الحرس الخاص. نظر قائدهم الملازم الأول إلى كارل، وهو يحمل المسدس الموجّه نحو الأرض.

"Mein Fuhrer؟ هل كل شيء على ما يرام؟"

تنهد كريمر، وكتفاه متراخيتان. "أنا شديد الأسف، يا كارل"، ودار حول كتلة من الكابلات متوجهاً نحو صديقه، وأخذ المسدس غير المحشو من يده ووضعه على طاولة العمل.

قال كارل بهدوء "بول، يجب أنْ تُصغي..."

وضعَ كريمر إصبعاً على شفتيه، طالباً منه السكوت. ثم اقترب وشدّ على كتفه بحب. "إنني أعتبرك أعزّ أصدقائي... بل ربما صديقي الصدوق الوحيد، يا كارل. لكنَّ هذا شيء مهم أكثر مما ينبغي".

يا إلهي. سوف يأمر بإلقاء القبض عليّ.

عضَّ كارل على شفته، مُدركاً أنَّ من الحمق ممارسة أي قدر من الضغط على كريمر في تلك اللحظة. وبوصفه القائد الأعلى لقوات غزو الرايخ، لعله لا يزال قادراً على التحاور مع الحرس، مع كبار ضباط الطيران... ولكن ليس هنا، ليس هكذا.

خطا كريمر إلى الخلف. قال برفق، بهمسٍ بالكاد وصل إلى أُذن كارل، "صدّقني، هذا رفقٌ بك".

"بول؟ ماذا تنوي...؟"

"أيها الملازم أول؟"

"سيدي؟"

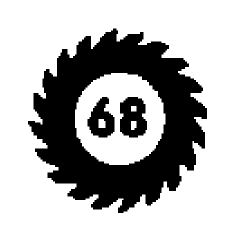
"نفِّذ حكم الإعدام في الرايخمارشال هاس".

اتّسعت عينا الضابط الشاب في لحظة ارتباك.

"نفّذ في الحال، من فضلك".

"ماذا؟ لا يمكن أنْ...!"

كاد كارل يستدير ليُصدر بنبرة حادة أمراً مضاداً عندما أُنهت حياته طلقتان مُسددتان بدقّة ونثرت قطعاً من لحمه ودمه على طاولة عمل كريمر.



1957، الغابة خارج بالتيمور

"حسن، بوب؟ هل تعرف ماذا عليك أنْ تبلغهم؟"

"جواب إيجـ..."

رفع ليام إصبعاً ورفع حاجبه مونّباً.

" نعم... أنا أفهم، يا ليام أوكنر".

"هذا أفضل. ينبغي أنْ يكون كلامك مُقنعاً. يجب أنْ تبدو كأحد أنبياء العهد القديم، وليس كإنسان آلي لعين".

"أنا أفهم".

"هل تتذكر كل شيء؟"

نظر بوب إلى صفحة الورق البالية التي بين يديه، بما عليها من كتابة بخط يد ليام المشوّش مع بعض الكلمات المشطوبة، والعبارات التي أعيدت كتابتها، مرة بعد أخرى.

"إنها مُخزّنة في الذاكرة".

"حسن، إذن أعتقد اننا يجب أنْ نتحرك".

دمدم بوب "صح. واشنطن تقع على مسافة سبعة وخمسين ميلاً إلى الجنوب الغربي من هذا الموقع. يجب أنْ نُسرع في السفر".

تقدّم ليام الطريق إلى خارج مأوى بوب وطرفت عيناه في وجه شمس الصباح الباكر التي تخترق أغصان الأشجار وأوراق الصنوبر الإبريّة فوقه

ونرقش الأرض المكسوة بالثلوج وقد وطئتها أقدام ثقيلة ببرك من الدفء والضوء. كان المعسكر يضج بالنشاط، وقد استيقظ بعض الرجال تواً وأخذوا يُعيدون إشعال نار المعسكر التي أخمِدت لكي يُعدوا عليها طعام الإفطار ويُسخّنوا وعاء القهوة.

شاهد بانيللي يستجوب المزيد من القادمين الجُدد المتحمسين للانضمام إلى القتال، بل أشدّ حماسة لمشاهدة قائدهم الأسطوري بوب وهو يحارب.

أوه يا إلهي، لن يعجبهم أبداً ما سيسمعون.

همس لبوب "هيا، يُستحسن أنْ تتقدمني على الطريق".

تجاوزه بوب بخطى واسعة نحو الفسحة المكشوفة وسط المعسكر. عندما خرج من تحت بعضٍ الأغصان المنخفضة، همد طنين النشاط في المعسكر حتى غدا صمت توقّعٍ وهم يُحدقون في رهبة إلى قائدهم البطولي الرائع.

اندفع القادمون الجدد، الذين بلغ تعدادهم نحو ثلاثين فرداً، إلى الأمام بحماسة، توّاقين لإلقاء نظرة عن قُرب إلى القائد بوب.

هتف بانيللي "هســـس! يبدو أنَّ لديه ما يقوله!"

وقفَ بوب بجوار النار، متباعد الساقين، ويداه على وركيه – كما بيَّنَ له ليام – وعيناه الرماديتان الباردتان تستعرضان ببطء الناس المجتمعين أمامه بجديّة مهيبة.

"لقد حان وقت رحيلي... أيها الشعب!"

أجفل ليام من الطريقة التي ألقى بها صوت بوب الفاتر هذه الكلمات. لقد بدت بارعة جداً على الورق عندما دوّنها وألقاها على نفسه. أما الآن، وبوب يرميها بصوت رتيب، بدت مُحرِجة بنحو مؤلم.

"لقد تلقّيتُ نداءً من الأعلى، يأمرني بمغادرتكم الآن بعد أنْ أنهيتُ مهمتي هنا... ويجب أنْ أقوم بتشكيل جماعات أخرى من المقاتلين في أرجاء الأمة كافة من أجل محاربة هذا الشيطان الغازي، هذه القوة المشؤومة الشريرة، جيش إبليس من الأتباع، وتسليم مخترعاتهم وأسلحتهم".

شعر ليام بوجنتيه تتوردان.

ربما كان ينبغي أن أُسقط هذه الجملة.

"ولكنكم ستستأنفون القتال هنا. سوف تواصلون عمل الرب. وانا، القائد بوب، قائد جيش الرب، سوف أعود ذات يوم. سوف أعود... ومعا سوف ندمّر العدو ونُعيد الحرية إلى هذه الأمة العظيمة". هكذا أعلن بوب بكل حماسة أستاذ ضجِر يأخذ التفقّد الصباحي.

لفّ السكُون والصمت الغابة فترة طويلة، بل طويلة أكثر مما ينبغي بالنسبة إلى ليام الذي تساءل إنْ كانا قد ظهرا، بين مهاراته الفظيعة في الكتابة الإبداعية وإلقاء بوب المملّ والخالي من الانفعال، سخيفَين كما توقّع.

ثم إذا بأحد الرجال، وهو جندي شاب ورع، يخرّ على إحدى رُكبتيه ويقول بصوت أجشّ، "آمين". وكذا فعل آخر، وآخر.

نظر بانيللي إليهما، ولمّا كان حريصاً على الا يتفوّق عليه أحد، فعل مثلهما. "آمين".

حذا الواقفون في الغابة حذوهم أحادياً أو ثنائياً، وخرّوا على رُكبهم برصانة.

يا إلهي، أترانا نجحنا في ذلك؟

"لقد تكلّم قائدكم و..."

لكز ليام مرفق بوب برفق. وهمس له من زاوية فمه، "ربما يجب أنْ نرحل، ما دمنا متقدمين عليهم".

أومأ بوب موافقاً وخطا إلى الأمام وأومأ بيده كما علّمه ليام في الخيمة. وهدر صوته العميق مخاطباً أقرب رجل إليه عندما لمس رُكبته، "بوركتَ"، وقال لآخر "بوركت" وهو يتجاوزه.

مشى ليام في أثره، متبسماً بحياء للرجال الذين يمرّ بهم، "سوف... تغادر الآن، إلى... كما تعلمون، لكي ننشر الكلمة الطيبة".

تقدّم ليام ماراً بالقادمين الجدد في صباح ذلك اليوم، وكلهم راكعون على رُكبهم، ويرفعون إليه عيوناً جاحظة.

زأر بصوت خالٍ من الانفعال "بوركتم جميعاً"، وهو يتجاوزهم بخُطى

واسعة متوجهاً نحو سيارة شاحنة مموّهة.

أومأ ليام برأسه. قال "نعم. تابعوا العمل الطيب، يا رفاق"، وهو ينكمش في داخله من شدة ما يبدو هذا الأداء أحمق.

كان بوب قد أصبح داخل الشاحنة، يُشغّل المحرك بضجيج عالٍ يشبه السعال وينفث دخاناً، بينما ليام يلج السيارة. ومن دون لحظة تردد، نقلها بوب إلى مرحلة الانطلاق، وبدأتْ الشاحنة تدور عبر أرض الغابة الوعرة نحو أخدودي ممر الغابة الموحلَين.

نطق ليام "أووه... كان أداءً أخرق"، وهو ينظر عبر مرآة الخلفية إلى الأشكال البيضاوية الشاحبة للوجوه الفضولية التي تبرز من تحت الشجيرات وتتجه نحو الشاحنة خلفهما، وتراقب رحيلهما.

انتابه شعور داخلي. أكان حزناً؟ لعله شعور بالذنب. لعلّ أولئك الرجال سيتابعون النضال من دون بوب، ويموت العديد منهم في أثناء ذلك، يقاتلون من أجل مستقبل لن يحدث.

عندما عادا إلى موطنهما، إلى عام 2001، أخبر ليام فوستر بالضبط عن المكان والزمان اللذين يجب أنْ يعودا إليهما، ليضعا التاريخ على مساره الصحيح – مواجهة ذلك المدعو كريمر وقتله قبل أنْ يتمكن من تغيير مصير هتلر. وعندما يحدث ذلك، لن يعُد لذلك التاريخ الخاطئ وجود. يختفي ببساطة. وكل التضحيات التي كان قد قدّمها أولئك الرجال والتي قد يقدّمونها في الأيام القادمة... سوف تذهب هباءً.

على الرغم من أنّ ليام لن يشهد ذلك بنفسه، سينتقل هذا العالم وسط أمواج متزايدة من الاضطراب الزمني، ومن ثم، في غمضة عين – بوب!– سوف يُصبح عام 1957 كما ينبغي أنْ يكون.

التفتَ بوب إلى ليام. "هناك متّسع من الوقت للوصول إلى موقع اللقاء في واشنطن دي. سي. أمامنا أربع عشرة ساعة واثنتان وخمسون دقيقة".

"عظيم. شكراً لك، يا بوب".

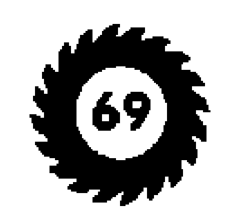
"ومع ذلك، ثمة احتمال كبير في أنْ تقف وحدات جيش العدو

حائلاً بيننا وبين موقع الموعد. وهذا يُقلل من الاحتمال المُقدَّر لنجاحنا في الوصول إلى نقطة اللقاء إلى..."

"سأُسكتك عند هذا الحد، يا بوب... بعد إذنك".

نظر وحدة الدعم إليه من دون أي انفعال. "ألا تريد أنْ تعرف النسبة المئوية للنجاح؟"

هزَّ ليام رأسه نفياً. "!!!... كلا، لستُ متحمّساً".



1957، واشنطن دي. سي.

عندما دخلا واشنطن دي. سي. كان الظلام قد حلّ. كان هناك فرض لحظر التجوال، والشوارع هادئة ويسودها السكون، ومصابيح الشوارع تئز بصوت ناعم وسط هسيس و"قرقعة" هطل رذاذ متجمد. قررا أنْ يُخفيا شاحنة الجيش في ضواحي المدينة عندما لمحا أمامهما نقطة تفتيش على الطريق. أما باقي الطريق داخل المدينة فقطعاه من خلال شبكة المجاري الصحية تحت أرض دي. سي.

قاد بوب الطريق بكل اقتدار، وتبعه ليام، مُكشّراً، تعبيراً عن اشمئزازه من روائح المجاري الكريهة ومرأى الجرذان تتراكض إلى جواره على الحافة القرميدية، تنظر إليه بفضول لدى مرورها.

وأخيراً، ركّز بوب سمعه، وأخذت عيناه ترفان. استدار إلى اليسار باتجاه النفق الرئيس. "سوف نرتقي هذا السلّم. إنْ علامة الإحداثيات تشير إلى وجود موقع على بُعد خمسين ياردة من هنا".

ارتقى بوب السلّم. وفي القمة أزاح برفق وحذر غطاءً مستديراً للمجاري. أظهر رأسه لكي يتفحص طبيعة الأرض، ثم غاص من جديد.

كان ليام خلفه مباشرة على السلّم. "أهو سالك؟"

"ليست هناك وحدات للعدو على خط النظر. ابقَ من فضلك قريباً مني".

" كم بقيَ لوصول النافذة؟"

اجاب بوب وهو يرفع نفسه "سبع عشرة دقيقة".

اوما ليام برأسه. اقتربت اللحظة. لكنهما وصلا في الوقت المُحدد وهذا هو الأهمّ.

ارتقى السلّم إلى أنْ برز رأسه من الفتحة. شاهد جادة تتوزع إلى أربعة دروب. لا شيء يتحرك. الأبنية على الجانبين - صفوف من ثلاثة طوابق او أربعة - تبدو مسكونة. واضواء بيضاء باهتة تخفق خلف ستائر مُسدلة. خُيّل لليام أنه شاهد صورة جانبية لرأس وكتفي شخص يعبر من أمام مصباح في غرفة نوم.

إذن، ما زال الناس يعيشون في المدينة.

لكنهم مقموعون، منكمشون... خائفون.

فوق في السماء، كانت سفينة قيادة كريمر لا تزال تحوم كسحابة قاتمة تُهدد بهبوب عاصفة، فوق البيت الأبيض. ومنها سُلّطَ عدد من الأضواء الكاشفة نحو الأسفل، لتمسح المدينة الكئيبة والصامتة، تفتش عن مواطنين حمقى إلى درجة خرق حظر التجوال والخروج في الليل.

همس بوب "هيا!"

رفع ليام نفسه إلى اعلى، وزحف عبر الطريق الخالي، وانضمّ إلى بوب في أول شارع خلفي مغطى بالبقايا.

قال بوب "هذا هو الموقع. بعد عشرين ياردة"، ثم أضاف، مُشيراً إلى آخره حيث دلاء القمامة وصناديقها مكوّمة عند سياج خشبي.

شقّا طريقهما حتى النهاية، باذلَين أقصى جهديهما كي لا يرفسا أي شيء يُصدر قرقعة على الأرض.

قال بوب "هذا هو الموقع"، وهو يجلس القرفصاء. بدأ يزيل عدداً من صناديق النفايات الكرتونية المبللة. "توصية: نظّف هذا المكان من العوائق، وإلا منعتهم محاذير الكثافة من فتح نافذة الزمن".

أوما ليام برأسه، وبدأ يساعده بحماسة. وفجأة أدرك، للمرة الأولى منذ

ان أرسلا إلى الماضي، منذ أنْ ساءت الأمور على مرج البيت الأبيض، أنهما سوف يعودان حقاً إلى عالمهما في عام 2001.

قال، وهو يصفع وحدة الدعم على ظهره، "إنني أدين لك بحياتي، يا بوب. لقد أوصلتنا إلى هنا سالمين".

رمى بوب حفنة من الكرتون المعجون والقمامة العفنة جانباً. "لن تتطابق حدود المهمة إلا عندما تعود أنت والبيانات التي جمعتها إلى المكتب الميداني لتحليلها".

ابتسم ليام ابتسامة واسعة. "حسن، بوب. كنتُ فقط أحاول أنْ أشكرك، لا أكثر".

"أشكرك؟"

"نعم، كما تعلم... شكراً. لقد انقذتني. اعتقد أنكَ لم تُبرمَج لتفعل هذا، أليس كذلك؟ أنا متأكد تماماً من انه كان ينبغي أنْ تعبر النافذة قبل ستة أشهر، حتماً".

عقد بوب حاجبيه، وفتح فمه وأغلقه. "أولويات مهمتي... أُعيد ترتيبها".

اتسعت ابتسامة ليام "أعيد ترتيب حسابات المهمة، هه؟ أعتقد أنكَ تعني انكَ قررتَ أنْ تنقذ... صديقاً".

تحول تجهّم بوب إلى ما يشبه عبوس الاستهجان. "الجواب سلبي. أنا ليس لدي أصدقاء. أنا منصّة سلاح بيولوجي، وحدة دعم ميدانية".

زمّ ليام شفتيه وأومأ برأسه. "حسن. مؤكد... إنْ كان هذا ما..."

رفّت عينا بوب. "إنَّ هذا الموقع يُمسَح حالياً من أجل إحداث جيوب كثيفة".

"إنهم هم، أليس كذلك؟ فوستر؟ مادي؟"

"جواب إيجابي".

صفق ليام بيديه. "أوه نعم! سنعود إلى الوطن!"

قال بوب "بقيت دقيقة واحدة على فتح النافذة. من فضلك ابتعد قليلاً".

خطا ليام إلى الخلف طائعاً، وكذلك فعل بوب. انتظرا معاً في الظلام خفق الضوء الشاحب الدال.

"عشر ثوان".

قبض ليام على يد بوب وهزّها. "إننا نؤلف فريقاً جيداً، أليس كذلك؟"

نظر بوب إلى يد الفتى، تضمّها أصابع يده الضخمة. للوهلة الأولى ؛ يفهم تلك اللفتة، ثم نجح في رسم ابتسامة جذابة.

أجاب "فريق جيد".

ظهرت شرارة باهتة، تخفق بضوء ضعيف كراعة. وبعد برهة شعر ليام بنفخة من هواء الإزاحة اللطيف على وجهه، ضخّة رقيقة من الهواء جعلت بضع مزَق من أوراق الصحف الرطبة ترفرف عالياً في الشارع الخلفي، وعلب قصدير فارغة تتدحرج مع ضجيج على الأرض.

علقت بعض الحبيبات بوجهه، طرفت عينا ليام وأخذ يدعكهما ويزيلها عن عينيه الدامعتين، وإذا بصوت بوب العميق يدمدم.

"هذا لا يبشّر بخير".

دعك ليام وجهه ليزيل الحبيبات، ومسح الدموع عنه بظاهر يده وحدّق إلى النافذة: جسم مستدير متموج من اللون الأزرق الفاتح الرقيق. ليس أكبر من كرة القدم، يرتفع عن الأرض بمقدار قدمين.

"ما هذا الـ...؟"

قال بوب "الطاقة عندهم ليست كافية".

"إذن انتهى الأمر؟ ألا يستطيعون أنْ يزيدوها؟"

كرر بوب القول "الطاقة عندهم غير كافية".

هتف "أوه كلا. أوه يا إلهي، كلا، كلا، كلا... مستحيل!"

التفت بوب لينظر إليه. "ليام أوكنر، يجب أنْ تكون سريعاً جداً".

"سريع؟ وأنا أفعل ماذا؟"

استل سكيناً طويلاً من حزامه. "لن تستطيع أنت ولا أنا أنْ نعود، يا ليام أوكنر. لكنّ البيانات التي يحتاجون إليها يجب أنْ تعود".

وضع بوب السكين بين يدي ليام المرتعشتين. قال من جديد، وهو يخرّ راكعاً على رُكبتيه لكي يُصبح رأسه في متناول ليام، "يجب أنْ تكون سريعاً جداً".

قال ليام، والسكين ترتعش بنحو غريب بين يديه، "لا... لا أستطيع. بوب... لا أستطيع أنْ أفعل هذا!"

"لن اشعر بالألم. اغرزها بين أعلى العنق وقاعدة الجمجمة، حيث اضعف نقطة في القحف، ثم اضغط بقوة شديدة".

أومأ ليام برأسه إيجاباً. وقف خلف بوب، ورفع الشَفرة إلى أنْ أصبح رأسها موجّهاً نحو كتلة الشعر القائمة في قفا الرأس.

ألحّ بوب "يجب أنْ تفعل هذا الآن".

شعر ليام بجسمه كله يرتعش. "أنا... أنا..." انقبضت معدته، تقلّبت، وأصبحت مستعدة لقذف آخر وجبة تناولها.

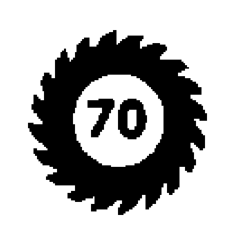
"يجب أنْ تفعلها الآن".

بدأ الضوء الخافت والوامض الذي يعلو الأرض يخفق ويتغيّر باستمرار. وفي منتصف الجسم تخيّل ليام أنه ميّزَ الشكل المتردد، والمتغيّر لشخص ما... كلا، بل لثلاثة أشخاص... ينتظرون، يومئون له، لشخص ما، لشيء ما... لأي شيء... كي يعبُر إليهم".

ثم اختفى.

ومن جديد عمَّ الظلام والسكون الشارع الخلفي، اللهم إلا من الدمدمة الخافتة للمطر المتجمد حولهم.

تمتم ليام "أنا آسف. أنا آسف، يا بوب. لا أستطيع أنْ افعل هذا".



2001، نيويورك

حدّقت مادي وسال إلى البقعة من القنطرة التي كان فيها الهواء نفسه قبل لحظة يُصدر رنيناً متذبذباً، كان جياً من الفراغ ومضَ كستار من الحرارة فوق اللحم المشوي أو فوق الأسفلت الحار لطريق سريعة تحرقها اشعة الشمس.

كان فوستر قد عطّل عمل آلة إزاحة الزمن.

قال "أنا آسف". اتكأ بإرهاق على طاولة الحاسوب، مُتعباً، وبدا أخيراً كمَن لم يعد لديه اي أجوبة يُعطيها. "حسبتُ أنَّ لدينا ما يكفي من الطاقة المشحونة لإحضار ليام. كنتُ مخطئاً".

رفعت سال نظرها عن المكان الذي كانت فيه كرة صغيرة من الهواء الحار تومض فوق الأرض بثلاثة أقدام. كانت قد ظهرت وتبدلت لأقلّ من دقيقة، وكادت تكون متيقّنة من أنها شاهدت من خلال الضباب وجهي ليام وبوب يُبادلانها التحديق.

قالت بهدوء "إذن، انتهى كل شيء؟"

أومأ فوستر برأسه إيجاباً.

قالت مادي، مُشيرة إلى صف الأضواء الخضراء الصغيرة على الآلة، "لحظة! ما زال هناك بعض الطاقة المشحونة". كانت هناك ثلاثة أضواء خضراء تحمل الأحرف LED وضوء برتقالي: أما الباقية فأضحت حمراء الآن.

اجاب "نعم".

سألت، وتعبير يأس حادّ يتسرّب إلى صوتها، "إذن... لِمَ لم تستخدم هذه الطاقة لكي تجعل النافذة أكثر اتساعاً؟"

أخذ نفساً عميقاً. "لقد كانت عريضة قدر ما استطعت جعلها. كل ما في الأمر أنه لم تكن هناك أدوات كافية للعمل بها. أنا آسف".

كانت مادي تفتش عن الاحتمالات. "أما كان ممكناً أنْ... أما كان ممكناً أنْ نُبقي النافذة مفتوحة مدة أطول؟ أما كنا ربما تمكنا من التواصل معهما بطريقة ما؟"

"لقد كنا نهدر الطاقة، يا مادلين. نهدرها ببساطة. كان جلياً أنه ليس في استطاعتهما أنْ يعبرا".

"لذلك اغلقتها؟"

اوما برأسه إيجاباً. "على الأقلّ ما زال لدينا بعض الطاقة المشحونة".

هزّت رأسها نفياً، وأفلتت من بين شفتيها ضحكة حادة، يائسة. "لأجل ماذا، يا فوستر؟ لأجل ماذا؟"

قاطعتها سال "ربما... ربما بقي مقدار كافٍ من الديزل في المولّد لـ..."

نخرت مادي "من أجل ماذا؟ لنشحنه مرة أخرى ونفتح نافذة قزمة اخرى؟"

ملأ الانفجار المكتوم الصادر من الغرفة الخلفية الصمت الطويل السائد بينهم.

اخيراً، اوما فوستر برأسه مُشيراً نحو صف الأضواء القصير على الآلة. "لقد بقي لدينا مقدار ضئيل من الطاقة المخزّنة. واقترحُ أنْ نفكر في أفضل طريقة ننقذ بها أنفسنا الآن بعد أنْ..."

قالت مادي "الآن بعد أنْ فات الأوان لإنقاذ التاريخ؟"

كانت ابتسامة فوستر مقتضبة وضعيفة. "نعم. إنّ ما بقي من طاقة سوف يزوّدنا بالضوء لبعض الوقت على الأقل".

قالت سال "وبالقهوة".

ضحك بهدوء. "وبالقهوة... إلى أنْ تنفد".

رفعت مادي بصرها إلى ضوء السقف. "وبعد ذلك سوف يبدأ ها بالضعف". ونظرت إلى الاثنين الآخرين. "ومن ثم سوف نُصبح كتلك المخلوقات التي في الخارج... في المدينة، نجوس الليل بحثاً عن بقايا الطعام"

وفي الحال تمنّت لو أنها لم تقل هذا. وأدركوا جميعاً أنهم لم تعد أمامهم خيارات. لم يكن هناك من داع للجهر بهذا بنحو مباشر فظ.

استلقت سال على إحدى الأرائك المحيطة بمائدة الإفطار من النعاس.

"اعتقد أنَّ الأمر انتهى".

أجاب فوستر "أنا شديد الأسف. يبدو فعلاً أنَّ هذه هي النهاية".



1957، واشنطن دي. سي.

هذه هي النهاية، إذن. لقد قضيَ علينا.

نظر ليام إلى الصورة الجانبية القاتمة الضخمة لوحدة الدعم، واقفاً بجواره في الزقاق. ساكناً، هادئاً كعهده دائماً، متحرراً من الشك واليأس.

كان المطر المتجمد قد تحول إلى مطر عادي، وأخذ يهطل برفق حولهما، والظلام يخفق بين حين وآخر بضوء عابر، بينما الأضواء الكاشفة من أعلى تمسح بحركة روتينية قمم الأسطح.

دمدم صوت بوب "يجب أنْ تحدد معطيات مهمة جديدة".

معطيات مهمة جديدة؟

كان يمكن ليام أنْ يضحك بقسوة على هذا القول، إذ لم يعد أمامهما ما ينجزانه الآن، ليس خلال ما تبقّى لهما من وقت. فبعد أقلّ من يومين من الزمن، هناك شحنة متفجرة صغيرة داخل رأس بوب سوف تتركه ليس أكثر من عملاق بلا وعي، مجرد كتلة بليدة متخلفة وبلا عقل. لقد تخيَّل ليام أنَّ في استطاعته أنْ يحتفظ بجسد بوب حياً، أنْ يُطعمه كطفل ضخم الجثة، ويحافظ على حياته بتزويده بالبروتين وبالماء. ولكن لأي غاية؟ سوف يرحل بوب... ولن يتمكن من حمايته بعد الآن.

همس ليام "لا أدري ماذا أقترح، يا بوب. هل لديك أنت اقتراح؟"

صمت بوب بضع ثوانٍ. "الجواب سلبي".

هل يذهب لينضم من جديد إلى المحاربين من أجل الحرية؟

كانت ابتسامة ليام رفيعة. تساءل ماذا سيفعلون بإنسانهم الخارق - القا
بوب - عندما يرونه ناعساً متكئاً على جذع شجرة، تسيل منه خيوط طو
من اللعاب ويُحدّق ببلاهة إلى نارهم المشتعلة. أبعد ما يكون عن الأساطير

أصغى إلى أولئك الرجال وهم يتحدثون عن بوب بنبرات أصوات خافة
وهيابة، وهو رابض في إحدى تلك الخيام. كان ذلك نوعاً من العبادة. و
سرد أحدهم حكاية مُبالغاً فيها لبعض القادمين الجُدد عن الغارة التي أنقذ في
خلالها ليام، مُدّعياً أنه شاهد هالة من نور "إلهيّ" يومض تكتنف بوب وهو
يمشي أعزل بخُطى واسعة إلى داخل المعسكر، تحميه من رصاص الحراس
وثمة ملائكة ترنو إليه بنظرة الحماية.

تساءل ليام إنْ كانت هكذا تبدأ الشخصيات الأسطورية عبر التاريخ
كحكايات تروى حول موقد النار، وتُعاد روايتها مراراً وتكراراً على مـ
الأجيال، من الجد إلى الوالد، ومن الوالد إلى الابن، وفي كل مرة تتضخم
المبالغة في الحكاية.

ثم خطرت له فكرة غريبة. تساءل عمّا إذا كان البطل الإغريقي القديم،
أخيل، مجرد وحدة دعم مثل بوب، وجد نفسه بنحو ما داخل حصان
طروادة، وأصبح حضوره غير المقصود جزءاً من التاريخ. أو ماذا عن البطل
التوراتي الخارق شمشون؟ أو أتيلا زعيم قبائل الهن؟ والملك ليونيدس ملك
إسبرطة؟ تساءل إنْ كانت أياً من تلك الشخصيات البطولية التاريخية التي
لا تُصدَّق هي مجرد نتائج ثانوية غير مقصودة لمهمة مثل مهمتهما... لفريق
وكالة أخرى تقوم بعملها، تاركة بصمات على الزمن لا يمكن تجنّبها.

بصمات على الزمن.

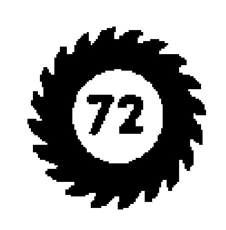
"يجب أنْ تعيّن معطيات مهمة جديدة".

بصمات على الزمن.

همس "أوه يا إلهي! بصمات".

بقيَ بوب صامتاً.

همس من جديد "بصمات، بوب؟"
"جواب إيجابي".
"أعتقد أنْ هناك وسيلة للتواصل مع المكتب الميداني".
"جواب سلبي. وحدها الجزيئات المسرّعة تستطيع..."
همس ليام "هسسس! أصغِ إليّ. كم من الوقت يستغرق منا الوصول إلى نيويورك؟"



2001، نيويورك

أدركت مادي أنها نعست. لقد هدهدها الانفجار المكتوم الرتيب للمولّد في الغرفة الخلفية، وجعلها تمر بنوبات نعاس.

كانت تحلم.

تحلم باليوم الذي انتُزِعَتْ فيه من طائرة محكوم عليها بالهلاك، وتستيقظ على هذا السرير الضيق نفسه وتفتح عينيها لترى ليام مرتمياً على السرير المقابل لسريرها، وتلك التكشيرة المعتوهة، الملتوية على وجهه.

أدركتْ كم تفتقد ليام. حتى بوب. لو جمعت أيام الاثنين والثلاثاء المتكررة كلها التي أمضوها هنا تحت هذه القنطرة معاً - اي، قبل أنْ تسوء الأمور - لكانت أياماً تعادل أسابيع. هذا كل شيء. ولكن كأنها عرفتهما مدة أطول بكثير.

إنها تشتاق إليهما.

لاحت ذكرى أخرى في أفق عقلها نصف الواعي. تراءى لها فوستر يصطحبهم إلى متحف التاريخ الطبيعي. وكانت قد زارت المكان قبل ذلك في رحلات المدرسة. لكنّ تلك المرة الأخيرة كانت مختلفة. تلك المرة لم تكن تحديقاً مدرسياً مملاً في معارض عتيقة ومرتبة من خلف ألواح زجاجية، بل مشاهدة تلك الأشياء ككنوز ثمينة من الماضي، كنقاط بارزة من تاريخ يستنجد بها كي تحميه، كي تُحافظ عليه... لإبقائه كما هو...

تذكرت...

نفضتْ مادي عنها خمولها الناعس.

همست "أوه يا إلهي!"

كان المولّد لا يزال يواصل انفجاراته المكتومة في الخلفية. غادرت سريرها وبلفّت حولها في القنطرة. كانت سال جالسة على طاولة مكتب طويلة تُحدّق بتكاسُل إلى شاشات الحواسيب المطفأة.

"أين فوستر؟"

أومأت باتجاه الباب المتموج المنزلق المؤدي إلى الغرفة الخلفية. "أعتقد انه في الخلف يعبث بالمولّد".

قطعت مادي أرض الغرفة، وزلقت الباب إلى أحد الجانبين وولجت الظلام ذي الرائحة الكريهة. "فوستر!"

سُلط ضوء المصباح عليها، وفوق الضجيج المختنق للمولّد سمعته يتقدمُ منها. "ما الأخبار؟"

"فوستر، أعتقد... أعتقد أنَّ هناك طريقة يستطيع بها ليام أنْ يتواصل معنا".

اجاب، مُحيطاً أُذنه بكفّه "آسف. ماذا قلت؟"، وصاح "الضجيج عالٍ. هيا إلى الخارج".

خرجا من الغرفة الخلفية وزلق الباب ليغلقه. ومن جديد كُتم الضجيج العالي للمولّد الذي يبدو كالمريض في الخلفية.

"ماذا كنت تقولين؟"

"ليام... أعتَقد أنَّ هناك وسيلة يمكن ليام أنْ يلجأ إليها للتواصل معنا".

هزّ فوستر رأسه نافياً. "أنتِ تعرفين أنّ بوب لا يستطيع أنْ يُعيد بثّ شعاع الجزيئات المُسرّعة..."

قاطعته بنزق "نعم، أعلم هذا. اسمع... المتحف. متحف التاريخ الطبيعي..."

"ماذا عنه؟"

"عندما اصطحبتنا إلى هناك، كنت وليام نتصفَّح دفتر الزوار، ونضحك على بعض التعليقات".

"هزّ فوستر كتفيه استخفافاً. "ثم؟"

"على أي حال... إنَّ المتحف دائماً يحتفظ بدفتر للضيوف عند المدخل في الردهة منذ أول افتتاحه. ولديهم أرشيف لتلك الدفاتر يحتفظون بها في القبو. وهم يحتفظون بها منذ حوالى ثمانينيات القرن التاسع عشر، أعتقد"

فجأة اتّسعت عينا فوستر. "نعم!"

"إذا ذهبنا إلى هناك..."

أوما الرجل العجوز برأسه. "لعلها لا تزال موجودة هناك!" إشراقة الأمل التي احتلت صفحة وجهه جعلته يبدو أصغر سناً. ولكن فقط لبرهة سريعة وبالسرعة التي ظهر بها الأمل، خبا.

"لكنَّ ليام لا يعرف هذا كله".

كشَّرت مادي. "بل يعرف! لقد أخبرني حارس الأمن هناك بذلك. لقد كان ليام واقفاً بجواري في ذلك الوقت. كان يُخبرنا نحن الاثنين عن ذلك! وإذا كنتُ أنا أتذكر...؟"

تغضَّنَ وجه فوستر المُخدد بتكشير واسع ومنحرف. "إذن فإنَّ ليام يتذكَّر أيضاً".

"هذا ما فكرت فيه".

أوما فوستر. "نعم... نعم، سيتذكر. إنه فتى ذكي".

تابعت "إذن، إذا وصل إلى نيويورك وقام بزيارة المتحف في عام 1957، فمن الممكن أنه ترك رسالة لنا هناك".

أوما فوستر برأسه. ويمكن الرسالة أنْ تحدد لنا الزمان والمكان بدقة لكي نفتح نافذة العودة لهما".

"أقرب إلى الوطن؟ ربما في نيويورك؟ هل سيتبقَّى لنا ما يكفي من الشحن لفعل ذلك؟"

ألقى فوستر نظرة سريعة على أزرار LED. كان زر أحمر آخر قد تحول

إلى اللون الأخضر. "لن يدوم المولّد طويلاً، يظهر ذلك من الضجيج الذي يصدره. ووعاء الوقود يكاد يفرغ. ونحن في حاجة إلى أنْ يزيد الشحن إلى مستوى عشرة أزرار خضراء، تخميناً".

"ولكن ماذا لو استطاع ذلك؟"

عضّ فوستر على شفته، وهو مستغرقٌ في التفكير برهة. "هذا إذا فتحنا نافذة في مكان أقرب إلى الوطن... وحتى حينئذٍ، لن يدوم ذلك أكثر من بضع ثوان. نحن في حاجة إلى الزمن الدقيق... دقيق بكل معنى الكلمة".

تقابلت عيونهما. "حينئذٍ... نعم، نستطيع أنْ نفتح نافذة تكفي ليام. وربما حتى بوب".

"إذن..." وراحت تقضم ظفر إصبعها بعصبية، "إذن يجب أنْ نذهب لنرى، أليس كذلك؟ يجب أنْ نذهب لنبحث في المتحف؟"

اخذَ فوستر نفَساً عميقاً. "يبدو أنّه ليس أمامنا خيار آخر".

شعرت مادي بذراعيها وساقيها ترتعش. آه يا ربي. لماذا فتحت فمي وقدمت هذا الاقتراح؟ لقد كانت فكرة الخروج من جديد ترعبها. لكنّ فكرة أنْ يبقوا عالقين داخل ذلك الكابوس إلى الأبد اخافتها أكثر بما لا يُقاس.

التفتَ فوستر إلى سال. "ربما يجب أنْ تبقي هنا، يا سال. لن نغيب طويلاً أنا ومادلين. نحن..."

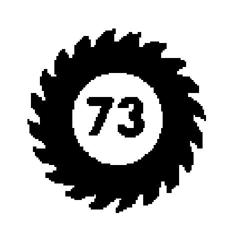
هزّت راسها رفضاً. "كلا... أنا قادمة معكما". نهضتْ، وأخذت نفساً عميقاً، لتوازن أعصابها. "نحن فريق واحد، ألسنا كذلك؟ نحن الثلاثة... رواد الزمن".

كانت ابتسامة فوستر الواسعة مُعدية. فجأة وجدت الفتاتان نفسيهما تحذوان حذوه. قال فوستر "سال هي الأفضل، هي الأفضل".

أبعدت سال كرسي المكتب تحت الطاولة وثبّتت السترة. "إذن ما الذي ننتظره؟"

اومأت مادي براسها "أحسنت".

أجاب فوستر "صحيح، ما الذي ننتظره. سأحضر البندقية".



1957، نيويورك

أطلّ ليام مُحدِّقاً من النافذة إلى شوارع نيويورك التي تغصّ بناطحات السحاب ذات الحجارة البنيّة والرمادية الشاهقة، إلى درجة أنه اضطرَّ إلى أنْ يغوص في مقعده لينظر عالياً ويلمح أعاليها.

تذكر أنه سبقَ أنْ شاهد بعضها من قبل عندما اصطحبهم فوستر إلى حي مانهاتن: بناء إمباير ستيت، قال فوستر إنَّ فيلماً سينمائياً اسمه "كينغ كونغ" تتدلّى فيه غوريلا طولها ثمانون قدماً من أعلاه. ظنَّ ليام أنَّ الرجل العجوز يُمازحه. لقد بدت له الفكرة مجنونة ولا يمكن أنْ تظهر في فيلم سينمائي.

لقد لاحظ أنَّ تأثير كريمر اصبح يطبع شوارع المدينة كلها. ألواح إعلانات كبيرة مُعلّقة في كل شارع، وصورة وجه الرجل تبتسم لهم بعذوبة، ورسائل مثل "نحن هنا لكي نوحّد العالم بسلام"، و"الاتحاد تقدُّم"، و"أعدكم بألف عام بلا حروب" مكتوبة تحتها.

شاهد ليام وحدات جيش تجوب الشوارع، ونقاط تفتيش عند بعض تقاطع الطرق المزدحمة، وجنوداً يستوقفون المشاة ويتحققون من أوراقهم الثبوتيّة. وعلى الجانبين تجوب حوامات السماء فوق أعلى الأبنية. وفوق نهر هدسن شاهد أحد تلك الأطباق الطائرة الرمادية الضخمة معلّقة لا تتحرك، بمثابة تذكير للجميع بأنَّ الحرب قد انتهتْ، وأنَّ قوات كريمر قد ربحت الحرب، وأنَّ استمرار المقاومة بات... في الواقع، أمراً عقيماً.

كان الزي الرسمي الذي يرتديه ليام غير مُريح – الياقة متيّسة تسبب ا الحك على رقبته. وكان بوب يرتدي زياً مشابهاً – أس. إس بلاك مزود أزرار فضيّة وكتيفيات عسكرية، وثمة نسر فوق جيب الصدر الأيسر، ، عصابة حمراء على الذراع اليسرى عليها رسم الأفعى الملتوية.

كان بوب قد نجح في إيقاف سيارة جيش ألماني فولكسفاغن كوبلفاغن، ي وقت مبكر من ذلك اليوم في أثناء تجوالها في طريق هادئ في ضاحية مي كوينز. وكان سهلاً التخلص من الضباط بتسديد ضربات سريعة من اليد على العنق. وقد لمّح بوب إلى أنّ الهجوم كان مجازفة محسوبة. وقد شهد ذلك بعض المدنيين في الطريق، لكنهم هرعوا يتابعون سيرهم بدل أنْ يقفوا في موقع الحدث ويتعرّضوا للاستجواب. وقد يطلب أحدهم استردادها. هذا ممكن. وفي كلا الحالتين، كانت الجثث ستُكتَشف عاجلاً أو آجلاً.

مدّ ليام عنقه لينظر عالياً إلى حوامات ميرشميدت تقوم بدورياتها، وتساءل إنْ كانت حالة الإنذار قد أُعلنَت من أجل البحث عن السيارة المسروقة.

ربما. كانت المجازفة، حتى ذلك الحين على الأقلّ، مثمرة. فالملابس الرسمية والسيارة ضمنتا لهما ألا يُفتّشا إلا عند نقطة تفتيش واحدة، وحتى حينئذ ساعدتهما لغة بوب الألمانية الفصيحة على العبور من دون مشاكل، وذلكَ عندما شاهد الجندي الشاب رمز رأس الموت على ياقتيهما وأشار لهما طائعاً بأنْ يمرّا.

على مسافة أمامهما تعرّفَ ليام إلى واجهة المتحف الفخمة. لم تبدُ مختلفة عمّا كانت عليه في آخر مرة شاهدها فيها، اللهم ما عدا، طبعاً، الرايتين القرمزيتين المرفرفتين فوق ساريتين عند المدخل الرئيس. رأى هناك الكثير من النشاط: عمالاً يدخلون ويخرجون من المبنى مُحمّلين بالصناديق الورقية والخشبية.

"ماذا يجري هناك في اعتقادك؟"

نظر بوب. "لا أعلم".

مال ليام إلى الأمام، وضيَّقَ عينيه بينما سيارة كوبلفاغن تسير بانحراف وبطء في الشارع المزدحم متجاوزة عدداً من إشارات المرور. "يبدو أنهم يُخلون المكان".

إنَّ هذا يُبرر بعضاً مما سمعنا.

ففي الليلة السابقة كانا قد توقفا ليتناولا الطعام، وبينما ليام يستمتع بأكل طبق من البرغل واللحم المقدد وبوب يزدرد بلا استمتاع مزيجاً يبدو مريباً من الثريد والبيض المخفوق، أصغيا إلى الحديث الهادئ الدائر بين زبائن المطعم الدائمين: سائقو شاحنات وعمال محليون يتوقفون هناك في طريق عودتهم إلى بيوتهم. كانوا يتبادلون كلمات حذرة عن قائد للمقاومة في ولاية واشنطن "ويدفع بالنازيين القذرين إلى الاختباء".

أحد الرجال الجالسين على كرسي بلا ظهر، ويعتمر قلنسوة لعبة بيسبول قديمة وقذرة تخص نادي يانكيز وقميصاً قطنياً خشناً وبالياً، قال "سمعتُ من يقول إنَّ أولئك المقاتلين يقودهم شبح جورج واشنطن! ولا يمكن الألمان أنْ يؤذوه... لأنه شبح وما إلى ذلك. وطلقات الرصاص تنفذ فيه".

وقال آخر "لا وجود للأشباح، يا جب. هذا أسخف ما سمعت في حياتي منذ زمن بعيد. إنَّ ما سمعت هو أنه يُسمّى "القائد الرائع"، أو ما شابه. ويقول الناس إنه أشبه بـ... البطل العسكري الخارق. أعتقد أنه أشبه بسلاح سري تخفيه الحكومة".

وقال ثالث "في كلتا الحالين، الألمان يزدادون غضباً بسببه، أليس كذلك؟"

واطلقوا غمغمات الموافقة.

انتقل الحديث إلى إعلان كريمر الضخم الأخير عن أنَّ تاريخ البشرية سوف يُمسح بأكمله؛ أحقاد التاريخ الماضية كلها، والحساسيات الدينية، والتعصب العرقي الأعمى سوف يرمونها خلفهم... وتُمحى. وهذه المسألة بالذات، أكثر من أي شيء آخر، هي ما أغضب الرجال المتجمعين حول الطاولة.

قال أحدهم بحدّة "لن يفروا من العقاب! لقد قاتلناهم نحن البريطانيين من أجل هذا في بلدنا هنا. ثم خضنا حرباً أهلية أيضاً! لا يمكنهم أنْ يحرمونا من تاريخنا هذا... و... و يحرقونه!"

"إنني أُخفي كتبي وأغراضي، وموسوعاتي التي اشتريتها لأطفالي من اجل المدرسة. أخفيتها في عليّتي تحسّباً لمجيء اولئك الألمان وتفتيشهم المنزل، لأتيقّن من أنهم لن يحرقوها كما قالوا إنهم سيفعلون".

وافقتهم النادلة، "هذا لا يجوز، لا يجوز أبداً".

والآن أمام المتحف، يبدو أنَّ شعار كريمر قد وُضِعَ موضع التنفيذ تواً. عندما اجتاز بوب تقاطع الطرق، وانعطفت السيارة جهة اليمين وتوقفت على حافة الطريق أمام المتحف، أصبح ليام يرى بوضوح ما الذي يجري هناك.

تمتم "أوه يا إلهي".

في الفناء الخارجي أمام الدرج المؤدي إلى المدخل الفخم للمتحف، رأى ما بدا أنه ركام كبيرٍ من سقط المتاع، مقلب قمامة من أشياء خشبية ملتوية، وكتب واوراق، وأُطر وقطع أثاث، وأطراف متشابكة لحيوانات مُحنّطة من كل الأحجام. راقب برعب متزايد عدداً من عمال المتحف يحملون إلى الخارج تابوتاً مصرياً حجرياً. ومن تحت ذلك الشيء الهش انهمرت رقائق باهتة اللون من الدهان الأزرق الذهبي وقطع من الخشب العتيق الجاف، تاركة أثراً من البقايا على طول الدَرَج.

ومن ثم، تحت أنظار عدد من الجنود الواقفين حرساً، رموا به بإهمال فوق الركام، حيث تكسّر وتهشّم، كاشفاً عن الجثة الهشّة المتغضّنة لفرعون مُحنّط، إلى عدد من القطع وهي تقع على أحد جوانب الركام الكبير.

على مسافة بضع ياردات، اصطف عدد من براميل الوقود، ووقف جندي بجوارها في انتظار الأوامر بإغراق المعروضات ومن ثم إضرام النار فيها.

همس "يا ربي... سوف يحرقونها كلها".

اجاب بوب "هذا منطقيّ. إنْ كريم لا يريد لأي من عملاء المستقبل ان يعرف مكانه. فعدم وجود تاريخ يعني عدم وجود مراجع".

"أتمنى من الله الا يكونوا قد بداوا بإتلاف المقتنيات المخزّنة في القبو".

ألقى ليام نظرة جانبية إلى بوب. "كم بقيَ لدينا من وقت قبل انفجار دماغك؟"

ضاقت عينا بوب الهادئتين. "ساعتان وثلاثاً وخمسين دقيقة. لم يعد لدينا وقت نبدّده".

أدرك ليام أنه يرتعش من راسه حتى أخمص قدمه، ولعن كونه يبدو يافعاً جداً. لعلّ زي الحارس الخاص الذي يرتديه يُثير بعض الخوف في القلوب بحيث يضمن ألا يجرؤ أي من العمال أو الجنود الذين يمكن أنْ يُقابلاهم على تدقيق النظر فيه، أو أنْ يسأله عن سبب كونه برتبة ضابط وهو صغير السن هكذا.

دمدم بوب "يجب انْ نتقدم".

نفث زفيراً عصبياً وقال "معك حق، يا بوب. اذهب أنت وأخبر اولئك الجنود بأننا جئنا بأوامر مباشرة من كريم للإشراف على مجرى العمل".

"حاضر".

"وأخبرهم اننا سنفتش منطقة القبو".

"حاضر".

ترجّل بوب من السيارة وليام في أثره.

أوه... هذا عمل أفضل.



2001، نيويورك

كادوا ألا يعثروا على المتحف. كان مجرد مبنى عادي يكسوه التراب، أشبه بقوقعة كئيبة وسط مشهد عام: جدران مثلمة من حجارة تتفتت ورخام متصدع.

"أهذا هو؟ أأنت واثق؟"

أومأ فوستر برأسه. "هو بعينه... هذا ما كان ذات يوم المتحف". رفع بصره نحو الشمس، كليلة وسقيمة، تختبئ خلف سحب تجري مسرعة. كانت تتبوأ كبد السماء. "لم يتبقّ لدينا إلا ضوء ما بعد الظهيرة، هيا بنا".

بينما كان الثلاثة يرتقون الدَرَج المغطى بكسارة الحجارة ومنه إلى مدخل المتحف الرئيس، لمحت سال وجهاً شاحباً يراقبهم من خلف الهيكل الصدئ لسيارة على الجانب المقابل من الشارع.

شهقت "انظرا! إنهم يلاحقوننا!"

قال فوستر "لم أشكّ في ذلك أبداً".

أضافت مادي "لكنهم يزدادون جرأة. أطلق عياراً نارياً لكي تُخيفهم وتبعدهم".

أعدّ فوستر البندقية للإطلاق وسدّدها نحو السماء. لكنه بعد ذلك توقف.

"في الحقيقة، لن أفعل. ربما يُستحسن أنْ أحافظ على الذخيرة لوقت الحاجة".

تبادلت الفتاتان النظرات بانزعاج.

قال، قائداً الطريق فوق كسارة الحجارة ومن ثم خطا إلى داخل المتحف الكئيب، كالكهف، "هيا بنا، فلننفذ العمل".

أشعلت مادي مصباحها، وأشعل فوستر آخر. وعلى هدى المصابيح شاهدوا أشكالاً في الظلام؛ دعامات معدنية ملتوية، حجارة بناء يكسوها التراب، وبقايا محترقة ومتفحمة من مطلع درج فخم من الخشب تعترض الطريق.

سألت سال "أين هو هيكل الديناصور العظمي؟"

"يبدو أنّ المتحف أُفرِغ قبل نشوب حربهم النووية".

قالت مادي، وصوتها تتردّد أصداؤه بين جنبات ردهة المدخل، "يبدو هذا الكلام معقولاً. لو أنّ الناس في عام 1957 علموا بأنّ التبادل النووي سيحدث في المستقبل، لنقلوا كل المقتنيات القيّمة إلى غرف نووية خاصة تحت الأرض وما إلى ذلك، أليس كذلك؟ هل تعتقد أنهم كانوا سيأخذون كل شيء؟ حتى دفاتر الضيوف؟"

"سوف نرى. أين قال ذلك الحارس إنهم يخزّنونها؟"

"أعتقد أنه قال إنهم يُخزّنونها في قبو المتحف. حيث يوجد ما يشبه الأرشيف هناك".

وجّه فوستر ضوء مصباحه إلى الأرضية. كانت هناك أبواب تؤدي إلى أجنحة أخرى من المتحف، لكنه كان يعرف مكان أبواب القبو؛ كان قد تردّد إلى هذا المكان كثيراً على امتداد السنين عندما لم يكن مشغولاً بإصلاح التاريخ.

"اتبعاني. أمامنا وإلى اليمين هناك باب ضخم يؤدي إلى القبو".

تبعته مادي وهو يخطو بخفّة على الأرض الرخامية المغبرة. ألقت سال نظرة أخيرة وراءها إلى حدود الباب الأمامي، متوقعة أنْ ترى الصورة الجانبية المحدودبة لأحد تلك المخلوقات تتلصّص عليهم بفضول.

استدارت لترى مادي وفوستر على مسافة بضع ياردات أمامها. همست "هيه، انتظراني!"

ابرز ضوء مصباحه لافتة باهتة على أحد الأبواب الضخمة تقول: "إلى دو التخزين: ممنوع لغير الموظفين". دفعه، ففُتِحَ بصعوبة، مع صرير كسارة الحجارة والبقايا التي دُفِعَتْ معه على الأرض ونُحِيتْ جانبا.

ادخل رأسه قليلاً وسلّط ضوء المصباح من خلال الشق. كان هناك درج بعده. دفعَ الباب إلى أنْ فُتِحَ بما يكفي للدخول بصعوبة. وقع الضوء على جدران ملساء من الأسمنت ودرج يؤدي إلى أسفل.

قال "هيا بنا".

مدت مادي يدها لتُمسك بيد سال فشعرت بها ترتعش بشدة. همست "هيه، لا بأس، سال. لقد وصلنا إليه، سوف نحصل على ما نسعى إليه ونعود إلى مكاننا من جديد".

اجابت همساً "لا... لا أستطيع أنْ انزل تحت الأرض من جديد... لا استطيع".

كان ذلك مفهوماً. إنه الإحساس بأنها حبيسة، محاصرة، خاصة بعد شجارهم في الطريق العام. ومادي أيضاً لم تكن متحمسة.

"لن أتركك وحدك هنا فوق. هيا، يا سال. سوف نُسرِع".

شدّت سال على أسنانها.

"لا بأس".

شقّتا طريقهما ببطء إلى أسفل الدرج، وانضمتا إلى فوستر في الأسفل. كان يُدير ضوء مصباحه في أنحاء المدخل إلى أرض القبو الفسيح بعد مطلع الدرج. وخِلافاً لما هي الحال في الأعلى، لم تكن الأرضية مُكدسة بأكوام كسارة الحجارة والبقايا الأخرى، بل مكسوة بطبقة من الغبار الناعم أشبه بالطمي. وعبر الأرضية، وعلى طول الجدران المبطّنة بصفوف من الرفوف الخالية المكسوة بطبقات غبار عقود من الزمن.

التفت فوستر لينظر إلى الفتاتين. "لا يوجد أي شيء هنا. لقد اختفى. كل شيء اختفى".



1957، نيويورك

قاد عامل المتحف بوب وليام إلى أسفل الدرَج.

تكلّم ببطء "لذلك نخزّنها هنا في الأسفل"، ثم أضاف "مع المقتنيات الأخرى كلها لكي تُدمَّر". لم ينجح صوته في إخفاء الكراهية المريرة التي يكنّها بوضوح لهما معاً.

تبعاه في هبوط الدرجات الأخيرة إلى القبو حيث شاهد ليام أعداداً لا حصر لها من الصناديق الكرتونية والخشبية المُرتبة بأناقة على الأرض، وضمن نظام فئات معيّن، تنتظر بصمت أنْ يأتي دورها في حملهما إلى الخارج ورميها إلى النار المشتعلة في الخارج.

دقّق ليام في وجه الرجل، وفجأة أدركَ أنَّ فيه شيئاً مألوفاً. كان بارعاً في تذكّر الوجوه.

كيف يمكن أنْ أعرف شخصاً مثله؟

نظر العامل إليهما مع تعبير على وجهه أدرك ليام منه أنه سوف يُسعده أنْ يطعنهما حتى الموت لو اعتقد أنَّ في استطاعته أنْ ينجو بجريمته. "حسن، هل تحتاجان إليّ في أي أمر آخر؟"

تظاهر بوب طائعاً بأنه لا يفهم ما يقول. وتظاهر ليام بأنه لا يكاد يُحسن التحدث بإنكليزية مفهومة. "Ja. نحن نبحث... عن دفتر الضيوف الزائرين".

ارتفع حاجبا العامل باستغراب. "أتريدان دفتر الضيوف؟"

"Ja! Das ist صحيح".

هزّ كتفيه جهلاً. إنه طلب غريب. وأشار إليهما كي يتبعاه.

تقدّمهما على طول الممر بين الرفوف التي تمتد من الأرض حتى السقف. وعلى مسافة عشرين ياردة نحو الأسفل، توقف العامل، وجرّ سلّماً قصيراً من ركن وارتقى إلى أعلاه.

قال، وهو يربت صندوقاً من الكرتون، "كلها محفوظة هنا".

قال ليام بنبرة مجتزأة، خالية من الانفعال، "جيد جداً".

سأل الرجل "أتريدان أنْ أنزله لكما؟"

"نعم، أنزله".

أنزل الرجل الصندوق، ناشراً رذاذاً قصيراً من ذرات الغبار. قال "كلها هنا، يعود عهدها إلى عام 1869. ولكن..."، وأضاف بامتعاض، "أعتقد أنّ النار والدخان سيلتهمانها مع كل شيء آخر".

أرهفَ ليام سمعه. كان في صوت العامل أيضاً شيء مألوف بنحو غامض.

أنا متأكد من أني قابلت ذلك الرجل من قبل في مكان ما.

وضع الشاب الصندوق على الأرض، وتناول الدفتر الذي في أعلاه، ذا الغلاف الجلدي وصفحاته من ورق اللفائف السميك، وكانت كتابة بخط أيدي آخر الزوار تغطي الصفحات كلها. آخر الزوار، بمعنى... قبل ثمانية أشهر مع بداية غزو الساحل الشرقي من أميركا.

قال الرجل، وهو يسلّمه لليام، "دفتر الزوار. كل زائر حر في أنْ يوقّع ويوجّه رسالة".

في تلك اللحظة تذكّر ليام أين كان قد رأى الرجل من قبل.

إنه حارس الأمن؟

مرة أخرى نظر إلى وجه العامل الشاب، بتدقيق أكثر هذه المرة، الخال التي على شكل قلب وتبرز من جبينه. بدا أنّ الرجل في منتصف عشرينيات

عمره. إنه حارس الأمن الذي تحدث معه ومع مادي، لا بد أنه كان حينئذ في منتصف أو أواخر الثلاثينيات من عمره. أما العامل الماثل أمامه فكان يشبهه قليلاً.

لا يُشبهه، أيها الأبله.

إنّ الشبه تام ولا ريب فيه.

إنه الرجل نفسه.

شعر ليام برغبة مجنونة وملحّة في أنْ يقترب منه ويُعانقه. لقد كان الرجل صلة وصل داخله، رابطاً بالمكان الذي يريدان أنْ يكونا فيه. يكاد يشم رائحة أرض الوطن... يكاد يلمح عام 2001. ويا له من إحساس ممتع.

فجأة انفجر ليام قائلاً "أوه، اللعنة، أنا لستُ نازياً لعيناً".

مدّ بوب عنقه فضولاً ونظر إليه. وفعل العامل الشيء نفسه.

"إنّ أياً منا ليس نازياً. في الحقيقة أنا ايرلندي، وهو..."، وأشار إلى بوب، "وهو... حسن، هو أيضاً ليس ألمانياً".

بقيَ تعبير وجه العامل جامداً، ربما شكّ في أنّ ذلك مجرد اختبار مراوغ".

"الحقيقة هي أننا من المستقبل ونحن هنا لكي نُصحّح مسار التاريخ. ألسنا كذلك، يا بوب؟"

هزّ بوب كتفيه لامبالاة. "هذا صحيح".

كشّر ليام. "في الواقع لقد سبقَ لي أنْ قابلتك في عام 2001. أتعلم؟ أنت ما زلت تعمل هنا. أنت حارس أمن، تحرس هذه الكتب نفسها، هكذا شاءت المصادفة".

ضيّقَ العامل عينيه. "أنا... أنا لا أفهم".

"ليس من الضروري أنْ تفهم. أريد منك فقط أنْ تعلم أننا سوف نُعيد الأمور إلى نصابها. سوف يتغيّر كل شيء وعندما سيحدث ذلك سيبدو كأنّ هذا الغزو لم يقع ابداً".

تغيّرت سحنة الشاب. "لحظة، أأنتما من رجال المقاومة؟"

رجال المقاومة. إنّ هذا سيكون أسهل في شرح الأمور بكثير من محاولة

اماعه بأنهما مسافران عبر الزمن. أضاف ليام "نعم... فعلاً، هذا بالضبط ما نحن عليه".

"حسن، لِمَ لم تقولا هذا؟ اسمي سام بيني!"

مدّ ليام يده. "واسمي ليام".

"إذن ما الذي... آه... ما الذي كنت تقوله عن مقابلتك إياي من قبل؟"

"آسف، لقد نسيتُ هذا... كنتُ أتكلّم عن شخص آخر. والآن، اسمع، هل تستطيع أنْ تساعدنا؟"

"طبعاً! طبعاً... سأفعل كل ما في وسعي، كل ما في وسعي..."

"هل تستطيع أنْ تحرس الدرج لأجلي؟ أعلِمني إذا ما هبط أحد إلى هنا؟"

"طبعاً".

"لن نمكث هنا إلا بضع دقائق، يا سام بيني. وبعد ذلك سنرحل. هل تستطيع أنْ تحتفظ بهذا السر؟ ولا تخبر به أحداً؟"

"طبعاً". نقّلَ الشاب نظره بين ليام وبوب. "وماذا ستفعلان؟" تغيّرت سحنته. "لا أظنكما ستضعان قنبلة أو ما شابه، هنا، أليس كذلك؟"

"كلا. لا شيء من هذا. لن يُتلَف أيّ من هذه الأشياء الثمينة. اتّفقنا؟ أعدك بهذا".

"أوه... حسن. إذن ما الذي ستف...؟"

"سأخبرك، يا سام. كل ما أستطيع أنْ أقوله هو... إنّ هذا جزءٌ من المعركة، اتفقنا؟ يجب أنْ تثق بي في ما يخص هذا الأمر".

فكّر بيني قليلاً، ثم اوما برأسه موافقاً. "أعتقد أنّ هذا يكفيني".

"إذن ابقَ في أعلى الدرج وراقب، اتّفقنا؟ أعطنا بضع دقائق".

"حاضر".

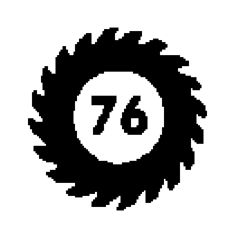
راقب ليام الرجل وهو يمشي عائداً إلى الدرج، ثم نظر إلى الأسفل في دفتر الزوار المفتوح بين يديه. والتفت إلى بوب. "إذن ما الذي أكتبه؟"

"سوف يحتاجون إلى معرفة الموقع الجغرافي الدقيق. سوف أعطيك الإحداثيات بدقة حتى آخر ياردة. وسوف يحتاجون أيضاً إلى الزمن: بالعام،

والشهر، واليوم، والساعة والدقيقة".

"حسن. والشيء الآخر... كيف تتيقّن من أنهم سيتمكنون من العثور على هذا الدفتر في غضون أربعة عقود من الزمن، يعني، عندما سيقترب الكشف عن كل شيء؟"

رماه بوب بنظرة جوفاء. "ليس لدي أيّ اقتراحات".



2001، نيويورك

همست مادي، وهي توجّه نور مصباحها في أرجاء القبو، "لم يتبقَّ أي شيء". كان صوتها ضعيفاً، كنعيبٍ مهزوم. "حسبتُ أنه ربما... فقط ربما".

قال فوستر "هنا توجد رفوف كثيرة. يجب أنْ نجلس ونتفحصها جميعاً".

"إنها كلها خالية، يا فوستر! ألا ترى؟ إذا كان دفتر الضيوف ذاك قد خزّن هنا مع باقي أوراق المتحف كلها، فإنه قد نُهِبَ منذ زمن بعيد، مع كل شيء آخر. ولعل الناجين، أو تلك المخلوقات التي في الخارج، استخدموه كوقود لإشعال نار المعسكر".

تشنّج وجه فوستر عندما تلفّت حوله. "إنَّ ليام فتى بارع. سوف يحرص على التأكد من أنّه مُخبّأ في مكان ما، مكان آمن".

"أحقاً؟ أين بالضبط؟ وكيف سنعثر عليه؟"

همست سال "إشارة".

يلتفت الآخران لينظرا إليها واقفة في الخارج في مطلع الدرج على الدرجة العليا. كررت القول "إشارة".

"أترين إشارة؟"

"كلا. أنا لا أرى إشارة، بل هذا ما كان سيفعل. إذا نزل إلى هنا، فإنه ترك لنا ما يُشبه الإشارة". ارتسم الأمل على وجهها. "أليس كذلك؟"

اتفق فوستر معها. "إنها على حق. ثمة مَنْ وضع إشارة وبقيَ حيا طوال ذلك الوقت. شيء دائم". ثم مشى عائداً إلى مطلع الدرج ووجّه مصباحه في أرجاء المكان. قال "وهنا في موقع ما ترك إشارة. هيا، فلنبحث جميعاً".

فعلتا كما أمرهما، وأخذت أضواء مصابيحهم تتسلل على طول جدران مطلع الدرج الخشنة المتسخة، بحثاً عن شيء محفور في الأسمنت، أو على أنبوب ممتد على الجانب، أو على الباب الخشبي الضخم المؤدي إلى أرضية القبو. شيء يمكن أنْ يكون قد دام على مدى الأربعة وأربعين عاماً الأخيرة و لم يُمحَ تماماً.

همس فوستر "هيا، ليام. إذا جئتَ إلى هنا، أعلمنا".

أخذوا يبحثون في صمت بضع دقائق، ويوجهون مصابيحهم بعناية عبر الجدران، ودرابزين الدرج، وأنابيب التدفئة الممتدة إلى أعلى مدخل الباب، وعلبة الوصل الكهربائي... حتى مُطفئة النار، التي ما زالت قابعة في أعلى الجدار... ولكن من دون جدوى.

تنهدت مادي. "لعله ترك إشارة لكنها مُسحَتْ، أو كُسِيَتْ بالجص، أو اهترأت. لقد مرّ وقت طويل". وهزّت رأسها، شاعرة بالإحباط. "أو لعله لم يرجع من هنا. وبقيَ هو وبوب في منطقة واشنطن. أو..." علِقَت الكلمات وسط الصمت السائد بينهم، و لم تُنطق.

أو لعلهما ماتا هناك.

نكّست سال رأسها، وتدلت حافة شعرها القاتم فوق عينيها. تمتمت "لقد بددنا وقتنا. لن نعثر عليهما أبداً".

أومأ فوستر موافقاً. "لعل سال على صواب. ربما كان ينبغي أنْ نفكر في العودة بينما الضوء لا يزال سائداً في الخارج".

عقدت حاجبيها عابسة وهي تحدق إلى قدميها.

استأنف فوستر "يمكننا دائماً أنْ نجرب من جديد في صباح الغد حالما تبزغ الشمس. سوف تتوافر لدينا ثماني ساعات أو تسع من ضوء الشمس

لكي نبحث هنا. في الحقيقة، يمكن أنْ يكون ليام قد ترك علامة في الطابق العلوي في القاعة الرئيسة. غداً سيتوافر لدينا وقت أطول".
مدت مادي يدها وربتت كتف سال. "هيه، سال، إنَّ فوستر على حق. يمكننا أنْ نحاول في الغد. لا تبكي، إنها مجرد..."
أجابت، وهي تهز يدها بلامبالاة وتجلس القرفصاء بسرعة على الأرض. اخذت تحتسها، وتبسط أصابعها على التراب، وتخترق ثلماً في الأرضية الأسمنتية.
"سال؟"
قالت لمادي "أعطني مصباحك".
"ما الأمر؟"
قالت بحِدّة "فقط أعطني المصباح!"
ناولتها مادي إياه وراحت تراقبها بفضول وهي تميل مقتربة من الأرض، وتنفخ غبار الجص الجاف عنها. سلّطتْ ضوء المصباح على الثلم المحفور في الأسمنت.
"ما الأمر؟"
"أعتقد أنها أحرف... أحرف حفِرَت في الأرض"، قالت هذا وهي تمعن النظر، وسددت ضوء المصباح بحيث يكون مائلاً على الأخاديد الباهتة والمهترئة، ويُبرزها أكثر.
جلس فوستر القرفصاء بجوارها. "ما الأمر، سال؟"
"يبدو أنَّ هناك حرف سين وحرف هاء. أعتقد أنها كلمة... سهم".
هبطت مادي إلى جوارهما وراحت تدقق النظر في الأحرف. ثم شهقت. "حرف السين هو شين... أترين؟ إنَّ النقاط في الحرف ممسوحة، لكنها موجودة. أترين؟"
قال فوستر "يا إلهي، نعم".
تلمّست سال الحرف الثاني بإصبعها. قالت "وهذا حرف هاء، وهذا يمكن أنْ يكون...؟"

كشّرت مادي. "نعم، إنه حرف باء... وحقّ الله. هو باء فعلاً. لام وباء. بوب وليام".

قال فوستر "هذا هوا"، ونهض واقفاً على قدميه متعباً، مُجفلاً من بذل الجهد، لكنه يرسم ابتسامة واسعة كتلميذ مدرسة. "لقد كان هنا! وهذا يعني..."

قالت مادي بلهجة الفرح "لقد ترك لنا رسالة فعلاً. أوه يا الله، ليام! أنت رائع!"

قفزت سال واقفة على قدميها، وأشرق وجهها. قالت بصوت كالصرير من فرط الابتهاج "إنهما عائدان!"

أومأ فوستر موافقاً. قال، وهو يُسكتهما بحركة من يده، "حسن، إذن، السهم... إنه يطلب منا أن ندخل وننعطف إلى اليسار".

ولجوا القبو، وانعطفوا يساراً فرأوا أمامهم جداراً من الأسناد المعدنية الصدئة ورفوفاً خالية.

قالت مادي "ولكن لا شيء على الرفوف"

قال فوستر "هناك رسالة أخرى في مكان ما. تفحّصا الأرض".

خرّت كلتا الفتاتين على أيديهما ورُكبهما وأزاحتا طبقة الطمي الخفيفة ووضعتاها جانباً حول مدخل القبو، وحفرتا في الأرض بأصابعهما بحثاً عن المزيد من الأحرف المحفورة الواضحة. في تلك الأثناء مرّر فوستر أصابعه ببطء على طول الجدار الخفيف إلى يسار الباب الضخم. كان قبل زمن بعيد مدهوناً بلون النعناع الأخضر الكئيب، أما الآن فتتساقط منه رقائق حيث تسللت الرطوبة من المتحف في الأعلى. بيّن الضوء مجموعة من الخدوش والأخاديد، نتيجة عقود لا حصر لها من الحفر المُهمل من حمّالين مهملين في أثناء حملهم معروضات المتحف الثقيلة على عربات يد إلى خارج المخزن.

هيا، ليام. حدثنا.

كان الدهان يُغطي بعض السلوك الفظ القديم، الذي طُمس بدوره بآخر أحدث عهداً. ولكن لا شيء من تلك العلامات يعود إلى العقود الأخيرة،

حسب تخمين فوستر. وحتماً ليس منذ نهاية العالم في وقت ما في الماضي.
مرّر إصبعه على أخدود باهت محفور، غير واضح وناقص، ربما كان ذات يوم جزءاً من حرف أو رقم. واقتفى أثر الحفر، مزيلاً رذاذاً ناعماً من الغبار، وكاشفاً عن المزيد منه.

سي.
نفخ المزيد من الغبار عن الحائط فتجمّع على هيئة سحابة خفيفة، كاشفاً عن سلسلة ما بدا أنه...
أرقام.
"اعتقد أنني حصلت على شيء!"
نهضت الفتاتان واقفتين على أقدامهما، وبعد برهة كانتا واقفتين إلى جواره، تمعنان النظر في سلسلة باهتة من الأرقام محفورة على الجدار الأسمنتي.
"كأنها... شيفرة من نوع ما".
قالت سال "سي... اس... بي ثم شرطة. خمسة، ثلاثة، وسبعة... ثم شرطة اخرى... وتسعة، وثمانية، واحد، وصفر... ثم شرطة أخرى ومن ثم خمسة، وسبعة، وتسعة. ما معنى هذا؟"
هزّ فوستر رأسه جهلاً. "لا أعلم".
أصرّت مادي "يجب أنْ نعرف". تراجعت عن الجدار، وهي تدير ضوء مصباحها في أرجاء المكان. "إذا كان هذا ليام من جديد، فإنه يعني شيئاً. إنَّ الجواب يجب أنْ يكون شيئاً نراه ونحن نقف هنا، أليس كذلك؟"
أجاب فوستر "هذا منطقي".
مشت بضع ياردات بمحاذاة الجدار، وهي توجه ضوء المصباح على طول الرفوف الخالية. همست كأنها تخاطب نفسها، مُحبطة، "ولكن لا شيء هنا، لا شيء".
ارتفع ضوء مصباحها إلى أعلى وأسفل القوائم المعدنية العمودية الداعمة الصدئة. ومن ثم استقر على رقعة مربّعة صغيرة.

"انتظرا لحظة".

تقدمت خطوة، متفحّصة بمزيد من التمعُّن. ثمة إطار معدني صغير، مُثبّـ
إلى المسند بيراغ لم تعد الآن أكثر من بروز هشّ من الصدأ. وداخل الإطار
بطاقة مصفرّة مُبقّعة بالرطوبة، عليها أرقام لا تكاد تُقرأ.

تابعت تسليط الضوء وانتقلت إلى الدعامة الشاقولية التالية. لا شي.
ولكن التي بعدها كانت تحمل رقعة مثلها. فهرعت نحوها ووجدت قطعة
بيضاء مجعّدة من بطاقة تحمل سلسلة باهتة من الأرقام.

هتفت "إنها نظام حفظ الأضابير! ثلاثة أحرف، وثلاثة أرقام، وأربعة
أرقام ثم ثلاثة أرقام".

قال فوستر، مُوجّهاً ضوء مصباحه إلى الجدار، "هذا صحيح".

ابتسم فوستر. إنه يدلنا على الرف المطلوب.



2001، نيويورك

استغرق منهم العثور عليه ما يُقارب ساعة. كان هناك عدد لا بأس به من الرقع الباهتة بحيث لا تُقرأ، وأخرى سقط عنها الورق المقوّى منذ زمن بعيد.

ولكن على مسافة مئتي يارده أسفل مدخل القبو، على جدار مقابل، وعلى رف تطلّبَ من مادي أنْ ترتقي لتصله، عثروا على الرقعة الصحيحة.

ولا شيء آخر.

مسحت مادي الغبار والعرق عن جبينها، وتراخت مستندة إلى الدعامة المعدنية، فصرّت وأنّتْ بصوت خفيف، ونفضتْ عنها رقائق من الصدأ وذرات من الغبار.

هتفت لهم في الأسفل "لا شيء هنا. لا شيء على الإطلاق".

قالت سال "لا بد من وجود شيء ما"، بنبرة أقرب إلى المناشدة منها إلى التعليق.

"إنه عار. لقد قام أحد بتنظيفه قبل زمن بعيد".

جلس الثلاثة برهة وقد خيّم عليهم صمت الهزيمة، يتردد صدى أنفاسهم الخشن داخل القبو الفارغ، مصحوباً بصوت قطر ماء، في مكان ما، ناء.

قال فوستر "قريباً سنفقد ضوء النهار. لقد فعلنا ما في وسعنا".

همست سال "لا أريد أنْ أخرج في الظلام".

"إذن أقترح أنْ نغادر".

أومأت مادي موافقة. "حسن".

استجمعت قواها لتقف ثم وضعت إحدى ساقيها فوق جانب لوح الرف الخشبي. ومدت يدها لتتناول المصباح، وسلّطت الضوء المتلئ بذرات من الغبار تدور، وترقص، إلى الجدار. وبينما هي تفعل ذلك، لاحظت داخل دائرة الضوء على الجدار وجود حجر واحد من الأسمنت مُحدد بنحو أوضح من البقية.

كلا، حتماً لا.

قالت للآخرَين، وهي تُعيد ساقها إلى الرف، "انتظرا لحظة". زحفت بحرص على أطرافها الأربعة عبر ألواح الخشب الصارّة، منتبهة إلى حيث يقع وزنها على كتيفة المعدن الداعمة. ومدت يدها نحو الحجر وشدّته وملؤها الأمل. تحرّك بحركة حادّة وقوية تردد صداها عالياً كغطاء قبر من الحجر ينزاح جانباً.

سأل فوستر "ماذا وجدتِ عندك فوق؟" لا بد أنه سمع.

"أتصدّق؟ هناك حجر رخو... سوف... سوف أنزعه..."

أخرجته ببطء من موقعه على الجدار. إنه ثقيل، فانزلق من بين يديها واستقرّ على الرف. سمعت أحد ألواح الخشب يطقطق تحت ثقل وزنها، وكامل الإطار المعدني يصدر صوتاً جراء ذلك.

قالت سال "انتبهي، يا مادي!"

"أنا بخير".

أوه يا إلهي، لا بد أنه هو.

انخفضتْ أكثر، موجّهة ضوء مصباحها نحو فجوة مساحتها قدم في الجدار، وأنعمت النظر إلى الفضاء المفعم بذرات الغبار الدوارة داخلها. كان فضاءً صغيراً، يقع بين جدران منثورة عليها بقايا جرذان متيبّسة وخيوط شباك العنكبوت. ولكن في وسطها يستقر، بوضوح لا لبس فيه، كتاب كبير مُغلّف بالجلد.

أوه يا إلهي.

مدت يدها عابسة إلى الداخل وتناولته برفق، وأخرجته من فجوة الجدار.
أزالت الغبار عن نظارتها وسلّطت ضوء مصباحها على الغلاف الجلدي.
وكشرت. "إنه هنا! لقد حصلتُ عليه!"
سمعت كلاً من سال وفوستر يصيحان من الفرح.
فتحت الغلاف الجلدي القاسي، وسرعان ما أخذت تتصفّح بسرعة الصفحات السميكة. سألتْ "ما هو آخر موعد يمكن ليام وبوب أنْ يكونا قد قدما إلى هنا فيه، في اعتقادكما؟"
"إذا أخذنا في الاعتبار استنزاف بوب للأشهر الستة حتى ينتهي أمره بعد بداية المهمة، فهذا يعني قبل يومين من محاولتنا فتح نافذة في واشنطن. وهذا يعني..."
قالت سال "الخامس من شهر آذار عام 1957".
تصفّحت مادي الصفحات بسرعة، وهي تتنبه إلى التواريخ التي وضعها الضيوف. كان هناك الكثير منها من العام المنصرم. ولكن سرعان ما نضبت في أواخر عام 1956.
لعلّ المتحف كان حينئذ مُغلقاً.
وصلت إلى الصفحة الأخيرة وآخر مادة من وضع زائرة اسمها جيسيكا هيفنبرغر. "المتحف سيُغلق أبوابه هذا اليوم. إنّ العدو يوشك أنْ يحتل مدينتنا. يمكنني أنْ أحاول".
استعرضت باقي التعليقات على تلك الصفحة. كانت كلها تعبّر عن الانفعال نفسه: الحزن، المرارة وروح الهزيمة... أناسٌ منكسرون ويبدو أنهم يتقبّلون المحتوم، ويقومون بالزيارة الأخيرة لمتحفهم الحبيب.
ولكن عندئذ، وبحبر باهت اللون، لمحته: مكتوب بقلم مختلف في المساحة المتروكة بين أحد التعليقات وآخر، مكتوب بخط يد مشوّش وسريع لشخص في عجلة من أمره...

إنني وبوب نتمنى حقاً منكم أنْ تعيدونا إلى الوطن، أرجوكم.

خط العرض: 40 درجة و 42 دقيقة و42.28 ثانية شمالاً

خط الطول: 73 درجة و 57 دقيقة و59.75 ثانية غرباً

التوقيت: 18.00، 05-03-1957

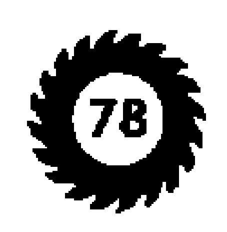
دوّنت ذلك على الألواح وهي تحمل الدفتر بيديها ونظرت أسفل منها إلى فوستر وسال الواقفين تحت في الممر بين صفّي المقاعد، وكلاهما يُحدقان عالياً إليها مع تعبير مترقّب على وجهيهما.

سأل فوستر "هل عثرتِ على شيء؟"

نزعت الورقة من الدفتر، وقبضت على مصباحها، ودلّت ساقيها من الجانب وقفزت إلى الأرض، مُحدثةً سحابة صغيرة عالية من الغبار.

قالت، وهي تعرض الصفحة متباهية أمام وجهها، "إنه هنا بالذات!"، ثم سكت صوتها ووجدت كتفيها يهتزان عندما ملأتْ ضحكة عالية ومفاجئة صمت القبو.

"لقد فعلها حقاً".



1957، نيويورك

ارتقى بوب وليام الدرج ووجدوا الحارس، سام، يقف طائعاً لحراسة أعلى الدرج، كما طلبا منه بالضبط.

قال ليام بهدوء "لقد انتهينا من عملنا هناك. شكراً لحراستك لنا".

نظر الرجل إلى كليهما، "اسمعا. لقد ذكرتما شيئاً عن تغيُّر كل شيء إلى ما كان ينبغي أن يكون عليه؟

لم يكن هناك وقت كاف لتقديم شرح كامل له، على الرغم من أنَّ ليام كان يودّ أن يفعل ذلك لأجلِ الرجل، جزاءً له على ما قدّم من مساعدة.

ابتسم ليام وقال "إنَّ الزمن جدير بتصحيح نفسه. وسوف يعود كل شيء، إلى سابق عهده. أعدك"، ومدَّ يده وربت ذراع سام. "أتدري؟"

"ماذا؟"

"في وقت ما في المستقبل، أعتقد أني سأقابلك من جديد، بل أؤكد لك".

راقبهما سام بيني يبتعدان، وهو يحكّ رأسه، مذهولاً، يحاول أنْ يفهم الأشياء غير المنطقية التي قالها الفتى تواً، وبدأ يخلص إلى أنه فقد عقله تماماً، عندما صرخ فيه أحد الحرّاس طالباً منه مساعدة بعض الحراس الآخرين في رفع صندوق يحتوي لوحات إلى الردهة حيث تُجمع استعداداً لحرقها.

خرج ليام وبوب من خلال الباب الضخم إلى المدخل الرئيس للمتحف، المزدحم بالعمال بملابسهم الخاصة يكدحون تحت المراقبة الصارمة للجنود

ذوي الوجوه الصلبة. ردُّ بوب من باب أداء الواجب على التحية العسكرية للحارس الواقف في المدخل الرئيس مع صيحة "هايل كريغر".

في الخارج، كانت النيران المشتعلة قد بدأت تنتشر وألسنة اللهب البرتقالية تلاحق متراقصة رقائق الرماد عالياً نحو السماء المكفهرة. وشعر ليام بالحرارة اللافحة على وجهه وهما يهبطان الدرج الفخم ويجتازان الفناء الأمامي نحو الشارع. وبين ركام النفائس المحترقة الذي يبثّ الحرارة، لمح طرف التابوت المصري يبرز من بين الركام، والخشب الجاف يسودّ والدهان ذا الأربعة آلاف عام عمراً، يبعث الدخان والنار ويتقشّر ويسقطُ جانباً.

وقف العمال ضمن جماعات بصورة تدعو إلى الرثاء، يراقبون اشتعال النفائس. وبعد الفناء الأمامي، في الشارع، كان المواطنون يتجمعون، ويشاهدون بجديّة آثار التاريخ الثمينة وإرثهم الوطني يختفي داخل عمود من الدخان اللاذع.

في الأفق، لاحظ ليام أعمدة أخرى من الدخان تتصاعد عالياً إلى سماء الشتاء الباردة، وخمّن أنّ الكتب تُحرق في أرجاء المدينة، ولوحات فنية لا تقدَّر بثمن تُحرَق، ووثائق تاريخية، ودوريات وسجلات تحرق كلها، نُزعت من المكتبات العامة والمعارض الخاصة. وتخيَّل نسخاً من المشهد نفسه يتكرر في مدن رئيسة أخرى في أميركا خلال الأيام القليلة التالية. وسوف تتكرر في مدن رايخ كريغر على مدى الأسابيع القليلة التالية. لقد مُسِح التاريخ تماماً، غُسِلَ كله عن وجه الأرض.

شعر بأنه مريض جسدياً.

نزلا إلى الشارع، مارّين بوجوه صامتة ملوّها الكراهية، تحدق بغضب في ملابسه وملابس ليام العسكرية السوداء.

ارتاح ليام لرؤية سيارة كوبلفاغن لا تزال متوقفة في الخارج ولا يوجد أي جندي حولها يحرسها من سرقة المجرمين.

استقلّها بوب بسرعة وأدار المُحرّك.

سأل ليام وهو يستقر في مقعد المسافرين وبوب يقود السيارة بسرعة بين

الحشد عائداً إلى الشارع، "أتعتقد أنهم سيعثرون على رسالتنا؟ أعني، لقد اخفيناها جيداً... وربما جيداً أكثر مما ينبغي".

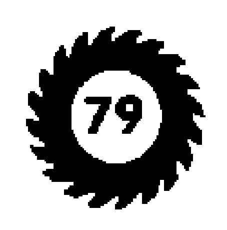
"سوف نعرف الجواب بعد حوالى تسع وسبعين دقيقة".

تقدما جنوباً عبر سنترال بارك وبهست المنظم، كان على أحد جانبيهما متنزه المدينة، تعمّه أشجار الشتاء الجرداء، وعشب أصفر رتيب، وعلى الجانب الآخر أبنية مكاتب لا نهاية لها، وحركة سير تتقدم ببطء بين إشارات المرور الحمراء. وبدأتْ تُمطر. هطلت قطرات لزجة كئيبة على حاجب الريح وبلّلت مارةً مثبطين، يسيرون بخطى ثقيلة في الخارج.

لن يشعر ليام بأي ندم حقيقي لمغادرة هذا العالم الكئيب المتجهّم.

نحن في طريقنا إلى الوطن الآن... وكلنا أمل.

تساءل كيف تبدو القنطرة الآن، ومن يشغلها في عام 1957، إنْ كان ثمة منْ يشغلها؟ والأهم من هذا، تساءل ما الذي تفعله الفتاتان وفوستر الآن؟



2001، نيويورك

لمحهم فوستر بينما كانوا يهرعون هابطين الدرج إلى خارج المدخل الرئيس. لم يكونوا فقط حفنة ينعمون النظر إليهم بفضول من الأماكن الداخلية المظلمة لأبنية مُخرَّبة... بل مئات منهم أو أكثر.

لحم طازج... إنَّ الخبر ينتشر.

قالت سال "أوه يا ربي! إنهم كثيرون جداً".

قبضت مادي على يدها كأنها تحميها. "أطلق عياراً نارياً، يا فوستر".

هزّ رأسه رافضاً. "لا أعتقد أنَّ الضجيج سيُخيفهم الآن".

"ولكن لعلَّ هؤلاء لا يعرفون أنَّ بندقيتك تقتل".

"أوه، بل يعرفون جيداً... وإلا كانوا انقضّوا علينا".

كان الطريق المتجه جنوباً، السنترال بارك ويست، يمتلئ بهم... كانوا أشبه بتجمّع صامت غريب الأطوار. على يسارهم كان ما عُرِفَ في الماضي بسنترال بارك، والآن لم يعد أكثر من وعاء من الغبار تتخلله الهياكل المتفحّمة لجذوع أشجار محترقة، أو جذمول[1] مهترئة لشجيرات ماتت منذ زمن بعيد. ولو سُئل الشيطان عن كيف يجب أنْ يكون منظر متنزه المدينة، فإنَّ فوستر تخيَّل أنه سيقترح شيئاً كهذا.

لكنها كانت منطقة مترامية ومفتوحة. لا يوجد ما تختبئ خلفه تلك

---

1 جذمول: جمع جذل: وهو ما تبقّى من أصل الشجرة بعد قطعها. (المترجم)

المخلوقات أو تقفز خارجه. إنها أفضل من تلمُّس طريقهم في شارع ضيِّق تكدس فيه السيارات الصدئة.

قال "يجب أنْ نجتاز المتنزه، لكي نصبح في الحي الشرقي. إنها طريق مختصرَة تؤدي إلى إيست ريفر". وبعد ذلك يمكنهم أنْ يسيروا بمحاذاة النهر حتى الجسر. كانت الجادة المحاذية للنهر عريضة كلها، حتى جسر ويليامسبرغ، وكل ما كان عليهم أنْ يفعلوه هو أنْ ينتبهوا من أنْ ينقضَّ عليهم أحد من جهة اليمين.

قال، متقدماً الطريق على آخر درجات السلَّم، عبر الفناء الأمامي، وخلال الحاجز الحديدي المنهار والملتوي من فوق تقاطع طرق محجوب بكتل من بقايا سيارات صدئة مُهملة.

نفذت أشعة شمس أواخر الظهيرة من خلال سحب قاتمة وقذرة وهم يشقون طريقهم خلال البقايا الميِّتة لسياج تزييني من النباتات إلى سنترال بارك.

قالت سال، بصوت مرتعش، "إنهم يتبعوننا".

ألقى فوستر نظرة خلفه ليرى المخلوقات تتحرك معاً ككتلة ضخمة، مئات منهم يتحركون عبر سنترال بارك ويست، ويرتقون الحواجز، وينفذون بصعوبة من خلال سياجات النباتات الميتة لكي يدخلوا المتنزه في أعقابهم.

"حسن، إنهم يتبعوننا، ولكن على الأقل يُحافظون على مسافة بيننا وبينهم".

ومع ذلك لاحظ، عندما قال هذا، أنَّ المسافة بدأتْ تضيق، وذلك حين تقدَّم بعض من الأكثر شجاعة بينهم بضع ياردات أكثر من باقي القطيع. وتساءل إنْ كانوا زعماءهم - زعماء المجموعة -، وإن كانوا أفرادا يتميّزون بشيء ويريدون إثباته لأتباعهم.

حافظت الفتاتان على سرعة خطواتهما الواسعة، ثم تحولت إلى هرولة متفرقة، مُخلِّفتان وراءهما سُحُباً من الغبار والرماد، وبقي فوستر في المؤخرة.

ضاقت المسافة بينهما أكثر عندما أصبح خطو المخلوقات المحدودبة

السريع خبباً. كان الأشجع بينها يتقدم أكثر. أصبحت المسافة الآن ثلاثين إلى أربعين قدماً. التفتَ فوستر وألقى نظرة على أقربها إليه – بدا من مظهره أنه ذكر، طويل ونحيل بصورة مؤلمة، وتتوّج رأسه طبقة رقيقة من الشعر الباهت الموزَّع على الرأس، ويرتدي ملابس رثّة تتدلى من جسد أبيض كالثلج. كان في استطاعته أنْ يسمع تنفس المخلوق اللاهث وتذمّره الشديد لتوقه إلى إغلاق الفجوة بينهما. ولكنه كان يخشى، وهذا مفهوم، المعدن القاتم الذي في يد فوستر. لعلّ عقله تذكّر كلمة واحدة من لغة نُسيَتْ منذ زمن بعيد.

بندقية.

كان يعلم أنّ الأنبوب المعدني يلفظ موتاً في الحال.

حافظا على هذا التحرُّك المتحفّظ مدة بدت كأنها دهر: الفتاتان تهرولان عبر المتنزه المنقرض، وفوستر يكافح ليواصل السير على مسافة بضع ياردات خلفهما، وأنفاسه المتقطعة تصبح أكثر صعوبة، وقطيع المخلوقات الصامتة يُحافظ على مثابرته بسهولة، ولكنه يقترب ببطء، وبحذر.

صرخت مادي "الجانب الآخر من المتنزه، انظر!"

على الجانب النائي من وعاء الأسمنت الخالي لما كان بركة بط، والهياكل الصدئة لما كان ذات يوم مراجيح، رأى صفاً من أشجار سوداء قزمة وحاجزاً معدنياً قاتماً. وبعد ذلك كانت الجادة الخامسة، التي تمتد من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة المتنزه.

على بُعد خمسين ياردة، رأى منفذاً من دون أنْ يضطروا إلى التوقف واجتياز الحاجز، إنه منفذ للفرار. ثم، بعد ذلك، إلى الجادة الخامسة، ثم إلى شرق الشارع 72. كان هناك صف من الأبنية المدمَّرة على كلا الجانبين، ومن ثم وصلوا إلى النهر.

ولكن هناك قد ينقضّون علينا، كما قال لنفسه. وبينما هم يطأون بقايا الحجارة بحذر على الطريق ويتمايلون بين السيارت المنبوذة، سوف تضيّق تلك المخلوقات المسافة بينهم أخيراً وتنقضّ عليهم. فقرر أنّ الآن هو الوقت الصحيح لأي استعراض لما يمكن لهذه البندقية أنْ تنجزه. التفتَ، وتوقف،

وسدّد بندقيته إلى أقرب المخلوقات.

أطلق النار، فارتمى المخلوق البائس على ظهره مُطلقاً صرخة ثاقبة عالية النبرة. انطرحَ على الأرض وسط بركة تتسع من دمه، وساقاه النحيلتان تضربان الأرض بعنف. وسرعان ما استدار باقي القطيع على عقبيه وفرّ هارباً عبر المتنزه الرمادي بلون الرماد كأرانب أجفلتها بندقية مزارع.

"إنني فقط أذكّرهم بأننا خطرون".

أومات مادي مُحبّذة. "عظيم"، لكنها نظرت إلى قطعة السلاح. "ألم يتبقَّ غير إحدى عشرة طلقة؟"

هزّ فوستر دفعة أخرى من الطلقات. "نعم، إحدى عشرة".

شقوا طريقهم بسرعة في الشارع الثاني والسبعين الشرقي، وبعد عشر دقائق انتقلوا إلى FDR درايف العريض ذي المسارين، المتجه جنوباً، والموازي لإيست ريفر.

أمامهم كانت البقايا المُهشّمة لجسر كوينزبورو المنهار في وسطه. وبعده استطاع فوستر أنْ يرى الأبراج الداعمة المعدنية الشاهقة لجسر ويليامسبرغ، وعلى الجانب الأبعد من النهر، الأبنية الصناعية القرميدية والمنخفضة، وقمم المداخن ورافعات رصيف التحميل في بروكلن.

ارتاح ثلاثتهم برهة على المقعد الخشبي، مشرفين على الضفة الموحلة للنهر في الأسفل، ليلتقطوا أنفاسهم.

قال فوستر بصوته الخشن "كدنا نصل إلى أعلى الجسر مباشرة... ثم... بعد ذلك نصبح في البيت وآمنين".

سألتْ مادي "أأنت بخير؟"

"أنا على ما يرام... لكني أشعر بشيء من ضيق في التنفّس. دعوني أستردّ أنفاسي".

مكثوا بعض الوقت، ينظرون خلفهم إلى الطريق التي جاؤوا منها. للوهلة الأولى بدا أنهم أضاعوا تلك المخلوقات.

"هل أنتما جاهزتان أيتها الفتاتان؟"

أومأتا برأسيهما إيجاباً.

قادهما إلى الجادة الفسيحة، وثلاثتهم سعداء لوجود النهر العريض إلى يسارهم، وأربعة فروع لطريق عريض وخالٍ إلى يمينهم.

مرت عشر دقائق أخرى ومن ثم هرعوا يرتقون أعلى الدرج القرميدي الضيق الصاعد إلى طريق المشاة على جسر ويليامسبرغ. وحينئذٍ، كانت الشمس البرتقالية السقيمة قد انخفضت على صفحة السماء، وراحت تبحث لها عن مكان تستقر فيه بين أفق الأبنية المتهدمة المكسور. كانت ظلال بنفسجية اللون وطويلة تمتد عبر النهر، وتقترب من البناء على الجانب البعيد.

قالت سال وهي تلهث "كدنا نصل إلى البيت". ثم أضافت وهي تبتسم ابتسامة عريضة لمادي، "يبدو أننا سننجو".

كان الممشى، الذي بالكاد يتسع عرضه لثلاثتهم سائرين جنباً إلى جنب وتحيط بهم أسلاك عالية من الجوانب على شكل سلّة، يمتد فوق مسار حركة المرور فوق الجسر. وبينما هم يتقدمون مسرعين، نظروا إلى الأسفل حيث سارا طريق الأسفلت المتهدم والمملئ بهياكل صدئة وقديمة لسيارات متراصة. هبّت ريح رقيقة تئن متغلغلة من خلال حجب السيارات الأمامية المهشّمة وعبر مقاعد السيارات وعظام أولئك الذين ماتوا فجأة في أثناء القيادة، بطريقة غامضة، قبل عقود من الزمن. إنها مقبرة سيارات تملأ الجسر بهمسات التعذيب والألم الخافتة.

ركّز فوستر انتباهه على الطريق أمامه. بعد ثلاث دقائق أو أربع فقط، عبور الجسر، وهبوط الدرج الجانبي، وانعطاف إلى الشارع الجانبي في أسفل الجسر، سيصلون إلى البيت.

كان قد تفقّد المولّد وتأكد من أنه يعمل قُبيل مغادرتهم. فإذا كان قد نجح في الاستمرار بالعمل في أثناء غيابهم ولم يختنق أو يتعطّل، ففي اعتقاده أنّ آلة الإزاحة ستكون حينئذٍ جاهزة، أو تمنّى ذلك.

كانت رسالة ليام قد أمدّتهم بتوقيت دقيق. وحالما يُدخلون الإحداثيات إلى الحاسوب، سوف يعرفون الموقع الدقيق. فإذا كان الفتى ذكياً، فسوف

يعرف بدقة أين يجب أنْ يكون ذلك الموقع.

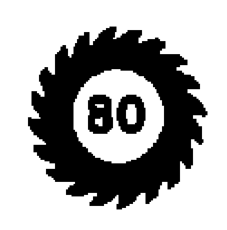
على الرغم من أنَّ الثلاثة كانوا مُرهقين ومقطوعي الأنفاس، لكنّهم حثّوا خطاهم عندما لاح لهم في الأسفل الطرف البعيد من النهر الملوّث، البطيء الحركة والخالي من الحياة. كان الوعد بالأمان يمثل أمامهم مباشرة، على بُعد دقائق قليلة، والوعد بإعادة ليام إلى الوطن، وإعادة بوب إلى الوطن – برج العضلات البطولي الذي حماهم من كل شيء، بالمعنى الحرفي للكلمة – وحثّهم أكثر على الإسراع.

كادوا يصلون. وكان فوستر قد بدأ يسمح لنفسه بالاعتقاد أنَّ ذلك الكابوس يكاد ينتهي.

وإذا بهم يسمعون صرخة.

استدار بسرعة إلى الخلف ليرى أذرعاً كأغصان ملتوية بلون الحليب تسحبُ سال من خلال ثقب كبير في قفص الأسلاك.

صرخت مادي "أوه لا! لقد أخذوها!"



2001، نيويورك

أخذت ذراعا سال وساقاها تتحركان بحركات مجنونة وهي في قبضتهم.

"أوه يا ربي لا! ساعدووني! ساعدوني!"

سدّد فوستر بندقيته، لكنه أدرك أنه لا يستطيع أنْ يُطلق النار خشية أنْ يُصيب سال. اندفعت مادي إلى الأمام وبدأتْ ترفس، وتضرب بقبضتيها وتخدش الأذرع التي تسحب سال. استطاع أنْ يرى من خلال الأسلاك المتشابكة والصدئة مجموعة من المخلوقات تتقاتل لكي تقبض عليها. كانوا واقفين على سقف سيارة شاحنة، ورأى أنَّ الثقب في الأسلاك حديث الصنع، ربما قبل حوالى نصف ساعة.

لقد كان فخاً.

أدرك أنَّ بعض المخلوقات تقدمتهم، وكانت تعلم أنهم سيسلكون هذا الطريق. كانت تعلم أنهم عبروا الجسر عن طريق درب المشاة، وعثرت تلك المخلوقات على مكان تستطيع اللجوء إليه، وأحدثت ثقباً في الأسلاك... وانتظرت.

ارتقى المزيد من المخلوقات سقف الشاحنة، وارتطموا بقوة بالأسلاك مُحدثين ضجيجاً عالياً بقبضاتهم، وزمجروا في وجوههم من خلال الفجوتين.

كانت ساقا سال تُجرّان إلى الخارج من تحتها، ومن خلال الثقب المحدث في الأسلاك. "ساعدووني!"

حاولت مادي يائسة أنْ تُبعد الأصابع الطويلة، الشاحبة، القابضة بشدّة على كاحليها ورسغيها. لكنها وجدت أنها تشدّ شعرها، وتنزع بخشونة نظارتها عن وجهها، محاولة أنْ تقبض عليها بقوة هي أيضاً.

كانت سال قد أضحت كلها خارج الفتحة، و لم يتبقَّ غير يديها متشبثين بقوة بأطراف الأسلاك المُدببة والحادة. اخذتْ أصابع المخلوقات ذات المخالب تنتزعها وتلويها، محاولة فكّها وهي تصرخ وتصرخ وتصرخ.

سدَّدَ فوستر بندقيته على مجموعة المخلوقات، و لم يعُد يأبه إنْ أصاب سال شيء. كانت الأسلاك المتشابكة ستصدّ بعض الطلقات، لكنَّ مُعظمها سوف يُصيب حتماً أجسادها المتراصة.

وأطلق النار.

وقع أحد المخلوقات عن سقف الشاحنة. وراح الآخرون يزعقون بغضب عندما أصابتهم أغلفة الرصاص المتناثرة ولسعت أجسادهم العارية لسعاً مؤلماً. لكنهم تابعوا عملهم بحماسة، ومخالبهم الطويلة تلوي أصابع سال لتنزعها عن الأسلاك، واحداً بعد آخر، ومادي تقوم باللكم والخدش بيأس وتصرخ في وجوههم.

فجأة انتُزِعَ آخر أصابع سال عن الأسلاك.

تقابلت عينا فوستر بعيني سال برهة، جاحظتين، مُضطربتين، مذعورتين، وتشكّل فمها على شكل "لا" مطوّلة وهي تزعق بنبرة عالية "كلاااااااا!" تنفجر كصفارة قطار بخاري.

حملتها المخلوقات وابتعدت بها بسرعة مُخيفة عبر حاجب ريح الشاحنة المُهشّم، وعبر غطاء المحرك ثم إلى الأرض، حاملين جسدها عالياً بينهم كأنها جائزة تتلوّى.

واختفت عن الأنظار، وصوتها الصارخ الرفيع، اليائس، متلاشياً وهم يحملونها على طول الجسر، متلوّين بين مقبرة السيارات عائدين إلى مانهاتن.

التفتت مادي لتنظر إلى فوستر، ووجهها الشاحب جامد بتعبير الصعقة، وهو يبدأ بإدراك ما حدث أمامها تواً.

ونجحت في أنْ تقول "فوستر؟"

"علينا... علينا أنْ..."

قالت من جديد، وقد عجزت عن إضافة المزيد، "فوستر".

أجاب "لقد انتهى أمرها، يا مادلين، انتهى". حاول جاهداً أنْ يمحو من تفكيره المصير الذي ينتظرها.

لهثت مادي وهي تقول "يجب... يجب أنْ نلحق بها"، وقد بدأتْ توا تتلوى لتخرج من الفتحة في الأسلاك.

تقدّم فوستر خطوة وقبض على رسغها "كلا! يا مادي، كلا!"

كافحت لتخلّص منه. صرخت "لا يمكن أنْ نتركها!"، والدموع تنهمر على وجنتيها المخدوشتين والملطّختين بالقذارة.

لقد كان جزءٌ منه يرغب في اللحاق بها، أنْ يتبعها على الطريق. إنْ لم يكن من أجل إنقاذ سال، فعلى الأقلّ للاقتراب أكثر والتصويب في محاولة لمنح الطفلة المسكينة موتاً سريعاً وخالياً من الألم.

لكنّ هذا التصرف أحمق.

لقد تجلّى الأمر له الآن. بات واضحاً أنّ تلك المخلوقات بقيتْ هادئة، في انتظار أنْ يجتمع الثلاثة داخل قفص الجسر، ويتخلوا عن حذرهم وتأكّد من أنهم بلغوا بيتهم وأمانهم. لقد كان لديها من الذكاء ما جعلها تنصب هذا الفخ. وزيادة على ذلك، لا بد أنها كانت تعرف طوال الوقت مكان اختبائهم.

قال بنبرة حادة بينما كانت تتلوى لتتخلّص من قبضته، "مادلين! لقد أعدّوا لهذا الأمر! لقد كان فخاً منصوباً!"

تابعت النضال. وعلى بُعد، سمعا صراخ سال الضعيف، يتردد صداه على طول الجسر، تتوسل من جديد طلباً للعون.

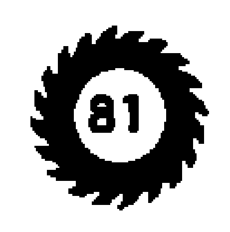
ارتعشت، وارتعش كتفاها بحركات متشنجة وهي تجهش، "أنا قادمة، يا سال... أنا قادمة!"

جاهد فوستر ليُعيدها. "يجب أنْ نذهب، يا مادي... لا نستطيع أنْ نفعل أي شيء لها".

"لن اتخلى عنها!"

قبض فوستر على فك مادي وأدار وجهها لكي تنظر إليه.

قال بحدّة "هيا بنا! إذا تمكنوا منا نحن أيضاً... فقد انتهى كل شيء! اتفهمين؟ سوف ينتهي الأمر... بالنسبة إلى الجميع!"



1957، نيويورك

أوقفَ بوب سيارة الكوبلفاغن في الشارع الخلفي، بينما كان ليام ينظر عبر حاجب الريح إلى صف الأقواس القرميدية الممتدة تحت جسر ويليامسبرغ.

قال ليام "وصلنا إلى الوطن".

اجاب بوب "غير صحيح. لقد عدنا إلى المكان، و لم نعُد إلى الزمان".

هزّ ليام كتفيه استخفافاً. عندما جلس في العراء على حافة الطريق ينظر إلى المبنى القرميدي العتيق المألوف، شعر بانهما وصلا إلى الوطن. ولكن بدل الباب المموّج المنزلق كان هناك باب خشبي كبير بمصراعين. وعلى الجانب المقابل لهما كُتِبَتْ عبارة "مصبغة دانغ لي بوه". وبجوار الباب الخشبي كان يبرز أنبوب ينفث أعمدة من البخار إلى جو أواخر النهار البارد.

استشار بوب ساعته الداخلية. "أمامنا سبع عشرة دقيقة حتى يحين الوقت الذي حددناه لهم لكي يفتحوا البوابة".

مال ليام إلى الأمام لكي يرفع بصره إلى السماء. كان هناك المزيد من الحوامات التي تجوب السماء فوق مانهاتن، وتقوم بدورياتها ثنائياً. وتساءل إنْ كان البحث عنهما قد بدأ.

"أنت على حق، لا وقت لدينا نضيّعه".

فتح الباب وترجّل، مُعدّلاً من شأن بذلته الرسمية السوداء، ومُعتمراً قلنسوته، ضاغطاً الجزء المرتفع نحو الأسفل لكي يُظلل أكبر قدر من وجهه الطفولي.

انضمّ إليه بوب على حافة الرصيف المكسوّ بالقمامة الناتجة من حاوية مقلوبة.

قرع ليام الباب الخشبي بمفاصل أصابعه، وانتظر بقلق دقيقة قبل أنْ يُعيد القرع. وبعد لحظة أخرى فتِحَ باب صغير للخدمة على المصراع الأيسر للباب واطل منه وجهٌ متورد لرجل شرقيّ يرتدي مئزراً أبيض.

قال بحدّة وغضب "نعم؟"، ثم سجّل شِعار رأس الموت والزي الأسود الحالك السَواد.

تنحنح ليام. قال، متلبساً نبرة صوت غير رسمية موجزة "سوف تفتح لنا في الحال".

"هه؟... ا... ما الـ... ما الخطب؟"

"لدينا من الأسباب ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا المكان يؤوي مجرماً".

اتسعت عينا الرجل. "نحن لا نؤوي أشراراً هنا!"

"سوف تدعنا ندخل الآن وإلا ألقيتُ القبض عليكم جميعاً".

اتّسعت عينا الرجل أكثر من ذي قبل. "سادعك تدخل. لحظة".

أغلق الباب الصغير وبعد بضع لحظات سمعا رتاجاً يتحرك والباب الخشبي يُفتح مع صرير. أشار إليهما الرجل ليدخلا.

"ادخلا... كما تريان. ليس لدينا مجرمون هنا".

دخل ليام وبوب، وفي الحال تقريباً شعرا بهبّة من الهواء الرطب الدافئ على وجهيهما. كانت القنطرة مُضاءة بعدد من المصابيح الكهربائية المدلاّة من سقف القنطرة.

قال الصينيّ بحدّة "كما تريان... لا يوجد أشرار هنا!"

تلفّت ليام في أرجاء المكان الكئيب. كان هناك حفنة من الرجال والنساء يقفون فوق مغطس من المياه الحارة، يحركون ملابس بالمغارف، ويدعكونها بألواح من الصابون، وعلى الجهة المقابلة من القنطرة عُلّقت حبال لنشر الغسيل وبياضات السرير لتجف.

شرح الرجل "نحن محل لغسل الملابس. نجعل ملابس الزبائن ناصعة البياض".

أمره ليام "سوف تأمر مستخدميك بمغادرة البناء في الحال".
ضيّقَ الصيني عينيه. "لماذا تريد منا أنْ نغادر؟"
"هممم". لم يكن قد فكر في ذلك بعد. تردّد ليام برهة طويلة أكثر مما ينبغي وهو يُكافح لاستحضار جواب.
نظر إليه الصيني بعينين شبه مغمضتين مرتاباً. "أنت مجرد فتى... لست جندياً قذراً حقيقياً. لقد سرقت ملابسك العسكرية وتحاول أنْ تسرق غسيلي!"
حدّقَ ليام إليه بعجز. "إر..."، كان هذا كل ما استطاع نطقه.
ظل الرجل يرميه بنظرات حانقة. "هذه خدعة. غادرا في الحال!"
تقدم بوب لمساعدته. مدّ يده إلى المسدس في الجراب، وانتزعه وصوّبه إلى جبين الرجل بحركة واحدة سريعة ورشيقة.
"هذه ليست خدعة".
وفي الحال زال تعبير الشك عن وجه الرجل، وحلّ محله خوف جاحظ العينين عندما حدّقَ إلى ماسورة المسدس.
هدر صوت بوب العميق وهو يقول "سوف تأمر هؤلاء الأشخاص هنا بمغادرة هذا المكان في الحال وإلا قتلناك!"
ازدرد الرجل لعابه بصعوبة، ثم، وعيناه لا تزالان مُثبتتان بقلق على مقبض المسدس، صرخ مُصدراً أمره باللغة الكانتونية إلى الآخرين. استطاع ليام من خلال الفجوات بين قطع الغسيل المنشور أنْ يرى الخوف المرتسم على وجوههم عندما رأوا المسدس مُوجّهاً إلى رئيسهم مباشرة. وبسرعة تركوا قطع الصابون ومغارفهم، وفروا هاربين، واختفوا من تحت الغسيل المنشور مندفعين إلى الباب المفتوح.
اختفوا في الخارج، وبعد برهة أُغلِقَ الباب الخشبي، تاركاً ليام وبوب وسط كآبة القنطرة المألوفة، الخفيفة.
مرةً أخرى نظر بوب في ساعته الداخلية. "بقيت سبع دقائق وتسع وعشرون ثانية على ظهور نافذتنا المُحددة".

"وكم بقي من الوقت حتى ينفجر دماغك؟"

رفت عيناه. "أربع وستون دقيقة وثلاث ثوان".

اندفع ليام شاقاً طريقه خلال أغطية الأسرّة الرطبة وعثر على كرسي بلا ظهر فجلس عليه. "فإذا فشلت هذه. إذا لم تظهر النافذة، فلن يتبقَّ لنا أنا وأنت إلا أقلّ من ساعة نقضيها معاً؟"

"جواب إيجابي".

"أعتقد أنه وقت كاف لتبادل عبارات الوداع".

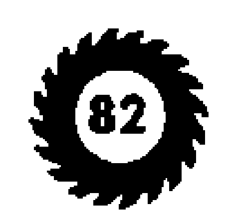
أرهفَ بوب سمعه، بفضول. "هل ستحزن؟"

"أحزن؟ لأنكَ ستُترك كتلة مُهملة؟ طبعاً سأحزن! أعني... بعد مرور كل ذلك الوقت بدأتَ تنجح في أنْ تبدو أقلّ من آلة كامل، وأكثر شبهاً بالبشر. لا شك في أنها ستكون خسارة"، وتنهّد وهزّ رأسه. "لحظة. ما هذا الذي أقول؟ أعتقد أنَّ البشر هم الحمقى".

هزَّ بوب كتفيه بلامبالاة، لأنه لم يفهم تماماً ما الذي قاله ليام.

ضحك ليام على هذا الكلام. يا لها من لفتة بشرية.

"بقيت ست دقائق".



2001، نيويورك

كان المولّد لا يزال يعمل عندما وصلا. صفع فوستر رأس الأسطوانة الدافئ، والمرتعش، تعبيراً عن ارتياحه. كان يتوقع أنْ يجده ساكناً وصامتاً لدى عودتهما، إما انه مسدود ومختنق حتى الركود بسبب الوقود الفاسد، أو أنّ حاوية الوقود خلت مما فيها.

ظهر من الغرفة الخلفية ليتفحّص مقدار شحن آلة الزمن. كاد الأمر يتم. كان لا يزال هنا زرّان من LED لونهما أحمر. وخمّن انه يجب تزويد الآلة بما يكفي من الطاقة من أجل محاولة فتح نافذة في غضون عشرين دقيقة.

ضرب جهاز الحاسوب، في انتظار أنْ ينتهي من روتين بدء اشتغاله بنحو صحيح قبل فتح برنامج السطح البينيّ لتحديد الموقع ووضع الإحداثيات المدوّنة بالحبر الباهت على الصفحة المصفرّة التي أمامه. أخذ يرتل صلاة همساً متمنياً أنْ يكون ليام قد نقل الأرقام نقلاً صحيحاً.

تركزت الشاشة على جزء من خريطة لنيويورك.

"أوه... يا له من فتى رائع!" هكذا شهق بصوت أعلى من الضجيج الآتي من خلال باب الغرفة الخلفية. "يا له من فتى ذكيّ!"

رفعت مادي نظرها إليه، وهي مسترخية على إحدى الأرائك المُحيطة بطاولة الاجتماع. بدا صوتها مُتعباً وضعيفاً ومهزوماً. "ما... ما هذا، فوستر؟"

قال فوستر "إنهما هنا! هنا بالذات! داخل القنطرة! الإحداثيات... إنهما يوفران علينا من الطاقة قدر استطاعتهما. إنَّ فتح النافذة هنا بالذات قد يُحافظ على ما يكفينا من الطاقة لنعيدهما معاً!"

رسمت ابتسامة واهنة.

نهضَ عن مقعده لكي ينضم إلى مادي عند الطاولة. وفي طريقه إليها أغلقَ باب الغرفة الخلفية، لكي يُخفف من هدير المولّد الذي يكافح بوضوح مع آخر قطرات الوقود.

جلس بتثاقُل على الأريكة المجاورة لها. "كاد الأمر ينتهي، يا مادلين".

أجابت "لقد انتهى أمر سال".

"ليس بالضرورة".

رفعت بصرها إليه. "ماذا تعني؟"

دعَكَ وجهه بحركة مُتعبة. "إنَّ آلة الزمن آلة مُشوَّشة... إنها علم غامض. إذا كان في استطاعة ليام وبوب أنْ يعودا ويُصلحا الأمور مرة أخرى، فمن المُحتَمَل إذن... فقط مُحتَمَل، أنَّ في وسع موجة تصحيح ترتيب الزمن، التي تعيد كل شيء إلى حالته الطبيعية، أنْ تعيد أيضاً سال إلينا".

اعتدلتْ مادي في جلستها. "أتعتقد ذلك؟"

"الأمر ممكن... لا أكثر".

شدّت على يده. "يا لسال المسكينة". وجرت دموع جديدة على وجنتيها المتسختين. "لا أكاد أتحمّل التفكير في مـ... في مـ..."

"إذن لا تفكّري فيه. إذا عادت إلينا... أقول إذا.. عادت إلينا، فإنَّ تلك الأمور التي وقعت لها، في الواقع... ستكون كأنها لم تقع. سوف تُمسَح ذاكرتها تماماً ممّا حدث لها هنا خلال الأيام القليلة الأخيرة، سوف..."

"فوستر".

كفَّ عن الكلام. كان رأس مادي مُصغياً وعيناها مزمومتين، ضيقتين، وهي تُصغي إلى شيء، "هل سمعتَ هذا؟"

"أسمع ماذا؟"

"أظن أني سمعت..."

ثم أخذ هو نفسه يُرهف سمعه، ثمة شيء يتحرّك في الشارع الخلفي في الخارج. كأنه حفيف قطعة سائبة يرفسها أحد بإهمال على حجارة الطريق المكسوة بالرماد والتراب. إنه حفيف خفيف لشيء يلامس مصراع الباب الحديدي المتموّج. ثم ربّته.

تقابلت عيونهما وأدركا معاً معنى ذلك.

همست مادي "لقد عثروا علينا، أليس كذلك؟"

"أعتقد ذلك؟"

وفجأة تحول ربتُ مصراع الباب إلى ضرب قوي يائس. اهتزتْ مادي وهي على كرسيها وأنّتْ.

قال فوستر "إنهم يُحاولون أنْ يجدوا طريقة للدخول".

"ألا نستطيع أنْ نفتح نافذة الإزاحة الآن؟"

نظر بقلق عبر الغرفة إلى صف أزرار LED على آلة الزمن، أحد عشر زراً كلها تومض معاً... في انتظار تحوّل الزر الثاني عشر إلى اللون الأخضر.

"ليس الآن... إذا فتحناها قبل الأوان سنُفسد هذه الفرصة الوحيدة".

ثمة خدش. إنه يسمع حفيف خدش... صوت كشط.

حبست مادي أنفاسها، مُصغية إلى الصوت الخافت وهو يعلو ببطء، ويُصبح أشدّ. "ماذا يفعلون؟"

"لا أعلم".

لكنه كان يعلم.

إنهم يحفرون الجدران بحثاً عن منطقة ضعيفة. لعلهم عثروا فعلاً على حجارة قرميد رخوة ويُحاولون الآن أنْ يُزيلوا الملاط المتفتت الذي بينها.

من جديد نظر إلى أزرار الـLED آملاً أنْ يتحول ذلك الزر الأخير إلى اللون الأخضر.

سمعا معاً قعقعة حجر قرميد يسقط إلى الأرض في الخارج. همست مادي "أوه يا ربي كلا! إنهم قادمون من خلال الجدران!"

تناول فوستر البندقية عن الطاولة. وأشعلت مادي المصباح وراحت تمعن النظر في الجدران بحثاً عن إشارة لوجود آثار خربشتهم. وخفقت أنفاسها وتسارعت بصوت مسموع وسط السكون التام.

"أنا... أنا لا أريد أنْ أرحل كما... كما حدث لمال".

قال، وهو يُسلِّط ضوء مصباح آخر على طول قاعدة جدران القنطرة، "لا تقلقي، لن أسمح لهم بأخذنا. أعدك بهذا".

مرّ ضوؤه على ركام صغير من مسحوق جاف بنيّ اللون على الأرض.

"هناك!"

وجّهت ضوء مصباحها نحو التراب الباهت، ثم إلى أعلى الجدار إلى أنْ لمحت صدعاً دقيقاً يتسرب منه ضوء النهار وحجراً واحداً يتحرّك على الجدار، ويُسقِطُ فُتات الملاط على الأرض.

"أو يا ربي... أترى هذا؟"

أجاب فوستر "نعم". نهضَ واقفاً على قدميه ومشى عبر أرض الغرفة نحو الجدار الأمامي، وسدّد مسدسه إلى الحجر الرخو. من جديد تململ الحجر ومن ثم اندفع نحو الداخل، ساقطاً إلى الأرض بصوت مكتوم ثقيل. لمح فوستر إحدى العينين الشبيهتين بعيني سمكة مطبوخة من خلال الثقب المتخلف... وأطلق النار.

سمعا صرخة عالية النبرة وصراخ ألم غاضب في الخارج. اشتدّ الخدش، وأضحى الآن صادراً عن أماكن متعددة على الجدار.

"أوه يا ربي... فوستر!... إنها في كل مكان! إنها..."

سُمِع صوت قوي وهدير شيء ثقيل يطقطق على الأرض في الغرفة الخلفية.

قال فوستر بحدّة "يا إلهي! لقد دخلوا!" هرع عبر الغرفة وأسرع بإقفال ترباس الباب.

"ماذا؟"

"لقد كانوا يُلهوننا على الجزء الأمامي، وفي تلك الأثناء كانوا يعملون

على الجدران القرميدية في الخلف". نظرت عيناه إلى عينيها. "إنهم في الغرفة الخلفية!"

سُمِعَ صوت اصطدام شيء ثقيل مكتوم على الباب المنزلق، ترك انتفاخاً على لوح المعدن الرقيق. خُلِعَتْ المفاصل المُثبّتة على جدار القرميد القديم وانهمر غبار القرميد بلون الصدأ.

صرخت مادي.

خلفَ ارتطام ثقيل مكتوم بروز آخر مُثلّم.

هتف فوستر "إنّ هذا الباب لن يتحمّل الكثير من هذا".

"أوه يا ربي، كلا! فوستر! لا أريد أنْ أموت هكذا!"

نظر من جديد إلى مؤشر الشحن، وهو يلعن ذلك الزر الأخير الأحمر. أرجوك بدل لونك!

"ما... ماذا... ماذا لو فتحنا النافذة الآن؟ فوستر؟ أنستطيع ذلك؟"

عبس عندما تكررت طقطقة الباب من ضربة أخرى واستقر المزيد من تراب القرميد على رأسه وكتفيه. ومن خلال الباب المعدني الرقيق سمعهم، يتذمرون، ويصرخون ويزمجرون... من إحساسهم بالإحباط بسبب هذا العائق الأخير.

"فوستر؟ الآن! افتح النافذة الآن!"

"حسن... يجب أنْ يكون الأمر قد تمّ الآن. بقدر كاف".

ناولها البندقية وانتقل إلى أحد الجانبين لكي تحل محل ثقله على الباب.

"استندي إليه أطول مدة ممكنة. وإذا اقتحموا المكان، فقد بقي لديك تسع طلقات. أتفهمين؟"

أومأتْ برأسها طائعة. "فهمت... سبعة لهم... والـ..."

"هذا صحيح"، وابتسم بكآبة. "واثنتان لنا".

وارتطام ثقيل مكتوم آخر. طقطق المفصل العلوي وانحلّ عن جدار القرميد، وانهمرت على مادي الحبيبات والغبار.

قبضَ فوستر على يدها بقوة وعصرها، ثم زحفَ على الأرض نحو

كابلات الحاسوب، وبسرعة فتح مربّع الحوار الداخلي مع آلة الزمن ودوّن الإحداثيات على لوحة المفاتيح.

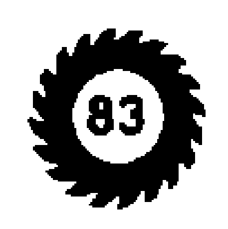
اهتزّ الباب بعنف تحت تأثير ضربة ثقيلة أخرى وسقط مفصل ثانٍ عن الجدار يقع عند منتصف المسافة إلى الأرض، وانهمر عليها التراب من جديد.

"فوستر! أسرع! أسرع!"

راجع الأرقام التي طبعها، وقارنها بتلك التي كتبها ليام بخط سريع.

فليساعدنا الله إذا كنتُ قد أخطأتُ في كتابتها.

ضغط على زر "دخول" على لوحة المفاتيح.



1957، نيويورك

اخذ ليام يعبث بالياقة المُنشّاة القاسية المُحيطة بعنقه، منزعجاً من أوراق السندان وشعار رأس الموت المُطرّز عليها. وحلَّ الزرّ الأعلى.

"كم بقيَ الآن؟"

كان بوب واقفاً في وسط الغرفة، مُحاطاً بحبال الغسيل التي تتدلى منها أغطية الأسرة. طرفت عيناه.

"إنَّ النافذة المُقررة وشيكة الظهور. وبالضبط بعد سبع وخمسين ثانية من الآن".

أدرك ليام أنَّ معدته تضطرب من التوقع المتوتر. بعد أقلّ من دقيقة سوف يعرفان ما إذا كانت مادي قد تذكّرتْ دفتر ضيوف المتحف. بعد أقلّ من دقيقة سوف يعرف ليام ما إذا كان سيبقى عالقاً في الماضي إلى الأبد.

"هل ترى أي شيء؟"

"جواب سلبي. لا أثر لظهور أي كتلة كثيفة بعد". وطبعاً، إذا لم تصل النافذة، فإنَّ بوب سوف يدمّر نفسه قريباً، ويترك ليام وحده. لم يكن متأكّداً من أنه سيستطيع أنْ يتحمل ذلك، وتساءل إذا كان أصحاب البذلات السوداء سوف يُلقون القبض عليه ويودعونه أحد تلك المعسكرات، أو الأسوأ، أنْ يعدموه بسبب قتله جنودهم، وسرقة السيارة، والبذلات.

قال بوب "عشر ثوانٍ".

هيا مادي... أرجوك تذكري دفتر ضيوف المتحف.

نهضَ واقفاً، وغاصَ من تحت حبل الغسيل لكي ينضمّ إلى بوب في وسط الغرفة.

"ستظهر النافذة في غضون ست ثوان... خمس... أربع..."

شدّ ليام على أسنانه المصطكة، ودعى استجلاباً للحظ الحسن. همس "هيا... هيا".

"... ثلاث... ثانيتان..."

ها قد حانت اللحظة.

"... ثانية واحدة..."

لا شيء.

تلفّت ليام حوله، وهو يُزيح الغسيل جانباً لعله يُخفي نافذة الإزاحة الوامضة. أين هي؟"

نظر بوب إليه. "لا توجد نافذة".

"ماذا؟ أأنت متأكد؟"

"كنتُ شعرتُ بالذرات المتسارعة في الجوار لو أنها وُجِدَتْ".

تسرّبت الطاقة المتوترة التي جعلت ليام يرتعش قبل لحظات منه كتسرُّب الماء من حوض ماء يُفرَّغ. شعر بساقيه ترتجفان ووجد مقعداً لكي يسترخي عليه.

إذن، انتهى الأمر.

نظر إلى وحدة الدعم، الواقف لا يأتي بحركة، يُبادله النظر بوجه هادئ خالٍ من أي انفعال.

"إذن كم بقي لك من الوقت لتنفجر؟"

ارتعش جبين بوب برهة. وكاد ليام يلمح حزناً في تعبير وجهه... تقريباً.

"بقيَ لدي ست وخمسون دقيقة حسب توقيت ساعتي الخاصة بالمهمة".

بقيت له ست وخمسون دقيقة من الحياة. وتساءل ليام ماذا يمكن المرء أنْ يفعل في ست وخمسين دقيقة. ليس الكثير. شرب فنجان من الشاي وأكل

بعض الكعك. وربما الاستحمام وحلق الذقن.
قال بهدوء "أنا آسف حقاً، يا بوب. أعتقد أنني كنتُ أُصبح شديد الشبه بك، في الحقيقة".
بدا أنَّ تغيُّراً مفاجئاً طرأ على وجه بوب الصارم، أصبح أرقّ. كاد ليام يتيقّن من أنَّ خلف اللحم والعظام، وعند مستوى ما، كان الوحدة يمر بتجربة تتجاوز الأرقام المزدوجة البسيطة والعمليات المنطقية.
"أنا..."، أخذ الصوت العميق يفتش عن كلمات غير مألوفة، "أنا... شديد الأسف... يا ليام أوكنر".
"لقد ألّفنا فريقاً جيداً. ألم نفعل؟"
جرّبَ بوب إحدى ابتسامات سال. هذه المرة نجحت التجربة جداً. لكنها بقيتْ قبيحة كالإثم.
"نعم. ألّفنا أ..." تجمّد بوب في منتصف الجملة. وتركّزت نظرته إلى ما بعد ليام، ثم أخذت عيناه ترفان بسرعة.
هل يتلقى شيئاً؟
فجأة قال بوب "معلومة: إنني أسجل ذرات مُسرّعة في الجوار".
"أهي رسالة أخرى؟"
"جواب سلبي".
"أهو أحد مسابير الكثافة؟"
"جواب سلبي".
نهضَ ليام واقفاً، وغاص تحت حبل الغسيل. "أهي نافذة؟"
استدار بوب ومدّ يده إلى أحد حبال الغسيل وشدّه جانباً بعنف. انقطع الحبل، ورفرفت الأغطية الجافة والنظيفة والقمصان وهبطت إلى الأرض. وهناك، وسط القنطرة، رآها، أفضل ومض حراري لنافذة الزمن، تتلوى ويتغيّر شكلها كبركة ماء. كانت كتلة أصغر حجماً بكثير من تلك التي استقلوها لدى عودتهما من حادثة اغتيال جون ف. كيدي. لكنها أكبر من محاولة واشنطن الفاشلة، لكنّ سعتها كافية هذه المرة.

"لِمَ هي صغيرة جداً؟"

"يَبدو أنَّ الطاقة لديهم محدودة، أو أنَّ هذه النافذة أرسلتها آلة ليست مشحونة تماماً".

تقدّم ليام نحوها بلهفة.

"تحذير: يجب أنْ تكون داخل الكتلة بنحو كامل. إنَّ أي جزء منك لا يكون داخلها سوف يبقى هنا عندما تنغلق".

غاص ليام بحرص منخفضاً واسترخى داخل الغلاف الخفّاق للطاقة. وحالما أصبح في الداخل جاثماً، لأنَّ الكتلة كانت منخفضة، انضمَّ إليه بوب، دخل والتوى حول نفسه منخفضاً، مُحيطاً ليام بين ذراعيه الضخمتين لمنعه من التدلّي خارج الغلاف.

قال بوب "الزم السكون التامّ".

وفجأة شعرا كأنَّ الأرض قد سُحِبَتْ من تحت أقدامهما وأخذا يهبطان في الجو.

2001، نيويورك

ضربت قدماه الأرض بقوة، الأسمنت البارد. اسمنت مألوف. اسمنت مُبقّع بالزيت. أول ما لاحظ هو أنَّ القنطرة شديدة الظلمة. والشيء الثاني الذي لاحظه هو أنَّ مادي تصرخ ومن ثم انفجار يصمُّ الآذان، إطلاق رصاص من بندقية تتردد أصداؤه على مسافة قريبة منه.

نظر فشاهد مادي رابضة على الأرض والبندقية في يدها ينبعثُ منها الدخان، وشيء حسب للوهلة الأولى أنه هيكل عظمي يطير متراجعاً كأنه دمية من قماش لترتطم بالجدار. كان هناك العديد منه: هياكل عظمية بملابس رثّة، تتدافع لتدخل من الباب المنزلق من الغرفة الخلفية، بأيدٍ كمخالب طويلة ممدودة لتقبض عليها. وعلى الطرف المقابل للغرفة كان فوستر يترنح عند

كابلات الحاسوب ويحاول الوصول إليها.

كانت ردود فعل بوب أسرع بكثير. كان قد نهضَ واقفاً على قدميه تواً وأخذ يعدو بسرعة طائر كاسر باتجاه مادي. انهالت ذراعاه المدجّجتين بالعضلات بعنف على أحد أقرب تلك الأشياء النحيلة، مُحطّماً عظامه وممزقاً نسيج عضلاته.

وقبض على آخر ولوى عنقه بحركة سريعة من رسغه. تكوَّم المخلوق على الأرض كدمية من قماش.

انطلقَ عيار ناريّ آخر، مُطيحاً آخر، ليرتطم بالجدار.

أدرك ليام أنه لا يفعل شيئاً، ومن ثم تذكّر أنَّ في حوزته مسدساً. فتلمّس الجراب الذي يُحيط بوركه، وأخرج المسدس وحاول جاهداً أن يُسدّد على الشبكة المشوّشة من الأطراف الشاحبة التي كشفها ضوء المصباح المتراقص.

أطلق رصاصة، مُحدثاً انفجاراً قرمزيّ اللون على كتف بوب الأيسر. التفت وحدة الدعم وراءه إليه وزمجر.

"أوه يا إلهي، أنا آسف!"

عاد بوب ليستأنف المهمة التي بين يديه ويمزق طرف واحد آخر منهم وينتقل لينهال بالشيء الرخو كالهراوة على الآخرين. جعلهم صراخهم ذو النبرة العالية أقرب إلى أطفال مُجفلين، وبدأوا يزحفون عائدين إلى الباب الذي دخلوا منه.

بينما كان بوب يُلاحقهم داخل الغرفة الخلفية، تردد صدى هدير تهشُّم. الأنبوب البلاستيكي الثقيل يتدحرج على الأرض، وصرخات رعب أخرى حادة يتردد صداها وهي تخرج من الباب. وانضمَّ ليام إلى فوستر ومادي.

"ما الذي يحدث؟"

نظر فوستر إليه. "أشياء فظيعة، يا ليام، فظيعة".

اقترب من مادي على الأرض، جاحظة العينين ومصعوقة.

"أأنت بخير، يا مادي؟ أأنت بخير؟"

انتقلت عيناها من الأجساد الشاحبة المشوّهة على جانبي الباب إلى وجه

ليام. بدا للوهلة الأولى أنها مُشوَّشة، تنظر إليه كأنه شخص غريب.

"إنه أنا! ليام!"

ومض بريق التعرُّف في عينيها المزمومتين... تبعه بالتدريج الارتياح. فتحت فمها وأغلقته. فتحته وأغلقته. وأخيراً نجحت في همس "أوه يا ربي، أوه يا ربي... حسبت انني سـ... حسبت أنَّ تلك الأشياء سـ... سـ..."

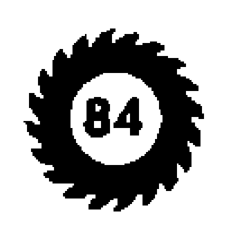
اقترب فوستر وضمّها إليه. "هـمـمـس. أصبحنا بخير الآن. لقد عادا. كلاهما. نحن في أمان الآن".

تلاشى ضجيج الصراع في الغرفة الخلفية. وظهر بوب عند الباب، كان وجهه مبقّعاً بقطرات قاتمة من الدم، وقد تمزّق رداء الحارس الخاص العسكري وبُلّل بمزيد من الدماء.

قال بنبرة عادية "معلومة: أصبح المكتب الميداني نظيفاً الآن".

عندئذ لاحظ ليام أنَّ أحدهم غائب.

"أين سال؟"



1957، سفينة القيادة فوق واشنطن دي. سي.

جلس بول كريمر وحيداً في مختبره. وحيداً حقاً.

لقد مات كارل، وكل أولئك الرجال الآخرين، شاوزول، شيفان، رودي، ديتر...

آخرون يتذكر وجوههم، إنْ لم يكن يتذكر أسماءهم.

الآن أنا الأخير.

رفع نظره عن حجره إلى الأرض التي تعبثُ فيها الفوضى، المُكدَّسة بالكابلات كالأفاعي، إلى القنبلة النووية داخل إطارها، قابعة داخل قفصها السلكي الصغير.

ها أنتِ ذي، يا صديقتي الصغيرة.

كان يحمل بيده مفتاحاً مفصلياً عادياً موصولاً بإهمال بسلك يصل إلى الجهاز المعقَّد. كان كابل أحمر اللون ملحوم بارتخاء، يمتد منه، يصل المفتاح المفصلي بنسخته البديلة المؤقتة لقفص فالدشتاين لإزاحة المجال. واستقرَّ إبهامه على طرف المفتاح المفصلي.

كان كريمر يشعر بتعب لا يُحتَمَل. لقد مرّ أسبوع كامل حتى الآن من دون أنْ يتذوق طعم النوم. منذ أنْ قتل كارل. ولو كان يتحلّى بالشجاعة لفعَّل جهازه حينئذٍ، وانضمّ إلى كارل في لحظات من الحياة الآخرة لاحقاً.

كان ضابط كارل المساعد، وعدد آخر من قادة قوى الغزو الكبار، قد تقدموا بطلب لمقابلته، مراراً وتكراراً. وأخذت المشاكل تتراكم، ثمة قضايا يجب حلّها، وأوراق يجب التوقيع عليها.

لم يتمكن من مواجهة أحد أو أي من تلك الأشياء في الوقت الحاضر.

ومع ذلك لم يكن ينام. فما إنْ يُغمض عينيه حتى تتوالى الكوابيس. لم يعُد الساعون إلى اغتياله هم من رجال شرطة الزمن من المستقبل، بل كيان غامض لا شكل له، قادم من الجحيم... يسعى بنهم إلى الاستيلاء على روحه، وعلى استعداد لجرّه من خلال صدع في الزمان-المكان لكي يحرقه إلى الأبد لاجترائه على التعدّي، وإنْ بنحو طفيف، على مجاله.

تمتم بصوت خافت "أحترق... إلى الأبد".

عبثَ إبهامه بالمفتاح المفصلي.

-حان الوقت، يا بول.

قال بلا حماسة "لقد عدت". أصبح الصوت خافتاً خلال الأيام القليلة الأخيرة. كان بول قد حسب أنه تخلّى عنه.

-أنا لم أترك أبداً.

"حسبت أني سأموت وحدي".

-كلا. أنا وأنت سنواجه القَدَر معاً.

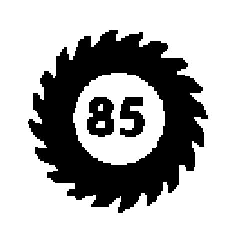
وضغط كريمر برفق على المفتاح.

-اضغط أكثر قليلاً، يا بول... قليلاً من الضغط على هذا المفتاح الصغير... وستزول الحياة عن وجه العالم.

ابتسم بوهن. ثمة شعر في هذا. في أنْ تخلق عالماً جديداً، تاريخاً جديداً، ومن ثم في لحظة من المجد التافه تطأه.

-هذا صحيح. ألم نُحقق الكثير؟

ضغط على المفتاح المفصلي... وإذا بالبياض يعمّ العالم كله.



2001، نيويورك

انتهى فوستر من سرد حكايتهم على مسمع ليام وهم واقفون في الشارع الخلفي مباشرة خارج مصراع الباب المفتوح يُحدقون إلى المدينة المدمَّرة.

همس ليام "يا إلهي، ماذا في اعتقادك قد حدث لهذا العالم؟"

قال فوستر "لا يخطر في بالي إلا حرب نووية من نوع ما. ولكن آمل أنْ يكون لديك تصوّر أفضل".

قال ليام "لا أعلم. لقد أنهى كريمر عملية احتلال أميركا. و لم أسمع عن نشوب اي حروب اخرى. ما زال أمامه أنْ يحتل روسيا والصين... ولكنْ ذلك لم يكن قد حدث حيث كنا".

هزّ فوستر كتفيه. "إذن لا بد أنَّ أمراً ما قد وقع بعد أنْ غادرتم بوقت قصير. لعلّ ذلك المدعو كريمر أشعل حرباً نووية. مَنْ يدري؟"، ونفحه فوستر بابتسامة مُشجّعة. "لقد صحّحنا الأمور في الماضي ولن نحتاج إلى أنْ نعرف ماذا حدث بعد أنْ غادرتما لأنَّ..."

أنهى ليام الجملة "لأنه لن يحدث أبداً".

ربت العجوز ذراعه مفتخراً. "ها قد فهمت المغزى، أيها الفتى".

عادا إلى الداخل وأغلقا مصراع الباب. وفي الداخل، كان بوب منهمكاً في ترميم الثقوب في جدار القرميد قدر استطاعته، وفي حمل جثث المخلوقات إلى الخارج.

جلسوا حول الطاولة مع مادي التي كانت تحمل إبريقاً من القهوة بين يديها، ولا تزال مصعوقة بوضوح بفعلِ الهجوم.

"هل قلت يا فوستر إنَّ هناك احتمالاً في استعادة سال؟ إذا عادت الأشياء إلى طبيعتها؟"

هزَّ العجوز كتفيه. "إنه مجرد احتمال، يا ليام. واحد من احتمالات عديدة".

مدَّ ليام يده ليتناول إبريقاً ويرشف بعضاً من الشراب الفاتر. "ولكن الآن، في مكان ما في الخارج، هل أنت متيقّن من أنها ميتة؟"

تنهد فوستر. "ليس في وسعنا إلا أنْ نأمل ذلك. إنَّ ما مرّت به..."، هزَّ رأسه دلالة على الإحساس بالتعب، عندما قابلت عيناه عيني مادي. "في الحقيقة، إنني أفضّل أنْ أعتقد أنَّ أمرها قد انتهى. انتهى. وانتهت معاناتها".

"ولكن إذا صححنا مسار الأشياء وعادت... فهل ستذكُر؟"

هزَّ فوستر رأسه نفياً. "لا أريد أنْ أبعث فيكم الآمال. فحتى لو صححنا مسار الزمن، فقد لا تعود أبداً. ليست هناك ضمانات".

همست مادي "لقد كانت شديد... شديدة الرعب. لقد رأيتهم يأخذونها... أنا... أنا رأيتُ النظرة التي في عينيها أنا..."

تنهد فوستر وقال "لم يكن في وسعنا أنْ نفعل أي شيء، لا شيء على الإطلاق. لو لم أمنعكِ من اللحاق بها، للاقيتِ المصير نفسه".

صرخت مادي بغضب "لكنها كانت مجرد طفلة! مجرد طفلة! لقد قلت لك يجب أنْ نلحق بها!"

أجاب برفق "لو فعلنا، لكنا ميتَين أيضاً. أنا آسف يا مادلين، إنني حقاً آسف، ولكن هذا هو واقع الأمر. يجب أنْ نواصل حياتنا"، والتفت من جديد نحو ليام. "يجب أنْ نركز على أمر واحد الآن. شيء واحد ووحيد: تصحيح الزمن. إنَّ هذا هو أهم الأشياء حرفياً".

سادت لحظة من التأمّل الصامت، ثم أومأ كلٌ من ليام ومادي برأسيهما. كان على حق.

"والآن، يا ليام، لقد قلتَ إنكَ حددتَ نقطة محتملة في الزمن يمكن إرسالك إليها؟"

"نعم. لقد ذُكِرَ هذا في كتاب ذلك المدعو هتلر الثاني".

"في المسار الصحيح للزمن كتب أدولف هتلر كتاب "كفاحي" في أي عام؟ 1925؟ وانتحر في عام 1945، إذن هو لم يتمكن من تأليف أي كتب أخرى".

قال ليام "نعم، ولكن في الزمن الماضي الذي أُرسِلنا إليه استمر هتلر في الحياة وألَّفَ هذا الكتاب الثاني. وبعد ذلك بفترة قصيرة أقاله ذلك الرجل المدعو كريمر من منصبه وأصبح هو الفوهرر الجديد".

"حسن، إذن في ذلك الكتاب الثاني...؟"

"يوجد فصل يصفُ فيه كيف نزل عليه الوحي من الله على هيئة ملاك. من الواضح أنَّ ذلك الفصل شهير جداً. وهتلر لم يأتِ في الواقع على ذكر اسم كريمر بالتحديد، ولكن افتُرِضَ أنه عندما أشار إلى "ملاك حارس" و"وحي إلهي" فإنه كان يقصد بذلك كريمر".

"استمر".

"لقد عرفتُ أموراً كثيرة عن ذلك الرجل، كريمر، عندما كنتُ في مخيم الاعتقال. لقد كان رجلاً شديد الغموض. بدا كأنه ظهر فجأة هكذا من المجهول. ليس لديه تاريخ عائلة، ولا تفاصيل عن طفولته. إنه رجل غامض حقاً. لقد حبَّذ فكرة إبعاد هتلر عن شنّ هجوم على روسيا في عام 1941. وادّعى أنه هو شخصياً الذي ابتكر معظم الأسلحة الحديثة التي ساعدتهم على كسب الحرب، وسمحت لهم بغزو أميركا وإبادة قواها المسلحة كلها في غضون بضعة أشهر.

"لقد عبده شعبه كأنه إله. وأعتقد أنه شجّعَ فكرة أنه إنسان خارق بصورة ما. ومن الجليّ أنه كان، إلى أنْ غزا أميركا، أكثر مَنْ كُتِبَ عنه في عصره. مئات الكتب أُلِّفَتْ عنه... كلها تحاول أنْ تُعرِّف عن شخصه وتتحدث عن منشئه".

"وهل تعرف مكان وزمان أول لقاء لهتلر به؟"

أجاب ليام "نعم، لقد أخبرني بذلك رجل اسمه والاس. أعني إذا كانت ذاكرته صحيحة... حينئذٍ، نعم، أستطيع أنْ أخبرك بالزمان والمكان".

فكّر فوستر في ذلك برهة. "إذاً، ذلك المدعو كريمر هو هدفنا. ليس أمامنا إلا أنْ نفترض أنه ميكانيكي أحمق من المستقبل هامَ بفكرة العودة بالزمن إلى الماضي والهيمنة على العالم. لقد قرر أنْ ينتقل إلى الماضي عند نقطة بارزة وحاسمة فيه... وجعله تاريخه الخاص".

"أعتقد ذلك".

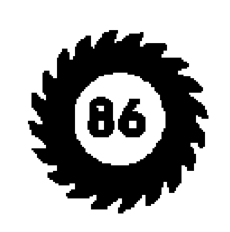
"ليام، هل تعرف ماذا عليك أنْ تفعل؟"

"أنْ أحدد موقعه و...؟"

" نقتله. تنفّذ حكم الإعدام فيه، قبل أنْ يقابل هتلر... قبل أنْ تُتاح له الفرصة لتغيير أي شيء يؤثر في التاريخ".

"حتماً".

"حسن إذن. أعطني تلك التفاصيل عن الزمان والمكان".



2001، نيويورك

نظر ليام إلى الأسطوانة البلاستيكية الفارغة. "لا يوجد فيها ماء. إنها فارغة".

"ليس لدينا مصدر للماء. هذه المرة عليك أنْ تذهب جافاً".

"إذن... هل عليّ أيضاً أنْ ارتقي ذلك الأنبوب؟"

هزّ فوستر رأسه. "سوف أفتح نافذة الزمن هنا على الأرض. وهذا يعني أنَّ جزءاً من أرضيتنا الأسمنتية الحيية سوف يعود معك... ولكن أخشى أنْ هذا لا مناص منه".

"ولكنكَ أخبرتني أننا نحن فقط نستطيع أنْ نذهب إلى الماضي؟"

"هذا صحيح. كلما قلّ احتمال التلوُّث كان ذلك أفضل. ولكن، اسمع، في هذه المرة ليس في وسعنا عمل الكثير. ليس هناك ماء صنبور. على أي حال... لستُ متأكداً من أنه بقي لدينا شحن كافٍ لنقل ثلاثين غالوناً من الماء إضافة إليكما أنتما الاثنين إلى الماضي".

عاد فوستر إلى لوحة المفاتيح. "لدي الخامس عشر من شهر نيسان من عام 1941 كتوقيت زمني. سوف تضعكما الإحداثيات في غابة قريبة من طريق تؤدي إلى حيث كان منتجع هتلر. وهي الطريق الوحيدة إليه".

والتفت ليواجه ليام وبوب. "إنه السبيل الوحيد للوصول إلى كريمر أيضاً. والآن، أفترض أنه وصل بوصفه أحد الزوار المميّزين. لعله نجح في إقناع قائد نافذ أو شخصية نازية كبيرة لتدبير لقاء له مع أدولف هتلر".

"أما كان فتح نافذة داخل المبنى؟ أمام الرجل مباشرة؟"

هزّ فوستر رأسه. "لو كنتُ مكانه، لما فتحت. ماذا لو أنكَ ظهرتَ أمام الحارس مباشرة؟ سوف تُقتَل في الحال. كلا". قال هذا وهو يمسح على الشعر القصير الشائب للحية عمرها أسبوع. "من الأكثر أماناً أنْ تظهر في مكان هادئ. ومن ثم تدخلَ من قناة رسمية - هكذا كنتُ سأفعل أنا - عرض لثروة لا تُقدّر بثمن، أو معلومات استراتيجية عن العدو... شيء لشق طريقي إلى داخل مكاتب أحد المسؤولين النازيين الكبار".

التفت إلى لوحة المفاتيح "تقول إنْ هتلر كتب يقول إنّ لحظة وحيه العميقة تبدّت له عند الساعة التاسعة والنصف من تلك الليلة. لقد وضعت توقيتك الزمني على الثامنة والنصف مساءً، أي قبل ذلك بساعة. فإذا نجح كريمر في الاجتماع بهتلر، فإنه افتراض معقول أعدّه ليكون دقيقاً. لعل اجتماعه كان مقرراً في التاسعة والنصف مساءً، ولكن لعله وصل باكراً قليلاً حرصاً منه على وجوده في الوقت المُحدد ليخضع للإجراءات الأمنية المتخذة هناك.

"وماذا لو لم تتمكن من منعه؟"

تنهد فوستر وقال "إذا فشلنا في منعه فقد نكون فوّتنا تلك الفرصة".

"فماذا نفعل حينئذٍ؟"

هزّ العجوز رأسه. "هذا يعني أنّ اللعبة انتهت. وسيبقى التاريخ متغيّراً. وليساعدنا الرب".

"وسوف نعلق في عام 1941، أليس كذلك؟"

"نعم، ليام. وسنعلق أنا ومادي هنا".

أخذ يُحدق أحدهما إلى الآخر بصمت. أدرك ليام أنّ مصيرهم سيكون أسوأ من هذا. "وماذا عن هؤلاء المخلوقات...؟"

لوّح فوستر بيده وابتسم بكآبة. "دعونا منهم الآن".

قطعت مادي أرض الغرفة، متجاوزة الكابلات الأفعوانية. وقبضت على ذراع ليام ونظرتْ إليه بعينين حمراوين. "فقط احرص على النيل منه، هلا فعلت؟"

أومأ برأسه موافقاً.

ثم نظرت إلى وحدة الدعم. "لقد حمّلتُ كل المعلومات التاريخية

التي لدينا عن المتجمع والمنطقة المحيطة به من مخزن المعلومات الذي يحتويه القرص الصلب في بوب".

تململ بوب. "جواب إيجابي".

قال فوستر "إذا... أقول إذا.. نجحتَ، يا ليام، وأعدت التاريخ إلى مساره، فسوف نحصل من جديد على التغذية بالطاقة. ويمكننا أنْ نعيدك إلى الوطن. سوف يكون موعد نافذة العودة الأولى هو الساعة التاسعة والنصف مساءً من الاحداثيات نفسها. وأول نافذة داعمة ستصل في العاشرة والنصف مساءً. والثانية ستصل بعد ذلك بأربع وعشرين ساعة. هل هذا واضح؟"

قال ليام "نعم، يا سيدي".

قال فوستر، مقترباً منه، "وإذا فشلتَ. إذا لم تنجح المحاولة، يا بنيّ، فلا تُبدد حياتك في مغامرة حمقاء، أفهمت؟" وضع يده على كتف ليام. "اعمل على أنْ تبقى حياً. سوف يعمل بوب على مساعدتك على مدى الستة أشهر الأولى. جِدْ طريقة للبقاء حياً... وعِش حياتك بأفضل طريقة ممكنة".

"وماذا عنكما أنتما الاثنين؟"

مدَّ فوستر يده وشدَّ على يد مادي. "لا تقلق بشأننا، يا ليام. لقد رتَّبنا أمرنا".

أومأتْ مادي برأسها موافقة ونفحته بابتسامة رقيقة. "هذا صحيح".

أخذ الأربعة يتبادلون التحديق كلٌ إلى الآخر برهة في صمت، متفهّمين المخاطر، ومدركين أنَّ تلك هي الفرصة الوحيدة لوضع الأمور في نصابها.

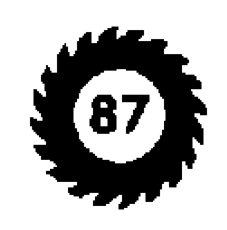
رفعت نظرها إلى بوب الواقف بجمود في حالة انتباه وهو بملابس الحرس الخاص العسكرية المُلطّخة بالدم. سددت لكمة خفيفة إلى صدره وهي تقول "أوه، هكذا أنت دائماً لا تتغير. اعتنِ بليام، أيها القرد الأحمق".

"جواب إيجابي".

كشّرت، وبدا خيط رطب يطفر من عينيها.

"وأنتَ، يا ليام، عُد إلينا سالماً، أفهمت؟"

أومأ برأسه إيجاباً. "هذه هي خطتنا".



1941، الغابة خارج منتجع أوبرسالتزبرغ

السقوط من جديد، السقوط في الفضاء المُظلم.

توافر لليام ما يكفي من الوقت للتساؤل ما إذا كان سيتعوّد الإحساس بجيَشان المعدة الذي ينتابه قبل أنْ يجد نفسه مغموراً حتى وسطه بكمية من الثلج الناعم.

"أوه، عظيم!"

تلفّت ليام حوله إلى أشجار الصنوبر المكسوة بالثلوج، تتوهج بلون يقترب من الأزرق الوضّاء من انعكاس ضوء القمر الزئبقي. كانت أغصان نخينة من أوراق شجر التنوب الإبريّة ترزح تحت غطاء ثقيل من الثلوج الهاطلة حديثاً.

ارتجف من تحت زي الـSS العسكري الرقيق. همس بينه وبين نفسه "يا إلهي، البرد يجمّد الأطراف"، نافثاً سُحباً من البخار الكثيف. "من حسن حظنا أننا لا نرتدي فقط سراويل داخلية رطبة الآن. انتظر لحظة، ألن يُسبب هذا مشكلة تلوُّث؟"

أجاب بوب "عند هذه النقطة، مستوى التلوُّث مقبول. سوف نعود مرتدين ملابسنا". توقف عن المسير برهة، مُنتشيراً البيانات في رأسه. "معلومة: على بُعد مئتي ياردة أمامنا درب يؤدي إلى "عش النسر".

"حسن".

"نصيحة: أنْ نحاول الحصول على أسلحة أفضل وملابس لائقة أكثر

ووسيلة للتنكُّر".

أوما ليام موافقاً بلهفة إلى اقتراح الملابس اللائقة.

قاد وحدة الدعم الطريق، شاقاً طريقه بين شجيرات الغابة، ونافضاً رذاذاً هامساً من الثلج المتساقط عن الأغصان المنخفضة فوقهما. سارا بهدوء خلال الغابة الشتوية الساكنة، إلى أنْ استطاع ليام أخيراً أنْ يتبيّن درباً ضيّقاً، أزيحت الثلوج عنه إلى الجانبين قدر الإمكان.

جلس بوب القرفصاء، ليمسح الطريق أمامهما، وانضمّ ليام إليه. لم يكن الدرب أكثر من درب للدواب، يرتفع إلى أعلى التل برفق. وعلى مسافة خمسين ياردة أمامهما شاهدا كشك حارس سُلّطَ عليه وهج ضوء غامر دوّار، وعلى كلا جانبيه أكياس رمل، وحاجز يمكن رفعه يسدّ الطريق. تسللت ابتسامة خفيفة عبر شفتي ليام المرتعشتين.

لا شيء هنا لا يستطيع بوب أن يعالجه.

قال ليام بهدوء "إذا استطعتَ أنْ تتخلّص من هؤلاء الحراس، نستطيع أنْ ننتظر هنا مجيء كريمر".

أوما بوب برأسه موافقاً. "جواب إيجابي. هذه خطّة جيدة. سوف..."

ثم جمد في مكانه.

"بوب؟ ما الأمر؟"

"لقد سجّلتُ تواً ظهور جزيئات مُسرّعة في المكان". استدارت عيناه الرماديتان نحو ليام. "ثمة نافذة زمن قُتحتْ الآن في الجوار".

"ماذا؟ أواثق أنت من أنكَ لا تلتقطَ آثاراً من نافذة زمننا نحن؟"

"إنها ليست نافذتنا".

ألقى ليام نظرة إلى الأشجار المحيطة بهما. "في الجوار؟"

"قريبة جداً. على بُعد ثلاثمئة ياردة من موقعنا".

لا بد أنّ تخمين فوستر خاطئ. فذلك الرجل، كريمر، لم يكن قد عاد في عام 1941 قبل بعض الوقت ليعمل على الاجتماع بهتلر. بل كان قد وصل تواً.

"إنني أسجّل عدداً كبيراً من الجزيئات المتلاشية".

"وما معنى هذا؟"

"يعني أنَّ هناك نافذة إزاحة كبيرة واحدة أو العديد من النوافذ الصغيرة".

عضَّ ليام على شفته وقد بدأ يفهم. "إذن كريغر لم يأتِ وحده، أليس كذلك؟"

عندئذ سمعا صوت حركة بين الأشجار: ضعيفة في أول الأمر، صوت حفيف غصن مُثقل بالثلوج يُزاح جانباً، وقعقعة خفيفة لتشابُك ومُعدات محمولة، وهمس أصوات منخفضة. وكلها قادمة باتجاههما.

"نصيحة: يجب أنْ نختبئ".

تلفَّت ليام حوله في الظلام. لقد جعل وهج ضوء القمر كل ما ليس مغطى بالثلج يبرز بسبب التباين الصارخ. وإذا لم يُسارعا إلى دفن نفسيهما، فسوف ينكشف أمرهما. رفع بصره إلى الشجرة التي كانا يجثمان تحتها.

أشار "هناك فوق. في الشجرة".

أومأ بوب برأسه موافقاً. ومن دون لحظة تردُّد قبضَ على ليام ورفعه من دون بذل أي جهد إلى أقرب غصن. وبصمت، وبفضل تمارين القضيب الثابت، تأرجح ليجلس إلى جانبه، وتحت وطأة ثقله الهائل أخذ الغصن يصرّ.

أصبح الضجيج أعلى، وأقرب، إلى أنْ أصبح ليام قادراً على رؤية حركة ما. وظهرت أشكال قاتمة من تحت ظلال الأشجار، تمشي بحذر على الثلج المتوهج تحتهما، ثم – وبنحو لا يُصدَّق – توقفت تحت الشجرة نفسها التي يختبئان فيها.

جثمت على الأرض وراحت تستكشف الدرب المؤدي إلى أعلى التل تماماً كما كان بوب يفعل قبل ذلك بقليل. ثم سمع أحدهم يتكلَّم بصوت منخفض.

"هذا هو، يا كارل. هذا هو! منتجع هتلر الشتوي!" تعرَّف إلى اللكنة بطريقة غامضة. تذكَّر النبرة بلقّة، صوت إلقاء خطابات تبثّ من دون توقف عبر مكبرات الصوت في معسكرات الاعتقال.

أهو كريغر؟

ثمة صوت آخر "Der Kehlsteinhaus. "عش النسر". لا يبدو أنَّ عليه

حراسة مُشددة". هذا الصوت له لكنة أجنبية، مقتضبة.

أرهفَ ليام سمعه ليسمع ما قاله الرجال بعد ذلك، وظلت أصواتهم منخفضة. ثم تكلّم كريمر بوضوح أكبر: "إلى الأمام أعلى التل، على بُعد بضع مئات من الياردات، توجد حامية من الحرس الخاص تضم أربعة أو خمسة منهم. سوف يُسعدهم أنْ يموتوا في سبيل قائدهم، وعلى رجالك أنْ يكونوا سريعين جداً، يا كارل".

من جديد انخفض صوته، ثم غمغم الثاني بإجابة.

التفت ليام إلى بوب الذي كان جاثماً بسكون تامّ على غصن بجواره كبوم ليليّ يراقبُ تقدّم حيوان قارض صغير وأخذ هيئة الاستعداد للقفز.

همس صوت الرجل الثاني "انتقلوا إلى الرؤية الليلية، أيها السادة". في الظلام تحتهما، رأى ليام شيئاً يتوهج بلون أخضر خفيف مُخيف بين الرجال المتجمعين. ثم ازداد عددها. وأدرك أنها نظارات من نوع ما.

همس أحدهم "سيدي كريمر؟"

إنه كريمر فعلاً! فجأة شعر ليام بقلبه يرفرف.

"ما الأمر، رودي؟"

قال صوت آخر بلكنة ثقيلة "أحقاً سنقابل أدولف هتلر هذه الليلة؟"

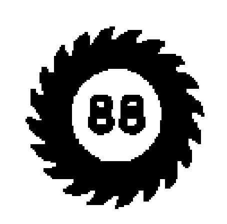
"نعم، رودي، ستقابله. هذه الليلة، أيها السادة..."، هنا رفع كريمر صوته عن مستوى الهمس إلى الغمغمة الخفيفة لكي يسمعوا كلهم، "سوف ندوّن تاريخاً جديداً تماماً معاً".

ربّتَ بوب ذراع ليام. لقد كانا قريبين أكثر مما ينبغي من الرجال في الأسفل بحيث عجزا عن الكلام. وبدل ذلك اكتفى وحدة الدعم بالإيماء نحوهم. إيماءة واضحة تُخبره...

أنا مستعد.

ابتلع ليام لعابه بقلق، شاعراً بجوفه يضطرب من جديد من فرط الخوف. وأومأ برأسه وهو يشدّ على أسنانه.

نفّذ.



1941، الغابة خارج منتجع أوبرسالتزبرغ

هبط بوب بصمت من الشجرة على الرجال في الأسفل. وسمع ليام الضربات المكتومة لجسده الصلب وتكسُّر العِظام الواضح.

ثم فُتحَت أبواب الجحيم.

أصوات مشوبة بالرعب والفوضى. والظلام في الأسفل يضيئه لبرهة طلقٌ ناريّ وحيد من مسدس كاتم للصوت. وبوب بخنجر مُضرّج بالدماء، في إحدى يديه يطعن به صدر رجل، وباليد الأخرى الضخمة يسحق حنجرة آخر منهم.

أطلقَ المزيد من الطلقات من مسدس كاتم للصوت وسط فوضى الظلام، مصحوبة بالضربات المكتومة من بندقية. وبيّنت ومضات الضوء السريعة أربعة أجساد متشابكة على الأرض، ودماءً تلوّث الثلج. وكان بوب يوجه ضرباته إلى رجل آخر بسرعة ورشاقة قاتلتين، وحفنة أخرى من الرجال من حوله كانوا يفيقون من لحظة الدهشة ويُسدّدون بنادقهم ليُطلقوا النار.

يجب أن أساعده.

استلّ ليام المسدس من الجراب وسدده إلى أحد الأشكال القاتمة - إلى أحد الرجال الأقرب إلى مجال ناره - وضغط على الزناد. تردد صدى فرقعة الطلقة من مسدسه بين جنبات الأشجار، وطبعاً دفعت الحرس إلى الاندفاع إلى الدرب.

نخر أحد الرجال تحته وسقط، قابضاً على فخذه.

يا إلهي، لقد أصبتُ أحدهم فعلاً.

بعد أنْ كشفَ عن موقعه، أدرك أنه لم يعد يستطيع البقاء جاثماً على الغصن. هبط، وهو يعبس ويشد على أسنانه إلى الأرض وسط قلب معمعة القتال، واستقرّ بكل ثقله على ظهر أحد الموتى. لم يستطع أنْ يسمع من حوله إلا النخر، وأنفاساً مجهدة لمزيد من الرجال، وكلمات حادة تُقال بالألمانية، وبإنكليزية ذات لكنة، وبلغات أخرى.

"هناك... أطلق النار عليه!"

"أطلق! أطلق!"

"ابتعد عن طريقي، شوارتز!"

أطلق مُسدس رشّاش دفعة من الطلقات المكتومة وأضاء المشهد بضياء وامض. ورأى ليام بوب يتلقى في صدره عدداً من الطلقات، ورداؤه يتفجّر ويُسبب جراحاً تتدفق دماً حاراً قاتماً.

لكنْ ذلك لم يكن كافياً لإيقافه. وفي الحال انقضّ على الرجل الذي أطلقَ عليه النار، وحزّ خنجره عنق الرجل بحركة سريعة قاتلة من الموت الزئبقي.

أصابت بوب طلقة أخرى في ظهره من شخص ثانٍ، ومن جديد اهتزّ زيّه العسكري، وتمزّق وتلطّخ بالدماء.

أطلق ليام عدداً من دفعات الرصاص السريع على الشكل القاتم، فتلوّى وسقط على الثلج.

قفز بوب إلى الأمام على رجل آخر، ويده تطعنه بالخنجر، لكنه كان قد أصبح بطيء الحركة عندئذ. لا يزال يمثل قوة قاتلة لكنه لم يعد ذلك المُدمّر صاحب السرعة المُبيدة. بدل ذلك كان يتمتع بطاقة هائلة جديرة بفيل ضخم مُحاصر ومُرهَق، لقد نال الضعف ذلك الجسم من لحم ودم بسبب كثرة الجراح.

ثم سُمِعَ إطلاق نار قصير ومكتوم من مسدس، أشبه بعصا مشي تُجرّ عبر سياج من خشب الأوتاد. وأخذ بوب يتمايل عائداً بخُطى ثقيلة.

“Scheiße! Töten Sie ihn!”

وفرقعة أخرى لإطلاق نار مكتوم.

انهار بوب على رُكبتيه، تمايل برهة، قبل أنْ ينبطح على وجهه فوق الثلج.

سُلِّطَ ضوء مصباح على ليام. وعندما استقر وهجه عليه، رمى بسرعة المسدس جانباً ورفع يديه. "لا تطلق النار! أرجوك!"

استقر ضوء المصباح على وجهه، مُبهراً بصره. "اركع!"

هبط ليام على الثلج.

"مَنْ أنت بحق الجحيم؟"

"أنا... اسمي ليام".

"مَنْ أرسلك؟"

لم يكن للوكالة اسم رسميّ. على أي حال لم يكن فوستر مستعداً للبوح به. "أنا... أنا عميل من المستقبل".

سقط ضوء المصباح بعيداً عن وجهه، ورأى ليام حينئذٍ من خلال الوهج أنه لم يتبقَّ منهم غير أربعة. ومن جديد تكلّم حامل المصباح.

قال كريمر "من المستقبل؟ بهذه السرعة؟" كان صوته مشوباً بالمرارة.

شعر بالمرارة والامتعاض لأنَّ محاولته لتغيير التاريخ عُرقلت، بعد بدايتها ببضع دقائق.

أصبح ليام متيقّناً حينئذٍ من أنه لم يتبقَّ له من الحياة إلا دقائق معدودة... إن لم تكن لحظات.

قال كريمر بحدّة "ولكن هذا مستحيل. ليس هنا غير آلة زمن واحدة". يجب أنْ تجعله يواصل الكلام، يا ليام. اجعله يستمر في الكلام.

"كلا، يا كريمر. أنت مخطئ. الأشخاص الذين أعمل لمصلحتهم لديهم آلات. ونحن هنا لكي نحمي التاريخ".

اقترب كريمر منه خطوة. "ولكن لِمَ؟" هزّ رأسه بغضب. "لِمَ؟ العالم الذي أتينا منه... يحتضر. لقد قتلناه بتلويثنا له، بل أفرطنا في تلويثه، وجعلناه ينضب من موارده، وقضينا تقريباً على الأنواع الأخرى كلها". جلس القرفصاء أمام

ليام. "لِمَ يريد أي إنسان أنْ يُحافظ على مثل هذا المستقبل؟"

نظرَ ليام إليه. أدرك من التعبير المرتسم على وجه كريمر أنه ربما لم يكن مدفوعاً بالجشع أو بعطش لا يرتوي إلى السلطة، بل ربما بنيّات أفضل. وسأل من جديد "لِمَ يريد أي إنسان أنْ يحمي هذا؟"

قال ليام "لقد شاهدتُ المستقبل الذي أنجزتَه بعينيّ... إنه عالم من الرماد والـ.. الأطلال".

ضاقت عينا كريمر. "ماذا؟"

"سوف ينتهي بك الأمر إلى فعل شيء رهيب. وسوف يُدمِّر العالم... ولن يبقى شيء. قد يكون المستقبل سيئاً. ولكن ما فعلتَه جعله أسوأ بكثير".

تقدَّم أحد الرجال الثلاثة الآخرين ووقفَ بجوار كريمر. قال بصلابة "لقد عدنا إلى هنا لنصنع مستقبلاً أفضل، لا لندمره".

كان الرجل ذو اللكنة القوية، الرجل المدعو كارل.

هزّ ليام رأسه نفياً. "ولكن بطريقة ما... بطريقة ما هذا بالضبط ما ستفعله في نهاية الأمر. سوف يقع خطأ ما. سوف تفعل شيئاً يؤدي إلى..."

ماذا قال فوستر؟

"... إ... حرب نووية. ولن يبقَى شيء بعدها". وراح ليام يُنقِّل بصره من أحدهم إلى الآخر. "فليُعنّي الله، لقد شاهدتُ ما بقي من الإنسانية. مجرد غيلان تُثير الشفقة... يقتات بعضها على لحم بعضها الآخر".

اتّسعتْ عينا كارل. للوهلة الأولى بدا تائهاً، مُشوّشاً.

قال ليام "إنْ كان هناك جحيم، إنْ كان حقاً موجوداً... فقد شاهدته بأم عيني. وأفعالكم هي التي ستوجده".

التفت كارل إلى كريمر "بول؟ بول؟ أيُعقل أنْ يكون هذا صحيحاً؟"

هزّ كريمر رأسه نفياً، وعيناه تفتشان عن الحقيقة في وجه ليام.

سمعوا عن بُعد صوت صفارة إنذار. يبدو أنَّ إطلاق الرصاص من مسدس ليام غير المكتوم نبّه الحرس الخاص. وقريباً سينهض الفوج كله ويبدأ بتمشيط الغابة.

سأل كريمر "أتقول إنك رأيت ذلك بعينيك؟"

أومأ ليام برأسه إيجاباً. "وأفضّل أنْ أموت هنا... على أنْ أعود إلى ذلك".

ملأت الفراغ بينهما سُحبٌ من البخار، تلاقت كأشباح شاحبة عابرة وسط شعاع ضوء المصباح.

قال كارل "بول، لا بد أنْ هذا كذب".

اضطرب وجه كريمر بالأفكار المتضاربة، والانفعالات المتضاربة. وعن بُعد سمعوا نباح كلاب يعلو على صفارات الإنذار. وأخذت أصوات تعلو وتقترب.

هزّ كريمر رأسه. كان في تعبير وجهه، في تلألؤ عينيه المُضطربتين، شيء أنبأ ليام بأنْ ثمة قراراً يُصنع في أعماق عقله المريض.

لكنه لم يعلم ما هو.

خرق السكون طلقُ نار مكتوم. لفظت سترة كريمر للتمويه في المناطق القطبية دماً ومن ثم سقط على الأرض.

استدار كارل والرجلان الآخران لكي يفتحوا النار على بوب. كان وحدة الدعم متمدداً على ظهره، حاملاً إحدى بنادقهم الرشاشة بارتخاء بيده اليسرى. ارتطمت معظم طلقاتهم بالأرض وارسلت كتلاً من الثلج في الهواء. لكنْ كل الطلقات التي أطلقها بوب أصابت هدفها، وأسقط كلا من الرجال الثلاثة بدقة متناهية.

شهقَ ليام "بوب!"، وهو يزحف على الأرض الرطبة بالدماء، وعلى الثلج بقع داكنة بلون الليل.

"بوب... حسبتُ أنك متّ".

عندما اقترب وجد أنْ وحدة الدعم قد أُصيب بعدد كبير من الجراح في صدره ومعدته و لم يعد ممكناً أنْ ينجو.

"معلومة..." وغرغر الدم نازفاً من جانب فمه.

همس ليام "كلا... هسسس، بوب"، وهو يهزّ رأس وحدة الدعم على حجره. كان شعره القاتم والخشن، الذي نما على مدى الستة أشهر الأخيرة

بحيث يمكن قبضة يد أنْ تغيب داخله، مُلبّداً ورطباً من جرح في الرأس.

طرفت عينا بوب الرماديتان ورفّتا. كان يقوم ببعض الأعمال على قرصه الصلب، يتفحّص الملفات، ويضغط البيانات.

"بوب؟"

صَفَتْ عيناه وثبتت على ليام. "الأولوية الأولى للمهمة: تدمير الأسلحة... وتقنية الأسلحة المتقدمة".

"نعم... نعم، طبعاً".

قال "تجميع الأسلحة... وتدميرها بقنبلة يدوية"، مُشيراً إلى حقيبة معدات مُلقاة على الثلج في الجوار. "والقنابل اليدوية في تلك الحقيبة. استخدم واحدة... وفجّر الأخرى".

اومأ ليام برأسه طائعاً وأدرك أنّ دموعاً حارة تجري على وجنتيه. ادرك أنه يذرف الدمع على آلة مُحطّمة.

"بوب... أنا..."

"يجب أنْ تهدأ وتُصغي!"

بدأ يسمع أصوات كثير منهم ينادي أحدهم الآخر، ونباح كلاب مسعورة تريد أنْ يُطلَق سراحها. وعلى البُعد، كانت أضواء مصابيح تومض بخفوت داخل الغابة. وفوق التل كانت أضواء غامرة، حيث مقر هتلر، ترسل أشعتها نحو السماء.

بدا أنّ سفح التل كله دبّت فيه الحياة والنشاط.

"أولوية المهمة الثانية: يجب أنْ تغادر، يا ليام أوكنر. ينبغي ألا تُؤسر حياً. اختبئ، انتظر نافذة العودة أو النافذة الداعمة. يجب أنْ تغادر في الحال".

"فقط ساعدني على إنهاضك على قدميك! لن أتركك هنا لكي..."

"جواب سلبي. يجب أنْ أفعّل التدمير الذاتي".

"كلا! لا تفعل، يا بوب! أنا جادّ، لا تفعل!"

بصق بوب المزيد من الدماء. "أولوية المهمة الثالثة: لا ينبغي أنْ يقع وحدة الدعم بين أيدي الـ..."

"كلا! هذا جنون، نستطيع أنْ نُخرجك من هنا... إذا استطعتَ أنْ تنهض من وضعية الاستلقاء على ظهرك، أيها البليد الضخم!"

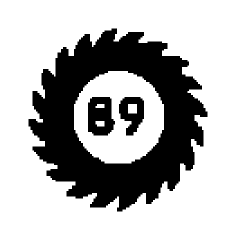
"جواب سلبي. يجب أنْ تغادر في الحال".

"بوب... هلاّ صمتُّ لحظة؟"

"ارحل الآن! ارحل الآن!"

"بوب، ارجوك... لا داعي لتدمّر نفسك! انا سافعل ذلك! أنا سافعل ذلك!"

تلفّتَ حوله على الثلج المُلطّخ بالدماء فعثر على ما يبحث عنه.



2001، نيويورك

سكون. هدوء... ما عدا حفيف نسيم خالٍ من الحياة عبر مشهد عام يباب. أبراج شاهقة من المعدن الصدئ والأسمنت المتفتّت تنهض فوق بقايا مكان كان يُدعى ذات يوم تايمز سكوير.

صرير لافتة بهت لونها منذ زمن بعيد تتأرجح من عمود النور. وصرير مصراع نافذة وارتطامه في مكان ما، وقع أسير ريح عابثة آسرة.

أرسلتْ شمس شاحبة سقيمة من خلف سحب مُشرقة بنيّة اللون مسرعة أشعة شاحبة إلى الرماد والغبار. ومن داخل ظلام الأبنية المحروقة والمُخرَّبة، أطلّتْ عيون بيضاء نهمة إلى مصدر هزيل آخر للطعام... جرذ، كلب - إذا ما تبقّى منها شيء - وربما إلى فرد آخر من جنسها.

إنه ليس عالماً يحتضر، بل هو عالم ميْت... ينتظر تلك المخلوقات النحيلة المُثيرة للشفقة الباقية من الجنس البشري لتدرك أنّ وقت موتها قد حان.

لكنّ النسيم انتعش برفق في أول الأمر.

أخذ مصراع تلك النافذة المحلول على الجانب المقابل من الساحة يضرب بقوة أكبر، وسط سُحب صغيرة من الغبار الأرض. دار دولاب على عربة يد صدئة ومهملة ببطء كليك-كليك-كليك.

ثم، ظهر ومض خافت جداً - تُخطئه العين إذا رفّت - كتموُّج عبر الأسفلت الحار على طريق عامة في يوم من أيام الصيف، وكنفحة هواء

حار فوق نار مشتعلة.

ومض، خفاقاً، متموّجاً... متغيّراً.

أصبح لأعلى برج ميت يطل على ساحة تايمز، أصبح له الآن نوافذ سليمة. كما حدث للأبنية الأخرى، واحداً بعد آخر. يمكن المرء أنْ يرى طرقات واضحة وأشباحاً باهتة تتنقّل عليها. أضحت أكثر وضوحاً الآن... إنها ليست وهمية بل صلبة. هناك سيارات، وحافلات، وباصات... وأناس.

لقد تحوّل لون السماء من البنيّ المسموم الضارّ إلى رمادي يوم ثلاثاء رطب ورذاذ مطر خفيف لا ينتهي.

فجأة بدأتْ رايات عالية قرمزية اللون عليها شعار الأفعى التي تأكل ذيلها تزيّن أعمدة النور كلها. وظهرت إعلانات فوقَ مداخل المحال التجارية، تحمل وجه القائد الذي وعد بتوحيد العالم تحت حكمه. وجنود بملابس عسكرية رمادية وسوداء وجزمات طويلة من الجلد يقومون بدوريات في شوارع منظّمة وبلا روح مزدحمة بمدنيين بملابس رصينة، يتوجهون بهدوء، وخضوع، إلى مراكز أعمالهم.

على الأقل هذه حياة. لم يعد عالماً ميتاً.

ومن جديد انتعش النسيم.

رفرفت الرايات، وكأنها تشعر بشيء قادم.

ثم ومض آخر.

ثمة تغيُّر جديد يلوح، تتوافد أمواجه متقدمة عبر الأشهر، والسنين، والعقود من الزمن، والأحداث تنتظم، والمصائر تتغيّر، والاحتمالات تجد نسخاً صحيحة منها.

وببطء صَفَتْ السماء الغائمة، وتوقف المطر.

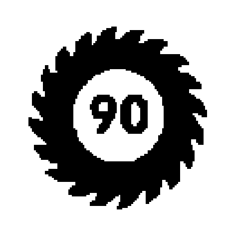
وتلاشت الأبراج والرايات في الحال، والإعلانات اختفت.

وكلمسة زخرفة أخيرة وتبدل في الواقع، عمَّ ساحة تايمز الضجيج والألوان الصارخة والزحام والنزق، وامتلأت بأناس فطِنين ينظمون أمور يومهم عبر هواتف محمولة، يدفع بعضهم بعضاً لاحتلال حيِّز على الرصيف،

ويقفون في طوابير لشراء خبز الإفطار والقهوة.

ثمة غول أخضر عملاق اسمه " شريك" يُحدِّق من مُلصَق، ورجل متشرد يدفع عربة مشتريات مملوءة بعلب الكرتون يعلوها قماش مُشمّع يستغرق منه دقيقة ليجلس على مقعد ويراقب العالم المزدحم يمرّ من أمامه.

السماء زرقاء جميلة. والشمس دافئة في غير أوانها لمثل هذا الوقت من العام... والهدير النائي الرتيب لطائرة تقترب في الأفق البعيد.



2001، نيويورك

استلقت مادي على سريرها الضيق في الظلام. سمعت قبالتها أنفاس فوستر المتعبة، الخرير الصافر لرجل مريض.

السكون يخيّم على القنطرة ما عدا قطر ماء من سقف القرميد في مكان ما في الظلام. كان المولد قد توقف أخيراً عن الضجيج المكتوم. لقد نسيت كم من الوقت استمر ذلك.

ساعات... بضع ساعات؟ أم أكثر؟

لا كهرباء. لا أضواء. لقد استنزفا آخر شمعة في أثناء جلوسهما على طرفي الطاولة يُناقشان خياراتهما إذا ما فشل ليام وبوب في مهمتهما. والحق يُقال، لم تكن الخيارات عديدة. في الحقيقة، لقد اختُزِلَتْ الخيارات المتاحة لهما إلى واحد فقط.

متى يفعلانها... متى يستخدمان آخر طلقتين في البندقية.

عندما يُصبحان على استعداد للاعتراف بأنَّ كل شيء قد ضاع.

لم تكن تصف بما يكفي من الحماقة بحيث تترك نفسها تعتقد أنَّ هذا في الحقيقة ما سيحصل. هل سيقود تاريخ غامض مذكور في سيرة ذاتية، ما كان ينبغي أنْ تُكتَب، ليام وبوب مباشرة إلى سبب هذا كله؟ كلا.

كان ذلك نوع النهاية السعيدة البغيضة التي يتّسم بها برنامج تلفزيوني تافه أو فيلم ناجح وضعيف مُثقل بالمؤثرات الخاصة، إنقاذ الطيين في اللحظة

الأخيرة من الموت الذي تعرف دائماً أنه سيحصل منذ لحظة بداية إدراج الأسماء.

كان وجه مادي مدفوناً في الوسادة عندما بدأتْ أضواء السقف في المكتب الميداني تومض بصمت وبلا توقف. كانت شبه نائمة، و لم تنتبه وتدير وجهها إلى الناحية الأخرى إلا عندما التقطت أذناها همهمة الآلة التي تعني أنَّ فقاعة الزمن بدأتْ في الظهور بهدوء.

استغرق منها برهة أخرى لتدرك أنَّ الطاقة الكهربائية عادت، وأنَّ القنطرة عمّها النور الهادئ الخفّاق.

أهذا حقيقيّ؟ أم انني أحلم؟

اعتدلتْ في جلستها بسرعة على السرير الضيق، حتى كادت تضرب رأسها على النوابض القاسية للسرير الذي فوقها. وابتسمت.

إنه ليس حلماً.

"فوستر!"

مدّتْ يدها وهزّت كتفه. "فوسترا"

توقف تنفّسه الخشن، ومع أنين انزعاج متألّم نهضَ وفتح عينين قاتمتين وشاحبتين. "واو... ما هذا، مادلين؟"

أشارت عالياً إلى المصباح داخل القفص السلكي فوقهما، يتوهج بإشراق.

"فوستر، أعتقد أنهما نجحا".

بعد بضع دقائق كانا واقفين خارجاً في الشارع الخلفي المكسوّ بالنفايات يستمتعان بعودة العالم المألوف. إنه يوم مشمس وجميل من شهر أيلول، هدير حركة المرور على جسر ويليامسبرغ فوقهما، وصوت الأبواق النزق، والعويل البعيد لصفارات سيارات الشرطة.

إنها الحياة. الحياة النزقة.

هتفت مادي، ووجنتاها مخضلتان بالدموع بلا خجل، "إنني لم أر أبداً شيئاً يوازي هذا الجمال".

أجاب فوستر "ولا أنا".

احاطت كتفيه المتهدلين بأحد ذراعيها وطبعت قُبلة على خدّ جافّ ومتجعد كمخطوطة رقية.

همست "لقد نجحنا".

ابتسم فوستر. "إذن فلنُعدهما إلى الوطن، هلا فعلنا؟"

خفقت الأنوار في القنطرة قليلاً نتيجة نضوب الطاقة. وارتفعت نبرة هدير آلة الإزاحة، ثم فجأةً، ها هي. شاهدت مادي الحدود العامة الخفّاقة للنافذة في وسط الغرفة تظهر بالضبط في المكان نفسه الذي كانت فيه عندما ارسلاهما إلى عام 1941.

داخل النافذة استطاعت أنْ تميّز صورة باهتة متموجة، كانعكاس صورة على صفحة مياه بركة مضطربة، بدا لها أشبه بعالم من الأشجار والثلوج. ثم ظهر الشكل الظلّي لشيء قاتم متموج داخل الصورة الشبيهة ببركة صغيرة. إنه شكل إنسانيّ من دون أدنى شك. شخص قادم إليهما.

بعد لحظة... خرج ليام إلى أرض القنطرة.

صرخت مادي بابتهاج أوليّ "ليام!"، ثم راتْ أنّ يديه وذراعيه لزجة بدماء رطبة وتكاد تجف، وزيّه العسكري، وعنقه، ووجهه، الشاحب كما الأشباح، ملطخة بقطرات قاتمة.

"أوه يا ربي... ماذا حدث؟ ليام، اأنت بخير؟"

التفت لينظر إليها، وفمه يُكافح ليُجيب، باحثاً عن الكلمات.

خطا فوستر إلى الأمام. "ليام، يا بنيّ... أأنت بخير؟"

نظر إلى العجوز، عابساً، يُكافح ليستوعب الأمور، يرف بعينيه في وجه بريق الأضواء من فوقه. واخيراً أوما براسه وهو يفتح راحة يده ويقدّم شيئاً معدنياً بحجم هاتف محمول صغير وملوّثاً بكتل من الدماء الجافة.

"لقد... نجحتُ في..."، أخذ نفَساً وحاول من جديد، "حسن، على أي حال... ها هو بوب".

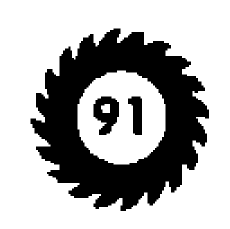
مد فوستر يده ليتناول ذلك الشيء، وحمله برفق. أجاب بهدوء، وهو يعلم جيداً العمل المروع الذي قام به ليام، "أحسنت فعلاً، يا ليام. إنها

ليست مهمة سهلة"، ثم أضاف "تعال واجلس، يا بنيّ"، وهو يقوده إلى الطاولة والكراسي.

سأل ليام "هل... هل نجحنا؟"

رسمت مادي ابتسامة عريضة وعانقته برفق جواباً عن سؤاله.

أجاب فوستر "نعم، يا ليام، نجحتما".



2001، نيويورك

بعد ذلك بحوالى ساعتين، وبعد أنْ أعطى ليام المزيد من السرد المفصَّل عن الوقت الذي أمضاه في الماضي، سرعان ما غاص في النوم على أحد الأسرة الضيقة. بدا غطيطه أكثر اهتزازاً بين جنبات القنطرة من هدير المولّد.

كان فوستر يعمل على طاولة الحاسوب. بعد أنْ مسح عن مُعالج بوب العصبي النسيج الدماغي والدماء، وصلَه بجهاز الحاسوب وبدأ يُحمِّل كامل محتويات قرصه الصلب.

قال، مشيراً إلى مؤشر التحميل وهو يزحف ببطء عبر الشاشة، "إنَّ ذكاء بوب الاصطناعي موجود بينها".

قالت مادي "إنَّ البيانات التي تحمّلها كثيرة هنا".

"في الواقع، لقد غاب حوالى ستة أشهر. وطوال الوقت كانت عيناه وأُذناه تسجل كل ما يجري".

"إذن، ما هو وضع بوب، هل ذكاؤه الاصطناعي سليم؟"

هزَّ فوستر كتفيه. "أنا لستُ خبير حواسيب. لذلك لا اعرف كيف تعمل. لكنَّ الشيفرة التي يتألّف منها ذكاء بوب الاصطناعي سوف تندمج مع ذكاء جهاز الحاسوب". وربتَ لوحة المفاتيح، "سوف تتمكنين من التواصل معه داخل هذا".

"حسن. ستة أشهر من التعلُّم... أعتقد أنَّ شيفرة الذكاء الاصطناعي

اذكى بكثير من الأبله الذي خرج من أنبوب الولادة".

فهقه فوستر. "أوه نعم".

نظرتُ إليه. "كيف سنصنع وحدة دعم أخرى؟ لقد دُمّرتْ تلك الأنابيب، وسُفحَتْ المادة القذرة التي ينمون عليها.."

رفع يده. "أمامنا عمل كثير لكي نحمّل المكتب الميداني هذا على الشبكة من جديد".

"ساساعدك في هذا... تبدو مُتعباً". ولو كانت صادقة، لقالتْ إنه يوشك أنْ ينكفيء على وجهه ويموت.

أضاف "نحتاج إلى أجنّة مُستنسخة جديدة ومحلول النمو. يجب استبدال المولّد. الجدران أُصلحت. يجب سدّ النقص في مخزوننا".

"مولّد جديد. إنّ هذا سيكلفنا مبلغاً كبيراً".

قال فوستر "عظيم. فقط اذهبي إلى أحد محلات بيع الأقراص الصلبة واشتري واحداً آخر".

"وهل لدينا ما يكفي من المال؟"

"قدر ما تحتاجين. إنّ لدينا حساباً في المصرف".

"رائع. هل نحصل على بطاقة ائتمان معه أو ما شابه".

التفتَ إليها. "هذا أحد أشياء كثيرة سأخوض فيها معك... قبل..." وتلاشى صوته.

"قبل ماذا؟"

بدا الانزعاج على فوستر. "قبل أنْ أغادر".

"تغادر؟ تغادر! لا يمكن أنْ تغادرنا! لا أحد منا يعرف ما الذي نفعله حتى الآن. يا إلهي، أنا... أنا حتماً لا..."

ابتسم فوستر وقال "لقد أبليتما بلاءً حسناً. بل أحسنتما العمل. إنني أقول منذ الآن إنكما أحسن فريق مُدرّب يقوم بهذا. لقد نجوتما من المحنة، وسوف تتمكنان من التعامل مع أي شيء آخر يضعه هذا العمل في طريقكما. أنا واثق من هذا".

" فريق؟ ليس هناك فريق. لم يبقَ الآن غيري أنا وليام"، وألقتْ نظرة إلى مجموعة الشاشات أمامها وإلى مؤشر التحميل الذي كان عندئذ قد تجاوز منتصف المسافة. "أوه... وجهاز حاسوب سرعان ما سيُصرّ علّى مناداته بوب".

في تلك اللحظة سمعا حفيف أقدام خلفهما. استدارا فشاهدا سال واقفة في وسط القنطرة، تجر عربة تبضّع بإحدى يديها، وتنظر بفضول إلى حفرة صغيرة في الأرض الأسمنتية.

قالت، وهي تهز رأسها مستنكرة، "ما الذي حدث هنا؟ هذا المكان تعبث فيه فوضى عارمة. أخرج ساعتين لأحضر بعض الحليب والخبز من أجل الإفطار وأعود لأرى كأنّ أحدهم كان يحفر حفراً في الجدار من الخارج... وثمة مَنْ أسقط كرة بولينغ على الأرض هنا".

ارتخى حنك مادي. "سال؟ سال!"

تقوّسَ حاجبها الداكن استغراباً. "أيوه... نعم، وماذا بعد؟"

قفزت مادي عن الطاولة واجتاحت الفتاة المشوّشة وأخذتها بين ذراعيها، "أنتِ حيّة! أوه يا ربي، أنت حيّة! أنتِ حيّة!"

شاهد فوستر الحيرة على وجه سال عبر كتف مادي المهتز.

"آه... هل سيخبرني أحد ما الذي كان يحدث في غيابي؟"

92

2001، نيويورك

الاثنين

لم يُخبروني عن كل ما حدث. إنني أُخمّن أنّ بعض الأمور وقعت ويُخفونها عني. ولكنّ ما أعرفه هو أنّه في أثناء خروجي لشراء الحليب والخبز وقع تبدُّل في الزمن، وتغيَّر العالم وانتقل ليام وبوب إلى الماضي لكي يُصحّحاه.

أخبرني ليام أنه وبوب علقا حقاً في الماضي على مدى ستة أشهر! وأنا لا علم لي بذلك. إنّ السفر عبر الزمن أمر من الصعب الإحاطة به.

قالوا إنّ مكتبنا الميدانيّ تعرّض للهجوم، ولكنهم لم يُخبروني بعد مِنْ قِبَل مَنْ أو ماذا. هناك علامات خدشٍ في كل مكان على الجدار في الخارج، وكأنّ أحداً كان يُنظّف حجر القرميد بفرشاة. لعلنا تعرّضنا للهجوم من جيش من الشياهم[1] أو ما شابه.

كثير من الأشياء التي في الغرفة الخلفية كُسِرَتْ؛ شظايا الزجاج وما إلى ذلك في كل مكان، لذلك أُخمِّن أنه جرى

---

1 الشياهم: مفرد شيهم؛ ذَكر القنفذ: حيوان قارض. (المترجم)

هناك قتال. أتمنى لو أنهم يُخبرونني كل شيء بدل أنْ يحاولوا "حمايتي" لمجرد أني الصغرى.

وبوب مات. أعلم أنَّ هذا أثّر كثيراً في ليام. إنه يشتاق إليه. وأنا أراه يكتب رسائل لبوب على الحاسوب في كل يوم، ومادي تطلب منه ألا يبالغ في هذا الأمر، فهو في واقع الأمر لم "يرحل". كل ما في الأمر أنه أصبح داخل الحاسوب. وقالت إنه لا فرق، وكأنَّ المرء يتحدث مع صديق عبر الـMSN.

أنا أيضاً أشتاق إلى ذلك الضخم.

يقول فوستر إنّ في استطاعتنا أنْ نُنشئ بوب آخر حالما نُصلح أدوات الولادة. ولكني لستُ متأكدة كيف سيكون شعوري حيال النسخة الثانية من بوب. فهو لن يكون بوب نفسه. أم هل سيكون؟ أعني، إنهما مُستنسخان، لذلك أعتقد أنهما سيكونان متطابقَين.

مادي مشغولة دائما. يقول فوستر إنها قائدة الفريق ويجب أنْ تتعلّم الكثير ريثما نرتاح نحن ونستعيد عافيتنا. أنابيب الولادة في الغرفة الخلفية ينبغي استبدالها، وسوف نحتاج إلى أجنّة جديدة مُستنسخة ومؤونة من ذلك المحلول المُقرف الذي تعوم فيه. وفوستر يجعلِ مادي تتولى هذه الأشياء. وعلينا أيضاً أنْ نحصل على مولّد داعم بدل القديم ومؤونة من الطعام والماء والوقود وأشياء أخرى كثيرة جداً.

سوف نبقى جميعاً منهمكين في العمل على مدى الأيام القليلة المقبلة، وهذا مؤكَد.

في الواقع، إنني أكره فكرة أنه فاتني تماماً ما حدث. أشعر كأني ما أزال المُستجدّة هنا والاثنان الآخران هما المتمرسان.

في الحقيقة، الثلاثة يبدون مختلفين، وكأنَّ ما حدث غيّرهم قليلاً. كما حدث، مثلاً، لليام. إنه يبدو كأنه أكبر سناً. وأقسمُ

إنه أصبح أطول قامة بمقدار بوصة أو اثنتين. إنه يبدو أكثر ضخامة، وصلابة، وأقل صبيانية وأكثر رجولة. ظاهرياً يبدو أنه أصبح أكبر مما كان بنحو ستة أشهر... ولكنه في الواقع يبدو أكبر سناً بسنتين أو ثلاث. أمر غريب.

لم تعد مادي تمزح كما كانت. إنها تبدو مشغولة البال طوال الوقت... كأنها مقبلة على التقدُّم إلى عدد كبير من الامتحانات و لم تراجع أي مادة.

ثم هناك فوستر.

إنني قلقة عليه. إنه يبدو شديد المرض وأكبر سناً بكثير. كأنه في أثناء قيامي بالتبضُّع كبُر مئة عام. أعتقد أنَّ من الفظاظة أنْ أصرِّح بأنه أصبح فجأةً عجوزاً جداً. لذلك لم أقل شيئاً عن تلك الأيام القليلة الأخيرة. أعتقد أنه يتعلّق بالسفر عبر الزمن.

لكنَّ مسألة السفر عبر الزمن هذه مسألة غاية في الغرابة. إنها تشوِّش العقل.

رفعت سال بصرها عن كتابة يومياتها وازدردت مقدار ملعقة أرز من إفطارها. كانت الحبوب قد أضحت مُشبعة بالحليب في أثناء انهماكها بالكتابة. حدّقت بلا اهتمام إلى إحدى طاولات شاشات الحواسيب التي أمامها. سوف تغيِّر المحطة من الـCNN إلى قناة ديزني، فهم يعرضون الآن الجزء الثاني من "Toy Story" – إنَّ Buzz والعصابة يُحاولون جاهدين أنْ يجتازوا طريقاً سريعة مزدحمة متنكرين بزي قمع المرور[1]. كانت سال قد شاهدته مرات عدة، وهو أحد أفلام والدها المفضّلة.

القنطرة هادئة الآن. ليام جالس على المقعد وأنفه مدفون في

---

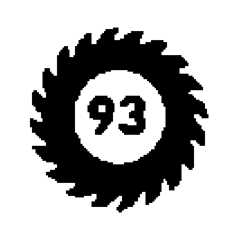
1 قمع المرور: شكل مخروطي على هيئة قمع توضع على الطريق لتحذير المارة وسائقي السيارات من وجود أعمال إصلاح على الطريق. (المترجم)

كتاب تاريخ عن الحرب العالمية الثانية. إنه يقرأ كثيراً. يقول
لا يريد أبداً أنْ يعلق من جديد في زمن لا يعرف عنه شيئاً.
خرجت مادي وفوستر في وقت مبكر. قال لها إنَّ لديه
عدداً من الأمور يريد أنْ يُناقشها معها "سرا". ولا يعجبني أنْ
يكون لديه أشياء يُفضي بها إليها وليس لي ولليام. لا يبدو لي
هذا مُنصِفاً. فقبل كل شيء، نحن فريق واحد، ألسنا كذلك؟

شاهدتهما سال يخرجان من تحت مصراع الباب قبل ساعتين. لوّح فوستر
لها مودّعاً، ولكن كان في حركته تلك شيء خاص، ابتسامة حزينة وهو
يجول بنظره في المكان الوضيع.

في الحقيقة، لقد كان العجوز يتصرف بصورة غريبة جداً خلال تلك
الأيام القليلة الأخيرة. تساءلت إنْ كان السبب هو شعوره بالتعب. لقد
بدا العجوز كأنه يحمل أعباءً فوق طاقته، وأعمالاً كثيرة. فقررت، لدى
عودتهما، أنْ تصرّ على أنْ يسترخي على إحدى تلك الأرائك الرثّة التي
يضعونها حول الطاولة، ويرفع ساقيه وأخذت تغدق عليه من عنايتها؛ تصنع
له بعض القهوة، والطعام، أو أي شيء يريد.

بدا أنه يمكن أنْ يتحسّن ببعض المعاملة الرقيقة.



2001، نيويورك

أخيراً قال فوستر "إذن، فأنت تعرفين كل شيء الآن، يا مادلين، كل شيء".

حدَّقت مادي إليه عبر الطاولة. كان الوقت منتصف الفترة الصباحية، والمقاهي هادئة نسبياً. كان الإقبال على القهوة بالحليب والفرابوتشينو قد انتهى وأصبحت المقاهي شبه خالية.

"والآن صرت تعلمين لِمَ أنا أحتضر. لِمَ لم أعد أستطيع أنْ أجازف بركوب الزمن. لِمَ لم أعُد أستطيع أنْ أعيش داخلَ فقاعة زمن المكتب الميداني..."

نظرتْ إليه "أواثق أنت؟ أواثقٌ من أنَّ التكنولوجيا تقتلك؟"

أجاب "نعم، إنَّ الضرر الذي تُسبِّبه يتراكم ببطء مع مرور الزمن. ولا يُلاحَظ في أول الأمر، لكنه في نهاية الأمر يتمكن منك. لا أعلم كم أستطيع أنْ أعيش أكثر خارج الفقاعة، لكنَّ المدة ستكون أطول مما لو مكثتُ في الداخل معكما".

"وإذا مكثتَ؟"

هزَّ كتفيه. "تعنين إذا مكثتُ معكما... في الداخل؟ من الصعب القول. قد أعيش بضعة أيام أُخر، أو أسبوع أو اثنين حداً أقصى". تنهَّد. "العدد ليس دقيقاً. وأنا لستُ طبيباً".

عضَّت مادي على شفتها. "آسفة".

ابتسم بوهن. "لا تأسفي. إنه مرتبط بكون المرء عاملاً فاعلاً. لقد

اخبروني في مرحلة مبكّرة، مع بدايتي عندما كنت فتى صغيراً ولانقاً، أنْ ركوب الزمن سوف يقتلني في نهاية المطاف".

"لكنكَ تابعت مع ذلك؟"

"إذا أخذنا في الاعتبار كل التاريخ الرائع الذي شهدت، يا مادي، والتاريخ الذي لمست، وشممت، وتذوّقت، وكل التجارب التي مررت بها، والأشياء التي تعلمت؟ يا إلهي... أنا مستعد أنْ أفعل ذلك من جديد. أنا مستعد حقاً".

"وهل مُنحتَ الفرصة للاختيار كما منحتنا؟ انضمّ أو عُدْ وواجه حتفك المُقدَّر لك؟"

أجاب "نعم، ولستُ نادماً على الإطلاق".

"وماذا عن ليام؟"

زمَّ فوستر شفتيه متفكراً، وأخيراً أوما براسه، على مضض. "نعم، أخشى أنْ ليام سوف يلقى النهاية نفسها. سوف يُصيبه السفر عبر الزمن بالشيخوخة أسرع منكِ ومن سال. سوف يقتله ركوب الزمن عاجلاً أو آجلاً... سوف ينهش السرطان جسمه".

مسكين يا ليام، مسكين.

كان من مهمتها، كقائدة للفريق، أنْ تُخبره بذلك في وقت ما. أنْ تُعلمه بأنه في كل مرة يركب نافذة الإزاحة ويُرسَل إلى الماضي تُخرِّب خلايا جسمه تدريجاً، إلى أنْ تتحول هي نفسها إلى أورام تنهشه في نهاية المطاف من الداخل.

بعد برهة قالت "إذن، إلى اين ستذهب؟"

هزّ كتفيه "لا اعلم. اعتقد أني لن أمانع في أنْ أسترخي وأستمتع باشعة الشمس". ابتسم. "واقضي افضل وقت ممكن في ما تبقّى لي من عمر".

"هل ستبقى في نيويورك؟"

"يُقال إنها المدينة التي لا تنام... وكما قال أحدهم ذات مرة، عندما تموت، يمكنك أنْ تنام قدر ما تشاء. لذلك أعتقد أنْ نيويورك هي المدينة المناسبة لي".

ضحكا معاً. كان ضجيجاً حزيناً، جافاً، ملأ الفضاء بينهما.

شرب ما تبقى من قهوته. "على أي حال، لطالما خططتُ لأقوم بزيارة نيويورك وأتفرج على مناظرها. كل ما في الأمر أني هدأتُ بعض الوقت".

مدّ يده ليتناول حقيبة موضوعة عند قدميه، حقيبة صغيرة للاستعمال المؤقت مع بضعة تذكارات.

قالت مادي "انتظر، يا فوستر، لا أعتقد أني أستطيع أنْ أتحمّل هذا. لستُ متأكدة من أننا سنستطيع أنْ نستمر وحدنا".

"بل أنتم على أتمّ الاستعداد. أنا متيقّن من أنكم تؤلّفون فريقاً عظيماً".

"وما الذي يجعلك متيقّناً؟ ما زلنا في حاجة إلى الكثير من..."

قال بحزم وهو ينهض عن مقعده ببطء، متألماً، يعبس بإرهاق سببه بذل الجهد، "أعلم".

"ألن نراك بعد الآن؟"

"إنّ لديكم كل ما تحتاجون إليه من معلومات، يا مادي، هناك في رأسك، في ما نقلته إليك، في ما تعلّمته، في ما اختبرته. أما بخصوص أي شيء لا تعرفونه... حسن، هناك الملاحظات المدونة في قاعدة بيانات الحاسوب، وإجابات عن كل الأسئلة التي يمكن أنْ تسألوها".

"كيف تعرف ما أريد أنْ أسأل؟"

غمز لي بعينه. "إنّ هذا ركوب للزمن، يا مادي، والتاريخ يُعيد نفسه".

مدّت عنقها، وقد شوّشها جوابه الغامض. "نعم، ولكن إذا احتجتُ إلى مساعدتك... هل أجدك هنا في مكان ما؟"

شدّتْ يد العجوز الهشّة، المغطاة بالبقع، على كتفها بلطف. "سوف تُحسنين التصرُّف، يا مادي، سوف تفعلين".

استدار وجرّ قدميه نحو الواجهة الزجاجية للمقهى والحقيبة الخفيفة تتدلى من كتفه. بدا كأنه أكبر مسافري العالم سناً، دافعاً الباب ليفتحه ويخرج إلى رصيف مانهاتن المزدحم. خنقت رغبة في أنْ تناديه، أن تهرع إليه وترجوه أنْ يبقى فترة أطول معهم.

لكنه كان قد غاب عن ناظريها، ضاع وسط زحام المرور على الرصيف.
بقيت برهة تراقب الشارع الذي يضج بالحركة في الخارج، متأمّلة كل ما قاله لها فوستر، ومتسائلة كم من تلك المعلومات يجب أنْ تشترك فيها مع الآخرين، وكم منها ينبغي أنْ تحتفظ به لنفسها. كانت قد بدأتْ تواً تشعر بثقل عبء المسؤولية على كتفيها الضيّقَين.
"أترغبين في المزيد؟"
رفعت مادي نظرها إلى نادلة المقهى الواقفة بجوار مقصورتها حاملة بيدها وعاء القهوة الساخنة. كانت فتاة في مثل سنّها. للوهلة الأولى تساءلت ما هي المآزق المزعجة التي تقلق نومها ليلاً...
... هل أذهب لأمارس التزلج مع شينا وكايشا غداً؟ أم أقبل دعوة داني إلى الحفل الذي سيُقام في منزل جيمي؟ أم أخرج مع ستيفي بدل ذلك؟ هل أخدم فترة إضافية في يوم الثلاثاء أم يوم الأربعاء؟...
"هل ترغبين في المزيد؟"
أومأتْ مادي برأسها موافقة، بشرود، "طبعاً... نعم، من فضلك، املئيه".
صبّت النادلة إلى أنْ امتلأ الكوب ثم انتقلتْ إلى المقصورة التالية لتطرح السؤال نفسه.
راقبتها مادي، شاعرة بالحسد مما افترضتْ أنها حياة هادئة تتألّف من قرارات صغيرة. وعندئذ بالضبط أدركتْ أنه لو كان في استطاعتها أنْ تلوّح بعصا سحرية وتبادل الأماكن مع النادلة – تستطيع هي حينئذ أنْ تصب القهوة وتترك للنادلة أمر القلق بشأن الحفاظ على مسار التاريخ كما هو – لفعلت ذلك حباً وكرامة.
لكنها أدركت، وهي تدعك عينيها المُتعبتين وتفكّر في أنها يجب أنْ تحصل على نظارة جديدة، أنّ شخصاً ما ينبغي أنْ يقوم بهذا العمل، أنْ يقوم بحراسة الزمن.



كان من المفترَض أنْ يموت **ليام أوكونر**
في البَحر عام 1912.

وكان من المُفترَض أنْ تموت **مادي كارتر**
على متن طائرة عام 2010.

وكان من المُفترَض أن تموت **سال فيكرام**
في حريق عام 2026.

ومع ذلك، قبيل موتهم بلحظات، ظهر شخص وقال لكل منهم "أمسك يدي ..."

لكنَّ ليام ومادي وسال لم ينجوا، بل جُنِّدوا لمصلحة وكالة لا عِلمَ لأحدٍ بوجودها، لهدف واحد ووحيد: إصلاح التاريخ المعطوب. لأنَّ السفر عبر الزمن يحدث، ولأن هناك أشخاصاً قد يعودون في الزمن ويُغيِّرون الماضي ...

لذلك وُجد **روّاد الزمن** ليحموننا، ليمنعوا السفر عبر الزمن من تدمير العالم ...

"تستحقّ جائزة أفضل رواية خيال علمي ... كتاب ضارب!" Flipside

لا تُفوِّت الرواية الثانية
من سلسلة تعصف بالعقول ...



